محمد أبو رمّان • حسن أبو هنيّة

عاشقات الشهادة

تشكّلات الجهادية النسويّة
من القاعدة إلى الدولة الإسلامية

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

عاشقات الشهادة

تشكّلات الجهادية النسويّة

من القاعدة إلى الدولة الإسلامية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(٢٠١٧/٣/١٤٧٨)

٢٧٨
أبو رمان، محمد سليمان
عاشقات الشهادة: تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية/ محمد أبو رمان، حسن أبو هنية.- عمان: مؤسسة فريدريش ايبرت، ٢٠١٧

(٥١٦) ص.
ر. إ. : ٢٠١٧/٣/١٤٧٨.
الواصفات: /الجهاد//المرأة// الأحوال السياسية/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الناشر مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب الاردن و العراق
مؤسسة فريدريش ايبرت – مكتب عمان
صندوق بريد: ٩٤١٨٧٦ عمان ١١١٩٤ الأردن
بريد الكتروني: fes@fes-jordan.org
الموقع الالكتروني: www.fes-jordan.org

غير مخصص للبيع

تحرير: أسامة غاوجي
التصميم والإخراج الفني: معاذ السعيد
طباعة : المطبعة الاقتصادية

الرقم المعياري الدولي (ردمك): ٣-٧٤-٤٨٤-٩٩٥٧-٩٧٨

عاشقات الشهادة

تشكّلات الجهادية النسويّة من القاعدة إلى الدولة الإسلامية

حسن أبو هنيـّة

مـحمد أبو رمّـان





تقديم

آنيا فيلر-تشوك

المديرة المقيمة لمؤسسة فريدريش ايبرت- الأردن والعراق

أسهم التحول من عصر تنظيم القاعدة إلى تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى وصول مستويات غير مسبوقة من التجنيد؛ إذ لم تتمكن أي منظمة أخرى في التاريخ الحديث من تجنيد هذه الأعداد الكبيرة من المقاتلين، ولا سيما المقاتلين الأجانب.

إن هذه القفزة النوعية من حيث الأرقام والتوسع الجغرافي للتجنيد الجهادي تجاوزت أيضا حواجز النوع الإجتماعي. وقد أظهرت السنوات الثلاث الماضية أعدادا غير مسبوقة من الجهاديات اللاتي انضممن إلى تنظيم الدولة الإسلامية من الشرق الأوسط ومن بلدان أخرى، بما في ذلك الغرب.

وتميزت الكثير من التقارير عن الجهادية النسائية بالإثارة فضلا عن القوالب النمطية القائمة على النوع الإجتماعي والإستشراقي. إن أسطورة "جهاد النكاح"، التي حظيت في تغطية كبيرة، توضح هذا. في حين أن العديد من الروايات الإعلامية قد روت قصص فتيات شابات وقعن فريسة لدعاية داعش، إلا أن القليل من الأبحاث المتعمقة قد أجريت حول تطور الجهادية النسائية والدوافع الخاصة وراء قرار المرأة اتباع أيديولوجية جهادية أو الانضمام إلى حركة جهادية. وهناك جانب هام يكمن في تطوير دور الجهاديات على مر الزمن؛ في حين أن الهجمات التي تقوم بها الإناث ليست بأي حال من الأحوال من الحداثة، إلا أنها أصبحت أكثر شيوعا. وبما أن منظمة "الدولة الإسلامية" تفقد سيطرتها على الأرض، فمن المحتمل أن تكون للمرأة قيمة متزايدة في الهجمات، كونها بشكل عام تثير شكوكا أقل من نظرائها من الرجال.

وتظهر العديد من التناقضات عند التفكير في هذه المسألة؛ إذ يتميز الفكر السلفي الجهادي بفصل راسخ بين الجنسين والقيود الصارمة المفروضة على النساء، وينظر إلى دور المرأة على أنه يقتصر على المهام المنزلية وتربية الأطفال. كيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين دور المقاتل "الجندي"؟ هل هذا يعد نوعا جديدا من "النسوية الجهادية"؟ كيف يمكن أن يكون مقبولا للمرأة التي يقتصر دورها على الشؤون المنزلية السفر أحيانا آلاف الكيلومترات للانضمام إلى الرجال في المعركة؟ كيف تقبل أو تبرر الجهاديات المواقف الخاطئة لنظرائهن من الذكور والتجاوزات مثل اغتصاب النساء والفتيات؟ ما هي الأرضية المشتركة بين فتاة شابة من المملكة المتحدة وإمرأة ناضجة ذات تحصيل أكاديمي عالي انضمت من المملكة العربية السعودية؟

إن البحث في هذه الأسئلة ليس بأي حال من الأحوال مهمة سهلة. من الصعب جدا الحصول على المعلومات الوقائعية؛ حيث تتميز العديد من الحسابات بالأساطير والدعاية والدعاية المضادة. وهذا ما يجعل العمل الذي حققه المؤلفان عملا رائدا، إذ تمكنوا من الحصول على المعلومات وجمعها من عدة مصادر أولية.

وافترض المؤلفان في البداية أن الجهادية النسائية ليست أكثر من موضوع ثانوي يمكن تغطيته في دراسة موجزة، إلا أنهما اكتشفا في سياق بحثهما عالماً جديداً من المعتقدات الأيديولوجية والتفسيرات، والأجندات المتعددة، والاستراتيجيات، والعوامل التحفيزية والأهداف السياسية والدينية. يعد هذا الكتاب دليلا على جهودهما الغير العادية لتغطية هذا الموضوع بعدالة.

ونظرا لندرة الأدب في مجال الإسلام السياسي، وخاصة باللغة العربية ومن قبل الخبراء المحليين، بدأت مؤسسة فريدريش ايبرت- مكتب عمان في إصدار سلسلة من المنشورات منذ عام ٢٠٠٧، مع التركيز على مواضيع عدة مثل الحركات الإسلامية، والتطرف، والجهادية. وقد قام المؤلفان الدكتور محمد أبو رمان وحسن أبو هنية بعمل رائد في تقديم أبحاثهما وتحليلهما حول هذه القضايا. وقد أظهرا مهارة ملحوظة في تجميع ملاحظاتهما المباشرة من الأرض بخبرتهما الأكاديمية وعرض نتائجهما واستنتاجاتهما على كل من الخبراء وغير الخبراء من القراء. ويود فريق مؤسسة فريدريش

ايبرت- عمان أن يعرب عن امتنانه العميق لكلا المؤلفين على التعاون المثمر المستمر خلال هذ الفترة.

كما نود أيضا أن نشكركم، قراءنا، على اهتمامكم بأنشطة ومنشورات مؤسسة فريدريش ايبرت- مكتب عمان ونأمل أن تزودكم قراءة كتاب "عاشقات الشهادة: تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية" العديد من الأفكار الجديدة.

الإهداء

إلى المؤمنات والمؤمنين بأنوار الحرية والخلاص من الاستبداد بوصفه العلة والداء، الذي يولّد التطرف والعنف والإرهاب ويخلق مناخات من الإحباط واليأس ويشعل الحروب الطائفية، ويختطف مستقبل أجيال من الشابات والشباب المهجّرين والمهاجرين والخائفين والتائهين والباحثين عن عيش حياة إنسانية كريمة كنظرائهم من البشر.

إلى المؤمنات والمؤمنين بأهمية المعرفة والبحث العلمي في فهم الظواهر الاجتماعية والإنسانيّة وتحليلها من أجل التوصّل إلى حلولٍ حقيقية موضوعية بعيداً عن أهواء الإيديولوجيا وإغواء السياسة.

إلى من يشعرون بمأساة ملايين النساء والأطفال والمستضعفين في مناطق النزاع والصراع والحرب، ممن يعيشون ظروفاً إنسانية قاسية وأحوالاً معيشية صعبة بين مطرقة الميشيات المتطرفة والمسلّحة وسندان الأنظمة الاستبدادية والاحتلال.

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: "نساء الخلافة"

الفصل الرابع: عاشقات الشهادة؛ ظاهرة الانتحاريات

القسم الثاني

"المهاجرات": لماذا؟.. وكيف؟.. أصبحن "جهاديات"

الفصل الأول:"نماذج نسائية" عربية

الفصل الثاني: تراجيديا "النسائية الجهادية" في السعودية

الفصل الثالث: إيمان مصطفى البغا؛ التنظير الإيديولوجي والفقهي

الفصل الرابع: الأوروبيات المهاجرات إلى أرض الجهاد

الفصل الخامس: "الداعشيات الأميركيات"..
إرهاب (السوشيال ميديا)

شكر وتقدير

لا يسعنا، بعد إتمام هذا الكتاب، إلاّ أن نتقدم بالشكر الوفير والعميق والصادق، لكل من ساعدنا وساهم معنا في إنجاز الكتاب أو توفير الظروف المناسبة لإتمامه.

الشكر أولاً موجّه إلى مؤسسة فريدريش أيبرت الألمانية، ومكتبها في عمّان، بخاصة المديرة والصديقة أنيا فيلر، التي ناضلت معنا، وقاتلت إلى جوارنا؛ وفي أحيانٍ أخرى قاتلتنا بهدف إنجاز الكتاب والوصول به إلى طور الإعداد والنشر. وقد ساهمت أنيا خلال مدة عملها في عمّان في الأعوام الماضية- بإصدار محموعة من الكتب التي أنجزناها مع فريدريش أيبرت، مثل كتاب "تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية"، وكتاب "أنا سلفي: بحث في الهوية المتخيلة والواقعية لدى السلفيين"، وكتاب "الحل الإسلامي في الأردن: الإسلاميون والدولة وأسئلة الديمقراطية والأمن"، بالإضافة إلى جهدها في إقامة مجموعة من المؤتمرات الإقليمية المهمة في تحليل الظاهرة الإسلامية وفهمها، والتي صدرت عبر سلسلة من الكتب والتقارير. ثم بذلت الصديقة أنيا جهوداً كبيرة في نقل هذا الإنتاج المعرفي إلى الجمهور الإنجليزي والألماني، عبر ترجمة الكتب إلى اللغة الإنجليزيّة والألمانية، ومن بينها الكتاب الحالي.

إنّ مثل هذه الجهود من أنيا ومؤسسة فريدريش أيبرت تدفعنا إلى التعبير عن تقديرنا الكبير لهم على هذا الدور الذي حملوه على ما فيه من جهد وكلفة مالية ووقتية. ولم تغب بطبيعة الحال- الصديقة أمل أبو جريس عن المشهد؛ فهي مديرة البرامج في المؤسسة، والتي كان عليها أن تتابع خطوة بخطوة إنجاز العمل، ومتابعة سيره في مراحل الإعداد والطباعة والإخراج والنشر، والأمور الإدارية والتحريرية والفنية، وقد عملت معنا يداً بيد في كافّة المشروعات التي أنجزناها مع فريدريش أيبرت.

على الصعيد البحثي، فإنّ الشكر الجزيل موصول لعدد من الباحثين الذين عملوا بجدّ للوصول إلى مصادر المعلومات والبحث عنها في الصحف والمجلات

والمقالات ووسائل التواصل الاجتماعي، وهم باحثون ومتدربون في مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، في مقدمتهم ربا طويسي، ونور داوود؛ المتدربة في المركز، والباحث الأميركي أرماند جالا Armand Jhala، وقد كان لدورهم ومساعدتهم أهمية كبيرة في الوصول إلى معلومات ثمينة ومهمة.

بطبيعة الحال لم يكن لهذا العمل أن يؤتي أكله ولا أن ننجزه لولا تضحية عائلاتنا، التي تحمّلت كالعادة انعزالنا لشهور من العمل المتواصل والمرهق، فكل الشكر لعبير جوان عدوي وغيث أبو هنية (عائلة حسن أبو هنية) وسماح بيبرس، وفارس وسارة (عائلة محمد أبو رمان) على دعمهم وصبرهم خلال الأعوام الأخيرة. إنّ ما أنجزناه من كتب وأعمال بحثية مرهقة، لم يكن ممكناً تحقيقه لولا تضحياتهم ووقتهم.

كما نتقدّم بالشكر لمركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، الذي وفّر المكان والمناخ والإمكانيات للمؤلف محمد أبو رمان لإنجاز العمل. والشكر موصول إلى المحررين والمدققين الذين قاموا بدورٍ لا يقل أهمية ولا صعوبة عن دور المؤلفين، فنشكر الأصدقاء: بنان ملكاوي (التي ترجمت الكتاب إلى الانجليزية)، وأسامة غاوجي (الذي قام بتدقيقه وتحريره بالعربية)، وجونتر أورت (الذي ترجمه إلى الألمانية).

المقدّمة

اختلطت التصوّرات الأسطورية والخيالية، والدعايات السياسية والإعلامية، والأجندات الإيديولوجية، بالتوصيف المعرفي والواقعي الموضوعي لملف "النساء الجهاديات"، بخاصة مع صعود تنظيم ما يسمى بـ"الدولة الإسلامية"، وإقامته نظاماً لتطبيق تصوراته الإيديولوجيته داخل الأراضي التي سيطر عليها في الرقة والموصل، وإعلانه عن إقامة "دولة الخلافة".

فتارةً نجد عناوين مثل "عرائس الجهاد"، وتارة نسمع بـ "جهاد النكاح"، وتارة يدور الحديث عن "عشيقات البغدادي"، وغير ذلك من العناوين الإعلامية البرّاقة، التي لا تقوم على أساس ثابت أو دقيق بالضرورة. وقد شكّل ذلك حالة ضبابية حالت دون دراسة ظاهرة "النسائية الجهادية"، ومحاولة فهم واقعها وحجمها والأسباب والشروط الفعلية التي دفعت بمئات الفتيات إلى السفر أومحاولة السفر للأراضي التي يسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلامية"، على وجه الخصوص، كما حالت دون فهم ظاهرة النساء الجهاديات بصورة عامة.

لقد مثّل هذا المشهد الضبابي الملتبس سبباً رئيساً لنا لسبر أغوار هذا الملف الشائك والمعقّد، ومحاولة تمييز الموضوعي والواقعي عن الأجندات السياسية والأمنية والإيديولوجية والإعلامية المغلّفة بأفكار منمّطة وصور مقولبة عن هذه الظاهرة. إلاّ أنّنا بعد أن وضعنا أولى خطواتنا في هذه "الرحلة البحثية"، ظنّاً منّا بأنّنا سنتناول موضوعاً جزئياً - ضمن سلسلة الدراسات والأبحاث التي كتبناها سابقاً عن الجهاديين- وجدنا أنّ أقدامنا تغوص في عالمٍ فسيح ينفتح على ملفات وموضوعات وقصص هائلة، تتداخل فيها العوالم النفسية بالمجتمعية والإيديولوجية بالمعرفية. ووجدنا أنفسنا أمام جدالات فقهية وفكرية واسعة في الأوساط الإسلامية والجهادية عن المرأة ودورها وموقعها من "العملية الجهادية"، وغير ذلك من ملفات متعددة الأبعاد ومتنوعة

الجوانب والزوايا.

إنّ "النسائية الجهادية" عالم واسع فسيح له مداخله الخاصة وغرفه الخفيّة، يشتبك مع الجهادية العالمية في تطوّرها التاريخي، لكنّه ينفصل عنها في لحظاتٍ معينة، فهو يرتبط بخصوصيته الجندرية، بخاصة في المجتمعات العربية والمسلمة، التي يتم فيها تحديد موقع منفصل ومغاير لدور المرأة عن موقع ودور الرجل؛ وهي القضية التي تبدو أكثر بروزاً وإشكاليّة في أوساط الجهاديين، الذين يرون بأنّ عملية الفصل والتمييز بين الرجل والمرأة مسألة دينية وفقهية، وأنّ أحكامها ثابتة مستقرة لا جدال فيها.

وربما عند هذه النقطة تحديداً، أي رؤية الجهاديين للمرأة، تبدأ مشكلة الدراسة لدينا، التي تأخذ زاويتين متقابلتين مهمتين:

الزاوية **الأولى**، كيف يمكن، ضمن هذ الرؤية المحافظة للجهاديين، أن نفهم التحولات والتطورات الأخيرة التي طرأت على دور "المرأة الجهادية"، وانتقالها من صفوف ثانوية وأدوار تقليدية لدى الجماعات الجهادية؛ بما فيها القاعدة-بوصفها ربة منزل ومربية للأبناء- إلى المرأة المهاجرة، وإلى ظاهرة "نفير النساء"، وصولا إلى "المرأة الانتحارية"؟ وكيف تخطّى الجهاديون "معضلات" دينية فقهية عديدة لبلوغ المرحلة التي أصبحنا نرى فيها قرابة ٥٥٠ امرأة جهادية تهاجر من أوروبا، وحدها، إلى أراضي "تنظيم الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا، فضلاً عن هجرة مئات النساء من العالم العربي والإسلامي إلى "أرض الخلافة".

أمّا الزاوية **الثانية**، فترتبط بالنساء الجهاديات والمهاجرات والانتحاريات أنفسهن، أي البحث بهدف معرفة وتفهّم الأسباب التي تدفع فئات من النساء من كافة بلدان العالم إلى الانتماء لتنظيم "الدولة الإسلامية"، والقبول بالتضحية بكلّ شيء في سبيل الالتحاق بالأراضي التي تقع تحت سيطرة التنظيم، على الرغم من انتهاج التنظيم سياسة دينية تؤسس لمجتمع بطريكي أبويّ لا مكان فيه للمساواة والحريات والمواطنة الكاملة، وغيرها من القيم التي أرستها الحداثة، وكرّستها المواثيق والمعاهدات الدولية، وتضمنتها شعارات الثورات العربية[١].

---

(١) انظر: آمال قرامي، الجهاد النسائيّ: الإرهاب بتاء التأنيث، مركز الروابط للبحوث والدراسات

ترتبط بالزاوية الثانية أيضاً، جدلية رئيسة تتعلّق بالتعارض المفترض بين طبيعة التنظيم المتطرفة والدموية والقاسية والشاقة من جهة، وبين طبيعة المرأة العاطفية التي لا تميل عادة إلى هذا النمط من الحياة والسلوك من جهةٍ ثانية. فهل ثمّة تضارب بين الطبيعتين فعلاً؟ أم أنّ هذه الفرضية غير دقيقة من الأساس؟ وكيف يمكن، إذاً، أن نفسّر "النسائية الجهادية" من الناحية السيكولوجية والسسيولوجية بصورة أكثر عمقاً، من خلال حالات دراسية واقعية؟

إنّ أحد الأهداف الرئيسية لهذا الكتاب هو الاشتباك مع ذلك المنظور الاختزالي التسطيحي للظاهرة الجهادية عموماً والنسائية الجهادية خصوصاً؛ فعلى مدى عقود شكلت دراسة الجماعات الجهادية والجهاديين حقلاً من البلبلة والاضطراب والتشوش حجبت محاولة فهم دوافع "الجهاديين"، كما أعاقت السعي للاقتراب من الأسباب والشروط والظروف الموضوعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة التطرف العنيف، مستكينة إلى مقاربات إيديولوجية استشراقية وثقافوية مختزلة. وإذا كانت دراسة الجهاديين تعاني من سوء القصد وصعوبة الفهم، ومن الالتباس، وتتلبس بالأثر الاستشراقي والثقافوي، فإن دراسة الجهاديات تعاني من إساءة مضاعفة، فقد شكّلت المرأة المسلمة موضوعاً وموضعاً خصباً لأخيلة المستشرقين؛ إذ طالما كانت المسألة الجنسية إحدى الخصائص المهمة والموضوعات المميزة لخيالات وبحوث المستشرقين[٢].

وقد أوضح إدوارد سعيد كيف أن المستشرقين قد وصفوا الشرق باعتباره "مؤنّثاً، ثرواتُه خصبة، ورموزُه الأساسية هي المرأة الشهوانية، والحريم، والحاكم المستبد؛ وإن كان يتميز بالجاذبية في الوقت نفسه"[٣].

الاستراتيجية، 21 يونيو ٢٠١٥، على الرابط:
http://rawabetcenter.com/archives/8592.

(٢) انظر: جوزيف مسعد، اشتهاء العرب، ترجمة إيهاب عبد الحميد، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص٢٩.

(٣) إدوارد سعيد، "إعادة النظر في الاستشراق":
Edward W. Said, "Orialntalism Reconsidered", Cultural Critique 1 (Fall, 1985), p 103.

من ناحية أخرى ساهمت الأجندة السلطوية، بالإضافة إلى هيمنة المقاربة الاستشراقية السياسية، والإيديولوجية الثقافوية التي تصوّر الدين الإسلامي باعتباره كياناً جوهرانياً مطبوعاً بالعنف والفساد والاستبداد والشهوانية، في مضاعفة إشكالية فهم موقع المرأة في الإسلام عموماً والحركات الجهادية خصوصاً. فقد تعاظمت الصورة النمطية المقولبة للمرأة الجهادية واختزل دورها باعتبارها، إما ضحيةً للجماعات الجهادية أو مستغَلّةً من طرف الجهاديين. وراجت أسطورة دور النساء كعرائس ودمى للجهادين،كما شاعت وانتشرت خرافة "جهاد النكاح"[٤].كلّ هذا يقوم على تحيّز ذكوري يرى بأن الرجال مسؤولون عن أفعالهم،في حين أنّ النساء إما مشاركات رغماً عنهن أو ضحايا. وتعزز هذه الافتراضات الأفكار المقولبة الخاصة بالجنسانية، ونتيجة لذلك لا تعتبر النساء غالبا إرهابيات محتملات ولا ينظر إليهن كأفراد يشكلون خطراً على غرار نظرائهنّ من الذكور في حال تورطن بالإرهاب[٥].

---

(٤) في سياق تشويه المعارضة الإسلامية المسلحة من طرف نظام بشار الأسد، قادت قنوات إعلامية إيرانية ولبنانية موالية للنظام السوري حملة دعائية واسعة ضد الجهاديين بعنوان "جهاد النكاح"، منذ أواخر آذار/ مارس ٢٠١٣. وادّعت قناتيّ الجديد والميادين اللبنانيتين – المقربة من حزب الله ونظام بشار الأسد– وقناة العالم الإيرانية، أنها عثرت على فتوى تجيز ما يسمى ب"جهاد النكاح" في سوريا، أصدرها عدّة رجال دين ممن يدعمون الحركات الإسلامية المقاتلة في سوريا ومن ضمنهم الشيخ السعودي محمد العريفي، وتنص الفتوى المفبركة على "إجازة أن يقوم المقاتلون من غير المتزوجين أو من المتزوجين الذين لا يمكنهم ملاقاة زوجاتهم بإبرام عقود نكاح شرعية مع بنات أو مطلقات لمدة قصيرة لا تتجاوز الساعة أحيانا يتم بعدها الطلاق وذلك لإعطاء الفرصة لمقاتل آخر بالمناكحة"، ورغم نفي العريفي وغيره للفتوى إلا أنها انتشرت بصورة لافتة، وقد شاعت على إثرها حالة من التشوش حين أعلن وزير الداخلية التونسي السابق لطفي بن جدو أمام البرلمان أن من يسافرن "يرجعن إلينا يحملن ثمرة الاتصالات الجنسية باسم جهاد النكاح، ونحن ساكتون ومكتوفو الأيدي". ورغم صدور نفي رسمي من خلال بيان حكومي لاحق صادر عن وزارة المرأة التونسية ينفي ثبوت قصص "جهاد النكاح"، فقد انتشرت الأسطورة، ولم يقتصر تداولها على القنوات التلفزيونية والمواقع الإلكترونية المساندة لنظام الأسد، بل ساهم أحد الأكاديميين الداعمين للنظام السوري بتصنيف كتاب في المسألة لم يقف عند حدود الدعاية بل ذهب إلى أن التاريخ الإسلامي حافل بتلك الممارسة لكن باعتبارها ظاهرة ذكورية لا دينية. انظر" د. عادل سمارة، جهاد النكاح، دار أبعاد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

(٥) انظر: النساء والراديكالية الإرهابية: التقرير النهائي، الطاولات المستديرة لخبراء مكتب

بالإضافة إلى الفرضية الرئيسيّة السابقة التي أردنا الاشتباك معها والتدقيق في محتواها، فإنّ هنالك فرضيات متداولة إعلامياً وسياسياً عن النساء الجهاديات وعن أسباب انخراطهن في هذه الجماعات وسعيهنّ للهرب إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية. ومن هذه الفرضيات ربط الظاهرة بمتغيرات مثل مستويات التعليم المنخفضة، والحالة الاقتصادية المتدنية، والخلفيات العائلية غير المستقرة، وهي المتغيرات التي قمنا بتفحّصها واختبارها في هذا الكتاب.

لم تكن رحلتنا إلى عالم الجهاديات مفروشةً بالمصادر والمراجع الموثوقة المريحة، بل على النقيض من ذلك. فقد مثّل موضوع المصادر بحدّ ذاته، أحد أهم الصعوبات التي واجهناها وسنشير إلى ذلك بصورة تفصيليّة في القسم الثاني من الكتاب- إذ وجدنا بأنّ المصادر التي تتحدث عن الجهاديات بصورة موضوعية أقرب إلى الحياد، هي مصادر نادرة، فأغلب المصادر إمّا مرتبطة بأجندات الأنظمة العربية والحكومات المعادية لتنظيم الدولة الإسلامية، وللجهاديات، حيث نجد تحجيماً وتحديداً لمصادر المعلومات عن الحالات المدروسة بصورة كبيرة، وإما أن تكون المصادر مرتبطة بالجهاديين أنفسهم، ومن ثمّ تأخذ طابعاً دعائياً مضاداً بطبيعة الحال. ولذلك فقد لجأنا في الحالات المدروسة- قدرَ المستطاع إلى المصادر الأوَّليّة؛ مثل ما تكتبه أو تقوله الجهاديات أنفسهن، أو تلك المثبتة في قرارات أو وثائق، هذا أولاً. أمّاً ثانياً فقد قمنا بمقارنة المصادر المختلفة، بخاصة مصادر الجهاديات والمصادر المضادّة لهن، لمعرفة القضايا والتطورات والتفاصيل والوقائع التي تتفق هذه المصادر المتعارضة على إثباتها، وتحديد القضايا والوقائع التي تختلف المصادر في إثباتها؛ أي إننا قد قمنا بعملية غربلة وتنقيح ومقارنة للمصادر نفسها.

للوصول إلى دراسة معمّقة للنسائية الجهادية وتحولاتها وتشكّلاتها، فقد قسّمنا الكتاب إلى قسمين رئيسيين، يمثّل كلّ منهما، عمليّاً، كتاباً بحدّ ذاته: القسم الأول هو القسم النظريّ، الذي يتناولُ التحولات التاريخية والتشكّلات الإيديولوجية، والتطورات على صعيد واقع المرأة في أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، أما الثاني

المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان التابع لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، فيينا، ٢٠١٣، على الرابط: http://www.osce.org/ar/

فيشتمل على دراسة حالة لعشرات من قصص الجهاديات.

تناولنا في القسم الأول الجانب النظري من النسائية الجهادية، من تشكلاتها التاريخية الحديثة والمعاصرة، بدءاً من الوهابية إلى النضالية القطبية، ومروراً بالجهادية المحلية، ثمّ الحقبة الأفغانية، وصولاً إلى "المرأة الداعشية" و"المهاجرات" و"الانتحاريات".

ثم تناولنا النقاشات الجهادية عن دور المرأة ومهماتها والشروط الواقعية والموضوعية التي أدت إلى التحول في هذه الأدوار والمهمات، وصولاً إلى حالة المرأة الجهادية في الأراضي التي تخضع لسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، وطبيعة المهمات التي تمارسها، في الجوانب الدعوية والدعائية والاجتماعية والقتالية، والكتائب النسائية التي تشكّلت.

وقد خصصنا فصلاً لدراسة ظاهرة الانتحاريات (بعنوان "عاشقات الشهادة"، كما يصفن أنفسهن). وحاولنا فيه تناول المسألة من المنظور الكلي لظاهرة الانتحاريات وتطوّرها عالمياً، ثمّ تناولها على الصعيد الإسلامي الشيعي والسني، وكيفيّة استدخالها في عمل الحركات الجهادية ذات الخلفية الإخوانية- جماعة الإخوان المسلمين- ثم تناولنا ظاهرة الانتحاريات في "الجهادية العالمية".

أمّا القسم الثاني من الكتاب، فقد تمّ تخصيصه للنسائية الجهادية، كدراسة حالة، من خلال التعمّق في حالات نسائية جهادية، لمعرفة الأسباب والشروط والعوامل السسيولوجية والسيكولوجية المحيطة بهذه الحالات، والتي دفعتها إلى اختيار هذه الطريق، والولوج إلى "عالم الجهاديين".

بحثنا، بالدرجة الأولى، في القسم الثاني من الكتاب عن "نقاط التحول" في حياة الجهاديات، عبر طرح سؤالين رئيسيين؛ لماذا أصبحنَ جهاديات؟ وكيف؟ وحاولنا التمييز بين الأسباب الواقعية والإيديولوجية والنفسية والسسيولوجية من جهة، وبين الديناميكيات التي يتم فيها التحول من جهة أخرى، مثل عمليات التجنيد وما يسمى بغسيل الدماغ، وغيرها.

ثمّة محدّدان منهجيان من المهم الانتباه لهما قبل الشروع في قراءة الكتاب:

المحدّد الأول يتمثّل في أنّنا لم نقتصر في تناولنا، هنا، على النساء اللواتي هاجرن

إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، أو قمن بتنفيذ عمليات انتحارية، بل تناولنا ظاهرة الجهاديات عموماً. ويمكن تعريف المرأة الجهادية بأنّها تلك المرأة التي تؤمن بإيديولوجية السلفية الجهادية، مثل تكفير الحكومات العربية والإسلامية القائمة، والإيمان بالعمل المسلّح العنيف بوصفه وسيلة وأداة للتغيير، وتؤيد وتساند الجماعات الجهادية المعروفة.

أمّا إجرائياً، فقد اعتبرنا بأنّ المرأة الجهادية هي من ينطبق عليها بعض المؤشرات التالية:

١. المهاجرات إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، أو اللواتي قمن بمحاولة الهجرة.

٢. المرأة التي تعلن صراحةً إيمانها ومساندتها لأفكار تنظيم الدولة الإسلامية أو القاعدة أو الجماعات الجهادية المختلفة.

٣. النساء اللواتي شاركنَ أو حاولن المشاركة في عمليات إرهابية عنيفة أو هجمات انتحارية.

٤. النساء اللواتي اعتُقلن على خلفية تلك المحاولات، أو على خلفيّة نشاطهنّ لصالح التنظيمات الجهادية.

المحدد الثاني يتمثل بضرورة التمييز بين خطاب"النسوية الإسلامية" والخطابات"النسائية الجهادية"، فالأولى تختلف في سياقها وشروطها وحيثياتها عن الثانية. فالنسوية الإسلامية ترى نفسها متسامية على الاستراتيجيات المتبعة لدى خصميها اللدودين: النسوية الغربية التي تدّعي الكونية، والنسوية الإسلامية الأصولية التي تدعي الخصوصية، باعتبارهما يقومان على "استراتيجيات هووية". إذ ترى النسوية الإسلاميّة بأنّها تمثل "الطريق البديل"، وتقدم "الخطاب البديل "عن خطاب الغرب" الذي يريد أن يفرض نموذجا نهائياً "على "عالم إسلامي" يستجيب على هذه الهجمة "بالانطواء على نفسه في وضعية الهوية الاحتجاجية"[٦].

(٦) المرجع السابق.

في المقابل تنظر"النسائية الجهادية" -كنظيرتها الذكورية الجهادية- إلى اجتهادات النسوية الإسلاميّة باعتبارها كافرة ومرتدة منحرفة عن أصول الإسلام. ولا يوجد بين الأوساط النسائيّة الجهاديّة اختلاف جوهري وعملي في هذه المسألة،إذ ترى الخطابات النسائيّة الجهاديّة بأنّ الأصول القطعية المؤسِّسة للإسلام من القرآن والسنة قد حددت أدواراً وظائف محددة بدقة لكلا الجنسين لا تحتمل التأويل والاجتهاد.وتعتبر خطابات "النسائيّة الجهادية" بأن "النسويّة الغربية" المعولمة تتماهى مع استراتيجية الغزو والسيطرة والهيمنة وتقدم المبررات الإيديولوجية تحت غطاء التحرر والحقوق. وإلى هذا المعنى تُشير ليلى أبو لغد إذ تقول: "**إنّ السّؤال الذي يؤرّقني هو لماذا كانت المرأة المسلمة عموماً، والأفغانيّة على وجه الخصوص، بمثل هذه الدرجة من الأهميّة لهذا النّمط من التّحليل الثقافي الذي يتجاهل التّشابكات المعقّدة التي نجد أنفسنا أحياناً متورّطين جرّائها في بعض التّحالفات الصّادمة ؟ لماذا تمّت تعبئة تلك الرموز الأنثويّة في هذه "الحرب ضدّ الإرهاب" بشكل غير مسبوق في أيّ صراع آخر؟**"[٧].

تضم"النسوية الإسلامية" طيفاً واسعاً من التوجهات التي تسعى لتحرير وتمكين المرأة وفق قراءات تأويلية تستند إلى سلطات مرجعية علمانية ودينية . أمّا"النسائية الجهادية" فهي تناهض الفريقين معاً -النسوية الغربيّة والنسوية الإسلاميّة- كفعل "استعادة لهوية" تتعرض للغزو الخارجي والتخريب الداخلي. وهي تجد في التجربة النسوية "الإسلامية" التي تنشط في الغرب دليلاً على ارتباطاتها الاستعمارية التي تهدف إلى نزع الهوية الإسلامية؛ فالنسوية الإسلامية التي لم تلبث أن وجدت في فضاءات الحرية الغربية مجالاً واسعًا للتعبير عن مواقف وخبرات لفتيات مسلمات هاجرن من مجتمعات إسلامية إلى مجتمعات غربيّة، أوروبيّة وأميركية، حاملات معهنّ من مواطنهن الأصلية وبيئاتهن المحلية أو الوطنية السابقة أفكارًا وتقاليدَ وخبرات احتكّت وانخرطت في الحياة الجديدة، ثمّ تشكّلت لديها نزعات نسوية رافضة لجملة "التراث الثقافي" الذي نشأت عليه، تُسوّغة وتبرره بمواقف غاضبة متعلّقة باللاهوت

---

(٧) انظر: ليلى أبو لغد، هل تحتاج المرأة المسلمة إلى إنقاذ: تأملات إناسية في النسبية الثقافية وحواشيها، ترجمة جهاد الحاج سالم، مارس ٢٠١٥، على الرابط:
https://goo.gl/53suDc

أو الفلسفة؛ ومن أبرز ممثلات هذه النزعة البنغلاديشية تسليمة نسرين، والأوغندية إرشاد منجي، والصومالية إيان حرسي علي، والتركية كيليك .

ليس من شأن هذا الكتاب أن يبحث في المبادئ الإبستمولوجية الموجِّهة للنسوية الإسلامية واختلافاتها وأجندتها واستراتيجياتها وأهدافها وصراعاتها على تمثيل الهوية الإسلامية، أو اعترافها بالهويات الغيرية وإيمانها بالاختلافات الحضارية وجدالاتها حول مسألة الكونية والخصوصية. إذ يقتصر بحثنا على أحد أشكال النسويات الإسلامية الأشد تمسكاً وانغلاقاً على الهوية الدينية الإسلامية المتخيلة، وفق قراءة سلفية لا ترى في مبدأ النوع الإجتماعي (الجندر) سوى منتج حضاري غريب يتناقض مع جوهر المعتقدات والتشريعات والأخلاقيات الإسلامية.

القسم الأول

الجهادية النسوية:

التحولات التاريخية والتشكّلات الإيديولوجية

القسم الأول

الجهادية النسوية: التحولات التاريخية والتشكّلات الإيديولوجية

مقدمة

منذ تمدد تنظيم الدولة الإسلامية على مساحات واسعة في العراق وسوريا وفرض سيطرته على مدينتي الرقة السورية والموصل العراقية وإعلان دولة "الخلافة"، أظهر التنظيم مستوى هائلاً من العنف المادي والرمزي، وفرض منظومةً من الحكامة القاسية والفظة على السكان، وأعاد العمل بقوانين وتشريعات إسلامية تقليدية تستند إلى نظام العقوبات والقصاص كالجَلْد والرجم وقطع الأيدي والرؤوس، كما طبَّق على الأقليات أحكام إسلامية تاريخية تقليدية تستند إلى مفهوم "أهل الذمة" من الجزية وسبي النساء غير المسلمات، وعمل على فرض الحجاب والنقاب، ومنعَ الاختلاط على النساء.

إنّ السلطة المرجعية الدينية الفقهية لتنظيم لدولة الإسلامية ذات طبيعة سلفية تقليدية، وهي سلطة ذكورية أبويّة بامتياز. ومن ثمّ فإنّ إحدى المسائل الإشكالية الكبرى عند البحث والتأمل في ظاهرة النسائيّة الجهادية هي معرفة وتفهم الأسباب التي تدفع فئات من النساء من كثير من بلدان العالم إلى التضحية بالرفاهية وكلّ شيء وتحمّل المخاطر المختلفة في سبيل الهجرة والانضمام إلى هذا التنظيم، رغم تعرض التنظيم للحرب والمحاصرة عسكرياً وإعلامياً، من جهةٍ، ورغم أنّه ينتهج سياسة تؤسس لمجتمع بطريركي لا مكان فيه للمساواة والحريات، والمواطنة الكاملة من جهةٍ ثانية.

تُظهر مسارات تشكل الجهادية، في الإطار الكولينيالي وما بعد الكولينيالي مع تأسيس الدولة الوطنية أنّ جاذبية "يوتوبيا الخلافة" كانت عاملاً حاسماً في تأسيس

وعيٍ يقوم على"استعادة هوية" إسلامية دينية. وإذا كان من الممكن الحديث عن "نسويّة جهاديّة"، على الرغم من خصوصية المصطلح في مجاله التداولي وحقله الدلالي، فإنّ الجهاديات، كالجهاديين، يكفرون بأطروحات النسوية الإسلامية باعتبارها خاضعةً لاشتراطات النسوية الغربية المعولمة التي تقوم على نزع الهويات المخصوصة. ولا عجب بأن ظهور الجهادية النسائيَة قد تزامن مع ظهور مصطلح "النسويّة الإسلامية" في بداية التسعينيات من القرن الماضي.

تجد تشكّلات الهوية الإيديولوجية الجهادية النسائيَة جذورها في النسخة الوهابيّة من السلفية وفي الإخوانية القطبية. وإذا كان المصدر المرجعي للنسائيّة الجهادية بنسختها الوهابية قد ظهر في غياب قوميّة مناهضة للاستعمار، فإنّ السلطة المرجعية الأخرى للنسائية الجهادية قد ولدت من الرحم الكولينيالي الاستعماري، وأخذت بالتشكل عقب تفكيك الإمبراطورية العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية من خلال الترسيمة الإخوانية التي تبلورت لاحقاًمع سيّد قطب وأبو الأعلى المودودي.

شكّل انخراط ومشاركة المرأة في الجماعات الجهادية بطرائق عديدة، في العالمين العربي والإسلامي وبين نساء الأقليات المسلمة في دول أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان، ظاهرةً محيرة ومقلقة وجذّابة في الوقت ذاته؛ فقد شهدت عمليات الاستقطاب والتجنيد من كلا الجنسين طفرة كبيرة مع بروز تنظيم الدولة الإسلامية. وإذا كانت مسألة انخراط الجهاديات في صفوف تنظيم القاعدة محدودة الأثر والتأثير وذات أدوار هامشية، فإنّ حقبة صعود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا قد شهدت تنامياً وتطوراً لافتاً يُشير إلى تبدّل وتغيّر أدوار النساء الجهادية التقليدية في المستقبل.

تلعب المرأة دوراً كبيراً في دعاية الدولة الإسلامية، إذ يدرك التنظيم أهمية وظيفتها ودورها حيث تعمل المرأة بصورة فاعلة ضمن الاستراتيجية الإعلامية الجهادية التي تستند إلى رؤية دينية شمولية تؤمن بنظام الخلافة السياسي؛ وهي ليست مجرد ضحية ساذجة، كما تُقدمها الصور الاستشراقية النمطية. وترتكز دعاية المرأة في الدولة الإسلاميّة على أفكار ومفاهيم تخاطب عواطف المتلقي المسلم حول حلم ويوتوبيا دولة الخلافة التي تقيم الحق والعدل والمساواة وتحقق الكرامة والشعور بالاستعلاء، ذلك أن السرديّة الأساسية للدولة الإسلامية على الصعيد الدولي تقوم

على أساس هوياتي فهي تمثل حالة احتجاجية إسلامية عنيفة لاستعادة الهوية، تناهض وتحارب الغرب الاستعماري الذي ـ بنظرها ـ يشنّ حرباً صليبية لاستئصال الإسلام ويعمل على طمس الهوية الإسلامية.

ويرتكز الأساس الهويّاتي لدعاية الدولة الإسلامية، على الصعيد الإقليمي، على مسألة "الطائفية". فالسردية الإقليمية للهوية تقوم على مناهضة المذهبية الشيعية الإيرانية التي تحارب المذاهب السنيّة وتعمل على بناء قوة إقليمية شيعية؛ حيث تستند دعاية الدولة الإسلامية إلى أنّ التنظيم يُمثل درعاً واقياً للسنة في مواجهة النزعة التوسعية الإيرانية ومليشياتها التي تنتهك حقوق السنة في العراق وسوريا وتضطهدهم وتقصيهم وتحاربهم على أسس طائفية مذهبية شيعية.

وتمتد دعاية الدولة الإسلامية إلى الدول العربية والإسلامية السنية؛ فالسردية الأساسية على الأصعدة المحلية تقوم على أن هذه الدول لا تمثّل الإسلام السني الحقيقي وأنها تحولت إلى دول علمانية كفرت بالإسلام وارتدت عن مبادئه وأصبحت تحارب المسلمين وتتحالف مع "الصليبيين"،وأنّها عاجزة عن مواجهة "الصفويين".

هكذا، فإن دعاية الدولة الإسلامية تستند إلى بيئة من الأفكار والمعتقدات السائدة في المجتمعات العربية الإسلامية التي تشعر بالمهانة وفقدان الهوية، وتُحمّل الغرب وإيران والأنظمة المحلية مسؤولية الانكسارات والفشل والهزائم، ومن ثمّ فإنّ دعاية التنظيم تُقدّم وعداً للمسلمين بعودة الخلافة كيوتوبيا ممكنة التحقق تُعيد مجد الإسلام التاريخي.

لقد بات واضحاً خلال السنوات الأخيرة تبدّل النظرة حول دور ومشاركة المرأة في أنشطة الجماعات الجهادية وتبددت الصورة النمطية حولها. فثمة اعتراف واسع، داخل الأوساط الجهاديّة، بأن النساء يمكن أن يلعبن العديد من الأدوار فيما يخص العنف المتطرف، مع وجود تصنيفات متعددة مثل "متعاطفة، حاشدة، واقية، مرتكبة" أو "مشارِكات، وميسّرِات، وواقيات". وتشير الدراسات المتعلقة بأسباب انخراط النساء في التطرف العنيف إلى أن "معظم العوامل التي تدفع الرجال إلى أن يصبحوا إرهابيين

هي ذاتها تدفع النساء أيضا بالطريقة نفسها"[٨].

في هذا القسم من الكتاب سنتناول الجانب النظري المرتبط بتطوّر تاريخ النسائية الجهادية واستدخال المرأة في العمل الجهادي، وما اكتنف هذه العملية من جدالات ومناقشات بين الجهاديين أنفسهم عن دور المرأة والمجال الذي يمكن أن تتحرك فيه، وسنتحدث كذلك عن الشروط والعوامل الموضوعية التي دفعت إلى "استدخال المرأة" في "العمل الجهادي" وانتقالها من الأدوار التقليدية والثانوية إلى الأدوار الرئيسية، وهي التحولات التي ارتبطت بتراجع حضور تنظيم القاعدة في الأوساط الجهادية وتصاعد دور ونفوذ "تنظيم الدولة الإسلامية"، الذي أظهر قدرة كبيرة على استقطاب النساء وتجنيدهن.

(٨) انظر: المرأة والتطرّف العنيف في الأردن، تقرير فني، هيئة الأمم المتحدة للمرأة واللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة، ٢٠١٦، ص٩، على الرابط: http://www.hayatcenter.org/uploads/2016/12/20161215114712ar.pdf

الفصل الأول

التحولات التاريخية والتشكّلات الإيديولوجية

الفصل الأول

التحولات التاريخية والتشكّلات الإيديولوجية

"يا معشر النساء: إياكن والترف، لأن الترف عدو الجهاد والترف تلف للنفوس البشرية، واحذرن الكماليات واكتفين بالضروريات، وربين أبناءكن على الخشونة والرجولة وعلى البطولة والجهاد، لتكن بيوتكن عريناً للأسود. وليس مزرعة للدجاج الذي يسمّن ليذبحه الطغاة، اغرسن في أبنائكنّ حب الجهاد وميادين الفروسية وساحات الوغى، وعشن مشاكل المسلمين وحاولن أن تكنّ يوماً في الأسبوع على الأقل في حياة تشبه حياة المهاجرين والمجاهدين، حيث لا يتعدى الإدام الخبز الجاف، وجرعات من الشاي".

عبدالله عزّام

مقدمة

تطورت إيديولوجية الجهاديَة النسويّة عبر سلسلة من المراحل التاريخية والظروف السياسية والتحولات الاجتماعية، فقد وُلدت الأصول المؤسسة للنسائيّة الجهاديّة في الرحم الكولينيالي الاستعماري الذي خضع له العالمان العربي والإسلامي في نهاية القرن الثامن عشر، وأسفر عن تفكيك الإمبراطورية العثمانية وإلغاء نظام الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤.فقد برزت الإيديولوجية الجهادية لمواجهة الاحتلال الغربي وحماية الهوية الإسلامية، وكانت المرأة الجهادية أحد أهم رموز الهوية عبر الدعوة إلى التمسك بالأدوار الأساسية في الإنجاب وتربية الناشئة تربية جهادية. وعندما أخذت الإيديولوجية الجهادية طابعاً محلياً في سياق الأنظمة ما بعد الكولينيالية، مع تشكل البنية الدكتاتورية السلطوية للدولة العربية الوطنية، برزت سياسات جهادية تستند إلى مواجهة "العدو القريب". وقد حافظت المرأة على أدوارها التقليدية كمساندة وميسّرة إيديولوجية في تلك المرحلة. ومع اشتداد الحرب الباردة وبروز المسألة الأفغانية عام ١٩٧٩، تطوَّر نمط جديد من الجهاديات التضامنيات، مع تنامي سوق الفتاوى الدينية الرامية لإسناد شبكات الجهاد التضامني.

عقب انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك المنظومة الاشتراكية عام ١٩٨٩ ودخول الجهاديّة طور العالميّة استناداً إلى مفهوم أولوية قتال "العدو البعيد"، كرد فعل على ديناميكيّة العولمة، تأسس تنظيم القاعدة كمنظومة جهادية متحدة تسعى إلى رفع الهيمنة الغربية عن المنطقة العربية والإسلامية من خلال بناء إيديولوجية خطابية مناهضة للعولمة وتبنّي استراتيجية قتالية تقوم على النكاية ومهاجمة العولمة العسكرية الأمريكية؛ وهو الخطّ الذي تُوِّج بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.في هذه المرحلة، كانت الجهادية النسائية قد دخلت في طور الجدل والنقاش والتعريف وإعادة التعريف لطبيعة دور المرأة في الحركات الجهادية.

تعتبر حقبة الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ أحد المراحل الهامة في تطوير الإيدولوجية الجهادية، حيث تمّ دمج الأبعاد الجهادية المحلية والعالمية وتجسير الفجوة بين أنصار جهاد العدو البعيد وأنصار جهاد العدو القريب. وتمكّن تنظيم القاعدة من تطوير استراتيجيات جديدة للتمدد والانتشار، وإعادة التموضع في العالمين العربي والإسلامي، تقوم على المزاوجة بين قتال "العدو القريب" و"العدو البعيد" من خلال "دمج البعد القاعدي" العالمي مع البعد المحلي. ولم تعد أجندة الجهادية تقتصر على الأذى والنكاية بل أصبحت تسعى إلى السيطرة والتمكين. وقد بدأت النساء داخل الحركات الجهادية، خلال هذه الحقبة، بتأسيس رؤية خاصة وبدأن بالتمرد على الأدوار التقليدية وانخرطن في أنشطة جهادية متعددة من الدعاية الإيديولوجية إلى تنفيذ العمليات الانتحارية.

في ظل ربيع عربي قصير انطلق بداية٢٠١١ دخلت القاعدة في تكيّفات إيديولوجية تستند إلى فكرة نصرة الشريعة مع تصاعد الموجة الثورية الشعبية السلمية، وباتت صور الجهاديات المنقبات المشاركات في المظاهرات الاحتجاجية مألوفة. إلا أن عسكرة الثورات وتدبير الانقلابات واشتداد قوى الثورة المضادة بعد أقل من عامين ساهم في استعادة القاعدة لجاذبيتها، وبات العالم العربي ربيعاً للجهادية. فقد استثمرت الجهادية العالمية التحولات العميقة وعززت من وجودها وتمددها، وأصبحت الفروع الجهادية الإقليمية للقاعدة، التي تطورت تاريخياً من حركات جهادية محلية، أكثر تحرراً من اشتراطات المركزية واللامركزية.كما ظهرت شبكات وجماعات جديدة تشارك القاعدة في انتمائها الإيديولوجي السلفي الجهادي وأهدافها البعيدة بإقامة الخلافة

الإسلامية. وباتت الجهادية العالمية أشد قوة وأكثر جاذبية وأوسع انتشاراً، في ظل عودة الأنظمة السلطوية إلى المنطقة بصورة أكثر قمعاً، وتنامي الصراعات الطائفية بشكل حاد وتزايد التدخلات الأجنبية الخارجية.

في زمن الثورات المضادة، تطوّرت الجهادية العالمية وأصبحت القاعدة تسيطر على مساحات واسعة في أماكن عديدة؛ في العراق وسوريا وليبيا والصومال واليمن وسيناء وفي دول جنوب الصحراء والساحل. وشهدت الجهادية العالمية انشطاراً إلى نهجين خطرين: **أحدهما** يتمسك بأجندة القاعدة التقليدية بزعامة أيمن الظواهري، والتي تنص أولويّاتها على قتال العدو البعيد ممثلاًبالغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا، باعتبارها حامية للأنظمة العربية الاستبدادية، وراعية لحليفتها الاستراتيجية إسرائيل من جهة، والسعي لتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الخلافة من جهة أخرى.

أما النهج **الثاني** فيقوده الفرع العراقي المعروف بـ "الدولة الإسلامية" بزعامة أبوبكر البغدادي، وترتكز أجندته على أولوية مواجهة العدو القريب والتصدي للنفوذ والتوسع الإيراني في المنطقة ومحاربة "المشروع الصفوي"، كما يصفه التنظيم.إذاً، فقد أصبح الأساس الهوياتي الديني (السني ـ الشيعي) هو المحرّك الرئيس لسلوك الفرع العراقي، بينما بقي الأساس المصلحي الجيوسياسي هو المحرّك الرئيس للقيادة المركزية للقاعدة، أما تمكين الشريعة وإعادة الخلافة، فهو الهدف المشترك للطرفين. وقد باتت المرأة في ظل تنظيم الدولة الإسلامية أحد المكونات الفاعلة، حيث تعددت أدوارها من المناصرة إلى الانخراط في أعمال الحسبة، وصولاً إلى تنفيذ الأعمال العسكرية.

خلال تلك المراحل، برزت قضيّة المرأة بروزاً كبيراً، سواء في أدبيات الجماعات الإسلامية والجهادية، أو في الأدوار التي بدأت المرأة تقوم بها في العمل الإسلامي، بصورة عامة، والجهادي بصورة خاصة. وسنحاول في هذا الفصل تتبّع موقف التيار الإسلامي الحديث والمعاصر، عموماً، من مشاركة المرأة في النشاط الديني والجهادي، عبر الانتقال من النسخة الوهابية– السلفية الحديثة، إلى الإخوانية، ثم بروز أفكار سيد قطب وتأثير المرأة في حياته، ورؤيته لدور المرأة، مروراً بالجماعات الجهادية المحلية، التي تأثرت بأفكار قطب، مثل جماعة التكفير والهجرة (شكري مصطفى)، وتنظيم شباب محمد (صالح سرية)، والطليعة المقاتلة في سورية (مروان حديد)، وجماعة الجهاد

(عبد السلام فرج) والجماعة الإسلامية (عمر عبد الرحمن) في مصر، ثم حقبة الجهاد الأفغاني (عبدالله عزام).

في مراجعتنا لتلك العقود، حرصنا على تبيّن قضيتين رئيسيتين؛ **الأولى** نظرية: كيف نظرت تلك الاتجاهات والتوجهات إلى المرأة ودورها المطلوب في أدبياتها الإيديولوجية؟ و**الثانية** عملية،مرتبطة بالدور الفعلي الواقعي الذي قامت به المرأة في تلك التجارب الحركيّة والجهادية.

المرجعية الإيديولوجية والفقهية المؤسسة

قبل الشروع في مراجعة الأدبيات والتجارب العملية للجهاديات، من الضروري الإشارة هنا إلى أنّ السلطة المرجعية المؤسسة للجهادية النسائية المعاصرة تستند – على صعيد الإيديولوجية النظرية والممارسة العملية وطبيعة الأدوار وحدودها– إلى المصادر الفقهية السنية ومذاهبها الرئيسية من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي مصادر تكاد تتطابق في الأحكام المتعلقة بجهاد المرأة، وتعتمد على سِيَر الصحابيات والتابعيات اللاتي شاركن بطرائق عديدة في الأعمال الحربية والفتوحات، كمسانِدات بصورة أساسية، ومقاتلات في أحيانٍ استثنائية. فثمّة توافق كبير في المراجع الفقهية على عدم وجوب قتال المرأة في حالة الجهاد الهجومي،في مقابل التساهل أو القول بالاستحباب أو بالوجوب في حال الدفاع، إذ تتحدث المصادر السنية عن دور النساء في الفتوحات وأدوارهن اللوجستية المتعددة كشحذ همم الرجال، والتطبيب، والمؤازرة، والرعاية، ونقل الماء والسلاح، وإعداد الطعام للجيش، وحراسة الأسرى وغيرها من الأعمال غير القتالية المباشرة[٩].

إذا كان الفقه السني بمذاهبه الرئيسية يتحفظ على مشاركة المرأة في الأعمال

(٩) لمزيد من التفصيل حول الأحكام الفقهية للمرأة في الجهاد وأدوارها المختلفة لدى المذاهب الفقهية السنية التقليدية، انظر: عالية أحمد صالح ضيف الله، أحكام جهاد المرأة في الشريعة الإسلامية وصوره المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤، على الرابط: http://elibrary.mediu.edu.my/books/MAL11744.pdf .

القتالية في حالة الجهاد الهجومي؛ فإن ثمة اتفاقاً على جوازه واستحبابه في حال جهاد الدفع،إلى حد القول بوجوبه كفرض عيني على كافة النساء، القادرات على حمل السلاح، إذا داهم العدو دار الإسلام ولم يتمكن الرجال من صدّه، أو في حالة حصول استنفار عامّ يدعو إليه إمام المسلمين أو وليّ أمرهم. وبناءً على ذلك جوّز عدد من الفقهاء للمرأة أن تخرج للجهاد بدون إذن زوجها بحجة أن حقُّ الربّ، في مثل هذه الحالة، مُقدّم على حقّ الزوج[10].

وتستعرض كتب التواريخ والسير القديمة والمعاصرة نماذج من سير الصحابيات الجهاديات اللواتي مثّلن نماذج إرشادية للمرأة الجهادية كبرهان على صدق النساء وإخلاصهنّ للدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية[11]. وسوف تصبح هذه الأسماء

(١٠) حول خروج المرأة للقتال دون إذن الولي وأقوال المذاهب الفقهية، انظر: أقوال العلماء في مسألة جهاد الدفع بدون إذن الوالدين، شبكة الألوكة، مارس ٢٠١٢، على الرابط: http:// /majles.alukah.net/t101402

(١١) ورد أنّ نسيبة أمّ عمارة الأنصارية شهدت ليلة العقبة وغزوة أحد والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة وجاهدت وفعلت الأفاعيل، وقطعت يدها في الجهاد، كما يذكر المؤرخ الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء". واشتهرت أخريات ببسالتهن كأمّ سليم، فقد رُوي عنها في كتاب حياة الصحابة أنها دخلت أرض المعركة يوم حنين فداءً منها لدين الله وكان معها خنجر، وقد كانت الربيع بنت معوذ من المجاهدات، وكذلك كانت أسماء بنت يزيد السكن وتكنى بـ أم سلمة، فقد شهدت موقعة اليرموك سنة ١٥هـ وشاركت فيها فكانت مجاهدة جليلة وتذكر الروايات أنها قتلت تسعة من جنود الروم بعمود خيمتها، وقد أورد الحافظ ابن حجر في كتابه "الإصابة في معرفة الصحابة" أن صفية بنت عبد المطلّب جاءت يوم أحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب في وجوههم، كما ذكر ابن حجر أيضاً بأنّ أمّ حكيم بنت الحارث خرجت مع زوجها عكرمة إلى غزو الروم. وتمثل الخنساء رمزاً للتضحية حيث جاء في كتاب "الإصابة" أن الخنساء بنت عمرو السلمية حضرت حرب القادسية ومعها بنوها، أربعة رجال، فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا جميعاً فبلغ خبرهم الخنساء أمهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، وتحفل كتب السير بنساء كثر غيرهنّ. انظر: يوسف بن صالح العييري، دور النساء في جهاد الأعداء، مركز البحوث والدراسات الإسلامية. منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9160.html

أيقونات للجهاديات المعاصرات وستُطلق أسمائهن على الكتائب القتالية والمجلات الجهادية النسائية كما سيأتي، وقد أكّد المؤرّخون بدورهم على مشاركة عدد من النساء في حروب الفتح وغيرها، وأشادوا بجرأة هؤلاء النسوة وحرصهنّ على حماية الإسلام[١٢].

في سياق بروز الجهادية العالمية منذ تأسيس تنظيم القاعدة وصولاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية وتنامي دور المرأة داخل الحركات الجهادية في العالم الإسلامي السني، ظهرت حملات سنية مضادّة لمشاركة المرأة في الأعمال الحربية، واعتبرتها خروجاً عن مقتضيات المذاهب السنية ودخولاً في مذهب "الخوارج"[١٣]. فقد عُقدت مُقارنة تشابِه

(١٢) لمزيد من التفصيل حول آراء المذاهب الفقهية السنيّة من مشاركة المرأة في الجهاد يمكن الرجوع إلى مجموعة واسعة من الكتب الحديثة والمعاصرة التي أفردت فصولاً لأحكام المرأة والقتال استناداً للمصادر الفقهية السنية ومنها على سبيل المثال: د. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق. والدكتور محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦. والدكتور علي بن نفيع العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٥. وصالح اللحيدان، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧. وعبد الملك البرّاك، ردود على أباطيل وشبهات حول الجهاد، النور للإعلام الإسلامي، الدنمارك، الطبعة الأولى، ١٩٩٧. ورودلف بيترز، الجهاد في الإسلام: قديماً وحديثاً، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

(١٣) الخوارج أحد الفرق الإسلامية التاريخية، وتمثل حركة ثورية عنيفة شغلت الدولة الإسلامية التاريخيّة لفترة طويلة من الزمن. وقد بسط الخوارج نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي في عُمان وحضرموت وزنجبار وما جاورها من المناطق الإفريقية. ولا تزال بقايا ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي منتشرة في تلك المناطق. وقد انقسم الخوارج إلى فرق عديد من أشهرها النجدات والأزارقة. وقد عرّفهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل بقوله: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان". ومن مؤرّخي المذاهب من حصرهم بالطائفة التي خرجت على الإمام علي رضي الله عنه كأبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" حيث قال: "والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب". ولمزيد من التفصيل حول تاريخ الخوارج وفرقهم ومذاهبهم انظر: د. لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي،

بين زعيمة الخوارج "غزالة" وبين سيدة القاعدة "أم الرباب"[١٤].والخوارج فرقة اسلامية ارتبط اسمها بالخروج على السلطة، واستدخلت المرأة في أعمال القتال كفرقة الشبيبية، التي استمرت فترة من الزمن خارجة وثائرة على السلطة الأموية الممثلة بشخص الخليفة عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي.ومما يميز فرقة الخوارج بشكل عام، والشبيبية بشكل خاص، هو المشاركة الفاعلة للمرأة، إذ لم يكن شبيب وحده قائد جماعته، بل كانت الغزالة، امرأة شبيب، قائدة كذلك، وكانت تُشاركها في القيادة أم شبيب.واستطاعت الغزالة دخول الكوفة مما أجبر واليها الحجاج على الفرار أمامها. ويبدو أن هذه المشاركة هي ما جعل شبيباً يطرح أحقية ولاية المرأة وإمامتها وتوليها منصب الخلافة. ولم تبدأ مشاركة المرأة في المجالات العسكرية مع فرقة الشبيبية، فالخوارج، بشكل عام، أفسحوا مجالاً كبيراً للمرأة منذ بدايات العصر الأموي، حتى أن بعض المؤرخين كانوا يتحدثون عن جيش للنساء في بعض فرق الخوارج[١٥].

لعل إحدى المفارقات في حالة تنظيم الدولة الإسلامية، والذي يستند إلى المرجعية السلفية الوهابية بصورة أساسية، وصفه بـ"الخوارج"، وهي ذات التهمة التي وُصفت بها الحركة الوهابية عند ظهورها في منتصف القرن الثامن عشر من طرف خصومها نظراً لتوسّعها بتكفير الأفراد والدول كالحكم على الدولة العثمانية بالكفر والخروج من الإسلام[١٦].وتكتمل المفارقة حين يصف تنظيم الدولة الإسلامية، اليوم،

دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(١٤) انظر على سبيل المثال: أميمة الخميس، غزالة وأم الرباب، جريدة الرياض، السعودية، ١١ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط: http://www.alriyadh.com/1099379 .

(١٥) انظر: محمد العيسى، ثورة شبيب بن يزيد الخارجي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٢٨ (١١)، ٢٠١٤، ص ١، على الرابط: https://journals.najah.

(١٦) اعتبر مجموعة من العلماء اللذين عاصروا الدعوة الوهابية، ومجموعة من المعاصرين، بأن الوهابية تنتمي إلى فرقة الخوارج ومنهم العلامة ابن عابدين في حاشيته الفقهية المعروفة، والصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين، ومحسن بن عبد الكريم، وابن عفالق، وغيرهم الكثير. ولمزيد من التفصيل عن العلماء اللذين اتهموا الوهابية بالخوارج، انظر: عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عرض ونقد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩، ص ١٧٨ ـ ١٨٣.

الدولة السعودية التي تأسست تاريخياً على التحالف مع الحركة الوهابية،بالكفر والخروج عن الإسلام لانحرافها عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وموالاتها الكفار والمشركين وتخليها عن أحكام الشريعة، وهي ذات الأوصاف التي ذكرها أعلام الوهابية في بيان حال الدولة العثمانية وغيرها من الدول والإمارات[١٧].

دور المرأة في النسخة السلفية الوهابية

على الرغم من الجدال والسجال حول الهوية الفكرية والمرجعية الدينية للجهادية المعاصرة ومحاولة نزع شرعيّة استنادها إلى هوية سنية سلفية في سياق معركة الدعاية والحرب الإيديولوجية؛ إلا أن المرجعيات التي تستند إليها الجهادية العالمية لا تخرج عن ذات المرجعيات السنية، سواء أكانت القراءة الجهاديّة لتلك المرجعيات حرفيّة أو انتقائية أو تأويلية.فالحركات والتنظيمات الإسلامية السياسية المعاصرة تعود في جذورها إلى مرجعية دينية تستند أساساً إلى المدرسة السلفية بتنويعاتها المختلفة، كما إنّ المنطلقات الفكرية للجهادية العالمية الراهنة ترتبط بتراث المدرسة السلفية بنسختها السعودية الوهابية، والمدرسة السلفية الحركية بترسيمتها الإخوانية القطبية، إذ ترتبط السلفية الجهادية المعاصرة ارتباطاً وثيقاً بتراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ -١٧٩١م) وتطوراته اللاحقة التي ظهرت مع حركة جهيمان العتيبي، والتي اقتحمت الحرم المكي عام ١٩٧٩، كما ترتبط بتراث الشيخ حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩)، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨، وبروز الجناح الراديكالي من الجماعة مع سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦م).

عندما قرر محمد بن سعود، وهو أحد الأمراء الصغار في نجد وحاكم الدرعية في

---

(١٧) لمزيد من التفصيل حول الحركة الوهابية ونزعتها الحدية في التعامل مع الآخرين وتكفيرهم، والتعرف على بعض أقوال علماء الوهابية في الحكم على الدولة العثمانية وآل الرشيد في حائل والأشراف في الحجاز وغيرهم بالكفر والردة، انظر: عبد الله المالكي، الوهابية وإخوان من طاع الله وداعش.. هل أعاد التاريخ نفسه؟، مجلة التقرير الالكترونية، ١٤ أغسطس ٢٠١٤، على الرابط:
http://altagreer.com/%D8%A7%D9%84%D9%88%D

سنة ١٧٤٤م أن يساند النهضة الدينية التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب[١٨]، الذي تم طرده من قريته العيينة، كان كل ما يُعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية جزءاً صغيراً من مجموعة غير مترابطة من القرى والمدن المستقلة والقبائل الرعوية.وكانت تدور الصراعات بين سكان المدن الذين يحكمهم أمراء معادون لبعضهم البعض،وبين رجال القبائل الذين يحكمهم الشيوخ المتنافسون على الزعامة.علاوة على ذلك، كان الإسلام القويم قد تفسّخ في وسط بدو نجد نتيجة للعديد من الممارسات المرتبطة بالخرافة وعبادة الأشجار والأوثان، كما كانت القوانين القَبَلية تسود في معظم المناطق ووسط البدو، وكانت القوانين العُرْفية سائدة وسط سكان المدن؛ وقد أزالت هذه القوانين تأثير وأولوية أحكام الشريعة الإسلامية. فكانت القبائل تُغِير على القبائل، والقرى تحارب القرى، وكان بعض البدو ينهبون القوافل التجارية، فيما كان بعضهم الآخر يقطعون الطرق على المسافرين ويُرعبون الحجاج المتجهين إلى مكة، وفي بعض الأحيان كان أفراد القبيلة الواحدة ينهبون بعضهم بعضاً.

أدت دعوة محمد بن عبد الوهاب للرجوع إلى الإسلام الطهراني المبني على القرآن والسنة والمؤسس على المذهب الحنبلي إلى تغيرات عميقة.وبسبب مناصرة الأمير محمد بن سعود للدعوة الوهابيّة، تحولت نجد سريعاً لمناصرة هذه الدعوة وأصبحت تدعم بقوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ومن ثمّ فقد عُرف أتباع دعوة محمد بن عبد الوهاب باسم "الوهابيين"، وهم، في الحقيقة، يسمون أنفسهم "الموحدين

(١٨) محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٩١): ولد في قرية العيينة بنجد وفيها أخذ دروسه الأولى، ثم انتقل إلى المدينة المنورة فتلمذ على شيوخها. وأقام مدة في البصرة وبغداد ثم عاد إلى العيينة ليخرج منها بالدعوة إلى الدين متأثراً بالفقيه الحنبلي ابن تيمية وابن قيم الجوزية التابعين لمذهب الإمام أحمد ابن حنبل، وقد صادفت دعوته نجاحاً كبيراً بعد أن أخذ بها أمير الدرعية في نجد، محمد بن سعود، إذ اتفق معه على ضرورة العودة بالإسلام إلى صفائه الأصلي، وعلى نشر الدعوة في شبه الجزيرة. وصل نشاط "الوهابيين" إلى أطراف بلاد الشام والعراق فطلب السلطان العثماني من محمد علي باشا، والي مصر، قتالَهم فبعث بحملات عدة إلى الجزيرة تمكنت من إلحاق الهزيمة بهم وتقليص نفوذهم وحصره في نجد. لكن الوهابيين عادوا، في عام ١٨٤١م، بعد انسحاب الجيوش المصرية، إلى نشاطهم، فتمكنوا بقيادة آل سعود من السيطرة على الجزيرة وبعث الدولة السعودية. ومن أشهر مؤلفاته: كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد، كتاب الكبائر، كتاب كشف الشبهات، وغيرها.

أو أهل التوحيد"[١٩].

ساهم التحالف المتين بين سلطة القلم والسيف في قيام حالة من الأمن والسلطة والحكومة المركزية وتطبيق الشريعة الإسلامية في ذلك الجزء من الجزيرة العربية، حيث تقاسم آل الشيخ وآل سعود النصر والهزيمة والنجاح والفشل.على أنّ الانتصارات العسكرية المتتالية في شبه الجزيرة العربيّة وسوريا والعراق قد لفتت، في عام ١٨١١م أنظار الدولة العثمانية وحملت السلطان العثماني على أمر واليه الألباني في مصر، محمد علي باشا، بإرسال حملة عسكرية للقضاء على القوة الوهابية في مهدها.وقد أنجزت هذه المهمة عقب محاولات عديدة، كان آخرها في صيف عام ١٨١٩م،حيث تمّت هزيمة الدعوة الوهابية وتدمير عاصمتها الدرعية، وعادت نجد إلى سيرتها الأولى من العداء القبلي والتنافس بين المدن والقرى بسبب فقدان السلطة المركزية. إلا أن الأثر الذي تركته الدعوة الإصلاحية الوهابية كان عميقاً في النفوس، بحيث تمكنت من الانبعاث والتجدد مع الدولة السعودية الثانية ١٨٢٤ ـ ١٨٩١م، ثم ترسَّخت مع قيام الدولة السعودية الثالثة على يد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، والإعلان عن توحيد البلاد عام ١٩٣٢م تحت اسم المملكة العربية السعودية والتي ضمت، بنجاح فائق، الحجاز وعسير والإحساء بالإضافة إلى منطقة نجد الوسطى[٢٠].

لم يُفرد محمد بن عبد الوهاب أي كتاب خاص بالمرأة كما هو شأن الفقه السني التقليدي عموماً إذ تأتي المسائل الخاصة بالنساء ضمن الأبواب الفقهية. وتقوم الوهابية بصورة أساسية على أساس الفصل بين الجنسين. أما المسائل الاعتقادية فهي تختص بالمكلفين من الجنسين على السواء، وتؤكد على مبادئ التوحيد ومناهضة الشرك وعلى الولاء للمسلمين والبراءة من المشركين، وتشدد على تأكيد الهوية والتصدّي لمبتدعات التخريب الداخلي ومناهضة تأثيرات التغريب الخارجي وتنحو منحى جهادياً توسعياً؛ وهذه المسألة الأخيرة قد أفضت،في النهاية، إلى نشوب

(١٩) انظر: جون س. حبيب، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة د. عبدالله بن مصلح النفيعي، ١٩٩٦، ص ١٨.

(٢٠) انظر: مضاوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، ترجمة عبدالإله النعيمي، دار الساقي، بيروت الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، ص ٧.

خلافات بين أتباع الوهابية وبين آل سعود في الدولة الثالثة التي دخلت في سياق الدولة الوطنية، حيث أصبح مفهوم الجهاد موضع خلاف واختلاف؛ وهي إحدى المسائل الرئيسية التي سوف يتمسك بها تنظيم الدولة الإسلامية والجهادية السعودية، التي تنظر إلى أن المملكة السعودية انحرفت عن المبادئ الوهابية[٢١].

يتبع تنظيم الدولة الإسلامية في مناطق سيطرته ذات الأحكام والممارسات التي كانت يطبقها الوهابيون. وتعتبر كتابات محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة النجدية المراجع الرئيسية في المناهج الدينية التي تدرس داخل نطاق حكامة تنظيم الدولة الإسلامية[٢٢]. كما إنّ سلوك التنظيم يتشابه مع ما كان يتصف به الإخوان من التشدد، والحَرْفية في تطبيق المبادئ الوهابية، وعدم وجود الحلّ الوسط في ذهنيتهم؛ الأمر الذي تجلى في تنفيذ الأحكام القاسية على كل من يقصّر أو يتهاون في تطبيق السلوك الديني القويم، كالتأخير في الحضور للصلاة، أو ممارسة بعض السلوكيات المحرّمة في نظر الوهابية، كالدخان والغناء وحلق اللحية وإسبال الثوب، أو عدم التزام المرأة بالحشمة ونحو ذلك، حيث كان يتم التعامل مع هذه (الانحرافات) بالضرب أو الجلد أو السجن[٢٣].

لا تقتصر التأثيرات الوهابية المتعلقة بالمرأة على السند الإيديولوجي الديني الفقهي فقط، بل تعمل على ترسيخ نفسها عملياً من خلال بناء سلطة سياسية دينية متلاحمة عبر صلات القرابة وشبكات النسب والمصاهرة وعلاقات العصبية؛ فـ"إدارة

---

(٢١) لمزيد من التفصيل حول الجهادية السعودية الوهابية المناهضة للحكم السعودي باعتباره انحرافاً عن الوهابية، من حركة جهيمان العتيبي إلى تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن وقاعدة الجهاد في جزيرة العرب، انظر: ديفيد كمنز، الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله إبراهيم العسكر، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ٢٣٧ ـ ٣٠٥.

(٢٢) انظر: يعقوب أوليدورت، داخل صف الخلافة: الكتب الدراسية والأدب التوجيهي وطرق التلقين الخاصة بتنظيم "الدولة الإسلامية"، معهد واشنطن، أغسطس ٢٠١٦، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/PolicyFocus 147-Olidort-5.pdf

(٢٣) انظر: عبد الله المالكي، الوهابية وإخوان من طاع الله وداعش.. هل أعاد التاريخ نفسه؟، مرجع سابق.

الحكم تشبه تدبير "البيت"، بالمعنى الذي يقصده كلود ليفي ستراوس، فتماسك البيت يستند أساساً إلى الاتصالات الشخصية التي تعلن عن نفسها عادة من خلال خطاب القرابة، سواء أكانت قرابة حقيقية أو وهمية، بيولوجية أو روحية. تظهر هذه الروابط في الحالة السعودية كعامل حاسم للحراك الاجتماعي إلى حد أنّ بعض المطالبات في مجال القانون والسلطة تعتمد على "شبكة من علاقات النسب" على حد تعبير ألفريد رادكليف براون. أما ابن خلدون فإنه يستخدم مصطلح "العصبية" للتعبير عن هذه الظاهرة"[٢٤].

في هذا السياق، ارتبط آل عبد الوهاب وآل سعود بعلاقات القرابة والنسب والمصاهرة، باعتبارها أداة فاعلة لتماسك السلطة وفرضها. وكان محمد بن عبد الوهاب قد تزوج بعد أن انتقل إلى بلدة العيينة من امرأة من بيت رئاسة وجاه، الجوهرة بنت عبدالله بن المعمر، عمّة الأمير عثمان بن حمد بن معمر، أمير العيينة[٢٥].وتشير المصادر التاريخية إلى أنّ الجوهرة قد أدّت أدواراً مهمة في توطيد العلاقة بين زوجها محمد بن عبد الوهاب وعمها الأمير عثمان وغيره[٢٦].

---

(٢٤) انظر: محمد نبيل ملين، علماء الإسلام: تاريخ وبنية المؤسسة الدينية السعودية بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرين، ترجمة د. محمد الحاج سالم وعادل بن عبدالله، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٣١.

(٢٥) بحسب ابن بشر: "انتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسُها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول، وأكرمه، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبد الله بن معمر" وهي عمة الأمير عثمان. ويبدو أن هذا هو أول زواج للشيخ؛ لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلاً بين الحجاز والبصرة والأحساء، مشغولاً بطلب العلم، ولم يذكر مؤرخوه، الموثوق بهم، أنه تزوّج قبل انتقاله إلى العيينة، وأما ما جاء في كتاب "لمع الشهاب" بأن لمحمد بن عبد الوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان – أي قبل سفره لطلب العلم فلا تؤيده المصادر التاريخية الموثوقة. رجح مايكل كوك، بعد تمحيص، أن مؤلف كتاب "لمع الشهاب" لا يحسن العربية وأنه كان يعمل لدى البعثة الانجليزية في البصرة وبغداد تحت إشراف الكابتن روبرت تايلور (١٧٨٨- ١٨٥٢) وبتكليف منه، انظر: حمادي الرديسي وأسماء نويرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر، نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٤١.

(٢٦) انظر: حمد الجاسر، المرأة في حياة إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، على الرابط: http:// shamela.ws/browse.php/book-8548#page-28

وقد استمرت علاقة النسب والمصاهرة بين آل عبد الوهاب وآل سعود وتعززت عبر المراحل التاريخية.ولإدراكه مدى الأهمية الإيديولوجية للمذهب الحنبلي الوهابي، فقد سارع الملك عبد العزيز إلى تجديد التحالف التاريخي، الذي ربط أسلافه من الأسرة بعلماء الدعوة وأتباعها، وقد تم التعبير عن هذه الرابطة عبر إحياء الصفقة التاريخية التوافقية بين السلطة السياسية والسلطة الدينية بلغة المصاهرة؛ إذْ تزوج الملك عبد العزيز من ابنة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، شيخ علماء المذهب الوهابي حينها[٢٧].

تستند وضعية المرأة داخل تنظيم الدولة الإسلامية بصورة كبيرة إلى التراث الفقهي الحنبلي الوهابي وتطبيقاته العملية في الفضاء التاريخي للدولة السعوديّة، والذي يقوم على الفصل بين الجنسين، فمكان المرأة الطبيعي بحسب علماء الوهابية هو البيت، فالشيخ عبد العزيز بن باز يقول: "**لا يخفى عليكم أيها المسلمون ما عمت به البلوى في كثير من البلدان من تبرج الكثير من النّساء وسفورهن، وعدم تحجبهن من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبداءها، ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة، والمعاصي الظاهرة، ومن أعظم أسباب حلول العقوبات، ونزول النقمات، لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش، وارتكاب الجرائم، وقلة الحياء، وعموم الفساد.. فاتقوا الله أيها المسلمون! وخذوا على أيدي سفهائكم، وامنعوا نساءكم مما حرم الله عليهن، وألزموهن التّحجب والتّستر، واحذروا غضب الله سبحانه وعظيم عقوبته**"[٢٨].
ويؤكد الشيخ ابن باز على ضرورة التَّحجب ولزوم البيوت، فهو يقول: "وقد أمر الله سبحانه في كتابه الكريم تحجب النساء، ولزومهن البيوت، وحذّر من التّبرج، والخضوع بالقول للرجال صيانةً لهنّ عن الفساد وتحذيرًا لهنّ من أسباب الفتنة"[٢٩].

---

(٢٧) انظر: محمد نبيل ملين، علماء الإسلام: تاريخ وبنية المؤسسة الدينية السعودية بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرين، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٢٨) سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حكم السفور والحجاب، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص ٤٧.

(٢٩) المرجع السابق، ص٤٩.

وقد صنَّف أتباع السّلفية الوهابيّة عشرات الكتب والرسائل في وجوب لزوم المرأة لبيتها وتغطية وجهها في حال الخروج للضَّرورة، أو أمام الأجانب، فالشيخ محمد بن صالح العثيمين يقول: "اعلم أيها المسلم أن احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب، وتغطية وجهها أمرٌ واجبٌ دلَّ على وجوبه كتاب ربك تعالى، وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم والاعتبار الصحيح، والقياس المطرد"[٣٠].

تمتاز السلفية الوهابيّة بالأفكار الطُّهورية التقوية، فهي تتوافر على اعتقاد راسخ باكتمال التجربة الإسلاميّة دون أخذ التغيّرات التاريخيّة بعين الاعتبار، وهي تصر على بقاء دور المرأة منحصرًا في المجال الخاص في البيت وتدبير شؤون الأسرة، وفق رؤية صارمة لمفهوم قوامة الرجل، وترى بأن المنزلة التي أعطيت للمرأة في الإسلام تكفل لها حقوقها بحسب رؤية وقراءة ظاهريّة للإسلام، ترى في ذاتها كمالاً مطلقًا[٣١].

وبحسب أميلي لورونارو فإنّ الفصل بين الرجال والنساء في الرياض، ناتج عن سياسة عامة وضعتها الدولة السعودية في الستينيات، وقد أفرزت تلك السياسة عن نمو فضاءات عامة مخصصة للنساء وممنوعة على الرجال. وفي السبعينيات أدى بروز خطاب الصحوة الإسلامية إلى تعزيز الفصل بين الجنسين من خلال التمييز بين مؤسسات الرجال ومؤسسات النساء. وهي سياسة أمكن وضعها قيد النفيذبعد الطفرة النفطية سنة ١٩٧٣. ومنذ ذلك التاريخ أصبح مبدأ الفصل مستمراً ومطبقاً بطريقة صارمة من خلال تبني خطاب ديني وقوانين رسمية وفتاوى تعتبر بأنّ السعوديات محظوظات لأنهن يملكن الحق في عدم ممارسة العمل الوظيفي، وهو ما يعزز الطابع الإسلامي للمجتمع[٣٢].

---

(٣٠) فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، رسالة الحجاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص ٨١.

(٣١) لمزيد من التفصيل حول وضعية النساء في المجتمع السعودي وفتاوى اللجنة العلمية الرسمية، انظر: د. محمد العطاونة، الإسلام الوهابي في مواجهة تحديات الحداثة: دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية، ترجمة د. أبو بكر باقادر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص ١٤٨ ـ ١٦٥.

(٣٢) لمزيد من التفصيل، انظر: أميلي لورونار، النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية

في سياق الجدل حول وضعية ومكانة المرأة في السعودية، تقدم الباحثة الأميركية ناتانا ديلونغ باس قراءة معاكسة للاتّجاه الَّذي يعتبر بأنَّ تعاليم الوهَّابيَّة تشكّل حجر الأساس للتَّمييز بحقّ النّساء وعدم تمكينهنّ. وتخلص من دراستها لأطروحات ابن عبد الوهاب إلى الاستنتاج بأنَّه كان محرّراً للنّساء في مجتمع يعاني من كراهية وتمييز خطير ضدَّهنَّ[٣٣].

بينما تؤكد مضاوي الرشيد على "أنّ الوضع المعاصر للمرأة في السَّعوديَّة، تمّ صوغه بواسطة الإرث التَّاريخيّ للوهَّابيَّة، بعد تحوّلها إلى حركة قوميَّة دينيَّة تحت لواء الدَّولة السعوديَّة. وقد كان لهذا التَّحوُّل تأثير مهمّ على العلاقة بين الجنسين بعد أن أصبحت الحركة، ليست دين دولة فقط، وإنما أيضاً قوميّة دولة". تُبرز الرَّشيد العلاقة بين الإحياء الديني وتشكيل الدَّولة السَّعوديَّة الأولى في القرن الثَّامن عشر، وترى "أنّ تصورات علماء الدّين الحضريين حول الجنس أساسيَّة في هذه العلاقة، إذ تطلّعوا نحو تعميمها وفرضها على كامل الجزيرة العربيَّة وذلك بمساعدة القيادة السّياسيَّة... أسبغت الدَّولة الحديثة في العام ١٩٣٢ طابعاً مؤسَّساتيّاً على تصوُّرات الجنس، الَّتي ظهرت في المجتمع الدّينيّ الضَّيّق جنوب نجد. وفي غياب نضال سعوديّ ضدّ الاستعمار أو حركة قوميّة علمانيَّة، انتقلت الوهابيَّة من الإحياء لتصبح حركة دينيَّة قوميَّة، بفضل بلاغة خطابها المتجانس العالمي. . . طمح هذا الخطاب إلى طمس التَّقاليد المحليَّة لصالح المثال الأعلى الإسلاميّ العالميّ الشَّامل. وفي القرن العشرين، تطوَّرت الوهَّابيَّة لتصبح قوميَّة دينيةً حيث كان إقصاء المرأة سمتها الواضحة، راسمةً بذلك حدود الأمَّة الورعة في ظل غياب قوميَّة مناهضة للاستعمار"[٣٤].

السعودية، ترجمة عبد الحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٢.

(٣٣) انظر: ناتانا دي لونج باس، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، دارة الملك فهد، الرياض، ٢٠١٢. وقد احتفت السعودية بهذا الكتاب وعملت على ترجمته ونشره.

(٣٤) مضاوي الرَّشيد، الدَّولة الأكثر ذكوريَّة: المرأة بين السّياسة والدّين في السّعوديَّة، ترجمة صبا قاسم، منشورات الجمل، بيروت، الطَّبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ٧٨ ـ ٧٩.

من "الأخت الإخوانية" إلى "المناضلة القطبية"

إذا كان المصدر المرجعي للنسائية الجهادية بنسخته الوهابية قد ظهر في غياب قوميّة مناهضة للاستعمار، فإن السلطة المرجعية الأخرى للنسائية الجهادية ولدت من الرحم الكولينيالي الاستعماري، وأخذت بالتشكل عقب تفكيك الإمبراطورية العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤، من خلال الترسيمة الإخوانية، التي تبلورت لاحقا مع سيّد قطب، والجماعة الإسلامية المودودية؛ أي ضمن المنظومة الإيديولوجية التي تركّز على الصراع والحاكمية الإلهية. برزت الإيديولوجية الجهادية الحديثة في البداية للحفاظ على الهوية في مواجهة الاحتلال الغربي للعالمين العربي والإسلامي، فقد ظهرت أطروحات أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩)[٣٥] في شبه القارة الهندية لترسيخ هوية إسلامية هندية قادرة على مواجهة الفراغ الناتج عن انتهاء النظام الاستعماري وبروز الطموحات السياسية للغالبية الهندوسية.

كانت رؤية المودودي نابعة من التقاليد الثقافية الإسلامية- الهندية والوعي

(٣٥) أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩) هو مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، ولد عام ١٩٠٣م وتلقى تعليمه وتربيته الأولى على يد والده، وبدأ حياته في الصحافة عام ١٩١٨م، وفي عام ١٩٢٠م كوّن صحيفة هدفها تبليغ الإسلام. وفي عام ١٩٢٨ ألف كتاب الجهاد في الإسلام، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ ضد الإنجليز، وفي عام ١٩٣٣م أصدر مجلة ترجمان القرآن، وعبر هذه المجلة انتقلت أفكاره إلى المسلمين في الهند وباكستان، مما مهد له الطريق إلى تأسيس الجماعة الإسلامية. وفي عام ١٩٣٧م انتقل إلى لاهور، وأسس في باشانكوت داراً للإسلام يربّي فيها الرجال ويؤلف فيها الكتب. وفي عام ١٩٤١م وجه دعوة لعلماء المسلمين وقادتهم لحضور مؤتمر عقد بلاهور بحضور ٧٥ شخصاً يمثّلون مختلف مناطق الهند، وتأسست في هذا المؤتمر الجماعة الإسلامية وانتخب المودودي أميراً لها. تعرّض المودودي للاعتقال حكم عليه بالإعدام في عام ١٩٥٣م وخفف الحكم في آواخر ذلك العام. وتوفي إثر عملية جراحية أجريت له في نيويورك، ونقل جثمانه إلى لاهور ودفن هناك. وقد ترجمت كتبه إلى لغات كثيرة وطبعت مرات عديدة. وقد بلغ عدد مؤلفات المودودي (٧٠) مصنفًا ما بين كتاب ورسالة، انظر: حمد بن صادق الجمال، أبو الأعلى المودودي، حياته وفكره العقدي، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة ، ١٩٨٦. ود. سمير عبد الحميد إبراهيم، أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩. و د.محمد عمارة ، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٧.

السياسي وميراث الحكم الإسلامي الذي شكّل نظرة المسلمين في الهند للعالم ووضع الأجندة السياسية للمسلمين. وكان المودودي مدفوعاً بشكل واضح بهذه الرؤية "التي كانت تميل للتأكيد على الفصل بين المسلمين وغير المسلمين، ورفض الازدواجية التي تفرض قانون غير المسلمين على المسلمين"[٣٦].

صنف المودودي رسالة "الجهاد في الإسلام" عام ١٩٢٨، وهي رسالة تخلو من الحديث عن دور خاص للمرأة في الجهاد، لكنها تؤسس لهوية جهادية نسائيّة، فالجماعة الإسلامية التي أسسها في باكستان في مطلع الأربعينات من القرن الماضي كانت تقوم على أنّ الجماعة الإسلاميّة هوية مهددة بالتغرب.أمّا في كتابه "مطالب الإسلام تجاه المرأة المسلمة"(١٩٥٣)، فقد شدد المودودي على التمسك بالأطر الفقهية التقليدية الخاصة بالنساء وقضايا قانون الأسرة، واعتبر بأنّ قضيّة المرأة أحد أهم رموز الهوية والأصالة الثقافية باعتبارها حاملةً للتقاليد الدينية للمسلمين في مواجهة الحداثة الغربية المرتبطة بالقوى الاستعمارية.وتعتبر أراؤه المتعلقة بمشاركة المرأة السياسية وعملها محافظةً جداً، إذ يقول المودودي: "السياسة والحكم خارجان عن دائرة أعمال المرأة"[٣٧].

في سياق ترسيخ رموز الهوية الإسلامية،ألف المودودي كتاب "الحجاب"، وهي المسألة التي سوف تصبح أحد أهم رموز أجندة حركات الإسلام السياسي وأحد أبرز خطوط المواجهة مع الغرب والدولة ما بعد الكولينيالية في العالمين العربي والإسلامي في إطار مشروع تحرير المرأة.وقد شدد المودودي على وجوب النقاب وتغطية وجه المرأة. وسوف تؤسس رؤية المودودي العامة، المناهضة للتغريب والداعية للحفاظ على الهوية النقية والأصالة عبر مفهوم "الحاكمية"،أحد مبادئ الحالة الجهادية النسائية وأحد تصوراتها الحاكمة،والتي تحدد أدوار الأفراد على أساس النوع الاجتماعي وفق

(٣٦) انظر: ولي نصر، المودودي وصناعة التجديد الإسلامية، ترجمة: غادة بن عميرة، موقع حكمة، ٢٠١٦، على الرابط:
http://hekmah.org/%D8%A7%D9%84%D

(٣٧) أبو الأعلى المودودي، تدوين الدستور الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١، ص ٦٩-٧٦.

أحكام الشريعة باعتبارها صادرة عن خطاب إلهي، وليست من وضع البشر.

في العالم العربي احتلت المرأة موقعاً أساسياً في النزاع وأصبحت أيضاً رمزاً للصراع السياسي ضمن سياقات الهوية، كما إنّها أخذت بعداً نوعياً كمنتجة للجهاديين. وقد شكل مفهوم الجهاد،بأبعاده المختلفة،موقعاً أساسياً في فكر جماعة الإخوان المسلمين كإيديولوجية للهوية واستراتيجية للتحرير منذ تأسيسها عام ١٩٢٨. فقد صنف الشيخ المؤسس للجماعة،حسن البنا[٣٨] "رسالة الجهاد" عام ١٩٤٧، التي تتضمن طبيعة الفهم الإخواني لرسالة الجهاد ووظيفته العالمية، يقول في خاتمتها "أيها الإخوان: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة . . . فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله"[٣٩]، وتخلو الرسالة من ذكر دور للمرأة بصورة مباشرة في الجهاد القتالي.

نشأت جماعة الإخوان المسلمين في مصر[٤٠]، في سياق مواجهة السياسات الاستعمارية وعمليات نزع الهوية، باعتبارها حركة أممية عالمية تقوم على أسس إحيائية

(٣٨) حسن البنا (١٩٠٦م - ١٩٤٩م)، ولد بالمحمودية في مديرية البحيرة بمصر، درس في مدرسة الرشاد الثانوية على يد الشيخ محسن زهران، ومنها انتقل إلى المدرسة الإعدادية، ثم دخل دار المعلمين الأولية بدمنهور، وبعدها دخل دار العلوم بالقاهرة. تخرج من دار العلوم فعين مدرساً في بلدة الإسماعيلية حيث أسس الخلايا الأولى لجماعة الإخوان المسلمين، وكان ذلك في عام ١٩٢٨م. انتقل، بعد ذلك، للتدريس في القاهرة، فانتقل معه المركز العام ومقر قيادة الجماعة. أسس في القاهرة جريدة "الإخوان المسلمين" لنشر دعوته، وقد حظيت الدعوة بالفعل بانتشار واسع إذ أصبح للجماعة فروع ومراكز في جميع أنحاء القطر المصري. ثم ما لبثت دعوة (الإخوان) أن تخطت حدود مصر لتجد لها أنصاراً في الأقطار العربية الأخرى، وقد بلغت الجماعة أوج قوتها وانتشارها في أواخر العهد الملكي بمصر. اغتالت سلطات النظام الملكي البنا في شارع عام كبير في القاهرة، وكان ذلك في ١١ شباط/ فبراير ١٩٤٩م.

(٣٩) حسن البنا،مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مطابع الوفاء، المنصورة، مصر، بدون تاريخ، ص١٧١.

(٤٠) لمزيد من التفصيل حول جماعة الإخوان المسلمين في مصر يمكن الرجوع إلى: ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، ترجمة محمود أبو السعود، تعليق صالح أبو رقيق، القاهرة، ١٩٧٩.

هوياتية إصلاحية. فقد اضطلعت جماعة الإخوان المسلمين في سنوات التكوين الأولى بمهام البناء التنظيمي والدعوة بوسائل سلمية، إلا أن تغليبها للقوة الروحية على القوة المادية لم يثنها عن الانخراط في ممارسة العمل السياسي[٤١]، ولا عن التهيؤ للجهاد. فقد تمّ تأسيس الفرق "الرياضية" الأولى في مدينة الإسماعيلية ١٩٢٨، ثم تأسست فرق "الجوالة" عام ١٩٣٥، وبعدها تأسست "الكتائب" عام ١٩٣٧، وأخيراً تبلورت "الأُسر" و"النظام الخاص"، في بداية الأربعينات.وجميع هذه الأشكال التنظيميّة ذات طبيعة عسكرية، أنشئت في خضم الدعوة والعمل الإصلاحي.

كانت مسألة الجهاد حاضرة في معظم رسائل حسن البنا، إلا أن الإيديولوجية الجهادية الإخوانية، خلال هذه الحقبة،كانت تركّز على التربية الروحية والتضامن، فقد انشغلت الجماعة بإرسال التبرعات إلى فلسطين وبعث المذكرات المناهضة للاحتلال[٤٢]، وتنظيم الاحتجاجات الشعبية وتهريب السلاح. وقد شاركت الجماعة لاحقاً في القتال مع بقايا المجموعات الجهادية الفلسطينية خلال الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦[٤٣]. بل إن الجهاز العسكري السري للجماعة والذي اشتهر بـ"النظام الخاص" لم يتشكل إلا من أجل فلسطين والقضية الفلسطينية. إذ شارك الإخوان في عمل اللجان القومية التي أعيد بعثها فور إعلان قرار التقسيم الأممي ١٩٤٧، وكانت مدينة يافا من أهم المواقع التي ساهم فيها الإخوان بالقتال، وقد أنشأ الإخوان قوات مستقلة في قرية سلواد شرق رام الله واشتركوا في معركة القسطل التي قادها عبد القادر الحسيني، قائد قوات "الجهاد المقدس"، إضافة إلى مشاركتهم في القتال ضمن مجموعات المتطوعين من الإخوان المسلمين المصريين والسوريين والأردنيين، ومساهمتِهم في تشكيل لجان الدفاع عن القرى[٤٤]. وفي هذا السياق سنلاحظ كيف لازم مفهوم "الجهاد

---

(٤١) اعترفت الجماعة بمزاولتها النشاط السياسي لأول مرة في أول عدد صدر لمجلة "النذير" في شهر أيار/مايو سنة ١٩٣٨. المرجع السابق، ص ٨٨.

(٤٢) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩٠، ص ٢٧٩ – ٢٨٦.

(٤٣) ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٤٤) لمزيد من التفصيل حول تاريخ تجربة الجماعة في الجهاد في فلسطين، انظر: كامل الشريف، الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧.

التضامني" كافة مراحل تطور الجماعة.

أولى الإمام حسن البنا أهمية خاصة للمرأة في خطابه وممارسته العملية؛ فقد كان على قناعة تامة بضرورة مشاركة المرأة في العمل العام، كأحد الآليات المهمة القادرة على تحقيق البرنامج الإصلاحي للإخوان المسلمين، كما نصّت على ذلك اللائحة الداخلية للنّظام الأساسي للأخوات المسلمات.

عمل حسن البنا في فترة مبكرة عن تأسيس فرع نسائي، فقد أُعلن في ٢٦ أبريل/ نيسان ١٩٣٣ عن تأسيس قسم "الأخوات المسلمات"،الذي يتألف من نساء الإخوان وبناتهن وقريباتهن، وأطلق عليه بعد ذلك اسم "فرقة الأخوات المسلمات"،وهو ما يُمكن اعتباره امتداداً لما كان البنا قد أسسه في الإسماعيلية باسم "أمهات المؤمنين". وقد ترأس هذا القسم لأول مرة السيدة لبيبة أحمد، وهي تعتبر المرأة الأولى في العالم الإسلامي التي بدأت بتأطير منهاج خاص بالمرأة المسلمة لنيل حقوقها.وقد تعاقب على رئاسة قسم الأخوات بعد لبية أحمد: آمال العشماوي، ونعيمة الهضيبي، وفاطمة عبد الهادي وهي زوجة محمد يوسف هواش الذي أُعدم مع سيد قطب، وزينب الغزالي.

وضع البنا لائحةً تنظم عمل فرقة الأخوات، وحدّد لها أهدافها، ووسائلها، ونظامها الداخلي. وكان الهدف من تكوين هذه الفرقة: التّمسك بالآداب الإسلاميّة، والدعوة إلى الفضيلة، وبيان أضرار الانحرافات الشائعة بين المسلمات، وكان البنا يرأس بنفسه هذه الفرقة. وتكاثرت لجان الأخوات المسلمات حتى بلغت خمسين لجنة سنة ١٩٤٨ وهو التاريخ الذي تم فيه حلّ جميع شعب الإخوان المسلمين؛ وكان المرشد العام للإخوان حسن البنا يشرف بنفسه على هذه اللّجان. وقد أصدر البنا رسالة للأخوات حاول فيها إعادة رسم الخطاب الإسلامي بما يخص مكانة المرأة في الإسلام وحقوقها يعنونها بـ"المرأة المسلمة"[٤٥].

ينطلق البنا في خطابه المتعلق بالمرأة من التّأكيد على أن الإسلام يرفع قيمة المرأة

---

(٤٥) انظر: حّمود حّمود، في نقد ظاهرة النسويّة الإسلاميّة، موقع جدلية، ١٤ أكتوبر ٢٠١٥، على الرابط: https://goo.gl/CTHHIr .

ويجعلها شريكة للرّجل في الحقوق والواجبات فهو يقول: "**اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشّخصية كاملة، وبحقوقها المدنية كاملة كذلك، وبحقوقها السياسية كاملة أيضًا، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب. . . والقرآن والأحاديث فيّاضة بالنّصوص التي تؤكد عل هذا المعنى وتوضحه**"[٤٦]. ويؤكّد على أن التّفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق إنما جاء تبعًا للفوارق الطبيعية، وتبعاً لاختلاف المهمة التي يقوم بها كلٌّ منهما، وصيانةً للحقوق الممنوحة لكليهما. كما يُؤكّد على أن بين المرأة والرجل تجاذباً فطرياً قويّاً وهو الأساس للعلاقة بينهما، وأن الغاية منه، قبل أن تكون المتعة، هي التعاون على حفظ النوع الإنساني، واحتمال متاعب الحياة. وفي مجال التعليم، يرى البنا أنه من حسن التأدّب أن تتعلم المرأة ما لا غنى لها عنه كالقراءة والكتابة، إلا أنه مع ذلك يطالب بعدم تعليم المرأة ما لا حاجة لها به[٤٧]. وهو ينصح المسلمين بقوله: "**علِّموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمَّتها، ووظيفتها التي خلقها الله لها: تدبير المنزل ورعاية الطفل**"[٤٨]. ويشدِّد على ضرورة التّفريق بين المرأة والرجل منعًا للاختلاط؛ فهو يقرر ذلك بقوله: "**يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرًا محقَّقًا. . . لهذا نحن نصرّح بأن المجتمع الإسلامي مجتمعٌ فرديٌ لا زوجي، وأن للرّجال مجتمعاتهم، وللنساء مجتمعاتهن. ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة، والخروج في القتال عند الضرورة الماسّة، ولكنه وقف عند هذا الحد، واشترط له شروط عديدة، منها: البعد عن كل مظاهر الزّينة، وستر الجسم، وإحاطة الثياب به، فلا تصف ولا تشف، وعدم الخلوة بأجنبي مهما تكن الظُّروف**"[٤٩].

ويمكن القول بأن تعاليم حسن البنا ترتكز على أساس أن دور المرأة هو المنزل وتربية الأولاد ورعاية الأسرة، وعلى رأسها الزوج، من منطلق أن البيت هو الأساس الأول في إعداد الرجال.

---

(٤٦) الشيخ حسن البنا، المرأة المسلمة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص٧.

(٤٧) المرجع السابق، ص٨-٧.

(٤٨) المرجع السابق، ص١١.

(٤٩) المرجع السابق، ص١١-١٢.

نشرت فاطمة عبد الهادي مذكراتها، تحت عنوان "رحلتي مع الأخوات المسلمات من الإمام حسن البنا إلى سجون عبد الناصر"، وكشفت فيها عن أن دور النساء في الجماعة لم يتخطَّ الحفاظ على الكيان الأسري والعائلي لأفراد الحركة. ومع بدء سلسلة والاعتقالات التي تعرضت لها الجماعة، تؤكد المؤلفة على أن "قسم الأخوات المسلمات هو من تولى رعاية أسرنا وقت غيابنا في السجون والمعتقلات، فكانت الأخوات يجمعن التبرعات ويدبّرن نفقات البيوت التي غاب عائِلُها، وكنَّ يوفّرن الحاجات الأساسية لأي أسرة سجن عائلها أو فر هارباً من المعتقل"[٥٠].

عقب ثورة يوليو ١٩٥٢ وتأسيس الدولة الوطنية الحديثة، تعرّضت جماعة الإخوان المسلمين للمحاصرة والتضييق، وسرعان ما وجهت دولة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر ضربة قاصمة للجماعة سنة ١٩٥٤ بعد اتهامات متبادلة بالانحراف والخيانة، وكان ذلك فاتحة لصدام طويل بين الحركتين الإسلامية والقومية، ما أدى إلى اتهام الإخوان للنظام الناصري وللأنظمة القومية العربية بالعمالة للغرب، وهو ذات الاتهام الذي سوف يوجّه إلى الإخوان في المقابل.

وفي سياق تأزم العلاقة بين الإخوان والسلطة السياسية الناصرية، بدأت تتشكل رؤية إخوانية بديلة عن تلك الرؤية التقليدية المتأثرة بتراث الحركة الإصلاحية. تولى التنظير لأسسها الإيديولوجية مجموعة من مفكري الإخوان، أمثال عبد القادر عودة الذي أصدر كتاباً بعنوان: "الإسلام وأوضاعنا السياسية"[٥١].ولكن التأثير الأبرز في تحول الرؤية الإصلاحية للإخوان جاءت على يد سيد قطب[٥٢]، الذي دشن إيديولوجية

(٥٠) فاطمة عبد الهادي، رحلتي مع الاخوات المسلمات : من الإمام الشهيد حسن البنا إلى سجون عبد ناصر، دار الشروق، القاهرة, ٢٠١١، ص٥.

(٥١) أعدم عبد القادر عودة من جانب حكم الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ بعد حادثة المنشية المشهورة. ويعود تأليف الكتاب إلى أواخر الأربعينات ويعتبر كتابه الضخم: "التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي" أشهر مؤلفاته.

(٥٢) سيد قطب (١٩٠٦ - ١٩٦٦)، ولد في قرية من قرى أسيوط بمصر لأب ميسور الحال منتسب إلى الحزب الوطني، دخل المدرسة وهو في السادسة وحفظ القرآن وهو في العاشرة. أرسله أبوه بعد ذلك إلى القاهرة ليتم دراسته الثانوية ثم ليتابع دراسته في (دار العلوم)، ليتخرج منها عام ١٩٢٩، حبث اشتغل في التعليم وأرسلته وزارة المعارف إلى أمريكا لدراسة نظام التعليم فرجع منها

ثورية صريحة تقوم على نقد أسس الدولة الوطنية في البلدان الإسلامية التي جاءت بعد خروج الاستعمار، وذلك من أجل إقامة الدولة الإسلامية التي تكون الحاكمية والسيادة فيها لله وحده.

على الرغم من أن سيد قطب لم يتزوج، فقد كان للمرأة دور مؤثر في حياته،وكانت أمه أول امرأة تأثر بها، وهي بحسب قطب سيدة متدينة متصفة بصفات المؤمنين، كانت تحب سماع القرآن وتتأثر به، كما ذكر في إهدائه كتابه "التصوير الفني في القرآن" لها؛ وكانت والدته هي الزوجة الثانية لأبيه. ويقول في كتابه "طفل من القرية" عن أمه أنها كانت تريد منه – أي من سيّد قطب– أن يكون رجلاً حتى قبل أوانه؛ لذلك كان يهرب من كل مظاهر الطفولة حتى في طفولته! وقد توفيت بعدما استقرت معه في القاهرة عام ١٩٤٠. وقد رثاها رثاء حاراً وبيّن بعض ما غرسته في نفسه في كتابه "الأطياف الأربعة" وهو كتاب كتبه بالاشتراك مع إخوته محمد وأمينة وحميدة. ولسيّد من الأخوات ثلاث بنات هن: نفيسة وحميدة وأمينة؛ وللأخيرة ديوان شعر نظمته في رثاء زوجها "كمال السنانيري" بعنوان "رسائل إلى شهيد".

يذكر سيد قطب في كتابه "طفل من القرية" أن قلبه خفق بالحب عندما كان في القرية قبل أن يغادرها إلى القاهرة، وكان عمره حوالي أربعة عشر عاماً، وكانت تربط الفتاة به صلة مصاهرة بعيدة، وقد ترك سيد القرية ورحل إلى القاهرة حاملاً معه ذكريات كثيرة من بينها وجه فتاته. وعندما عاد بعد ثلاث سنوات في زيارة إلى قريته سأل عن تلك الفتاة وعلم أنها تزوجت.وخفق قلب سيّد من جديد بعد ما أتم تعليمه

عام ١٩٥١،ثم اعتزل الوظيفة ليتفرغ للتأليف والكتابة؛ وكان قد بدأ حياته الأدبية منتمياً لمدرسة العقاد لكنه ما لبث أن تحول عن الأدب الخالص إلى الفعالية الفكرية الإسلامية، وكان ذلك في أواخر الأربعينات، في الوقت الذي أصبحت فيه (جماعة الإخوان المسلمين)، التي أسسها حسن البنا قوية فعالة. وقد وجد سيد قطب في هذه الحركة تجسيداً لتطلعات خفية تشكلت بعض وجوهها من قراءته لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ومن ثم فقد انخرط قطب في الجماعة. وبعد صراع عام ١٩٥٤ بين "الإخوان المسلمين" وقادة الثورة في مصر، تعرض سيد قطب هو وغيره من قادة الإخوان للاضطهاد والسجن، لكن النهاية الفاجعة التي مُني بها سيد قطب جاءت بعد إصداره لمجموعة من الكتب الثورية الراديكالية (هذا الدين، المستقبل لهذا الدين، معالم في الطريق)، إذ زج به في السجن في عام ١٩٦٥، واتهم بالتآمر على النظام السياسي القائم وحُكم عليه بالإعدام مع مجموعة من رفاقه، وقد تم تنفيذ هذا الحكم فعلا في عام ١٩٦٦.

وعمل في وزارة المعارف، وكانت الفتاة الثانية بنتاً قاهرية تشبه في ملامحها ملامح بنت قريته، وقد سجل سيّد ذلك في روايته "أشواك". وقد خطب سيد تلك الفتاة، وفي ليلة الخطبة أخبرته بأنها، قبل أن تتعرف عليه، كانت تعيش قصة حب مع ابن جيرانها الضابط في الجيش، وبعد معرفته لهذه الحقيقة القاسية عاش في معاناة مريرة استمرت إلى أن قرر فسخ تلك الخطوبة، فسجل قصة حبه تلك شعراً، كما سجلها نثراً في روايته أشواك. ونظم قصائد شعرية عديدة منها "نهاية المطاف" و"الكأس المسمومة" و"بعد الأوان"[٥٣].

دشنت أطروحات سيد قطب تحولاً في تأسيس الحالة الجهادية عموماً، وأسست نواة النسائية الجهادية خصوصاً. ويعتبر كتابه "معالم في الطريق" بياناً تأسيسياً لفلسفة الحركة الجهادية، على صعيد الرؤية ومنهج الحركة، وآلية التغيير والعمل في سياق الدولة الوطنية مابعد الكولينيالية والصراع على هوية الدولة والمجتمع، من خلال مفهومي "الحاكمية" و"الجاهلية". فالمجتمع الجاهلي لدى قطب هو "كل مجتمع غير مسلم"، وهو وصف يشمل "المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلاً" بما فيها "تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة"[٥٤].والجاهلية بحسب قطب: "تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية وهي (الحاكمية)، ذلك أنها تسند الحاكمية للبشر في صورة إعطائهم الحقّ بوضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج الله للحياة"[٥٥].

عبر تأسيسه لـ"نسائية جهادية" لا يتحدث سيد قطب عن المرأة والرجل، بل عن الإنسان باعتباره مستودع القيم،ومن ثمّ فإنّ مفاهيمه تدور حول مسألة الحاكمية الإلهية الملزمة اختياراً للإنسان بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة.على أنّه يتحدث عن الأسرة كمنتجة للقيم وعن العلاقة بين الرجل والمرأة وفق التخصص الوظيفي. وعلى

(٥٣) انظر: علي محمد الغريب، سيد قطب: الممنوع من الزواج بأمر الموت!، ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٢، على الرابط: goo.gl/3EcTmp.

(٥٤) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٢، ص٩١.

(٥٥) المرجع السابق، ص١٠.

الرغم من التركيز على بعد الجهاد القتالي في كتابه معالم في الطريق، فإن قطب كان يُشدد دوماً على الأبعاد الأخلاقية والقيمية ودور الإسلام في إنقاذ البشرية.

يولي قطب مفهوم الحضارة عناية فائقة باعتباره مستودعاً للقيم، وينزع عن الغرب وصف الحضارة بسبب انهيار المنظومة الأخلاقية القيمية فيه ويتحدث عن الأسرة كمحدد وكقيمة ومؤشر على التحضر، إذ يقول:"**حين تكون "الأسرة" هي قاعدة المجتمع. وتقوم هذه الأسرة على أساس "التخصص" بين الزوجين في العمل وتكون رعاية الجيل الناشئ هي أهم وظائف الأسرة. . . يكون هذا المجتمع متحضراً. . . ذلك أن الأسرة على هذا النحو – في ظل المنهج الإسلامي – تكون هي البيئة التي تنشأ وتنمى فيها الأخلاق والقيم "الإنسانية".وقضية الأسرة والعلاقات بين الجنسين قضية حاسمة في تحديد صفة المجتمع . . . متخلف أم متحضر، جاهلي أم إسلامي . . . من أجل ذلك كله تكون القيم والأخلاق والإيحاءات والضمانات الإسلامية هي اللائقة بالإنسان، ويكون "الإسلام هو الحضارة**"[٥٦].

سوف تجد أطروحات سيد قطب تجاوباً من طرف أجيال الأخوات المسلمات. وتعتبر الحاجّة زينب الغزالي من أشهر الأخوات المسلمات اللواتي تأثرن بنهج قطب، وقد بايعت زينب حسن البنا سنة ١٩٤٨، واستمر عطاؤها في مجال الدّعوة لأكثر من نصف قرن، وكان لها دور كبير في مجال النضال السياسي، وتعرضت للاعتقال إبّان حكم عبد الناصر في ٢٠ آب/ أغسطس ١٩٦٥.وقد قامت بتسجيل تجربتها في كتاب "أيام من حياتي"[٥٧](١٩٧٥)، بعد خروجها من السجن بنحو أربع سنوات. وكان قد صدر عليها الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة (٢٥ عام)، وخرجت بعد وفاة جمال عبد الناصر عقب قرار العفو الذي أصدره الرئيس محمد أنور السادات (في ١٠ آب/أغسطس ١٩٧١).

برز في صفوف الأخوات نساءٌ عديدات إلى جانب لبيبة أحمد، وزينب الغزالي،

(٥٦) المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٥٧) انظر: زينب الغزالي، أيام من حياتي، دار التوزيع والنشر الإسلاميَّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

أمثال: أمينة قطب، وحميدة قطب، اللواتي شاركن الغزالي تجربة الاعتقال[٥٨]. وقد شملت الاعتقالات خلال هذه الفترة قرابة ٢٠٠ امرأة من زوجات وبنات ونساء الإخوان المسلمين،أمثال: غادة عمار، وعلية الهضيبي، ونعيمة خطاب وأمال عشماوي، وصدرت أحكام ضد اثنتين منهنّ فقط هما حميدة قطب وزينب الغزالي.

تقدم زينب الغزالي في مذكراتها "سيرة جهادية" بامتياز، وتستخدم الجهاز المفاهيمي القطبي بكثافة لافتة، كالحاكمية والجاهلية والطاغوت والشهادة والجهاد والدولة الإسلامية، إذ تقول "**وكنا على قناعة كذلك بأن الأرض اليوم خالية من القاعدة التي تتوفر فيها صفات الأمة الإسلامية الملتزمة التزاماً كاملاً، كما كان الأمر في عهد النبوة والخلافات الراشدة، لذلك وجب الجهاد على الجماعة المسلمة التي تحكّم الله وتمكّن لدينه في الأرض حتى يعود جميع المسلمين للإسلام فيقوم الدين القيّم، لا شعاراتٍ ولكن حقيقة عملية واقعة**"[٥٩]. وتنسجم الغزالي مع رؤية قطب حول أدوار المرأة في المجتمع الإسلامي فهي تقول: "**ويوم يحكم الإسلام ستكون مواقع المرأة المسلمة في مملكتها الطبيعية لتربى رجال الأمة**"[٦٠].

ترى مريام كوك أن مفهوم الجهاد في مذكرات الغزالي لا يقتصر على الرجال، بل هو نشاط يضم الرجال والنساء معاً. إن بطلات حكاية زينب الغزالي هن المحاربات مثل ليلى بنت طريف، التي تنتمي إلى الخوارج، وهي المرأة التي أثرت فيها في مرحلة الشباب، ونسيبة بنت كعب المازنية، التي حاربت مع النبي في غزوة أحد، بالإضافة إلى صحابيات النبي. كما إن تحول النساء إلى مجاهدات بحسب الغزالي يستتبع صياغة قواعد جديدة للسلوك، غالباً ما تتعارض لدى الرجال مع قواعد السلوك في أوقات السلم: "**وعلى المرأة المسلمة المثالية أن تتبين أولوياتها بعون من الله: هل عليها أن تبقى في المطبخ أم أن تخرج إلى ساحة المعركة؟ لن ينتاب المؤمنة الحقة أي حيرة،**

(٥٨) انظر: تيموثي ميتشل، تجربة الاعتقال في الخطاب الإسلامي: قراءة في "أيام من حياتي" لزينب الغزالي" ضمن: المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر، المحرران للكتاب جيل كيبيل ويان ريشار، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص١٧٥.

(٥٩) انظر: زينب الغزالي، أيام من حياتي، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٦٠) المرجع السابق، ص ٧٨.

فليس أهم من إقامة الدولة الإسلامية"[٦١].

تتناول الغزالي مفهوم الجهاد وأهميته ومركزيته لإقامة الدولة الإسلامية وتحدد الأدوار الجهادية للمرأة ففي مقالة مكثفة بعنوان "إلى ابنتي: حب الجهاد" تقول "**إن الأمة تتعرض لمحن كثيرة، ولكن أشد هذه المحن هو التخلي عن تربية الجهاد وحب الموت في سبيل الله. والرسول صلى الله عليه وسلم حذّرنا من الركون إلى الدنيا وكراهية الموت.إن الأمة، أفراداً وجماعات، يجب أن تراجع نفسها، وتضع الجهاد وفقه الاستشهاد على رأس اهتماماتها. ولا بد من يقظة إيمانية، وفقه رشيد، للدفاع عن دين هذه الأمة، وحماية أرضها وعرضها وثرواتها من الأعداء المغتصبين لها. إن آيات الجهاد في القرآن الكريم كثيرة، وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح وبيان وتفصيل لها. وأول مراحل الجهاد جهاد النفس وتدريبها على الطاعة والالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه، وجهاد الشيطان والتضييق عليه ومطاردته، ثم هناك جهاد المال بالإنفاق والتصدق وتجهيز المجاهدين، وهناك جهاد الكلمة، والنصح والإرشاد، ثم هناك جهاد الأعداء بالنفس والنفيس وهو ذروة سنام الإسلام. فينبغي أن يتربى أبناؤنا على حب الجهاد والبذل والعطاء والتضحية من أجل رفع لواء الإسلام من جديد. إنني أدعو إلى الجهاد الحق، الجهاد المشروع وليس المزيّف. ودورك يا ابنتي يكون في إيقاظ روح الجهاد وحب الشهادة في زوجك وأبنائك، وهذا هو دورك الذي أرجوه منك، وتنتظره الأمة جمعاء"**[٦٢].

على الرغم من أن زينب الغزالي تتحدث في مذكراتها عن حقبة ستينيات عبد الناصر الاشتراكية إلا أن كتابتها مشبعة بأجواء سبعينيات مصر السادات،بعد أن دخلت السلطة الحاكمة الليبرالية الجديدة في إطار حملة تستهدف الحدّ من نفوذ

---

(٦١) انظر: محمد تركي الربيعو، الجهاد والحرب والنسوية والأصولية الإسلامية: الأمريكية مريام كوك في قراءة جديدة لمذكرات المصرية زينب الغزالي، القدس العربي، ٢١ مايو ٢٠١٦، على الرابط: http://www.alquds.co.uk/?p=537307 .

(٦٢) زينب الغزالي، إلى ابنتي: حب الجهاد، ٧ يونيو ٢٠١٢، على الرابط، http://www.asharqalarabi.org.uk/ruiah/qutuf-276.htm .

اليسار وإفساح المجال لمجموعات إسلامية، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، التي أعادت نشاطها وعملت على إصدار مجلتين شهريتين، وهما "الاعتصام" و"الدعوة". وكانت مجلة الدعوة تفرد في أعدادها زاوية خاصة بالنساء تحت عنوان "من أجل أسرة مسلمة"، تقوم زينب الغزالي بتحريرها، الأمر الذي جعل الغزالي أيقونة للنضال النسائي الإسلامي السياسي أكثر من كونها جهادية صريحة فهي حاضرة دوماً في حركات الإسلام السياسي ولا تتمتع بحضور يذكر في سير جهاديات القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية.

أدت سياسات الإقصاء الناصرية، ثمّ عمليات الإدماج السياسي لجماعة الإخوان المسلمين خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم إلى بروز اتجاهيين رئيسيين داخل الجماعة: الأول: راديكالي متشدد ينادي بتغيير أنظمة الحكم واستبدالها بأنظمة إسلامية عن طريق القوة ومن أبرز رموزه سيد قطب، والثاني: إصلاحي يعتمد على استخدام آليات الإصلاح المتدرج لأنظمة الحكم، عن طريق الوسائل السلمية، ويمثل هذا التيار حسن الهضيبي الذي أصدر كتابه الشهير بعنوان: "دعاة لا قضاة".

دور المرأة في جماعات الجهاديين المحليين

أخذت أطروحات سيد قطب أبعاداً هوياتية صداميّة لدى جيل السبعينيات وبدأت أفكاره تأخذ منحى أكثر تأثيراً، وأشد حدّة ونفوذاً على أفكار جيل كامل من الجهاديين في مصر وخارجها. حيث برزت خلال حقبة السبعينيات تنظيمات الغضب الإسلامي[٦٣]، التي كرست جهودها واجتهاداتها على الشأن المحلي الداخلي، وفهم طبيعة النظام العلماني الدكتاتوري وسبل مواجهته. وبدأت بالتنظير والتأصيل لمفهوم دار الإسلام، وإعادة "الخلافة"وتفعيل "الجهاد"كإيديولوجية حركية انقلابية، ودفعت بمنطق الخطاب القطبي حول الطليعة، والعزلة الشعورية، والجيل القرآني الفريد، والاستعلاء إلى غايات مختلفة.وبدأت هذه التنظيمات باستخدام مصطلحات تاريخية فقهية تقليدية في تعريف الدولة والمجتمع وهيمنت مصطلحات"التكفير والتجهيل"

(٦٣) للمزيد، انظر: رفعت سيد أحمد، تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

و"التوقف والتبيّن" و"الولاء والبراء" على خطابها ومعجمها الهوياتي.

١. **جماعة التكفير والهجرة**؛ جاء التعبير الأكثر وضوحاً عن المعجم الهوياتي الجديد عن طريق شكري أحمد مصطفى[٦٤]، الذي شملته اعتقالات الإخوان عام ١٩٦٥.وفي أثناء التحقيق معه، تقدم الشاب من مدير المخابرات، مخاطباً إياه: "أرفض الحوار معك لأنك كافر، وحكومتك كافرة"[٦٥].

عندما أفرج عن مصطفى(في ١٦ تشرين ثاني/ أكتوبر ١٩٧١)- عقب وصول السادات إلى الحكم- عاد إلى موطنه الأصلي في محافظة أسيوط بصعيد مصر، وبدأ العمل على تأسيس "جماعة المسلمين"، والتي سوف تُعرف إعلامياً وأمنياً بجماعة "التكفير والهجرة"، ليصل عدد أعضائها، خلال خمس سنوات، إلى خمسة آلاف عضو.سيطرت الجماعة على عدد من الجمعيات الدينية في عدد من الكليات في الجامعات المصرية[٦٦]. وعلى الرغم من شهرة شكري مصطفى، إلا أن القائد الفعليّ للجماعة كان علي عبدة إسماعيل الذي كان من أنصار العزلة الكاملة عن المجتمع؛ولكنه

(٦٤) شكري مصطفى (١٩٤٢ ـ ١٩٧٧)، من مواليد أبو خرص مركز أبو تيج أسيوط. هو مؤسس جماعة المسلمين أو جماعة الدعوة والهجرة، والتي أطلق عليها الإعلام اسم جماعة التكفير والهجرة، كان متزوجاً من شقيقة الإخواني محمد صبحي مصطفى. وكان الشاب شكري مصطفى متعاطفاً مع جماعة الإخوان المسلمين في الستينات من القرن العشرين ولذلك تم القبض عليه ضمن الإخوان المسلمين وشاركهم محنتهم في سجون عبد الناصر ابتداءً من عام ١٩٦٥ وحتى خروجهم من السجن بعد موت عبد الناصر. وكان نزيلاً في سجن (ليمان طرة) الشهير، الذي حدثت فيه مجزرة ضد الإخوان المسلمين، وقد أطلق على نفسه لقب " أمير آخر الزمان طه المصطفى شكري"، وكان قد أمضى في السجن نحو ست سنوات في الفترة ما بين ١٩٦٥-١٩٧١، ثم أفرج عنه بعد تولي " السادات" الحكم، إلى أن أعدم في في ٣٠ مارس/آذار عام ١٩٧٨.

(٦٥) رفعت سيد أحمد، النبي المسلح: الثائرون، الجزء الثاني، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ٧٧.

(٦٦) أنظر: محمد سعيد أبو عامود، البناء التنظيمي لجماعات الإسلام السياسي في الوطن العربي(مصر كحالة دراسة)، الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، عدد ٨٢و ٨٣، تموز/ يوليو، آب / أغسطس، ١٩٩١، ص٣٧.

تخلى لاحقاً عن منطق التكفير والعزلة وتابعنهج الهضيبي.

تمثل وثيقتي "الاعتراف" و"الخلافة" أهم أدبيات جماعة "التكفير والهجرة"، وتنصّان على نهج الجماعة بـ"تبني الدعوة إلى الله، وإقامة الدولة الإسلامية". وتفترض الجماعة كفر المجتمع والدولة بكل مكوناتها المؤسسية والقيمية والفكرية، ومن ثمّ فيجب هدم كلّ هذه المكوّنات وإعادة بنائها من جديد؛ إلا أن ذلك لا يستوجب إقامة الحدود في الوقت الحاضر، لأن "الجماعة المسلمة" مستضعفة وعاجزة، ولا بد من تحقيق الشروط الموصلة إلى "التمكين". وعليه فلا بد من الهجرة، والانعزال عن المجتمع من أجل بناء الجماعة، التي ستمر بمرحلتين:" الأولى: يكون مقرها الكهوف، والجبال، والصحراء .. . والثانية: هي بناء يثرب المعاصرة"، أي مجتمع المدينة الذي أتاح للمسلمين فتح مكة[٦٧].

في سياق بناء مجتمع بروابط جديدة، عمل شكري على استدخال النساء في صفوف الجماعة وفرض على النساء اللواتي انضممن لجماعته مفارقة أزواجهن وأهلهن إذا لم يكونوا من أعضاء جماعة المسلمين، وقد أثارت مسألة اختفاء بعض النساء وتلقي شكاوى بخصوصهنّ شكوكاً أدت إلى اكتشاف الجماعة[٦٨].

وتشير أوراق القضية، التي نظرت فيها المحكمة العسكرية إلى وجود ٢٢ سيدة على لائحة المتهمين بالانتماء إلى الجماعة. وقد أقرّ شكري مصطفى أمام النيابة بأنه فرض على الأبناء أن يتركوا أسرهم إذا لم يدخل الأب والأم في الجماعة، وعلى الزوجة أن تترك زوجها إذا لم يدخل في الجماعة. وكانت الجماعة تتولى شؤون الأبناء من سن الرابعة عشرة حتى العشرين، وتلقنهم الدروس الدينية التي تحض على ترك التعليم النظامي، وترك القوات المسلحة والوظائف بصفتها جزءاً من المؤسساتالكافرة، قبل أن تأخذ الجماعة عليهم البيعة بالسمع والطاعة.وكانت الجماعة تجمع بين الرجل والمرأة عن طريق كشوف بأوصاف كل منهما، ثم تسمح لهمابالتلاقي دون خلوة، حتى يتم الزواج.وتقدم لهم حينها شقةمفروشة للسكن، ثم يُقدّم للشخص، خلال سنتين أو

---

(٦٧) رفعت سيد أحمد، النبي المسلح: الثائرون، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٦٨) انظر: جيل كيبل، النبي والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨، ص ٧٧ - ٨٢.

ثلاثة، عقد العمل في الخارج نظير إرسال نصف راتبه إلى الجماعة. وهكذا كانت الجماعة تضمن حصولها على الولاء والموارد. وإذا انشق أحد الزوجين على الجماعة تُطلَّق الزوجة باعتبار أن الزوج قد خرج عن الجماعة وارتد وأصبح كافراً، وإذا لم يرض الزوج بتطليقها، اعتبر كافراً، وبالتالي تكون زوجته بحكم المطلقة. وعندما سئل شكري في التحقيقات: هل يكون لها الزواج ؟ أجاب: نعم، يكون لها حق الزواج من غيره، حتى لو لم يطلقها زوجها رسمياً لدى المأذون، ولكن عليهاأن تخرج من البلاد حتى لا تخضع للقوانين الوضعية[٦٩].

مثلت "غواية النساء"، بتعبير جيل كيبل، عملاً مشيناً للرأي العام المصري وأمدّت الصحف المصرية بمادة وفيرة من العناوين والصور الفوتوغرافية[٧٠]. وقدأدت هذه الاستراتيجية إلى مزيد من الحذر في استدخال المرأة في الجماعات الجهادية التي ستظهر لاحقاً في مصر.وقد بدأت جماعة شكري بالأفول سريعاً، بعد أن قامت باختطاف الشيخ الذهبي، وزير الأوقاف المصري السابق في ٣ تموز/ يوليو ١٩٧٧، ثم اغتياله.فقد تمّت عقب هذه الحادثة محاكمة شكري مصطفى وجماعته،حيث حكم بالإعدام ونفذ فيه (في ٣٠ مارس/آذار ١٩٧٨).

٢. تنظيم شباب محمد؛كانت تأثيرات سيد قطب حاسمةً في إلهام شخصيات وحركات جهادية مختلفة في مصر والعالم العربي والإسلامي.كان من هؤلاء مفكرٌ قادم، هذه المرة، من فلسطين، وهو الدكتور صالح سرية[٧١]، الذي ارتبط بصلات مع

---

(٦٩) انظر: نبيل شرف الدين، حكايات نساء الإرهاب من القاهرة إلى كابول :قصة المرأة التي شاركت في اغتيال السادات، موقع إيلاف، ١٤ يونيو ٢٠٠٥، على الرابط:
http://elaph.com/Web/Reports/2005/6/69163.htm?sectionarchive=Reports

(٧٠) انظر: جيل كيبل، النبي والفرعون، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٧١) صالح سرية (١٩٣٧ ـ ١٩٧٦)، فلسطيني ولد في قرية إجزم قضاء يافا في فلسطين عام ١٩٣٧، وعاصر أحداث أيلول في الأردن ١٩٧٠، التي أسفرت عن خروج التنظيمات الفلسطينية من الأردن، واستقرارها في بيروت، بعد صدام مسلح، ولم يشارك سرية في هذه الأحداث، ثم انتقل بعدها إلى العراق ونشط مع جماعة الإخوان المسلمين هنا، حيث فر منها إلى مصر سنة ١٩٧١، هرباً من حكم غيابي بالإعدام، على خلفية اتهامه بتكوين خلية لحزب التحرير، ومناهضة النظام

الإخوان في العراق، وعمل منذ استقراره في مصر عام ١٩٧١على الاتصال برموز الإخوان من أمثال السيدة زينب الغزالي والأستاذ حسن الهضيبي، بحسب الظواهري[٧٢]. ويبدو أن قيادة الإخوان التي أصبحت على علاقة جيّدة بالسلطة حينها لم تكن متفقة مع نهج سرية الانقلابي[٧٣]. ففي اللقاء السري في القاهرة مع القيادية الإخوانية زينب الغزالي، دار الحديث بينهما حول خيبة أمل سرية من ميول الإخوان الدعوية واستبعادهم لـ"القوة" من نشاطهم؛ وقد كان ذلك في ١٩٧١، أي في أعقاب تولي الرئيس المصري الراحل أنور السادات الحكم وإفراجه عن القيادات الإخوانية من سجون سلفه جمال عبد الناصر. لكن الخلاف بين سرية وجماعة الإخوان في مصر لم يؤدِّ إلى انعدام الودّ بين الطرفين، وبقي سرية يتردد على منزل الغزالي في الوقت الذي كان يباشر فيه بناء تنظيمه السري. وقد دفع هذا الأمر الكثير من الباحثين إلى ربط تنظيم "الفنية العسكرية" بالإخوان المصريين، الذين دافع سرية عن براءتهم أمام محكمة

الحاكم، وفي مصر عمل في مقر جامعة الدول العربية، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، وقد أسس سنة ١٩٧٣، تنظيم "شباب محمد"، الذي عرف باسم "الفنية العسكرية"، ودبر انقلاباً فاشلا في ١٨ نيسان/ إبريل ١٩٧٤، وقد أصدرت المحكمة في٣١ أيار/ مايو١٩٧٥ حكما بإعدام سرية وكارم الأناضولي وحكم بسجن ٢٩ عضواً وبراءة ٦٠ آخرين، ونفد حكم الإعدام سنة ١٩٧٦، ولا صلة له تنظيميا بحزب التحرير، وإن كان قد اطلع على تراث الشيخ تقي الدين النبهاني.

(٧٢) أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، مؤسسة السحاب، الطبعة الأولى، ص ١٥.

(٧٣) يقدم طلال الأنصاري وهو ثالث أهم الشخصيات في تنظيم الفتية العسكرية بعد سرية وكارم الأناضولي رواية مغايرة حول علاقة الإخوان بـ"الفنية"، حيث يقول في شهادته: "نزل صالح سرية على إخوان القاهرة وتعددت لقاءات سرية بالمرشد حسن الهضيبي، وقد أخبرنا هو شخصياً بأنه عرض على المرشد أفكاره وآراءه من خلال مذكرة مكونة من ٥٠ صفحة تتضمن فكرة بداية وعهد جديد للإخوان، ومنهج جديد للإخوان، والتحول من إطار المهادنة إلى المواجهة مع الأنظمة الحاكمة كمقدمة للوصول للسلطة، وأكد لنا سرية أن المرشد الهضيبي وافق على وجه العموم على ما جاء بالمذكرة، وقد أنكر سرية كل تلك المعلومات في التحقيقات التي أجريت معه، بل وذكر عكسها تماماً حفاظاً على الجماعة واستمرارها وحتى لا يزج بها في القضية". انظر: مختار نوح، الشهادة العكسية لطلال الأنصاري، المصريون، ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٩، على الرابط: http:// www.masress.com/almesryoon/20137 .

أمن الدولة أثناء محاكمته[٧٤].

عمل سرية على إنشاء جماعة جهادية باسم "شباب محمد"، وقد عرفت باسم "الكلية الفنية العسكرية"، التي كانت نقطة الارتكاز في الانقلاب الفاشل، حين نفذت عملية الهجوم على الكلية (الفنية العسكرية) على مرحلتين في ١٨ نيسان/ إبريل ١٩٧٤، لكنها مُنيت بالفشل، واعتقل جميع المشاركين فيها[٧٥].وقد كانت جماعة سريّة ذكورية بامتياز، ولم تستدخل النساء في عضويتها،وتمتعت بسِريّة تنظيمية محكمة. لم يترك سرية تراثاً فكرياً ضخماً، ولكنه وضع خلاصة أفكاره في وثيقة وحيدة بعنوان "رسالة الإيمان"، كتبها سنة ١٩٧٣.

يصف سرية رسالته بأنها " أول رسالة من نوعها في تشخيص الكفر الذي وقع فيه المسلمون، عن علم أو جهل، بسبب الظروف الجديدة التي وقعوا فيها". ويصف المشكلة المعاصرة في المجتمع بـ"الردة الجماعية"، ويحدد الأساس المنهجي الذي يسمح بتكفير الدولة، وتجهيل المجتمع، إذ تبدأ الرسالة بمعاينة الواقع لتحديد الهوية، باعتبارها رسالة "إيمان"[٧٦]. ويؤكد سرية على أن السبيل الوحيد لتغيير الحكم "الكافر" هو الجهاد، إذ يقول "فالجهاد لتغيير هذه الحكومات وإقامة الدولة الإسلامية، فرض عين على كل مسلم ومسلمة، لأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة"[٧٧]. كما أن الجهاد الذي يحدده بالانقلاب "هو الطريق لإقامة الدولة الإسلامية، لأنه لا يجوز موالاة الكفار والأنظمة الحاكمة"[٧٨]. وقد أرست رسالة الإيمان قواعد جديدة للنظر السلفي الجهادي، سوف تتبلور بشكل كبير مع "جماعة الجهاد"، في تحديد معنى دار الإسلام والكفر.

---

(٧٤) انظر: حازم الأمين، باكورة "الجهاد العالمي"، كلمن فصلية ثقافية، ربيع ٢٠١٠، على الرابط: http://www.kalamon.org/articles-details-12

(٧٥) أنظر: رفعت سيد أحمد، النبي المسلح: الثائرون، مرجع سابق، ص ٨١- ٨٢.

(٧٦) صالح سرية، رسالة الإيمان، اتحاد طلاب كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٨.

(٧٧) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٧٨) صالح سرية، رسالة الإيمان، المصدر السابق، ص ٢٨.

٣.الجماعات الجهادية المحلية؛شهدت أواخر السبعينيات، وبداية الثمانينات من القرن المنصرم صعود عدد من الجماعات الجهادية الإسلامية الراديكالية المحلية في العالم العربي بمكونات ذكورية، إذ لم تستدخل هذه الحركات النساء في صفوفها. فظهرت "الطليعة المقاتلة" في سوريا، بزعامة مروان حديد[٧٩]، واصطدمت مع النظام الحاكم. وفي الجزائر، ظهر تنظيم سلفي جهادي بقيادة مصطفى بويعلى، وفي المغرب برزت أفكار عبد الكريم مطيع و"حركة الشبيبة"، وظهرت في السعودية جماعة جهيمان العتيبي، التي سيطرت على الحرم المكي عام[٨٠]١٩٧٩.

حافظت الجماعات الجهادية على استبعاد النساء من هياكلها التنظيمية العسكرية وتمسكت بأدوار المرأة التقليدية المتعلقة بالإنجاب وتربية الأطفال والعناية بالأسرة، وبقيت المرأة مستبعدة على صعيد الخطاب والممارسة الجهادية، وإن كانت مستهدفة كثيمة أساسية في الصراع على هوية المجتمع.فمع تطور وانتشار الجماعات الجهادية في مصر وفي مقدمتها جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية،كان حضور المرأة واضحاً على صعيد الخطاب الإيديولوجي والممارسة العملية.إلا أنّ المساهمة النظرية الأبرز في التنظير لأفكار الجماعات السلفية الجهاديةفي نهاية سبعينيات القرن الماضي،كانت تلك التي قدمها أمير جماعة الجهاد محمد عبد السلام فرج[٨١]، في كتابه " الجهاد: الفريضة الغائبة"(بداية ١٩٨١)، الذي كتبه على وقع توقيع اتفاقية السلام

---

(٧٩) حول تجربة "الطليعة المقاتلة" في سوريا، انظر: فادي شامية، الإخوان المسلمون والطليعة المقاتلة والعلاقة مع السلطة، ضمن الإخوان المسلمون في سوريا، مؤلف جماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الثاني والثلاثون، أغسطس/اب ٢٠٠٩، ص ١٥٢ – ١٨١.

(٨٠) لمزيد من التفصيل حول حركة جهيمان، انظر: توماس هيغهامر وستيفان لاكروا، حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة، ترجمة د. حمد عيسى، منتدى المعارف، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٣.

(٨١) محمد عبد السلام فرج (١٩٤٢ ـ ١٩٨٢) مصري الجنسية، من مواليد "قرية الدلنجات محافظة البحيرة"، وقد تخرج من كلية الهندسة، جامعة القاهرة، وعمل في الجامعة نفسها، وتولى منصب أمير تنظيم الجهاد في مصر منذ عام ١٩٧٩، واستطاع أن يضم خالد الإسلامبولي لتنظيم الجهاد عام ١٩٨٠، وقام بالتخطيط معه لاغتيال الرئيس السادات في ٦ تشرين أول/ أكتوبر عام ١٩٨١، وقد أعدم فرج في نيسان/ إبريل عام ١٩٨٢.

بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩، والذي يعتبر الأساس النظري الذي مهد لاغتيال الرئيس المصري أنور السادات (في ٦ تشرين أول/ أكتوبر ٩٨١١)، وقدخلا الكتاب من ذكر أي دور للمرأة.

إنّ أحد أهم أطروحات فرج في كتابه هو اعتبار الجهاد من الفروض العينية الغائبة وليس من فروض الكفاية؛ وهو طرح مغاير للأدبيات الفقهية التقليدية وللأفكار الجهادية الحديثة التي التزمت بمفهوم الطليعة القطبي. ويشدد فرج في كتابه على مسألتين أساسيتين وهما : كفر الدولة القائمة حالياً، في أي مكان من الدول العربية والإسلامية، ووجوب القتال باستحضار ركن "الجهاد"، باعتباره الوسيلة الشرعية الوحيدة القادرة على إحداث التغيير المنشود[٨٢]. وتكمن أهمية فرج في توسيع مصادره المرجعية التاريخية إذ يستند في معظم استدلالاته وبراهينه على نصوص السلفية التاريخية وخصوصاً ابن تيمية وابن القيم.ويعتبر فرج أول من تحدث عن مفهوميّ **العدو القريب، والعدو البعيد**[٨٣]. ورغم تأكيده على أنّ الجهاد فرض عين على كل مسلم ضد الحكام في العالم الإسلامي، بصيغة تعميمية، إلا أن خطابه بقي محصوراً بالرجال[٨٤].

يمكن القول بأن جماعة الجهاد كانت جماعة نخبوية ذكورية، تتفق مع منظورات "الطليعة" القطبية، نظراً لطبيعة نهجها الانقلابي العسكري، ومن ثمّ فإنّها تختلف عن حالة "الجماعة الإسلامية"، التي بدأت كحركة إحيائية ثمّ تحولت إلى جماعة جهادية، على الرغم من حدوث تداخل وتشابك بين الجماعتين على مدى أكثر من عقدين من الزمن. فقد تأسست "الجماعة الإسلامية"، من عدة تنظيمات ظهرت في الجامعات المصرية مطلع السبعينيات من القرن المنصرم، وقد شهدت الجماعة نمواً، وانتشاراً مطرداً في الجامعات، إذ بدأت كجماعة سلفية تقليدية إحيائية، تركّز على الرموز والشعائر وتصفية الاعتقادات والعبادات من البدع لحماية الهوية،وبين (١٩٨٠ ـ ١٩٩٦) سيطرت الجماعة إلى جانب الإخوان على اتحادات الطلبة في معظم

(٨٢) محمد عبد السلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، منبر التوحيد والجهاد، ص ١٠.

(٨٣) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٨٤) المرجع السابق، ص ٢٧.

الجامعات.

كان الخطاب الإحيائي للجماعة والإخوان فعّالاً في حشد وتعبئة النساء، فانتشرت ظاهرة "عودة الحجاب" في صفوف الطالبات كرمز وعلامة على انبعاث الهوية الإسلامية وكدلالة على الالتزام بكافة أحكام الشريعة.فلم يعد الحجاب مجرد لباس أو زيّ، بل أصبح أيقونة تستدعي مرجعيتها القيمية كلها، بدءا من طريقة السلوك (الحياء، الطاعة، عدم سفر بغير محرم، عدم جواز المصافحة باليد على غير المحرم، القرار في البيت، انتظار الزوج الغائب، وتحبّيذ ألا تتزوج المرأة حتى تتيقن من موته، الكفّ عن استخدام اليد اليسرى، الابتعاد عن وسائل الاتصال المسموعة أو المقروءة أو المرئية،إلخ.)، مروراً بطريقة الحديث والتعبيرات الجسدية وأسلوب العبادة وانتهاء بالحياة الجنسية، وكلها دوالّ تسجل شيفرات النظام البطريركي عليها[٨٥].

لا يقتصر ارتداء الحجاب على كونه مظهراً للتدين العام، بل يكشف عن السلطة المرجعية المهيمنة على الجسد،إذ فضّلت عضوات "الجهاد" و"السلفيين" و"التبليغ" و"الناجين من النار" و"التكفير والهجرة" النقاب، فيما آثرت عضوات "الإخوان المسلمين" و"الجماعة الإسلامية" و"الشوقيين" الحجاب العادي (غطاء الرأس).

لم يكن للجماعة الإسلامية، المتداخلة مع الإخوان قبل عام ١٩٨١، أي أدبيات مستقلة، وكان يغلب على فكر الجماعة الطابع السلفي، ثم بدأت تحدد معالم فكرها عبر مجموعة من المنشورات والكتب، أهمها "ميثاق العمل الإسلامي"، الذي يعتبر دستور عمل الجماعة، ويخلو من ذكر أي دور للمرأة في الجهاد.الأمر الذي يتكرر في كافة إصدارات الجماعة، مثل كتاب"أصناف الحكام وأحكامهم" للشيخ عمر عبد الرحمن، وبحث في "حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام"، ووثيقة "حتمية المواجهة"، ومرافعة الشيخ عمر عبد الرحمن التي نشرت في كتاب بعنوان "كلمة حق"، ووثيقة "إله مع الله: إعلان الحرب على مجلس الشعب"، ووثيقة " فلسفة المواجهة".

(٨٥) انظر: د. محمد حافظ دياب، الحجاب والاختلاف، مركز الكلمة، ٦ يناير ٢٠٠٣، على الرابط: http://alkalema.net/articl/alhegab.htm.

على الرغم من عدم استدخال المرأة في هيكل التنظيمات الجهادية بشكل مباشر إلا أن النساء لعبن أدواراً لوجستية غير قتالية بحكم صلات القرابة وشبكات المصاهرة والنسب، وقد اعتقلت أجهزة الأمن المصرية خلال عمليات المواجهة مجموعة من النساء "المتطرفات" وبحسب التحقيقات الرسمية مع المعتقلات فإن "المتطرفات" لم يشاركن الرجال، بشكل عام، في تنفيذ الأعمال الإرهابية، سواء أكانت اغتيالات أو تفجيرات أو هجمات على السياح، بل كانت مهمة المتطرفات تتضمّن التستر على الفارين من قبضة الشرطة ونقل التكليفات من القيادات إلى الأعضاء ونقل الأموال وقطع السلاح بين المحافظات. وقد أكدت المصادر الأمنية على أن أعداداً كبيرة من النساء أصبحن يحملن الفكر المتطرف ويقتنعن به ويعملن على تمريره ونشره بين أفراد الأسرة وفي المجتمع المحيط بهن[٨٦].

وعلى الرغم من الأدوار التقليدية للمرأة في صفوف الجماعات الجهادية المصرية، فقد شهدت مصر حادثة وحيدة شاركت فيها نساء في أعمال قتالية، ضمن خلية جهادية منفردة لا ترتبط بالجماعات الجهادية المعروفة، تأثرت بنهج الزرقاوي بعد احتلال العراق ونهج حركة حماس في الانتفاضة الفلسطينية الثانية ففي ٣٠ نيسان/ إبريل ٢٠٠٥نفذت الخلية ثلاث هجمات، وأظهرت التحقيقات طبيعة الخلية التي تقوم على نوع من "الجهاد العائلي"عبر روابط القرابة والمصاهرة، إذ قامت فتاتان منقبتان بإطلاق النار على حافلة سياحية بمنطقة السيدة عائشة، كانت تقل سياحاً إسرائيليين يقومون بجولة في منطقة مصر القديمة، ولم تسفر العملية عن أي إصابات. وتبيّن بأن المهاجمتين نجاة يسري ياسين (٢٢ عاما) وإيمان إبراهيم خميس (١٩ عاما)، هما شقيقة إيهاب ياسين؛ نجاة، وخطيبته؛ إيمان،في حين نفذ إيهاب هجوماً متزامناً آخر. وبحسب المصادر الأمنية والقضائية فقد قامت نجاة بعد العملية بإطلاق النار

(٨٦) لمزيد من التفصيل حول طبيعة الأدوار اللوجستية للمرأة داخل الجماعات الجهادية خلال هذه الحقبة في مصر والاطلاع على بعض القضايا والاتهامات والأحكام، انظر: "الوسط" تجري تحقيقاً حول ظاهرة جديدة ومهمة وتحاور مجموعة من المعتقلات في السجون المصرية:المتطرفات، الحياة ١٩٩٣، على الرابط:
http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Wasat%20
magazi

على إيمان فقتلتها قبل أن تطلق النار على نفسها، عندما حاصرها رجال الشرطة لتلفظ أنفاسها الأخيرة في المستشفى[٨٧].

على خطى الجماعات الجهادية المصرية، كانت الجماعات الجهادية الأخرى التي ظهرت في العالم العربي ذكورية أيضاً،إذ اقتصرت أدوار النساء فيها على الدعم والإسناد، بحكم صلات القرابة والنسب.فعقب حظر السلطات العسكرية في الجزائر للجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد فوزها بالانتخابات التشريعية، قامت السلطات بحلّ كافة المجالس المحلية التابعة لها، وشنت حملة اعتقالات واسعة لقمعها بداية سنة ١٩٩٢، وقد شملت الاعتقالات زعيم الجبهة عباسي مدني ونائبه علي بن حاج،مما أدى إلى ظهور حركات جهادية عديدة،كان أبرزها الجماعة الإسلامية المسلحة، التي تشكلت عقب الانقلاب، ثم تحولت إلى الجماعة السلفية للدعوة والقتال في آب/أغسطس ١٩٩٨ كمحاولة تصحيحية[٨٨].

كانت أدوار النساء محدودة ولا تتجاوز بعض الأدوار اللوجستية بحكم علاقات القرابة، كما تشير حالة أحد الذين دخلوا في برنامج المصالحة عندما قام بتسليم نفسه، إذ قام التلفزيون الجزائري الرسمي ببث صورٍ لناشط سابق في الجماعات المسلحة – الذي التحق بالجماعات الإرهابية سنة ١٩٩٥– بعد تسليمه نفسه، برفقة ثلاث نساء، هن ابنة خالته وابنتاها. وذكر البيان أنّ "ابنة خالته المولودة سنة ١٩٧٠ قد تلقّت تعليماً دراسياً محدوداً، والتحقت برفقة عائلتها بالجماعات الإرهابية سنة ١٩٩٤ في جبل القروش في ولاية جيجل شرقي الجزائر، وابنُتها الكبرى من إرهابي مقبوض عليه، من مواليد ١٩٩٦ في جبل القروش ودون مستوى دراسي، أما ابنتها الثانية فهي من إرهابي آخر توفّي، وهي من مواليد سنة ١٩٩٨ في جبل القروش ودون

(٨٧) انظر:الأمن المصري يواصل الملاحقات ويؤكد ارتباط الهجمات الثلاث، الجزيرة نت، ١ مايو ٢٠٠٥، على الرابط:
goo.gl/ZBmLyB

(٨٨) للمزيد من التفصيل، انظر: لياس بوكراع، الجزائر: الرعب المقدس، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

مستوى دراسي أيضاً"[٨٩].

في سياق إدراك أهمية المرأة ودورها كتب علي بن حاج من سجنه عام ١٩٩٣ رسالة بعنوان "دور النساء في الجهاد في سبيل الله" أكد فيها على الأدوار اللوجستية غير القتالية، افتتحها بـ"**هذه المقالة المتواضعة موجهة لكل مسلمة – أماً، وزوجة، وأختاً – تبصِّرها بدورها في العمل الإسلامي الخاص بالجهاد في ظل الظروف التي تمر بها الحركة الإسلامية بعد أن طغى النظام واستخدم كل وسيلة جهنمية لقهر المسلمين. ولا يمكن – والحالة هذه – أن تبقى الأخت المسلمة بعيدة عن المشاركة في مساندة إخوانها المسلمين، غير أنه لا بد من معرفة حدود هذه المشاركة لأنه – فعلاً – كما تقرر أن النساء شقائق الرجال، ولكن هذا ليس على إطلاقه، وليكن في منتهى علم الأخت المسلمة؛ أن هذه المقالة تعالج جملة النقاط التي من خلالها تدرك مجالات عملها ومشاركتها في العمل الجهادي بمفهومه الواسع، والخاص بالمرأة المسلمة**"[٩٠].

وفي ليبيا غابت المرأة عن صفوف "الجماعة الإسلامية المقاتلة" التي ظهرت عام ١٩٨٩، ولم تدخل الجماعة في مواجهات مع قوات الأمن،على خلاف المصريين والجزائريين، ولم تخرج للعلن إلا في عام ١٩٩٥ عندما اكتشف الأمن الليبي عدداً من خلاياها فاضطرت الجماعة إلى الإعلان عن نفسها؛ حتى لا تستغل جماعات معارضة أخرى عملياتها إعلامياً وتنسبها إلى نفسها. أما قبل ذلك فقد كان المقاتلون الليبيون يتوجهون صوب الجزائر منذ ١٩٩٣ [٩١].

---

(٨٩) انظر: يقين حسام الدين، الجزائر: مسلح و٣ نساء بجماعات إرهابية يسلمون أنفسهم للسلطات، العربي الجديد، ٢٨ أغسطس ٢٠١٥، على الرابط: https://goo.gl/BE4hrH

(٩٠) انظر: علي بن حاج، دور النساء في الجهاد في سبيل الله، منبر التوحيد والجهاد، ص١.

(٩١) انظر: كميل الطويل، القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ٢٣١ - ٢٧٣.

المرأة خلال حقبة الجهاد التضامني "الأفغاني"

خلال حقبة الجهاد الأفغانية التي بدأت عام ١٩٧٩ ضد النظام الأفغاني الموالي للاتحاد السوفييتي آنذاك، ازدهر الجهاد التضامني للدفاع عن البلدان الإسلامية التي تتعرض لعدوان خارجي باعتباره فريضة شرعية واجبة.فقد عملت القضية الأفغانية على استقطاب الجهاديين الذين اصطحبوا عائلاتهم من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي، فشكلت أفغانستان بيئة خصبة لولادة رموز الجهادية العالمية، أمثال عبد الله عزام، وأيمن الظواهري، وأسامة بن لادن، وأبو محمد المقدسي، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو مصعب الزرقاوي، وأبو مصعب السوري، وعبد القادر عبد العزيز، وغيرهم[٩٢].

استقطب الجهاد الأفغاني رموز ومنظري السلفية الجهادية، وفي مقدمتهم د.عبد الله عزام[٩٣]، وأسامة بن لادن. وكان أيمن الظواهري، وبقية شيوخ السلفية الجهادية قد

(٩٢) اندلعت الحرب الأهلية الأفغانية في ظل أجواء الحرب الباردة بين قطبي الصراع العالمي الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، وشكلت جبهة أفغانستان أحد أهم جبهات الصراع، الأمر الذي ساهم في تأسيس شبكات إسناد جهادي مدعومة من الولايات المتحدة وحلفائها من الأنظمة العربية والإسلامية. ولم تكن الجهادية العالمية تتوافر آنذاك على رؤية معادية للولايات المتحدة، بل كانت تربطها علاقات ودية وتعاون وثيق مع الولايات المتحدة، وخصوصاً عبدالله عزام وأسامة بن لادن.

انظر: ستيف كول، آل بن لادن: وعالم النفط والمال والإرهاب، ترجمة إيمان عبد الغني نجم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص ٤٠٠.

(٩٣) عبد الله عزام (١٩١٤ ـ ١٩٨٩)، ولد في فلسطين في قرية سيلة الحارثيّة، من أعمال مدينة جنين، سنة ١٩١٤، وتلقّى علومه الابتدائيّة والإعداديّة في مدرسة القرية، وقد تابع دراسته الجامعية في جامعة دمشق- كلية الشريعة، وحصل على شهادة الليسانس في الشريعة. وعقب حرب سنة ١٩٦٧ جاء إلى الأردن، ثم عمل في السعودية مدرسًا لمدة عام، وساهم في إنشاء "قواعد(معسكرات) الشيوخ" بين أعوام ١٩٦٨–١٩٧٠م، وهي قواعد عسكريّة أسسها الأخوان المسلمين، وشاركت في عِدَّة عمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي، وقد انتسب عزّام في هذه الأثناء إلى جامعة الأزهر، ونال شهادة الماجستير في أصول الفقه عام ١٩٦٨، حيث عمل بعد ذلك محاضراً في كلية الشّريعة في عمان بين عامي ١٩٧٠– ١٩٧٥، ثم أوفد إلى القاهرة للحصول على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه، وقد حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣.

تقاطروا من كافة البلدان العربية إلى أفغانستان مع عائلاتهم، وباشروا تأسيس معسكرات خاصة بهم، لتتشكّل بذلك ظاهرة "الأفغان العرب"، التي تمثل أحد أهمّ العوامل التي ساهمت في تنامي الجهاديّة العالمية. فقد استقطب الجهاد الأفغانيّ آلاف الشباب العرب في مجالات الإغاثة والقتال، الذين عادوا لاحقاً إلى بلدانهم الأصلية مشبعين بفكر سلفيّ جهاديّ.

أسس عبد الله عزام "مكتب الخدمات" (في تشرين أول/ أكتوبر ٤٨٩١)، وكان المكتب يقوم بمهمات إغاثيّة وإصلاحية و دعوية٩٤،وقد تّم ذلك بالتعاون مع أسامة بن لادن، الذي أنشأ في الوقت نفسه "بيت الأنصار" في مدينة بيشاور الباكستانيّة. وقد تعاون الرجلان في بداية الأمر على توزيع الأدوار بينهما، ولم يستدخلا النساء في أنشطتهم.

لكن على الرغم من كثرة المتطوعين العرب في أفغانستان -بحسب المنظر والمؤرخ الجهادي أبو مصعب السوري- إذ "بلغ عدد المتطوعين في الجهاد الأفغاني من العرب والمسلمين حتى سقوط كابل ١٩٩١م حوالي ٤٠ ألفًا"[٩٥]، إلا أن معظمهم كانوا يؤدّون مهام إغاثية غير قتالية. ويؤكد أبو مصعب السوري على أنه"لم يزيد عدد من دخلها [أي أفغانستان] للهجرة والجهاد على ١٥٠٠ مجاهد، منهم نحو ٣٠٠ مجاهد

عمل مدرسًا في الجامعة الأردنية -كلية الشريعة - من سنة ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٨٠، ثمّ فُصل منها سنة ١٩٨٠، وغادر إلى السعودية للعمل في جامعة الملك عبد العزيز في جدة عام ١٩٨١، انتقل للعمل في الجامعة الإسلامية الدولية في إسلام أباد في الباكستان، وفي بيشاور انضم إلى العمل الجهادي، وقام بتأسيس "مكتب الخدمات" عام ١٩٨٤م، والذي كانت مهمَّته تكمن في توجيه الرَّاغبين من العرب لخدمة الجهاد الأفغانيّ، وأصبح خلال هذه الفترة أحد أهم المنظرين للحركة الجهاديّة، وعمل على إصدار مجلة "الجهاد"، ونشرة "لهيب المعركة". اغتيل بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٤ في ظروفٍ غامضة.

(٩٤) باسل محمد، صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان، شركة دار العلم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٩١، ص ٩٩.

(٩٥) انظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، منبر التوحيد والجهاد، الجزء الأول، ص٨٩٦.

بأسرهم"[٩٦].

وعلى الرغم أيضاً- من الدور الجهادي المحوري لعبد الله عزام – على صعيد التنظير والممارسة (حيث صنف أكثر من عشرين كتابًا ورسالةً في فضائل الجهاد وأحكامه منذ أن بدأ عام ١٩٨٢ بنشر مقالاته حول الجهاد الأفغاني في مجلة المجتمع الكويتية الإخوانية، والتي جمعت لاحقاً في كتاب بعنوان "آيات الرحمن في جهاد الأفغان"، ثم تأليفه لكتابه الهام "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان" عام ١٩٨٤)؛ إلا أن منظوره الأساسي للجهاد الهجومي كان ذكورياً، وينحصر في إطار الجهاد التضامني الذي يستند إلى مسألة "الجهاد الدفاعي".على أنّ عزام كان أكثر تساهلاً في مشاركة المرأة في الأعمال غير القتالية.

فتح عزام الباب لمن بعده للنظر والتوسع في دور المرأة في الجهاد، فعلى الرغم من تحفظه على الأدوار القتالية للمرأة في حال الجهاد الهجومي فقد كان حاسماً في حالة الجهاد الدفاعي،إذ أفتى بخروج المرأة للجهاد دون إذن زوجها أو وليها في حالة الاعتداء على الأمة، أو احتلال أراضي المسلمين فهو يقول: "**تكلّمنا طويلاً عن حكم الجهاد اليوم في أفغانستان وفلسطين، وفي كل ما شابهها من أراضي المسلمين المغتصبة، وأكدّنا ما قرّره السّلف والخلف من محدّثين ومفسرين وفقهاء وأصوليّين، أنه إذا اعتُدي على شبرٍ من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك البقعة، تخرج المرأة دون إذن زوجها**"[٩٧].

لكن عبدالله عزام كان يقيّد مشاركة المرأة والسفر بوجود مرافق من الذكور (محرم)، ويحصر دورها في مجال الأعمال اللوجستية غير القتالية. وقد كان عزّام يستند في رأيه بعدم مشاركة المرأة في الأعمال القتالية إلى العرف السائد، فهو لا يؤيد مشاركة العربيات في القتال لأن الأفغانيات لا يقاتلن،إذ يقول"**النساء العربيّات لا يجوز لهنّ أن يأتين بدون محرم، وعملهن مختصٌ بالتّعليم أو التّمريض أو إغاثة المهاجرين، وأما القتال فلا تستطيع العربيّات القتال، لأنّ المرأة الأفغانيّة حتى الآن لم**

(٩٦) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٩٧)عبد الله عزام، إلحق بالقافلة، مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي، بيشاور، ص٤٥. وعبد الله عزام، الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان،ص١٩.

تقاتل"[٩٨].

وفي وصيته الأخيرة شدد عبدالله عزام على الأدوار التقليدية للمرأة في الجهاد كمربية للجهاديين وصابرة على صعوبة العيش وضرورة الزهد، فهو يقول "**يا معشر النساء:إياكن والترف، لأن الترف عدو الجهاد، والترف تلف للنفوس البشرية، واحذرن الكماليات واكتفين بالضروريات، وربين أبناءكن على الخشونة والرجولة وعلى البطولة والجهاد، لتكن بيوتكن عريناً للأسود. وليس مزرعة للدجاج الذي يسمن ليذبحه الطغاة، اغرسن في أبنائكن حب الجهاد وميادين الفروسية وساحات الوغى، وعشن مشاكل المسلمين وحاولن أن تكن يوماً في الأسبوع على الأقل في حياة تشبه حياة المهاجرين والمجاهدين، حيث لا يتعدّى الإدام الخبز الجاف وجرعات من الشاي**"[٩٩].

ركز عزام جهوده بداية- على دعم الفصائل الجهادية الأفغانية بالتعاون مع مؤسسات إغاثية ودعوية عربية وإسلامية؛ كرابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجمعية الهلال الأحمر السعودي، وذلك من خلال جمع الأموال وتجنيد المتطوعين والقيام بالأعمال الإغاثية الإنسانية كالرعاية الصحية وكفالة الأيتام، والتعبئة الإعلامية الجهادية،فأصدر مكتب الخدمات مجلة "الجهاد"[١٠٠]. وقد خلت المجلة من باب خاص بالمرأة على خلاف ما سنراه في مجلات جهادية لاحقة. وتحت ضغط الجهاديين الراغبين بتأسيس معسكرات خاصة لا ترتبط بالفصائل الجهادية الأفغانية، وخصوصاً بن لادن، أسّس عبد الله عزام معسكر "صدى" للمقاتلين العرب في منطقة القبائل الباكستانيّة قرب الحدود الأفغانيّة وهي معسكرات خاصة بالرجال.

في سياق الاحتفاء بدور المرأة المساند في الجهاد التضامني برزت نماذج نسائية محدودة سوف تصبح مثالاً وقدوة في المشاركة والتضحية. فبحسب يوسف العييري

(٩٨) عبد الله عزام، الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان، مرجع سابق.

(٩٩) عبدالله عزام، وصية الشهيد عبد الله عزام، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_٩٠٨٢.html .

(١٠٠) صدر العدد الأول من مجلة "الجهاد" في كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٤، ووصلت إصداراتها إلى ستين عدداً.

تعتبر أم عمر المكية "**من نماذج السعي لنصرة الدين والتقديم له في عصرنا؛ تلك العجوز التي عاهدت الله على أن تنصر الجهاد الأفغاني بكل ما تملك فأرسلت ولدها، وعملت هي في مكة على تحريض النساء على الجهاد ودعمه، حتى أنها كانت ترسل الأطعمة التي تصنعها في بيتها للجبهات في أفغانستان. وذات يوم عزمت على زيارة أفغانستان للقاء نساء المجاهدين ومؤازرتهن، وبعد أن حضرت أصرت على الدخول إلى الجبهة وحاول المجاهدون ثنيها لخطورة الوضع ولكن دون جدوى، فقد أقسمت أن ترمي العدو بسلاحها، فاستجاب لها الأخوة وركبت السيارة مع ابنها ودخلت إلى الجبهة كل ذلك لتشهد العدو بنفسها وتحقق أمنيتها وتبر بقسمها وتطلق على العدو في سبيل الله. وتحققت أمنيتها ووقفت خلف راجمة الصواريخ وقصفت العدو بعدة قذائف، وأما أم سراقة فقد دفعت ابنها إلى الجهاد في أفغانستان، وكذلك أم غضنفر التي دفعت ابنها الوحيد الأكبر إلى الذهاب إلى الجهاد في أفغانستان لكي يرزقه الله الشهادة ليشفع لها**"[١٠١].

تؤكد أم محمد، سميرة عواطلة، زوجة عبدالله عزام، التي باتت تعرف بـ"أم المجاهدات في بيشاور" على الأدوار التقليدية للمرأة في حقبة أفغانستان باعتبارهن زوجات للمجاهدين يقمن بدور المساندة والتربية والرعاية،حيث قامت الزوجة برعاية "زوجات المجاهدين" وتعريفهنّ بحقيقة الجهاد وما يدور في الساحة. كما كانت تقوم بالاطلاع على مشاكل "المهاجرات الأفغانيات"بسبب الحرب؛ لأن طبيعة المخيمات كانت لا تسمح بالاختلاط بين الرجال والنساء. كما قامت مع "بعض الأخوات" بأعمال إغاثية، مثل توزيع المساعدات على مستشفيات النساء ببيشاور، وكفالة الأيتام، وإنشاء معامل الخياطة، وتنظيم بعض الدروس والحلقات للأخوات العربيات والأفغانيات. إذ تقول أم محمد "**كل من ذهب للجهاد الأفغاني كانت زوجته معه، وكانوا يتركون العوائل في بيشاور، وكنا جميعاً كعائلة واحدة. وكانوا ينظرون لي كأم**

(١٠١) انظر: يوسف بن صالح العييري، دور النســاء في جهاد الأعداء، منبر التوحيد والجهاد، ص ١٦، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9160. html

لهنّ. وكان هناك تنسيق مباشر مع زوجات المجاهدين"[١٠٢].

تتضافر الدلائل والشواهد على دور المرأة الثانوي في المجتمع الأفغاني المحافظ وحصر دورها في تدبير المنزل والتضامن، ولا تتوافر الادعاءات القائلة بمشاركة المرأة في الأعمال القتالية بمصداقية كافية.على أنّ ثمة إشارات على وجود أدوار لوجستية فردية غير منظمة للمرأة، فقد ادّعت إحدى النساء، التي أطلقت على نفسها قائدة مجاهدات القاعدة وتكنى بـ"أم أسامة"، أن المرأة في الجهاد الأفغاني شاركت في عمليات قتالية وقامت بأدوار أخرى تتضمن نقل الرسائل والتحذيرات بين القادة، وتهيئة الأماكن لتخبئة المجاهدين أثناء العمليات، إلا أنّ الحقائق والوقائع لا تسند هذا الادّعاء[١٠٣].ففي سياق الاحتفاء بدور المرأة في الجهاد كتبت الناشطة الجهادية "أريج الجهاد"سلسلة من القصص لنماذج جهادية نسائية، خلال هذه الحقبة، ولم تتجاوز في حديثها عن تلك النماذج الحديث عن مساندة المرأة للجهاديين وصبرها على صعوبة العيش ومعاناة الهجرة، والزهد[١٠٤].

على الرغم من بروز جيل جديد من المنظرين الجهاديين خلال هذه الحقبة، أمثال أبو محمد المقدسي وأبو مصعب السوري وعبد القادر عبد العزيز وأبو قتادة الفلسطيني وغيرهم، وتطوير خطاب جهادي يستند إلى تراث الوهابية والقطبية بتركيزه عن إحياء التوحيد وعودة الخلافة وركن الجهاد، وتوسعه في مصطلحات ومفاهيم مفتاحيّة تؤسس لهُوُيتها وإيديولوجيتها وخطابها؛ كالحاكميَّة، والجاهليَّة، والإيمان

---

(١٠٢) انظر: مريم السيد هنداوي، سميرة عواطلة: أم المجاهدات في بيشاور، حوار، مجلة المجتمع، ١٨ أكتوبر ٢٠٠٧، على الرابط: http://www.fin3go.com/newFin/main/topicpreview.php?ditopicid=1607&action=3 .

(١٠٣) انظر: محمود خليل، قائدة مجاهدات "القاعدة": نبني تنظيما نسائياً سيقوم بعمليات تفجيرية تنسي أميركا اسمها، حوار، الشرق الأوسط، ١٢/ مارس/ ٢٠٠٣، على الرابط: http://archive.aawsat.com/details.asp?article=157364&issueno=8870#.WHOuf1N97IU .

(١٠٤) انظر: أريج الجهاد، سلسلة حفيدات صفية: أروع ست قصص للمجاهدات في هذا الزمان، ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٩، على الرابط: https://forums.graaam.com/241143.html .

والإرجاء، والطّاغوت، والولاء والبراء، والجماعة والطائفة، والنكاية والتمكين، إلا أن الخطاب المتعلق بدور المرأة ومشاركتها بقي ضمن الخطوط الأساسية التقليدية المتعلّقة بدور المساندة.

يؤكد المنظر الجهادي عبد القادر بن عبد العزيز[١٠٥] في كتابه "العمدة في إعداد العدة" (١٩٨٨)- الذي ألفه في أفغانستان بتكليف من جماعة الجهاد المصرية عندما كان مسؤولاً شرعياً للجماعة- على أدوار المرأة غير القتالية في الجهاد الهجومي ويجيز جهادها للضرورة، بإذن الأمير،في حالة الدفاع، ويقول "**الجهاد لايجب على المرأة في كل مواضع الجهاد العيني، وقد يجب في حالة واحدة وهي إذا ما دهم العدو بلداً وخلص إلى البيوت وإلى النساء، فللمرأة أن تقاتله دفاعاً عن نفسها وعمن معها.**

---

(١٠٥) عبد القادر بن عبد العزيز (١٩٥٠ ـ)، سيد إمام عبد العزيز الشريف، وله عدة أسماء حركية منها (الدكتور فضل)، ولد في ٨ آب/ أغسطس عام ١٩٥٠ في مدينة بني سويف شمال الصعيد، حفظ القرآن الكريم في طفولته. التحق بكلية الطب بجامعة القاهرة وتخصّص بالجراحة العامة، وتخرّج منها عام ١٩٧٤ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى. وقد تولى إمارة تنظيم الجهاد قبل عام ١٩٩٣م. واعتمد منهج السريّة بشكل كبير في كل أدواره وتحركاته لدرجة أنه كان أميراً لتنظيم الجهاد دون أن يعرف أغلب أعضاء التنظيم ذلك، ثم قدّم استقالته من إمارة الجماعة ومن تنظيم الجهاد عام ١٩٩٣م. وكان ضمن المجموعات الأولى، التي سافرت للمشاركة في الجهاد الأفغاني، أوائل الثمانينيات، على أنّه لم يخض حروبًا عملية؛ حيث كان دأبه يتركّز على التأليف والإرشاد الفكري للمجاهدين.

غادر سيد إمام باكستان عقب اعتقالات العرب الشهيرة في مدينة بيشاور عام ١٩٩٣م، متوجهًا إلى السودان حيث مكث بها قليلاً، وكان في هذه الفترة أميراً لتنظيم الجهاد ولكنه تركه بعد خلافٍ مع الظواهري. وسافر إلى اليمن أواخر حرب الانفصال عام ١٩٩٤، وقد ألقي القبض عليه بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، بتاريخ ٢٨ تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠١م، ومكث في سجن الأمن السياسي بصنعاء لمدة عامين وخمسة أشهر، ثمّ تم تسليمه إلى مصر في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠٠٤م، وتم الإفراج عنه بعد صدور مراجعاته الفكرية التي نشرت أولى حلقاتها في تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧، حيث جمعت لاحقاً في كتاب "وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم". وتولى الرد عيها أيمن الظواهري في كتاب بعنوان "رسالة في تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف. ومن أشهر مؤلفات عبد القادر عبد العزيز: العمدة في إعداد العدّة، و الجامع في طلب العلم الشريف.

ويجوز لها أن تخرج متطوعة في الغزو بإذن الأمير"[١٠٦].وهو الأمر الذي دفع عبد العزيز إلى الوصول إلى خلاصة مفادُها وجوب الاستعداد للجهاد بالتدرب على استعمال السلاح المستخدم في حماية النفس، "ويدربها زوجها أو محارمها أو امرأة مدربة"[١٠٧].

لا يخرج المنظر الجهادي البارز أبو محمد المقدسي[١٠٨]، في الحديث عن المرأة والجهاد عن الأطر التقليدية القائلة بأن مكان المرأة الأساسي هو البيت.ويحاجج بأن مكانة المرأة في الإسلام تتفوق على المنظورات الحداثية، ويؤكد على أدوارها في حمل راية الإسلام والدفاع عن أمّتها، فيقول "**والمتأمّل بتاريخ المسلمين يرى دور المرأة الفاعل في نصرة الدّين ورفع رايته، حيث اشتركت منذ فجر النُّبوة فكان أوّل من آمن بالنّبي صلى الله عليه وسلم وصدَّقه امرأة. وفي بيعة العقبة كانت المرأة مشاركةً، وفي قصة الهجرة كانت عونًا ودرءاً، وفي كثير من غزوات المسلمين وأيامهم كان للمرأة تواجدٌ ومشاركةٌ واضحة على مستوى المشورة وإعانة المقاتلين بصورٍ شتَّى، بل وبالقتال**"[١٠٩].

---

(١٠٦) انظر: عبد القادر عبد العزيز، العمدة في إعداد العدة، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص ٣٣.

(١٠٧) المرجع السابق، ص ٣٣.

(١٠٨) أبو محمد المقدسي (١٩٥٩ ـ)، عصام بن محمد بن طاهر البرقاوي، وكنيته أبو محمد، ويشتهر بالمقدسيّ، ويعود نسبه إلى عتيبة، من مواليد قرية برقة من أعمال نابلس في فلسطين. ولد في ٣ تموز/ يوليو ١٩٥٩، ثم انتقل وهو ابن ثلاث أو أربع سنين مع عائلته إلى الكويت حيث أكمل بها دراسته الثانوية، ثم درس العلوم في جامعة الموصل شمال العراق، وسافر إلى باكستان وأفغانستان عدَّة مرات، حيث برز توجهه السلفي الجهادي. وكتب في هذه المرحلة أول كتبه وأشهرها بعنوان: "ملّة إبراهيم"، واستقر في الأردن مع عائلته عام ١٩٩٢، بعد حرب الخليج الثانية. واعتقل أول مرة في الأردن عام ١٩٩٣ على خلفية الانتماء إلى تنظيم "بيعة الإمام"، وكان معه في التنظيم أبو مصعب الزرقاوي، وحكم عليه ١٥ سنة، إلا أنه خرج بعفوٍ ملكيّ في عام ١٩٩٩. وتعرض بعد ذلك لعدّة اعتقالات، واتهم بالانتساب إلى عدَّة تنظيمات، وقد أُفرج عنه مؤخراً. وتعتبر كتاباته مرجعًا للسَّلفية الجهادية العالمية.

(١٠٩) أبو محمد المقدسي، مشروع الشرق الأوسط الكبير، منبر التوحيد والجهاد، ص ٥١. على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_700.html .

يهاجم المقدسي القائلين بأن المرأة في الإسلام مضطهدة، ويعتبر بأن الدعوة لتحرير المرأة مرتبطة بأجندة تغريبية لنشر الرذيلة وتدمير الهوية، فبحسب المقدسي "**حقوق المرأة وترٌ آخر يعزف عليه أعداء الإسلام، فيدّعون أن المرأة مضطهدة، لا في بلاد المسلمين التي تخلّت عن شريعة الله، بل هي عندهم مضطهدة في الإسلام نفسه، مغلوبة على أمرها، مقهورة بالحجاب، محاصرة بقيود الطهارة وآصار العفاف، مظلومة بتعدّد الزوجات، ميراثها نصف ميراث الرجل، وليس لها حرية الزواج ممن يخالفها في الدين. ويطالبون بتحرّرها، أو قل: تحلّلها من الشّرائع التي يصفونها بالعادات والتّقاليد البالية**"[١١٠].

ويؤكِّد المقدسي على أن الغرب يسعى إلى إفساد الهوية الإسلاميّة عقب الصّحوة التي ظهرت وتحدّت الغرب فيقول "**معلومٌ أنهم لم ولن يرضوا إلا عن إسلام "مودرن" إسلام غربي متأمرك، ومن ثم فإنّ حربهم على هذه القطعة من القماش "الحجاب"؛ إضافةً إلى كونها حربًا على العفّة والطّهارة والفضيلة، هي في حقيقتها حربٌ على هذا الدّين الذي يأمر بهذه المحاسن، ويوجب الحجاب. . .وحقيقة الحجاب كما يقرؤه أعداؤنا إعلانٌ صريحٌ على رفض الانبطاح والخضوع لثقافةِ الغرب الفاجرة، وعولمته الكافرة السّاقطة. وهو يمثل بالنّسبة للمرأة المسلمة هويّتها الإسلاميّة التي تعتزُّ بها، وهو مؤشرٌ على العزّة والكرامة والكبرياء الإسلاميّ، والتَّحرر من رقِّ طاغوت الحضارة الغربيّة النَّجسة. . .إنّ الحجاب مؤشرٌ على صحوة الأمّة ونهضتها من سباتها وإعلانها رفض الانبطاح لحضارة الغرب الفاسدة أو السَّير في ركابها**"[١١١].

لا يختلف أبو قتادة الفلسطيني[١١٢]عن المقدسي في رؤيته المتعلقة بأدوار المرأة،

---

(١١٠) المرجع السابق، ص ٤٨.

(١١١) المرجع السابق، ص ٦٠.

(١١٢) أبو قتادة الفلسطيني (١٩٦٠ -)، عمر محمود عثمان أبو عمر، ولد في ١٣ ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٠، أردني من أصل فلسطيني، تعود جذوره إلى قرية دير الشيخ قضاء القدس، درس في الجامعة الأردنية –كلية الشريعة، وحصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة عام ١٩٨٣. بدأ حياته الدعوية في جماعة التّبليغ والدعوة، ثم انتقل إلى صفوف السلفية التقليدية، وعقب حرب

ويحاجج بأن مكانتها في الإسلام تتفوق على مكانتها في الغرب، فبحسب أبي قتادة فإنّ "**الله عز وجل فطر المرأة أن تجلس في البيت وأن تخدم الأولاد وأن ترعى الزوج**"[١١٣]، **ويتحدث عن الدور الذي لعبه أعداء الدين في إبعاد المرأة عن دينها, وعن حقيقة دورها, وتضييع حجابها وحيائها، وعن المخالفات التي تقع فيها كثير من النساء حتى من المتدينات.ثم يعرض نماذج نساء مؤمنات رضين بأن يربين أبناءهن على دين الله. حاكيًا قصصًا لنساء نبيلات من عصرنا, ونساء عظيمات من التاريخ.ويتحدث بعدها عن دور المرأة المهم في التربية؛ عن صناعة النساء للرجال، وتربية أبنائها على حب الجهاد والتضحية والشهادة في سبيل**[١١٤]، **ولذلك فقد أفتى أبو قتادة بعدم جواز هجرة المرأة للمشاركة في الجهاد دون إذن وليها وأجاز لها السفر للالتحاق بزوجها إذا كان ذلك مأموناً**"[١١٥].

على الرغم من تشديد أبي قتادة على أدوار المرأة التقليدية وعدم استدخالها في الأعمال القتالية المباشرة فقد أصدر إبان "العشرية الدموية" في الجزائر فتوى أباح فيها قتل أطفال ونساء قوات الأمن الجزائريّ بعنوان: "فتوى عظيمة الشّأن في مسألة قتل الذُّرية والنِّسوان، درءاً لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان"[١١٦].

الخليج الثانية ١٩٩١ غادر إلى ماليزيا، ومن ثم ذهب إلى باكستان حيث تبلور انتماؤه للسلفية الجهادية، وفي عام ١٩٩٣ استقر في بريطانيا كلاجئ سياسي. وفي لندن برز كمنظرٍ للسّلفية الجهادية، وأصدر نشرة "الأنصار" ، وهي نشرةٌ مخصّصةٌ لمساندة "الجماعة الإسلامية المسلحة" في الجزائر، وساهم في إصدار نشرة "الفجر" والتي ساندت "الجماعة الإسلاميّة المقاتلة" في ليبيا، ثم أصدر مجلة "المنهاج" المختصة في نشر تراث السّلفية الجهاديّة العالمي. ثم سلمته بريطانيا للأردن وأطلق سراحه في سبتمبر/أيلول ٢٠١٤.

(١١٣) أبو قتادة الفلسطيني، التربية الجهادية والفداء، مؤسسة الشامخة الإعلامية الالكترونية، ٢٠١٥، ص ٨.

(١١٤) المرجع السابق، ص ٣.

(١١٥) أبو قتادة الفلسطيني، لقاء غرفة الفجر الإسلامية في برنامج البالتوك، مؤسسة التحايا، ١ يونيو ٢٠١٥، على الرابط:
http://dorarmouba3tara.blogspot.com/2015/06/3.html .

(١١٦) أبو قتادة، فتوى هامة عظيمة الشأن، نشرة الأنصار، العدد ٨٨ ، ١٦ آذار/ مارس ١٩٩٥.

يمكن القول إذاً بأن دور المرأة في الجماعات الجهادية قبل بروز تنظيم القاعدة وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كان هامشياً.حيث كان الخطاب الجهادي المتعلق بالنساء مرتكزاً على مسائل الهوية والأخلاق، يُصوّر دور المرأة كمُنجبة ومربيّة للجهاديين وكمشاركة لوجستية، بشكل فردي وبصورة ضعيفة؛ الأمر الذي يبدو جلياً من خلال تتبع تاريخ الحركات الجهادية.لذلك لم يتطرق المنظر والمؤرخ الجهادي البارز أبو مصعب السوري[١١٧] لأي دور للمرأة في الحركة الجهادية سواء في كتابه الضخم "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" بجزأيه، الذي أصدره عام ٢٠٠٤، ولا في كتبه ورسائله الأخرى؛ إلا أنّ هذا الدور سيتغير لاحقاً. والملاحظة المؤكدة من خلال المراجعة التاريخية السابقة، تتمثّل في أنّ استبعاد المرأة من الأعمال القتالية كانت سمة بارزة خلال حقبة الجهاد الأفغاني؛ سواء لدى الجماعات الأفغانية أو لدى كافة الجماعات المتضامنة العربية والإسلامية.فعلى الرغم من زيادة انخراط المتطوعين العرب بالقتال فقد بقيت المرأة مستبعدة.

(١١٧) أبو مصعب السوري (١٩٥٨ ـ)، مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى، ويعرف أيضا عمر عبد الحكيم، ولد في مدينة حلب عام ١٩٥٨، درس في كلية الهندسة الميكانيكية في جامعة حلب خلال (١٩٧٦ ـ ١٩٨٠)، ثم التحق عام ١٩٨٠ بتنظيم الطليعة المقاتلة الذي أسسه مروان حديد في سورية، وعقب الصدام مع النظام وتشتت الطليعة، هاجر إلى الأردن .ثم تنقل في مهاجر عديدة، واستقر في فرنسا. وتعرّف في بيشاور ـ باكستان على الشيخ عبد الله عزام ثم ما لبث أن هاجر إلى بريطانيا، ثم إلى أفغانستان، وقد اعتُقل في عاصمة بلوشستان الباكستانيه عام ٢٠٠٥ وسُلِّم إلى سوريا، ولايزال قيد الاعتقال.

الفصل الثاني

نساء القاعدة والدولة الإسلامية

الفصل الثاني

نساء القاعدة والدولة الإسلامية

" بعثت لي كثير من الأخوات المجاهدات في أرض الرافدين، يطلبن القيام بعمليات استشهادية، ويلححن في طلب ذلك، وقد كتبت لي إحداهن رسالة سطرتها بمزيج دمعها ودمها، وذلك بعد استشهاد الإخوة في عملية أبي غريب، التي كانوا يرومون منها استنقاذ الأسيرات من سجون القهر الصليبي. كتبت تلح علي فيها بتنفيذ عملية استشهادية، قائلة: (إن الحياة لا تطيب بعد مقتل هؤلاء)، واستحلفتني بالله طويلاً أن أستجيب لها في طلبها، ومنذ ذلك اليوم وإلى هذه الساعة - وذلك قرابة ثمانية أشهر - وهي تواصل الصوم لا تفطر" .

أبو مصعب الزرقاوي

مقدمة

لم تحظ مشاركة المرأة في تنظيم القاعدة باهتمام مؤسس التنظيم أسامة بن لادن ولا خليفته أيمن الظواهري، إذ تخلو خطاباتهم ورسائلهم من الحديث حول قضايا المرأة وتقتصر مساهمتهم الفكرية على بعض التوجيهات النادرة بالتشديد على عدم مشاركة المرأة في الأعمال القتالية والحفاظ على أدوارها التقليدية في رعاية المنزل وتربية جيل جهادي باعتبار ذلك ذا قيمة أساسية في الحفاظ على الهوية. ولم يستدخل تنظيم القاعدة المركزي النساء في هياكله التنظيمية رغم وجود حالات نسائية فردية رغبن بالالتحاق والمشاركة والانتماء للتنظيم. وقد بدأت فروع التنظيم الإقليمية باستدخال المرأة بطرائق عديدة في المجالات الدعوية والدعائية لاحقاً عن طريق فرع التنظيم في جزيرة العرب بقيادة يوسف العييري الذي أولى عناية خاصة بالمسألة الإعلامية النسائية والمشاركة في الأدوار اللوجستية كجمع التبرعات ورعاية أسر القتلى والسجناء.

جاء التطوّر الأبرز عن طريق شبكة الزرقاوي، التي أصبحت لاحقاً فرعاً للقاعدة في العراق، ثم أسست تنظيم الدولة الإسلامية. فقد عمل التنظيم على استدخال

النساء في الأعمال القتالية وصولاً إلى العمليات الانتحارية. وشهدت مشاركة المرأة في تنظيم الدولة الإسلامية طفرة في عمليات التجنيد والاستقطاب، منذ سيطرته على مدينة الرقة السورية ومدينة الموصل العراقية عام ٢٠١٤ وإعلانه عن قيام "الخلافة الإسلامية"، حيث التحقت مئات النساء بالتنظيم من مختلف أنحاء العالم.

فرض توسع تنظيم الدولة الإسلامية ضرورة استدخال المرأة في مجالات الصحة والتعليم والحسبة (الشرطة النسائية) وغيرها، ونشطت نساء التنظيم في مجال الدعاية والإعلام والتنظير الفقهي ومسائل الشريعة، وشاركت بعض النساء في الأعمال القتالية؛ وخصوصاً العمليات الانتحارية.

شهدت حقبة تنظيم الدولة الإسلامية تحولاً يتمثّل بمشاركة المرأة في تأسيس خطاب جهادي نسائي وأصبحت المرأة تتحدث عن نفسها بدلاً من حديث الرجال عنها. ورغم ذلك لم تخرج مقولات نساء تنظيم الدولة عن اجتهادات وتفسيرات الذكور للشريعة كونها تستند إلى "قانون الله"، باعتباره أسلوباً للحياة "الإسلامية" القويمة، لا مجال فيه لتفسيرات نسويّة وأخرى ذكورية؛ مع الإقرار بأن جميع منظري الجهادية العالمية من الذكور.

يمكن القول بأن الأصول الفكرية المرجعية لنساء القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية هي ذات المصادر الجهادية الذكورية التي تعود إلى تراث المدرسة السلفية بنسختها السعودية الوهابية، والمدرسة السلفية الحركية بترسيمتها الإخوانية القطبية.على أنّ نساء القاعدة، كرجالها، أقرب إلى استلهام المصادر المرجعية لسيد قطب، بينما تستلهم نساء تنظيم الدولة الإسلامية، كرجالها، المستندات الفقهية لمحمد بن عبد الوهاب.

"المرأة القاعدية" والأدوار التقليدية

ظهر تنظيم القاعدة عندما بدأ أسامة بن لادن[١١٨]يأخذ منحى أكثر استقلالية

(١١٨) أسامة بن لادن (١٩٥٧ ـ ٢٠١١) مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة، وهو أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، ولد في الرياض بالمملكة العربية السعودية في ١٠ آذار/ مارس ١٩٥٧ دعم

عن عبد الله عزام و"مكتب الخدمات" ١٩٨٤. ففي البداية، تعاون عزام وبن لادن معًا ووزعا الأدوار بينهما، وظل بن لادن يتردد على أفغانستان مقدماً دعمه المالي للمتطوعين العرب إلى أن تفرغ للعمل الجهادي الميداني في أفغانستان ابتداء من سنة ١٩٨٦[١١٩]. ثم أخذ بن لادن قراراً بتأسيس جماعة جهادية قتالية مستقلة، إلى جانب الأدوار الإغاثية والدعوية، وبدأ بإنشاء معسكرات تدريب تحت ضغوطات المقاتلين العرب والأجانب اللذين باشروا بتنظيم أنفسهم وأسسوا بين عامي ١٩٨٤– ١٩٨٥، "مضافة أبي عثمان" في مدينة بيشاور[١٢٠].

منذ آب/ أغسطس ١٩٨٨ بدأ بن لادن العمل على ترسيخ منظمة جهادية ذكورية أكثر بيروقراطية، وذلك مع بروز الحاجة إلى وجود سجلات موثقة للجهاديين ومعرفة الشهداء والجرحى، بعد أن احتدمت المعارك وتكاثرت استفسارات الأهالي

المجاهدين الأفغان ضّد الغزو السوفييتي لأفغانستان في سنة ١٩٧٩م. وفي سنة ١٩٨٤م، أسّس مع عبدالله عزام "مكتب الخدمات"، وفي سنة (١٩٨٨) أسس تنظيم القاعدة. نجحت أجهزة الاستخبارات الأمريكية باغتياله في منطقة آبوت أباد في باكستان بتاريخ ٢ آيار/ مايو ٢٠١١.

(١١٩) لم تكن فكرة إنشاء معسكرات للتدريب على القتال تتمتع برضى وتأييد عبدالله عزام الذي كان يفضل الالتزام بالأدوار المساندة للمجاهدين الأفغان والانخراط في معسكراتهم، ولذلك فقد تأخر تأسيس معسكرات منفصلة ومستقلة عن الأفغان في جبهات القتال إلى بداية عام ١٩٨٦، حيث أنشأ بن لادن جبهة خاصة بالعرب في منطقة "جاجي" في ولاية بكتيا القريبة من الحدود الباكستانية، وتم تأسيس معسكرات "القاعدة" و"المأسدة" ، تحت إشراف مصريّين من جماعة الجهاد، وهما: محمد عاطف، (صبحي أبو ستة) المعروف "بأبي حفص"، وعلي أمين الرشيدي المعروف بـ"أبو عبيدة البنشيري".ثمّ حصلت معركة "جاجي" فى أفغانستان عام ١٩٨٧، التي انتهت بهزيمة منكرة للرُّوس، الأمر الذي رفع من أسهم الأفغان العرب . وبحسب مصطفى حامد (أبو الوليد المصري) كانت "المعركة الضخمة هي التي أدت إلى تشكيل التنظيم وفيها برز بن لادن كزعيم، وكان أداء تلك المجموعة رائعاً، وكذلك نتيجة المعركة ناجحة للغاية وهي الأشد بريقاً فى تاريخ القاعدة كله (رغم أن القاعدة لم تكن قد تشكلت فى ذلك الوقت). بعد معركة جاجى تفرغ البنشيري وأبو حفص لبناء تنظيم أسمياه "القاعدة"، حتى وصل إلى قمة نموه خلال عام تقريباً، وضم عرباً من المجاهدين فى أفغانستان ومنظمات عربية وغير عربية".
انظر: مصطفى حامد (أبو الوليد المصري)، تنظيم القاعدة إلى أين؟، ٢٣ مايو ٢٠١١، على الرابط: http://www.mustafahamed.com/?p=309

(١٢٠) عبد الله أنس، ولادة الأفغان العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، ص٣٤.

عن أبنائهم؛ خاصة أولئك القادمين من السعودية واليمن وما سببه من حرج عدمُ توفر الإجابات، وبهذا ظهر اسم "القاعدة"[١٢١]. وكان تنظيم القاعدة مكوّنًا بالكامل من الذكور وخلت معسكرات التنظيم من العنصر النسائي. ولم تكن النساء أكثر من زوجات بأدوار تقليدية في نطاق المنزل.

شهد عام ١٩٨٩ تحولاً جذريًّا في بنية النظام الدولي مع بدء تفكك الاتحاد السوفييتي وانسحابه من أفغانستان، وهو الأمر الذي ساهم في تحوّل ظاهرة المجاهدين العرب إلى ظاهرة الأفغان العرب ثم في سقوط الحكومة المدعومة من السوفييت في كابول، في نيسان/ إبريل ١٩٩٢.وقد أسفر ذلك عن تفجُّر صراع عنيف وحرب أهلية بين الفصائل الأفغانية استمرت حتى ظهور حركة طالبان بزعامة الملا محمد عمر في تموز/ يوليو ١٩٩٤، والتي اكتسحت الفصائل المختلفة بسرعة كبيرة وسيطرت على معظم الأراضي الأفغانية بحلول عام ١٩٩٦[١٢٢].

---

(١٢١) أبو جندل الأزدي، أسامة بن لادن: مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، منتدى الأنصار، ومنبر التوحيد والجهاد، ص ٣٦-٣٧.

(١٢٢) خلال فترة صراع الفصائل الجهادية الأفغانية غادر أسامة بن لادن والظواهري إلى السودان في كانون أول/ ديسمبر ١٩٩١، في ظل حكم الرئيس عمر البشير وحليفه السابق الدكتور حسن الترابي زعيم الجبهة القومية الإسلامية، و"انهمكت القاعدة في أعمالها الاستثمارية والاقتصادية فيما اعتقدوا أنها دولة إسلامية تجب نصرتها". وأسست مجتمعاً جهادياً مصغراً من عائلات الجهاديين، كما بدأ الإعداد لتأسيس خلية "شرق إفريقيا" التي اتخذت من مدينة نيروبي في كينيا مقراً لها تحت قيادة المسؤول العسكري للقاعدة أبو عبيدة البنشيري، حيث باشر الإعداد لتأسيس معسكرات في الصومال نهاية عام ١٩٩١، بإشراف أبو حفص المصري الذي عيّن مسؤولاً عن جبهة الصومال، حيث تمكن عقب دخوله الصومال من إقامة عدد من المعسكرات في شمال الصومال وجنوبها.

لكن بن لادن تعرض للحصار والتضييق في السودان عقب ضغوطات مكثفة على حكومة البشير من طرف حكومات مصر والسعودية وبريطانيا والولايات المتحدة، بعد أن قامت السعودية بسحب جنسية بن لادن في ٥ آذار/ مارس ١٩٩٤. الأمر الذي دفع بن لادن إلى إجراء اتصالات مع حركة طالبان التي كانت بحلول عام ١٩٩٦ تسيطر على معظم الأراضي الأفغانية، وفي أيار/ مايو ١٩٩٦، غادر بن لادن مع عدد من أتباعه السودان متوجها إلى أفغانستان متشبعاً بقناعته بأن أمريكا تمثل "رأس الأفعى" وأساس الشرور، حيث أصدر في ٢٣ آب/ أغسطس ١٩٩٦ بياناً يدشن لمرحلة جديدة بعنوان "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين".

كانت أفغانستان تحت حكم طالبان قد شهدت هجرة ثانية للجهاديين نهاية عام ١٩٩٦، عقب فشل الجهاد المحلي مع العدو القريب، والجهاد التضامني في جبهات عديدة، لكن بن لادن كان مصمماً على عولمة الحركة الجهادية حيث أعلن في ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٩٨ عن"تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين"واستهل عملياته بهجمات منسقة على السفارتين الأميركيتين في نيروبي ودار السلام في ٧ آب/ أغسطس ١٩٩٨، تلتها الهجمات الكبرى على نيويورك وواشنطن بأربع طائرات مدنية مختطفة في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، استهدفت برجي مانهاتن ومقر وزارة الدفاع الأميركية[١٢٣].

على الرغم من إدانة حكومة حركة طالبان لهجمات ١١ سبتمبر[١٢٤]، إلا أن الولايات المتحدة قامت بغزو أفغانستان (في ٧ تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠١). وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة في تدخلها العسكري في أفغانستان قد دمرت الملجأ الآمن لتنظيم القاعدة، إلا أن القيادة الأساسية للجماعة قد نجت. وشكَّلَ الملاذ الآمن، الذي توفر للقاعدة وحركة طالبان في المقاطعة الشمالية الغربية الحدودية

---

(١٢٣) لمزيد من التفصيل حول هجمات سبتمبر والتعريف بأهم شخوص مُنفِّذي الهجمات، وماهيتهم، وكيفيَّة ارتباطهم بتنظيم القاعدة، وبدايات الفكرة وتبلورها؛ من خلال "خلية هامبورج" بألمانيا، التي "تشكَّلتْ في مدينة "هامبورج" خلال الفترة ١٩٩٦ - ١٩٩٨ بتكوين نواة صُلبة بريادة محمد عطا، والذي انضمَّ إليه الإماراتي مروان الشحي، واللبناني زياد الجرَّاح، واليمني رمزي بن شيبة"، انظر: محمد محمود ولد محمدو، الهجمة المضادة للحملة الصليبية: جذور وتداعيات الحادي عشر من سبتمبر، ترجمه عن الفرنسية: أحمد صالح أحميِّد، عالم الكتب الحديث، إربدْ، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

(١٢٤) أدانت حركة طالبان الهجمات ونفت مسؤوليتها عنها، واعتبرتها "كارثة إنسانية"، لكن الإدانة والنفي لم يشفعا للحركة لدى واشنطن، وقال وزير خارجية حكومة طالبان وكيل أحمد متوكل أن بلاده لا تؤيد الإرهاب وإرهاب الدول، وأن الحركة ضد الجرائم التي تقترف بحق الإنسانية، ثم عرضت طالبان تسليم بن لادن إلى بلد محايد للمحاكمة، إذا قدمت الولايات المتحدة الأدلة على تواطؤ ابن لادن في الهجمات، إلا أن الرئيس الأمريكي جورج بوش قرر بدء الضربات العسكرية على أفغانستان بعد رفض حركة طالبان الحاكمة في أفغانستان تسليم أسامة بن لادن إليها، وكان رفض طالبان يقوم على أساس أن الولايات المتحدة لم تقدم الدليل القاطع بأن أسامة بن لادن هو المسؤول عن تلك الهجمات.

إمكانية لانبعاثهما من جديد.

حققت سياسات "الحرب على الإرهاب" نجاحات ساهمت بإضعاف القاعدة من خلال اعتقال عدد من قيادات القاعدة؛ واغتيال قيادات كبرى تنتمي لتنظيم القاعدة؛ أمثال: أبو اليزيد المصري، وأبو حفص المصري، ولاحقاً أسامة بن لادن نفسه[١٢٥].

إلا أن تلك العمليات لم تتمكن من القضاء على تنظيم القاعدة، وإنما عملت على تحول التنظيم من نمط الإدارة المركزية إلى اللامركزية. وقد كشفت حملة الاعتقالات والاغتيالات عن الطبيعة الذكوريّة لتنظيم القاعدة، إذ لم تستهدف تلك الحملات النساء إطلاقاً، ولم يكن ممكناً الحديث عن دور للمرأة في صفوف القاعدة لوجستياً وعسكرياً، بل انحصرت أدوارهنّ كزوجات وأمهات وبنات لجهاديي القاعدة.ولكنّ أنساق القرابة وشبكات المصاهرة وعلاقات الصداقة المكوّنة من هؤلاء النسوة سوف تشكل لاحقاً نواة الجهادية النسائية.

لقد أدرك بن لادن مبكراً أهمية تلك الروابط، فقد تزوج في حياته خمس مرات،

(١٢٥) يخلو معتقل "غوانتانامو" من أي نساء لتنظيم القاعدة وهو أحد أشهر السجون في العالم، حيث يضم معتقلين وسجناء "من دون تهم"، وقد انتُقد من كافة المنظمات الحقوقية، حيث اشتهر بأقسى طرق التعذيب، فقد اعتبرت منظمة العفو الدولية أن معتقل "غوانتانامو" يمثل "همجية هذا العصر"، وقالت أن حملة الاعتقالات العشوائية التي نفذتها الولايات المتحدة تمثل تحديًا قانونيًا صارخاً للعالم أجمع، لكن الكارثة الأكبر هي عدم القدرة على اتخاذ قرار بإغلاقه، وعلى الرغم من الوعود الكثيرة التي قطعها على نفسه الرئيس الأمريكي باراك أوباما منذ دخوله البيت الأبيض في أوائل عام ٢٠٠٩ بشأن إغلاق المعتقل، إلا أنها تبددت ولم تنجز. وقد بدأ العمل على فتح معتقل غوانتانامو بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في ظل إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، وافتتح فعلياً في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٢ في قاعدة عسكرية أمريكية ساحلية في جنوب كوبا، في إطار عقد إيجار يعود إلى العام ١٩٠٣، حيث ضم المعتقل سجناء تم تصنيفهم بأنهم "مقاتلون أعداء"، وسرعان ما تحول المعتقل إلى رمز لما يطلق عليه "الحرب على الإرهاب". ويوجد في "غوانتانامو" حاليًا حوالي ١١٦ سجيناً، من أصل ٧٧٩، تمّ احتجازهم دون توجيه تهم إليهم وبلا محاكمة، بينهم المتهمون الخمسة باعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وقد أحيلوا إلى القضاء العسكري الاستثنائي حيث يواجهون عقوبة الإعدام.

وأنجب منهن نحو عشرين ولدًا وبنتًا،وفي وصيته المؤرّخة في ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١، يوصي زوجاته من بعده بعدم الزواج ليكونوا زوجاته في الجنة، ويطلب منهن الاعتناء بأولاده[١٢٦].

تزوج بن لادن أول مرة عام ١٩٧٤من ابنة خاله السورية نجوى غانم، أما الزوجة الثانية فكانت خديجة شريف التي تكبره بنحو ٩ سنوات، حيث تزوجها عام ١٩٨٣ وأنجبت له ٣ أبناء، إلا أنهما انفصلا أثناء وجود بن لادن في السودان. وتزوج للمرّة الثالثة عام ١٩٨٥ من خيرية صابر (أم حمزة) وهي حاصلة على شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية وأنجبت منه طفلاً واحداً ذكراً، أما الزوجة الرابعة فهي سهام الصبار والتي تزوجها عام ١٩٨٧ وأنجبت منه ٤ أطفال، وكانت الزوجة الخامسة اليمنية أمل الصداح،وقد تزوج منها عام [١٢٧]٢٠٠٠.

في سبيل تأسيس نواة مجتمع جهادي مصغر وتعميق الروابط داخل هياكل تنظيم القاعدة عمد بن لادن على تزويج بعض بناته وأبنائه من أبناء وبنات جهاديي القاعدة، فقد زوج إحدى بناته من الناطق باسم القاعدة، الكويتي سليمان أبو غيث، وكما وثق بن لادن علاقته مع القائد العسكري لتنظيم القاعدة المصري أبو حفص المصري بعقد مصاهرة حيث تزوج محمد بن أسامه ببنت أبي حفص.

كانت مسألة تعدد الزوجات وشبكات المصاهرة، إلى جانب الإيديولوجية الجهادية إحدى أهم الوسائل لخلق منظمة متماسكة. فقد كان "**الاستثمار في المصاهرة**" سمة رئيسية للحالة الجهادية، وليست مسألة خاصة بأسامة بن لادن؛ فالزعيم الحالي للقاعدة أيمن الظواهري قد تزوج من ثلاث نساء أيضاً[١٢٨]. لكن

(١٢٦) انظر: الدولية تنشر النصّ الكامل لوصيّة بن لادن، الدوليّة، ٤ مايو ٢٠١١ على الرابط:goo.gl/PBKi16/

(١٢٧) لمزيد من التفصيل انظر: جين ساسون، إنه بن لادن: كل شيء عنه بلسان زوجته وابنه، ترجمة أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١١.،

(١٢٨) الزوجة الأولى عزة أنور الصادق أم محمد، وأنجب منها ست أبناء، قد زوج بناته من جهاديين: فابنته فاطمة تزوجت من أبي تراب الأردني، وابنته أميمة من أبي دجانة المصري الشرقاوي، ونبيلة من أبي عبدالرحمن المغربي، وقد قتلت أم محمد مع ابنها محمد وابنتها عائشة

الملاحظ أن تعدد الزوجات يعتبر أصلا في المرجعية السلفية الوهابية وجهاديي تنظيم الدولة الإسلامية بينما هو حالة استثنائية للضرورة في المرجعية السلفية القطبية وجهاديي القاعدة.

في الوقت الذي كان تنظيم القاعدة المركزي في أفغانستان وباكستان يعاني من فقدان الملاذات الآمنة ويشهد تراجعاً ويوشك على التفكك والانهيار، أطلق الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش حملته العسكرية لغزو العراق في العشرين من آذار/مارس عام ٢٠٠٣،وأسقط نظام حكم صدام حسين، تحت ذريعة وجود أسلحة دمار شامل لدى النّظام العراقي، وعلاقته بدعم الإرهاب؛ وهي التهم التي ظهرت عدم صحّتها فيما بعد.وقد ساهم ذلك في انبعاث القاعدة وتدشين ولادة الجهادية النسائية،بعد ازدهار سوق الفتاوى الدينية المناهضة للاحتلال الأمريكي للعراق التي أضفت نوعاً من المصداقية على إيديولوجية القاعدة المعادية للعولمة العسكرية الأمريكية والأنظمة العربية والإسلامية المتحالفة معها؛ وخصوصاً السعودية.

تزامن فقدان القاعدة للملاذات الآمنة في العالم الواقعي مع بروز شبكة الإنترنت والعولمة الاتصالية نهاية القرن الماضي. وفي الوقت الذي فقدت فيه القاعدة ملاذاتها الآمنة في العالم الواقعي، عمل التنظيم على التمدد والانتشار في العالم الافتراضي، وهو المجال الذي سوف يشهد ولادة النسائية الجهادية.

كان زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن متحفظاً على استدخال المرأة في التنظيم. فعلى الرغم من رسائله وبياناته وكلماته وتوجيهاته الكثيرة؛ فقد غابت المرأة عن الحضور في خطاباته وتلخص وصيته التي كتبها بتاريخ ١٤ كانون أول/ ديسمبر

بقصف جوي أمريكي في أفغانستان بعد هجمات سبتمبر ٢٠٠١. وقد تزوج الظواهري من الثانية وهي أميمة حسن أم خالد عام ٢٠٠١ وهي من أسرة جهادية وأرملة لأحد الجهاديين، وقد أصدرت لها مؤسسة السحاب رسالة بعنوان "رسالة إلي الأخوات المسلمات" في ديسمبر ٢٠٠٩، وتزوج مرة ثالثة من أم تسنيم واسمها سيدة حلاوة وهي مصرية من عائلة جهادية وأرملة لجهاديين مصريين اثنين أعدم الأول عام ٢٠٠٠ في مصر، وقتل الثاني في أفغانستان.

انظر: أبو عبد القدير، نماذج من نور.. شيء من سير زوجات حكيم الأمة أيمن الظواهري، على الرابط: goo.gl/PZ8g10.

٢٠٠١، وذلك بعد نحو ٣ أشهر من تفجيرات ١١ سبتمبر، رؤيته التقليدية المحافظة المرتكزة على الشريعة والتمسّك بالهويّة في وجه التغريب،إذ يؤكد على أدوار المرأة التقليدية في المنزل والتربية كصانعة للجهاديين. وقد التزم بن لادن برؤيته هذه حتى مقتله في أيار/ مايو ٢٠١١، فيوصي بن لادن النساء بقوله: "**إياكم والتبرج وتقليد مومسات الغرب ومسترجلاته، كنّ مدرسة لتخريج الرجال والمجاهدين في سبيل الله، وحافظن على شرفكن، ولتكن لكن في أمهات المؤمنين أسوة حسنة"، ويخصّ زوجاته بوصية يشيد فيها بصبرهن وزهدهن حيث يقول: "جزاكم الله عني خيراً. فقد كنتن لي بعد الله سبحانه وتعالى خير سند وخير معين. من أول يوم كنتن تعرفن أن الطريق مزروع بالأشواك والألغام. تركتن نعيم الأهل واخترتن بجانبي شظف العيش. كنتن زاهدات في الحياة معي فازددن فيها زهداً بعدي، ولا تفكرن في الزواج، حسبكن رعاية أبنائنا وتقديم التضحية والدعاء الصالح لهم**"[١٢٩].

لا يختلف منظور أيمن الظواهري للنساء عن رؤية بن لادن. وكان الظواهري قد تولى زعامة القاعدة بعد مقتل بن لادن. إذ يشدد الظواهري على الأدوار التقليدية للمرأة وعدم استدخالها في التنظيم فضلاً عن مشاركتها في القتال، ففي معرض الرد على أحد أسئلة اللقاء المفتوح الذي أجرته مؤسسة السحاب الإعلامية التابعة للقاعدة عام ٢٠٠٨ حول "من هي أعلى النساء رتبةً في القاعدة؟ لا تذكر أسماءً إن شئت ـ ولكن ما هي وظيفتهن في المنظمة؟" أجاب الظواهري بصورة قاطعة "**ليس في جماعة "قاعدة الجهاد" نساءٌ، ولكن نساء المجاهدين يقمن بدور بطولي في رعاية بيوتهم وأبنائهم في شدة الهجرة والتنقل والرباط**"[١٣٠].

في رسالة نادرة لأميمة حسن، زوجة الظواهري، بعنوان "رسالة إلى الأخوات المسلمات"، صدرت عن مؤسسة السحاب التابعة لتنظيم القاعدة (في كانون أول/

---

(١٢٩) انظر: محمد ناصر، وصية بن لادن، صحيفة الأنباء الكويتية، ٢٠١١/٥/٣، على الرابط: http://www.alanba.com.kw/ar/arabic-international-news/192850/03-05-2011-

(١٣٠) انظر: أيمن الظواهري، اللقاء المفتوح مع الشيخ أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب، منبر التوحيد والجهاد، ١٥ فبراير ٢٠٠٩، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_19720.html .

ديسمبر ٢٠٠٩)، أكدت فيها على رؤية بن لادن والظواهري للمرأة وعلى الأدوار التقليدية ومسألة الهوية والشريعة ومناهضة التغريب. وصدرت الرسالة بالتزامن مع تصاعد الجدل حول منع الحجاب في أوروبا ، فقالت: "**أما رسالتي الثالثة فلعامة المسلمات في العالم، للالتزام بالحجاب، الذي يشهد حملة من أشد المعارك بين الإسلام والكفر**"، محذرة من أن التخلي عنه سيتبعه التخلي عن باقي الدين. وأوصت المسلمات "**بتربية أبنائهن على طاعة الله سبحانه وتعالى، وحب الجهاد في سبيل الله، وتحريض الإخوان والأزواج والأبناء على الدفاع عن أراضي المسلمين وثرواتهم، وإعادتها من المغتصبين**". وشددت على أدوار المرأة غير القتالية "**بمساعدة المجاهدين بالدعاء والمال، وبمساعدة أسر الجرحى والأسرى بالمال والتبرعات لأولادهم ونسائهم، فهم في أشد الحاجة إلى من يعينهم على مشاق الحياة**". كما دعت النساء المسلمات إلى عدم الالتحاق بالجهاد، رغم أن "**الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة**"، وذلك لأن طريق القتال "**ليس سهلاً بالنسبة للمرأة، فهو يحتاج إلى محرم، لأن المرأة يجب أن يكون معها محرم في ذهابها وإيابها**".كما أكدت في رسالتها على تبعية المرأة للرجل وضرورة الامتثال لأوامر المجاهدين في الأدوار اللوجستية والقتالية، إلا أنّها تستدرك بالقول: "**لكن علينا أن ننصر ديننا بطرق كثيرة، فنضع أنفسنا في خدمة المجاهدين، وما يطلبونه منا ننفذه، سواء إعانة بالمال أو خدمة لهم أو إمداد بمعلومات أو رأي أو مشاركة في قتال أو حتى بعمل استشهادي، فكم من أخت قامت بعمل استشهادي في فلسطين والعراق والشيشان**".ودعت في رسالتها أيضاً إلى تحرير الأسيرات المسلمات[١٣١].

على الرغم من تأكيد بن لادن والظواهري على أدوار المرأة التقليدية؛ إلاّ أنّ رسالة زوجة الظواهري تشير إلى إمكانية التحول في أدوار المرأة في الجماعات الجهادية، التي انطلقت خارج أطر تنظيم القاعدة في كلّ من الشيشان وفلسطين والعراق.فقد بدأت عدّة جماعات جهادية باستدخال المرأة ومنحها أدواراً أكبر في هياكلها التنظيمية ومهامها القتالية، وخصوصاً العمليات الانتحارية. وكانت حواء برابيف أول إمرأة جهادية تنفذ عملية انتحارية في الشيشان في حزيران/ يونيو ٢٠٠٠، ثم تبعتها

(١٣١) انظر: أميمة حسن أحمد محمد حسن، رسالة إلى الأخوات المسلمات، مؤسسة السحاب، ٤ يناير ٢٠١٥، على الرابط:https://justpaste.it/iqse .

أخريات. وفي فلسطين بدأت الظاهرة بعد الانتفاضة الثانية حين نفذت وفاء إدريس عملية انتحارية في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٢وهي تنتمي لـ"كتائب شهداء الأقصى"، المجموعة العسكرية الفلسطينية التابعة لحركة فتح العلمانية. وكانت دارين أبو عيشه أول متضامنة مع حركة "حماس"، التابعة لجماعة الإخوان المسلمين، تلتحق براية العمليات "الاستشهادية" للنساء.

على الرغم من التحفظات السابقة لدى كلّ بن لادن والظواهري على دور المرأة، وتأكيدهما على أنّ جهاد المرأة يقوم على الأدوار التقليدية في المنزل ورعاية الأسرة وبعض الأدوار اللوجستية؛ إلا أن بعض النساء سعين لتعزيز وزيادة أدوارهن والبحث عن مكانة جديدة في الفضاء الجهادي، بخاصة من النساء العرب والمسلمات والمتحولات إلى الإسلام حديثاً ممن نشأن في الفضاء الأوروبي والأمريكي. وتعتبر مليكة العرود من أشهر الجهاديات في أوروبا حيث توصف "أم عبيدة" بـ"الأرملة السوداء" لمقتل زوجين لها، وهي بلجيكية من أصول مغربية تصفها الأوساط الأمنية في بلجيكا بكونها أخطر امرأة في أوروبا، كما سنتناول ذلك بصورة مفصلة عند الحديث عن النماذج التطبيقية في الكتاب[١٣٢].

تعتبر الدكتورة عافية صديقي أكثر نساء القاعدة شهرة على الإطلاق رغم أنّ مسألة انضمامها لتنظيم القاعدة تُثار حولها الكثير من الشكوك والشبهات ويلفها الغموض. وهي أكاديمية عالمة أعصاب، تلقت تعليمها في أكبر الجامعات الأمريكية العليا حيث تخرَّجت كطبيبة من جامعة "ماساتشوستس"، وتزوجت بطبيب تخدير من مدينة كراتشي، يُدعى أمجد خان وأنجبت منه طفلين، وكانت معروفة أثناء دراستها بأنها ناشطة إسلامية، تقود حملات عديدة في المدن الأميركية من أجل الحصول على التبرعات لأفغانستان والشيشان والبوسنة. كما مُنحت شهادات فخرية كثيرة لمساهمتها في الأنشطة المختلفة. وفي أغسطس/آب ٢٠٠٢ انفصلت عن زوجها، وعلى الرغم من نفي أسرة صديقي نبأ زواجها الثاني، إلا أن الاستخبارات الباكستانية والأميركية تؤكد أن عافية تزوجت بعد طلاقها من خان بشخص آخر عاش في الكويت، من

---

(١٣٢) انظر: محمد حامد، مليكة العروض: مجاهدة الإنترنت التي أرقت الإستخبارات الأوروبية، موقع إيلاف، ٢٦ مايو ٢٠٠٨ على الرابط: http://elaph.com/Web/Politics/2008/5/335025.htm .

مواليد إقليم بلوشستان ويدعى علي عبد العزيز، المعروف بعمار البلوشي، وهو ابن شقيقة خالد الشيخ محمد، الذي تعتبره الولايات المتحدة الأميركية العقل المدبر لهجمات ١١ سبتمبر. وقد اعتقل عمار البلوشي عن طريق الشرطة الباكستانية في ٢٠٠٣، ثم سلّم إلى الاستخبارات الأميركية، ونقل إلى سجن غوانتنامو، حيث اتهمته السلطات الأميركية بمساعدة تنظيم "القاعدة" مالياً[١٣٣].

بدأت قصة عافية صديقي في ٣٠ آذار/ مارس ٢٠٠٣ عندما غادرت منزلها في كراتشي مع أولادها وسافرت إلى إسلام آباد لزيارة عمها هناك، لكنها اختفت في الطريق قبل أن تصل إلى مطار كراتشي ويبدو أن الاستخبارات الباكستانية اعتقلتها لصالح نظيرتها الأميركية، التي نقلتها إلى قاعدة "باغرام" الجوية في أفغانستان. وفي حين كانت الأسرة تبحث عن ابنتها، أدرج "مكتب التحقيقات الفيدرالية الأميركية" صدّيقي ضمن قائمة المطلوبين في ٢٠٠٤ باعتبارها شخصية خطيرة تعمل مع تنظيم "القاعدة" ضد المصالح الأميركية، وكانت أسرة عافية تصرّ على أن ابنتها محتجزة لدى الولايات المتحدة على الرغم من النفي الأميركي المتكرر. إلا أن الصحافية البريطانية إيفون ريدلي قد أجرت تحقيقاً، حول سجينة في باغرام تعرف بـ"سجينة رقم ٦٥٠"، توصلت من خلاله إلى أن السجينة هي طبيبة باكستانية تدعى عافية صديقي[١٣٤]؛ لكن الولايات المتحدة الأميركية نفت وجود عافية في أي سجن أميركي قبل ٢٠٠٨.

تقبع عافية صديقي اليوم في سجن أميركي في تكساس وتقضي حكماً بالسجن لمدة ٨٦ سنة، بعد إدانتها بمحاولة قتل جنود أميركيين. وبحسب الرواية الأميركية، فإن صديقي قفزت من وراء ستار الزنزانة قبل بدء التحقيق معها في سجن باغرام على الضابطين وانتزعت سلاح واحد منهما ثم أطلقت النيران عليهما لكنها أخطأت التصويب؛ وهي رواية تعتبرها إيفون بريدلي ملفقة. وقد استمرت محاكمة صديقي

(١٣٣) انظر: صبغة الله صابر، عافية صديقي: طبيبة "جهادية" أم ضحية؟، العربي الجديد، ٢٠١٤/٩/٢٨، على الرابط: goo.gl/YmiSiA .

(١٣٤) انظر: إيفون ريدلي، من هي الدكتورة عافية صديقي؟ ولماذا طالب الخاطفون في الجزائر بإطلاق سراحها؟، موقع العصر، ٢٣ يناير ٢٠١٣،على الرابط: http://alasr.ws/articles/view/13994

على فترات متقطعة إلى أن تمت إدانتها في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠ بجميع التهم الموجهة إليها ومنها الشروع في القتل والاعتداء المسلح على ضابط أميركي والتخطيط لاستهداف أماكن حساسة في الولايات المتحدة الأميركية[١٣٥].

بصرف النظر عن الرواية الأميركية الهشة، فقد أصبحت عافية لدى الجهاديين أيقونة وسيدة القاعدة، ورمزاً للظلم الذي تمارسه أميركا، وفق روايتهم.لذلك لم تنقطع مطالبة القاعدة وفروعها بالإفراج عنها أو مبادلتها بمختطفين أميركيين. وكان تنظيم الدولة الإسلامية قد قدّم (في آب/ أغسطس ٢٠١٤) عرضاً بالإفراج عن الصحفي الأميركي، جيمس فولي، مقابل عافية صديقي. وقال تنظيم الدولة الإسلامية في رسالة موجهة إلى عائلة جيمس فولي قبل أسبوع من ذبحه: "**قدمنا لكم الكثير من الفرص للتفاوض على الإفراج عن مواطنيكم عن طريق دفع الفدية على غرار حكومات أخرى . وعرضنا عليكم أيضاً تبادل أسرى لتحرير مسلمين محتجزين لديكم الآن، مثل أختنا عافية صديقي. ولكن، سريعاً ما أثبتم لنا أن هذا ليس ما تهتمون به**"[١٣٦].

أما الأميركية كولين لاروز، المعروفة أيضاً باسم "جهاد جين" وباسم "فاطمة روز"، فتواجه تهماً عديدة تعود وقائعها إلى يونيو/ حزيران ٢٠٠٨، عندما كتبت لاروز، تحت اسم "جهاد جين"، تعليقاً على "يوتيوب" جاء فيه "أتوق إلى القيام بعمل ما لمساعدة المسلمين". وخلال كانون أول/ ديسمبر ٢٠٠٨ وتشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٩، تبادلت بعض المخاطبات الإلكترونية مع خمسة أشخاص أبدوا رغبتهم في الجهاد والاستشهاد، وفق ما جاء في لائحة الاتهام. وبحسب وزارة العدل الأمريكية فإن "فاطمة روز" والمتآمرين الخمسة، استخدموا الشبكة العنكبوتية لتطوير مخططاتهم،التي تشمل"جمع أموال لدعم الإرهابيين، وتسهيل هويات السفر لتفادي قيود السفر التي تفرضها بعض الدول على بعض الجوازات، (وذلك بجمع جوازات

---

(١٣٥) المرجع السابق.

(١٣٦) انظر: "عافية" العالمة الباكستانية وسر تمسك "داعش" باطلاق سراحها، موقع السكينة، ٣٠ أغسطس ٢٠١٤، على الرابط: http://www.assakina.com/news/news2/51985.html

سفر وتدبير زيجات) لأغراض جهادية عنيفة". وتقول لوائح اتهام لاروز أنها وبغرض تسهيل "الإرهاب الدولي"، لجأت إلى سرقة جواز سفر أمريكي، وتلقت "أوامر مباشرة لقتل مواطن في السويد بطريقة ترعب كل كفار العالم". وبحسب بعض المصادر فإن المستهدف كان رسام الكاريكاتير السويدي، لارس فيلكس.وذكرت لائحة الاتهام أن "جهاد جين" سافرت إلى أوروبا في آب/ أغسطس ٢٠٠٩ "لرصد الهدف لإكمال مهمتها"، إلا أنها اعتقلت بعد أسبوعين من رسالتها تلك[١٣٧].وقد صدر بحق "جهاد جين" حكم بالسجن لمدة عشرة أعوام في ٦ كانون ثاني/ يناير ٢٠١٤ بعد إدانتها بالتورط في "مؤامرة إرهابية"[١٣٨].

على الرغم من وجود بعض النساء اللواتي بحثن عن القاعدة، إلا أن التأثيرات الحاسمة باستدخال النساء في أطر الجماعات الجهادية جاءت عن طريق حركات تشكلت في مناطق النزاعات والصراعات التي تشهد احتلالاً أجنبياً مباشراً، كما ظهر جلياً خلال الحرب الروسية الشيشانية والغزو الأميركي للعراق والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. وقد تأثرت القاعدة بهذه التحولات وخصوصاً فروعها الإقليمية،على الرغم من تمسّك بن لادن والظواهري بالمرجعيات التقليدية المتعلقة بأدوار النساء غير القتالية. ويبدو أن السلطة المرجعية العلمية القطبية التي هيمنت على رؤية بن لادن والظواهري ساهمت في تحديد مواقفهما باستبعاد النساء، والتشديد على شعائر الهوية.

في المقابل، فإنّ اللافت هو أن السلطة المرجعية العلمية الوهابية الأشد احتفاء بسياسات الهوية كانت أسرع في تبني تحول أدوار المرأة داخل الجماعات الجهادية، فقد كان تأثير قائد المجاهدين العرب في الشيشان "خطاب (سامر سويلم)" والمسؤول الشرعي أبو عمر السيف واضحاً في استدخال المرأة في الجهاد. وقد تأثر كلّ من يوسف العييري وأبو مصعب الزرقاوي بهما أكثر من تأثرهما بأسامة بن لادن

(١٣٧) انظر: الأمريكية "جهاد جين" تدفع ببراءتها من اتهامات بـ"الإرهاب"، سي إن إن عربية، ١٧ أبريل، ٢٠١٠، على الرابط: http://archive.arabic.cnn.com/2010/world/3/18/jihadjane.notguilty/

(١٣٨) انظر:السجن ١٠ سنوات بحق الأمريكية "جهاد جين" لاتهامها بمساعدة تنظيم "القاعدة"، روسيا اليوم، ٦ يناير، ٢٠١٤، على الرابط: https://arabic.rt.

والظواهري؛ وكلاهما لم يكن في البداية جزء من تنظيم القاعدة. ويُمكن القول بأنّ العييري والزرقاوي هما من سيقومان باعطاء المرأة دوراً أكبر في الحركات الجهادية؛ العييري بمنح المرأة أدوار جهادية لوجستية في الفرع السعودي والزرقاوي بأدوار جهادية قتالية في العراق.

يعد الجهادي السعودي خطاب (سامر سويلم) من أبرز الأفغان العرب الذين ذهبوا إلى جبهة طاجيكستان عندما دخلت في حرب أهلية طاحنة امتدت على مدى خمس سنوات منذ عام ١٩٩٢ عقب استقلالها عن الاتحاد السوفييتي، إلا أن عام ١٩٩٥ شهد فشلاً ذريعاً للأفغان العرب مع فرض القوات الحكومية المسندة من روسيا سيطرتها، كما شهد نهاية جبهة طاجيكستان، وبداية صعود الأفغان العرب في جبهة الشيشان[١٣٩].

شكلت جبهة الشيشان ساحة جديدة للأفغان العرب عموماً والسعوديين خصوصاً، فعندما دارت رحى الحرب بين دعاة انفصال جمهورية الشيشان القوقازية وروسيا في أواخر عام ١٩٩٥، والتي تجددت عام ١٩٩٩، كانت جبهة الشيشان مثالية لشبكات الجهاد التضامني، حيث كان خطّاب قائداً للجهاديين العرب.وقد عمل خطاب منذ وصوله إلى الشيشان على بناء معسكرات تدريب بالتعاون مع القائد الشيشاني شامل بساييف، وأنشأ شبكات إمداد لوجستية لتسهيل دخول المتطوعين، وعمل على إعطاء المرأة أدواراً لوجستية وقتالية في وقت كانت العلاقة بين خطّاب وأسامة بن لادن متوترة؛ إذ لم يكن خطّاب ضمن شبكة تنظيم "القاعدة". ومنذ نهاية عام ١٩٩٩ تراجع زخم جبهة الشيشان، وتعرض معظم قيادات الأفغان العرب في الشيشان للتصفية والاغتيال على يد القوات الروسية، حيث تم اغتيال خطّاب برسالة مسمومة من قبل الاستخبارات الروسية في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٢، وبعدها قتل المنظر الجهادي أبو عمر السيف في أوائل كانون أول/ ديسمبر ٢٠٠٥. ودخلت الحالة الجهادية الشيشانية مسار الانشقاقات والاستقطابات بين التيارات الجهادية العالمية والقومية[١٤٠].

---

(١٣٩) انظر: راي تاكيه ونيكولاس غفوسديف، نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره، ترجمة حسان بستاني، دارالساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ١٩٧ ـ ٢٠٤.

(١٤٠) لمزيد من التفصيل، انظر: مراد بطل الشيشاني، تنظيم القاعدة: الرؤية الجيوسياسية،

يعتبر يوسف العييري[١٤١] الشخصية الجهادية الأهم في تطوير خطاب وممارسة تنظيم القاعدة المتعلقة بقضايا المرأة وتحديد أدوارها، وتلخص سيرته تحولات تنظيم القاعدة والجهادية السعودية، فهو المؤسس الفعلي لفرع تنظيم القاعدة في السعودية، الذي أطلق عليه قاعدة الجهاد في حزيرة العرب.وقد أصدر مجموعة من الكتب والرسائل خاصة بالمرأة ركز فيها على ضرورة استدخال النساء في الأعمال اللوجستية على خلاف أبو مصعب الزرقاوي، الذي عمل على إدماجها في الأعمال القتالية ،كما سيأتي، وكان كلاهما متأثرا بالتجربة الشيشانية وبالقائد خطاب وعلى صلات شخصية به على الرغم من عدم لقائهما بخطاب وجهاً لوجه[١٤٢].

والاستراتيجية والبنية الاجتماعية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ١٢٥ ـ ١٣٤.

(١٤١) يوسف العييري (١٩٧٤ ـ ٢٠٠٣)، يوسف بن صالح بن فهد العييري، ويلقب بـ "البتار"، ولد عام ١٩٧٤ لأسرة من الطبقة الوسطى، أصلها من القصيم، ثم استقر والده مع أسرته في الدمام، وقد ترك الدراسة وتوجه إلى أفغانستان وبرع في معسكرات التدريب، ورجع إلى السعودية في أواخر عام ١٩٩٣ حيث اعتقل بعد تفجيرات الخبر في حزيران /يونيو ١٩٩٦، ثمّ أخلي سبيله في حزيران / يونيو ١٩٩٨. وهو أول أمير للقاعدة في السعودية، وقد قتل العييري في ٣١ أيار/ مايو ٢٠٠٣، أثناء مواجهات مع القوات السعودية.

(١٤٢) عندما تأسس تنظيم القاعدة في السعودية على يد يوسف العييري خلال عام ٢٠٠٢، ظهر خلاف كبير بين قيادة تنظيم القاعدة وشبكة الزرقاوي حول الأولويات الاستراتيجية للسلفية الجهادية، حيث استقر رأي بن لادن والظواهري، بعد سقوط نظام طالبان وفقدان الملاذات الآمنة، على وجوب بدء العمليات العسكرية في المملكة العربية السعودية، من أجل زعزعة ثقة الولايات المتحدة بحليفتها، ويبدو أن قرار البدء بفتح باب المواجهة مع النظام السعودي قد تسبب بخلافات داخل الفرع السعودي، حيث وُوجه قرار بدء العمليات ضد النظام بمعارضة شديدة من قبل أمير التنظيم يوسف العييري، وبموقف محايد من قبل البعض الآخر مثل عبد العزيز المقرن. وبحسب محمد التميمي، وهو أحد المقربين من تنظيم القاعدة في السعودية، وأحد المجاهدين السابقين، فإن قرار بدء المواجهة جاء عبر اجتهاد شخصي داخل بعض الخلايا التي أسسها التنظيم، وأهمها الخلية التي كان يرأسها تركي الدندني، وخالد الحاج أبو حازم الشاعر اللذان ينتميان من الجناح المتشدد في التنظيم.

انظر: أنتوني كوردسمان ونواف عبيد، القاعدة في المملكة العربية السعودية: التهديدات المختلفة والمتطرفين الإسلاميين، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، واشنطن، www.csis.org،

كان يوسف العييري قد أسس القاعدة في جزيرة العرب خلال عام ٢٠٠٢، وتمكن من تأسيس شبكة جهادية واسعة، وفق برنامج إيديولوجي وتدريب عسكري، مستثمراً صلاته الجهادية الممتدة لتوفير تمويلات كافية. كما إنه كان يتمتع بتقدير واحترام الجهاديين في العالم نظراً لعمق كتاباته وكثرتها، ونظراً لخبرته في مجال الإنترنت، فقد أسس موقع "النداء" الإلكتروني الشهير منذ عام ٢٠٠١، كمنصة جهادية تتضمن أرشيفاً من الكتب والرسائل والفتاوى والمقالات الجهادية، وكان يقوم بإدارة الموقع وتحرير المواد وكتابة المقالات باسمه المستعار "البتار". كما أسس "مركز الدراسات والبحوث الإسلامية"، الذي كان نشطاً في نشر الكتب والدراسات الجهادية العالمية، وعمل على إصدار أحد أهم المجلات الجهادية العالمية، والتي حملت اسم "صوت الجهاد"، وأصبحت ناطقة باسم القاعدة في جزيرة العرب. وأصدر التنظيم مجلة "معسكر البتار"، وهي مجلّة مختصة بالمجالات العسكرية[١٤٣]. وقد أصدر التنظيم أول مجلة مجلة جهادية نسائية حملت اسم "الخنساء" في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤.

كرس العييري في كتاباته المتعلقة بالمرأة صورةً لم تكن متداوله في الفضاء الجهادي الذكوري، على الرغم من تأكيده بأن مكان المرأة الأساسي هو البيت ورعاية الأسرة، فعمل على إحياء نموذج المرأة المجاهدة في عصور الإسلام المختلفة. وفي رسالته بعنوان"دور النساء في جهاد الأعداء"، يجتهد العييري في سرد مجموعة من سير الصّحابيات والتّابعيات حتى الزمن الراهن ممن شاركن في الجهاد بطرائق مختلفة قتالية وغير قتالية. ويؤكد على دور المرأة في الجهاد بقوله "**ولم ينتصر الإسلام في عصوره الزّاهية على دول الكفر الأكثر منه عدّة وعددًا، ومالاً، إلا لما كانت المرأة على قدر المسؤوليّة؛ فهي التي تربي أولادها على الجهاد، وهي التي تصبر وتصبِّر أولادها وزوجها على مواصلة ذلك الطريق، فكانت مقولة القائل: "وراء كلّ رجلٍ عظيم امرأة" تنطبق على نساء المسلمين آنذاك، فنقول: "وراء كل مجاهدٍ عظيمٍ امرأةٌ" وما حرص أعداء الأمّة على تحرير المرأة إلا لأنهم علموا بأنّ المرأة هي قوام**

مايو ٢٠٠٤، نشر على موقع إسلام ديلي، ص ٩ -١١.

(١٤٣) صدر من مجلة صوت الجهاد (٣٠) عدداً، وقد صدر العدد الأول منها في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣، أما مجلة معسكر البتار، فقد صدر منها (٢٢) عدداً، ولم يصدر من مجلة الخنساء سوى عدد وحيد.

الأمّة.. . إن المرأة عنصرٌ مهمٌّ في الصّراع اليوم يجب حضورها وبكل إمكانيّاتها وعواطفها، وحضورها ليس عبارةً عن مكمّل في الصّراع، كلا، بل إنّ حضورها يعدُّ ركيزةً من ركائز النّصر ومواصلة الطّريق"[١٤٤].

وإذا كان العييري يسرد سير نماذج من نساء شاركن في الأعمال القتالية،فإنّه يركز على أن الأدوار اللوجستية هي المطلوبة من المرأة المعاصرة، فهو يقول: إنّ "**سبب مخاطبتنا في هذه الورقات المرأة، هو ما رأيناه بأنّ المرأة إذا اقتنعت بأمر كانت أعظم حافزٍ للرجال على أدائه، وإذا عارضت أمراًكانت من أعظم الموانع له . . . نحن لا نريد منك أن تدخلي أرض المعركة لما فيه من تبذّل وفتنة، ولكنّنا نريد منك أن تقتدي بنساء السلف في تحريضهن على الجهاد، وإعدادهن له وفي صبرهن على هذا الطريق، وفي شوقهن للمشاركة بكلّ شيء مقابل انتصار الإسلام . . . فأقل ما يطلب منك في حال خروج الرجال إلى الجهاد أن تسكتي وترضي بما أمر الله به، واعلمي أنّك حين تثنين الرجال عن الجهاد، سواء كانوا أبناء أو زوجاً أو إخوة فإنّ هذا نوعٌ من الصدّ عن سبيل الله، لا يرضاه أبداً**"[١٤٥].

لا يعتبر العييري – على وجه العموم- شاذاً في بيان دور المرأة في الجهاد في الإسلام عموماً والمذهب الحنبلي الوهابي خصوصاً، ففتاوى هيئة كبار العلماء في السعودية حافلة في تقرير المسألة.ولكن العييري قد استخدم المجال الفقهي التقليدي وطبقه على الأنظمة المعاصرة.ويتناول تنظيره الأساسي الجهاد التضامني في حال جهاد دفع الاحتلال،ثمّ يسحبه على الحكومات في العالمين العربي والإسلامي. وقد ذهب العييري في آرائه إلى ما قرره، بوجه عام، معظم علماء الوهابية، فالشيخ علي الخضير يقول: **ليس على المرأة جهاد مسلح .. أما دفاعها عن نفسها إن صال عليها صائل؛ فنعم.لكن إن رأى أهل الجهاد أو علماؤهم إشراك بعض النساء للحاجة، فلا مانع بعد إذن أهل الجهاد أو علمائهم. لأن بعض الصحابيات كن يخرجن للجهاد. وإن لم يتيسر ما قلنا فعليكِ جهاد من نوع آخر، وهو دعم المجاهدين**

(١٤٤) يوسف العييري، دور النساء في جهاد الأعداء، منبر التوحيد والجهاد، ص ٤، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9160.html

(١٤٥) المرجع السابق، ص ١٧.

بالمال والعلم والدعاء والقلم، وتربية أولادك على روح الجهاد ومعاداة الكفار وبغضهم. وتبقى المرأة عند أولادها، وتدعم عوائل المجاهدين والأسرى"[١٤٦].

دفع يوسف العييري التنظير حول مشاركة المرأة في الأعمال الجهادية القتالية إلى غاياته القصوى رغم طلبه من المرأة القيام بدور المساندة،دون القتال في أرض المعارك. فقد كتب رسالة تجيز قيام المرأة بتنفيذ عمليات انتحارية بعنوان "هل انتحرت حواء أم استشهدت؟" بعد أن قامت حواء برابيف الشيشانية بتنفيذ عملية انتحارية. وقد ذكر العييري أن سبب تأليف كتابه هو الرد على من أنكر على حواء تنفيذها للعملية باعتبار ذلك فعلاً غير مشروع، وعلى من اعتبروها منتحرة وليست شهيدة، فيقول: "**بعدما فرح أنصار الجهاد بما بذلته أختنا، وفي الوقت الذي لم تزل ألسنتنا تلهج بالدعاء لها والترحم عليها، جاءنا عن طريق البريد ما يعكر صفو فرحتنا، ولم يعكر صفوها ما جاءنا من عدو أو من حاسد، كلا. ولكن الذي عكر صفو فرحتنا ما جاءنا من بضعة أشخاص نحسن بهم الظن أنهم يريدون الخير والنصح، ولكنهم أخطؤوا فوصموا سيدة المجاهدات في الشيشان حواء برابيف، وصموها بالمنتحرة وقالوا بأنها قتلت نفسها ولا يجوز لها ذلك الفعل، كما أنه لا يجوز لنا ذكر خبرها في موقعنا بل ينبغي الإنكار عليها وأمثالها**"[١٤٧].

يمتدح العييري حواء وما قامت به ويشن حملة شعواء على من ذكرها بسوء ويعتبرها مثالاً وقدوة للجهاد والفداء، ويقول "**إن الأمة تعودت أن تسمع في تاريخها فداء الرجال لدينهم بأرواحهم، ولكن عهدها بما سطرته النساء بدمائهن بعيد. وإن الفتاة الشهيدة إن شاء الله حواء برابيف هي من جملة النساء القلائل التي سيحفظ التاريخ اسمها خالداً، فهي ضربت أروع الأمثلة بالفداء. فحق للروس بعد عمليتها أن ينتظروا الموت من كل مكان، وحق لهم أن تمتلئ قلوبهم رعباً من**

(١٤٦) انظر: علي بن خضي الخضير، هل على المرأة جهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9175.html

(١٤٧) انظر: يوسف العييري، هل انتحرت حواء أم استشهدت؟، ص ٢، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_13005.html

فتاة كهذه، وحق لكل حاسد أن يموت غيظاً من بطولتها، وآن لكل متخاذل أن يدس رأسه في التراب، فقد فعلت ما لم يفعله كثير من الرجال، وحق لكل مناصر أن يتحفّز شوقاً ليقدّم مثلما قدمت، وحق له أن يرفع رأسه بأن ظهر في الأمة مثل هذه النماذج. ونحن على يقين أن أمة فيها أمثالها لن تعدم الخير بإذنه"[١٤٨].

تطوّرت أدوار المرأة داخل تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ببطء من خلال القيام بأدوار تضامنية لوجستية في سياق المواجهة مع السلطات السعودية، واقتصرت مهامها على الجانب الإعلامي وجمع التبرعات والأموال ورعاية أسر المعتقلين، ولم تشارك في أي عمليات قتالية. وقد تمكن تنظيم القاعدة في السعودية من شن مجموعة من العمليات المسلحة، إلا أن السعودية تمكنت من استيعاب الهجمات، وباشر بشن حملة دعائية واسعة ناجحة عملت على حرمان التنظيم من عمليات التجنيد والملاذات الآمنة. كما قامت أجهزة الأمن السعودية باختراق خلايا التنظيم، ومتابعة قيادته، وإصدار قائمة بالمطلوبين الرئيسيين من أعضائه[١٤٩]. وبحلول عام ٢٠٠٥ تراجع تنظيم القاعدة في السعودية، وتمت محاصرة بقية أعضاء التنظيم الذين لم يعتقلوا أو يقتلوا، ونجح بعض المطلوبين بالخروج إلى العراق للمشاركة في القتال الدائر ضد الاحتلال الأمريكي[١٥٠].

(١٤٨) المرجع السابق، ص٣.

(١٤٩) تم قتل خالد الحاج اليمني (أحد قيادات فرع القاعدة في السعودية) في مهمة خاصة قامت بها أجهزة الأمن السعودي بتاريخ ١٥ آذار/ مارس ٢٠٠٣، وتمكنت الأجهزة الأمنية من قتل يوسف العييري في ٣١ أيار/ مايو ٢٠٠٣، أثناء متابعته أمام أحد الحواجز الأمنية، وتولى القيادة بعده عبد العزيز المقرن، الذي قتل هو الآخر في ١٩ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. وقد ساهم مقتل قادة التنظيم من الصف الأول في إضعاف التنظيم وتخبطه، وبدا واضحًا ضعف كفاءة وخبرة وقدرة القيادات الجديدة للتنظيم.

انظر: مجموعة الأزمات الدولية، المملكة العربية السعودية، من هم الإسلامويون؟، ٢١ أيلول ٢٠٠٤، التقرير رقم ٣١ للمجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (الشرق الأوسط)، ص ١٤ ـ ١٥، على الرابط: http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Middle%20

(١٥٠) أثبتت النتائج الكارثية لفرع القاعدة في السعودية افتقاره لحاضنة شعبية، وبرهنت على أن قوة الجهادية السعودية ترتكز على مشاركتها الخارجية التضامنية في حال وجود احتلال وقضية واضحة العدالة، حيث بدت استراتيجية الزرقاوي في العراق صائبة وأكثر نجاعة وأشد فاعلية. وقد

سوف تشهد السعودية أول حالة جهادية نسائية مع "زوجة صالح العوفي"، عندما ألقت السلطات السعودية القبض على فوزية العوفي وأبنائها، خلال مداهمة شقة في حي الملك فهد في الرياض في شهر يوليو/ تموز ٢٠٠٤. كانت فوزيّة في الشقّة مع عدد من قيادات تنظيم القاعدة، وقد قُتل اثنان منهم، وأصيب ثلاثة. وقد وجدت قوات الأمن السعوديّة، في ثلاجة الشقة، رأس الرهينة الأميركي جونسون، الذي قتلته القاعدة في السعودية، ثم صدر قرار بإطلاق سراح فوزيّة مراعاة لوضعها كامرأة وحاجة أبنائها لرعايتها وإعادة تأهيلهم نفسياً[١٥١].

ظهر تنامي دور المرأة من خلال إصدار أول مجلة إلكترونية جهادية نسائية حملت اسم "الخنساء" في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤، عن "المكتب الإعلامي النسوي بجزيرة العرب"، وكانت مشرفتها "أم أسامة"، وهي سيدة مصرية اعتقلتها السلطات السعودية لنشاطها في الذراع الإعلامية النسائية للتنظيم، واعترفت بأنها مسؤولة عن تحرير المجلة. وكان التلفزيون السعودي قد بث اعترافات لـ"أم أسامة" توضح فيها أنها كانت تقوم بـ"مهام لوجيستية" لتنظيم "القاعدة" من خلال موقعها الإلكتروني. بالإضافة إلى ذلك، تمثل دور أم أسامة بالإشراف على تدريب "مجاهدات القاعدة"، وتحرير القسم النسائي لمنشوراتها في السعودية. وبحسب المصادر السعودية تراجعت "أم أسامة" عن أفكار "القاعدة" بعد خضوعها لبرنامج "المناصحة"، وأعلن تنظيم القاعدة

بدأ عدد من رموز القاعدة في جزيرة العرب بالانحياز إلى الزرقاوي وشبكته عن طريق الرسائل الصوتية والمرئية والمكتوبة، حيث أصدر صالح العوفي عدة إصدارات يؤيد فيها ما يقوم به الزرقاوي في العراق، والتحق عدد كبير من أعضاء القاعدة في السعودية بشبكة الزرقاوي، وعلى رأسهم عبد الله الرشود، الأمر الذي ساهم في تجاوز بعض الخلافات بين رؤية تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن ورؤية شبكة الزرقاوي.

انظر: أنتوني كوردسمان ونواف عبيد، القاعدة في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق ص ١٣ - ١٨.

(١٥١) انظر: زوجة زعيم القاعدة في السعودية تناشد القيادة السعودية مساعدتها، العربية نت، ٢٠ مارس ٢٠٠٥، على الرابط: https://www.alarabiya.net/articles/2005/03/20/11390.html

طردها ووصفها بـ"المنافقة"[١٥٢].

لم يصدر من مجلة الخنساء سوى عدد وحيد تضمّن مجموعة من المقالات بأسماء نسائية حركية أمثال: أثير الخالدي، وأم المقداد، وأم رعد التميمي، وغيداء الحربي، وأم بدر، وأسيرة الجهاد. وقد حددت مقدمة العدد مهام وأدوار المرأة في الجهاد جاء فيها: "**سنقف متلفعات بخُمرنا، متشحات بعباءاتنا. أسلحتنا بأيديناوأطفالنا في أحضانناوكتاب الله وسنة نبينا مرشدنا وهادينا.. . إن دماء أزواجنا وأشلاء أطفالنا قربان نتقرب يه إلى الله حتى ييسر لنا المولى الشهادة في سبيله . . . لقد هبت رياح الجنة** ".ورغم المقدمة البلاغية، إلا أن أدوار المرأة بحسب مواد المجلّة كانت تنحصر على المهام اللوجستية غير القتالية[١٥٣].

إنّ عدم إصدار أعداد إضافية من مجلة الخنساء يشير إلى حقيقة ضعف وتفكك التنظيم في تلك المرحلة. فقد دخل تنظيم القاعدة في السعودية منذ نهاية عام ٢٠٠٥ في مرحلة من التفكك والانهيار[١٥٤].

ولعلّ هذا التراجع والتصدّع في قدرات القاعدة في السعودية، هو ما أطلق العنان لبروز نشاط نسائي جهادي من قبل زوجات وأقارب الجهاديين اللواتي بدأن ينشطن

---

(١٥٢) انظر: المجلات النسائية الصادرة عن التنظيم الإرهابي، موقع السكينة، على الرابط: http://www.assakina.com/center/parties/60180.html

(١٥٣) انظر: الخنساء، مجلة دورية تصدر كل شهر عن المكتب الإعلامي النسوي بجزيرة العرب، العدد الأول.

(١٥٤) بحسب توماس هيغهامر فقد تضافرت ثلاثة عوامل على إفشال مشروع الجهاد في الجزيرة العربية: الأول؛ هو قوة الدولة التي استطاعت بما تملكه من موارد غير محدودة واستراتيجية فاعلة في مكافحة الإرهاب تعطيلَ الحملة العسكرية التي أطلقها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، بالإضافة إلى أنّ استهداف التنظيم لمدنيين مسالمين من المسلمين قد أدى إلى تراجع شعبيته وانحسارها. والعامل الثاني؛ هو غياب الدعم الشعبي لمشروع التنظيم والاعتقاد العام بأن المسلحين ثوريون عازمون على إشاعة الفوضى. والعامل الثالث؛ هو حرب العراق التي شطرت الحركة الجهادية السعودية، وأضعفت جهود التعبئة التي بذلها التنظيم.
انظر: توماس هيغهامر، الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

في العالم الافتراضي للدفاع عن قضايا المعتقلين والملاحقين، بعد أن تعمقت قناعتهن، لدوافع دينية وإيديولوجية ونفسية، بضرورة الانخراط بصورة أكبر في الحركات الجهادية. وبدأ بعضهنّ بالتفكير بالهجرة للبحث عن ملاذات أكثر أمناً، بخاصةفي العراق واليمن؛ كما حدث مع وفاء اليحيى، وهي مطلقة من جهادي سعودي قاتل في أفغانستان، نشطت منذ ٢٠٠٥ على المنتديات الجهادية،وكانت معجبة بزعيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي، غادرت إلى هناك وتزوجت منه،وسنفصّل في ذلك القسم الثاني من الكتاب[١٥٥].

بعد تفكك تنظيم القاعدة في السعودية توجّه من تبقى من جهاديي السعودية إلى ساحات جهادية جديدة، وفي مقدمتها العراق.ولكن قاعدة الجهاد في جزيرة العرب سوف تعاود الظهور عبر البوابة اليمنية التي تمكنت من تأسيس فرع قاعدة الجهاد في جزيرة العرب–أرض اليمن في شباط/ فبراير ٢٠٠٦، بزعامة أمير القاعدة في اليمن أبو بصير الوحيشي[١٥٦]، بعد أن تمكن (٢٣) من معتقلي القاعدة في سجن الأمن السياسي في صنعاء من الهرب[١٥٧].

---

(١٥٥) لمزيد من التفصيل، انظر: الذكرى العاشرة لتفجيرات حمراء الرياض: قصة المرأة السعودية التي سافرت بأطفالها للعراق من أجل "الجهاد" وتزوجت الزرقاوي، صحيفة الشرق الأوسط، ١١ مايو ٢٠١٣، على الرابط: http://archive.aawsat.com/details.

(١٥٦) أبو بصير الوحيشي (١٩٧٦ ـ ٢٠١٥)، ناصر عبد الكريم عبد الله الوحيشي الملقب بـ"أبو بصير" غادر منزله في محافظة البيضاء الشمالية خلال التسعينيات للذهاب إلى أفغانستان، حيث أصبح مع مرور الوقت سكرتيراً لأسامة بن لادن. وهو من مواليد عام ١٩٧٦ من قرية مرتعة في مدينة البيضاء الحدودية بين جنوب اليمن والشمال، وبعد الغزو الأمريكي لأفغانستان دخل إيران حيث اعتقل هناك، وسُلِّم إلى اليمن وجرى إيداعه السجن في صنعاء. وتسلم الوحيشي قيادة تنظيم القاعدة في اليمن بعد أبو علي الحارثي، وتمكّن مع مجموعة الـ٢٢، في شباط/ فبراير ٢٠٠٦، من الفرار من السجن، وأعلن رسمياً تعيينه قائداً لـ"القاعدة" في اليمن في حزيران/ يونيو ٢٠٠٧. وكانت طائرة أمريكية بدون طيار قد استهدفت الوحيشي في مدينة المكلا بمحافظة حضرموت في ٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٥، وأعلن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عن مقتله في ١٦ حزيران/ يونيو ٢٠١٥.

(١٥٧) انظر: عبد الإله حيدر شائع، تنظيم القاعدة في اليمن من المحلي إلى الإقليمي والدولي، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠ يناير ٢٠١٠، على الرابط: http://studies.aljazeera.net/reports/2010/20117211915842120 0.htm

شهد اليمن(مطلع كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩) تطوراً كبيراً في مسار القاعدة في اليمن، وذلك عقب الإعلان عن اندماج تنظيمي القاعدة في اليمن والسعودية، وتشكيل "قاعدة الجهاد في جزيرة العرب"[١٥٨]، بقيادة اليمني ناصر عبد الكريم الوحيشي (أبو بصير)، ونائبه السّعودي سعيد علي الشّهري (أبو سفيان الأزدي)[١٥٩].

تطوّرت أدوار المرأة اللوجستية غير القتالية في صفوف القاعدة عبر البوابة السعودية ثم اليمنية، فبدت المرأة أكثر إصراراً على القيام بأدوار لوجستية والمغامرة بالالتحاق في أماكن خطرة، وهو ما ظهر مع وفاء الشهري التي التحقت برفقة أبنائها وأطفالها الثلاثة بزوجها سعيد الشهري في اليمن في ١٢ آذار/ مارس ٢٠٠٩، وباشرت القيام بأدوار إعلامية من خلال مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي التابعة للتنظيم.وقد أصدرت المؤسسة مجلة "صدى الملاحم" التي قام بتأسيسها أبو همام القحطاني، وصدر العدد الأول منها في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٨[١٦٠]. وتضمنت المجلّة باباً يخص النساء بعنوان "حفيدات أم عمارة"،أصبحت وفاء الشهري، والتي كانت

(١٥٨) انظر: الإعلان عن تأسيس قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، من هنا نبدأ وفي الأقصى نلتقي: كلمات قادة قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، شريط مرئي، ٢٠٠٩/١/٢٣، مؤسسة الملاحم، على الرابط: https://archive.org/details/here_we_start

(١٥٩) سعيد الشهري (١٩٧٣ ـ ٢٠١٣)، هو سعيد علي جابر الشهري، سعودي ولد في ١٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣ بالسعودية، وكنيته أبو سفيان الأزدي الشهري، كان يعمل ضابطًا بالأمن الداخلي السعودي قبل أن يسافر إلى أفغانستان قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. وقد اعتقلته القوات الأمريكية في باكستان في ديسمبر من العام ذاته، وتم نقله إلى معتقل جوانتاناموا حيث قضى فيه خمس سنوات. ثمّ تم تسليمه بعدها للسعودية، حيث التحق ببرنامج "المناصحة" الذي تنظمه وزارة الداخلية السعودية، من أجل مراجعة الأفكار والتخلي عن العمل المسلح. بعد الانتهاء من برنامج المناصحة غادر الشهري السعودية متجهًا إلى اليمن، حيث أصبح الرجل الثاني في التنظيم بعد ناصر الوحيشي، وقد تعرض الشهري لثلاث محاولات لاغتياله قبل أن يعلن التنظيم عن مقتله في ١٧ تموز/ يوليو ٢٠١٣ عن طريق طائرة أمريكية بدون طيار.

(١٦٠) أعلن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عن مقتل القحطاني عام ٢٠١٠، وأصدر سيرة جهادية تؤكد على تأسيسه لمؤسسة الملاحم، ودوره في التنظيم، انظر: أبو خالد العسيري، سيرة الشهيد أبو همام القحطاني، سلسلة شهداء الجزيرة (٤)، مؤسسة الملاحم، على الرابط: https://ia902609.us.archive.org/17/items/shamikh_118/4.pdf

تكتب تحت اسم "أم هاجر الأزدية"، أحد كتابه الأساسيين، إضافة إلى نساء أخريات كتبن بأسماء حركية أمثال: أم عبد الرحمن، وأم الحسن المهاجرة، وعاشقة الشهادة.

ركزت المضامين الخطابية لكاتبات صدى الملاحم، في باب حفيدات أم عمارة، على أدوار المرأة اللوجستية غير القتالية في الجهاد، وقد لخصتها أم عبد الرحمن في خدمة المجاهدين كإعداد الطعام ومساعدة الجرحى، والدفاع عن المجاهدين من خلال المشاركة الإعلامية، ومساعدة المجاهدين مالياً بجمع التبرعات،والاهتمام بتربية الأبناء والصبر والزهد والدعاء للمجاهدين[١٦١]. وكتبت أم هاجر الأزدية عن سير النساء كنماذج للاقتداء، وكتبت مقالاً بعنوان "خديجة .. قدوة حسنة"[١٦٢]. وفي السياق ذاته كتبت أم الحسن المهاجرة مقالاً بعنوان "رسالة لمن تحب الله ورسوله"، تسرد فيها قصص بعض نساء السلف كعبرة للصبر والزهد والجهاد[١٦٣].

ويبدو أن استجابة النساء كانت ضعيفة في تلبية طموح الجهاديات، وخصوصاً نساء المجاهدين اللواتي لم يكنّ على قدر التوقعات؛ حيث كتبت من تطلق على نفسها "عاشقة الشهادة" مقالة تقريعية لأزواج الجهاديين تحثهن على الطاعة والصبر والتضحية، وتقول: "**والله إنه ليحزنني حين علمت أن بعض نساء المجاهدين لا يساندن أزواجهن ولا يعينونهم ولا يصبرونهم ويشجعونهم على الجهاد والهجرة والنصرة**"[١٦٤].

تمثّلت الحالة الأكثر بروزاً في الجهادية النسائية السعودية في شخصية هيلة القصير المعروفة بكنية "أم الرباب"، والتي أطلقت عليها وسائل الإعلام السعودية لقب "سيدة

(١٦١) انظر: أم عبد الرحمن، دور المرأة في الجهاد، صدى الملاحم، مجلة دورية يصدرها تنظيم قاعدة الجهاد في جنوب جزيرة العرب، العدد٤، ١٤٢٩هـ، ص ٢٦ ـ ٣٧.

(١٦٢) انظر: أم هاجر الأزدية، خديجة .. قدوة حسنة، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد التاسع، ١٤٣٠ هـ، ص ٤٦.

(١٦٣) أم الحسن المهاجرة، رسالة لمن تحب الله ورسوله، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد العاشر ١٤٣٠ هـ، ص ٥١.

(١٦٤) عاشقة الشهادة، يا زوجة المجاهد، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد السادس عشر ١٤٣٢ هـ، ص ٤٧.

نساء تنظيم القاعدة". وقد اعتقلتها السلطات السعودية في ٢٤ آذار/ مارس ٢٠١٠، وحكم عليها بالسجن لمدة ١٥ عاماً بعد أن وجهت لها ١٨ تهمة، من بينها الانتماء إلى تنظيم القاعدة، ومساعدة القاعدة بتقديم خدمات لوجستية، والقيام بعملية غسيل أموال عبر جمع التبرعات وإرسالها إلى القاعدة في اليمن[١٦٥].وقد كتبت وفاء الشهري مقالاً عقب اعتقال صديقتها هيلة القصير في مجلة "صدى الملاحم" بعنوان "أحقاً أسرت يا أم الرباب"، وصفتها فيها بالمربية التي كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبالساعية على رعاية الأرامل والأطفال، وشنت حملة على السعودية لاعتقالها النساء، اللاتي وصفتهن بالعفيفات. ودعت النساء إلى الهجرة والجهاد[١٦٦].

إذا كان تنظيم القاعدة عموماً وفرعه في جزيرة العرب خصوصاً قد أسند للمرأة أدواراً لوجستية في هياكله التنظيمية وخصوصاً الإعلامية وجمع التبرعات المالية، فإن التحول نحو استدخال المرأة في الأعمال القتالية جاء عن طريق شبكة الزرقاوي وتنظيم الدولة الإسلامية؛ حيث أُعطيت المرأة أدواراً تتجاوز تراث الجهادية المحلية والتضامنية والعالمية من خلال نظرية دمج الأبعاد الجهادية والانتقال من حرب العصابات والنكاية إلى حروب السيطرة والتمكين لإقامة الدولة وتأسيس الخلافة.

الدولة الإسلامية والتحول في دور"المرأة الجهادية"

كان يوسف العييري مؤسس فرع تنظيم القاعدة في السعودية قد وضع الأسس النظرية لموقع المرأة في الحركة الجهادية وساهم باستدخال النساء في الأعمال اللوجستية داخل تنظيم القاعدة، لكن أبو مصعب الزرقاوي[١٦٧]عمل على إدماج المرأة في الأعمال

(١٦٥) سيأتي مزيد من التفصيل في ذلك في القسم الثاني من الكتاب.

(١٦٦) انظر: أم هاجر الأزدية، أحقا أسرت يا أم الرباب، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد الثالث عشر ١٤٣١ هـ، ص ٥٠.

(١٦٧) أبو مصعب الزرقاوي (١٩٦٦ ـ ٢٠٠٦)، أحمد فضيل نزّال الخلايلة، من مواليد مدينة الزرقاء في الأردن بتاريخ ٢٠ تشرين أول/ أكتوبر ١٩٦٦، ينتمي إلى قبيلة "بني حسن". انقطع عن الدّراسة بعد أن أكمل الصفّ الثّاني ثانوي. وفي عام ١٩٨٩ غادر إلى أفغانستان عن طريق

القتالية وغبر القتالية داخل تنظيم الدولة الإسلامية.وقد شكلت الإيديولوجية الوهابية والتجربة الجهادية الشيشانية خيطاً ناظماً لتصورات كلا الرجلين وممارساتهما العنيفة. كما كان القائد السعودي للجهاديين العرب في أفغانستان خطاب (سامر سويلم) نموذجهما وقدوتهما المفضلة[١٦٨].

بيشاور في باكستان، وعاد إلى الأردن في مطلع عام ١٩٩٣، حيث التقى بالمقدسي، واعتقل على خلفية الانتماء إلى تنظيم "بيعة الإمام"، وحكم عليه بالسجن لخمسة عشر عامًا. وفي عام ١٩٩٩ خرج بعفوٍ ملكيٍّ، وغادر في صيف العام ذاته إلى باكستان ثم أفغانستان. وفي بداية عام ٢٠٠٠ استقر الزرقاوي في "هيرات"، وأسس بها معسكرًا تدريبيًّا عقب هجمات الحادي عشر أيلول ٢٠٠١. وبعد الاحتلال الأمريكيّ للعراق في آذار ٢٠٠٣ بدأ الزّرقاوي من خلال شبكته بتنفيذ حرب عصابات واسعة، واعتمد تكتيكاتٍ قتاليّةٍ عنيفةٍ، وانضم إليه عددٌ من المقاتلين العرب والأجانب بالإضافة إلى العراقيّين، وقد انضم الزّرقاوي وتنظيمه "التوحيد والجهاد" إلى تنظيم القاعدة بتاريخ ١٧ تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٤، وفي التّاسع من حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ تمَّ الإعلان عن مقتل الزَّرقاوي، وذلك عن طريق غارة جوية أمريكية.

(١٦٨) برزت شبكة الزرقاوي خلال أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠، فقد شكل الحدث منعطفًا حاسًما في تبلور السَّلفية الجهاديّة العالمية، بعد الولادة الأولى لتنظيم القاعدة في أفغانستان، حين كانت ساحة رئيسية للحرب الباردة وقبلة للجهاديين. وقد تزامن سطوع نجم الزرقاوي مع حلول العولمة وثورة الاتصالات، وسرعان ما انتقل الزرقاوي من شخصٍ مغمور في مدينة الزرقاء الأردنية إلى أحد أهم الشخصيات الجهادية في العالم، وكان قبل ذلك قد قرر الذهاب إلى أفغانستان للمشاركة في الجهاد الأفغاني، عن طريق بيشاور في أفغانستان، حيث استقر في مدينة جلال آباد، وهي إحدى ضواحي بيشاور، التي تعتبر القاعدة الخلفيّة للمجاهدين العرب والأفغان، التي يوجد فيها "بيت الأنصار" الذي يتبع تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن، و"مكتب الخدمات" الذي يتبع عبد الله عزام، وهي محطّات أولى لاستقبال المتطوعين.وفي هذه الأثناء تعرَّف الزرقاوي لأولِّ مرة على أبو عبدالله المهاجر، وأبي محمد المقدسي في بيشاور، عن طريق أبي الوليد الأنصاري الفلسطيني المقرَّب من أبي قتادة الفلسطيني.

شهد الزَّرقاوي اغتيال عبد الله عزام في بيشاور في أيلول/ سبتمبر ١٩٨٩، وشارك في الموجة الثانية من معارك الحرب الأهليّة بين الفصائل الجهادية الأفغانية، والتحق بمعسكرات قلب الدين حكمتيار، إلى جانب جلال الدّين حقاني، وكان قد تدّرب في عدة معسكرات، وخاصة معسكر "صدى". عاد الزّرقاوي إلى الأردن عام ١٩٩٣، وبدأ بالاتصال بالمقدسيّ للعمل سويًّا على نشر السلفية الجهاديّة وأسس مع المقدسي جماعة جهادية عرفت باسم "بيعة الإمام"، وسرعان ما اعتقل في ٢٩ آذار/ مارس عام ١٩٩٤. وبعد خروجه من السجن بعفو ملكي شمل كافة السُّجناء

إنّ إحدى المسائل اللافتة في سيرة الزرقاوي هي إدراكه المبكر لأهمية شبكات المصاهرة وأنساق القرابة وعلاقات الصداقة في تأسيس مجتمع جهادي متماسك، فقد زوّج إحدى شقيقاته من الجهادي أبو قدامة صالح الهامي في بيشاور ١٩٩١، وكذلك زوّج شقيقته مريم من الجهادي أبو حسن هيثم مصطفى عبيدات، وزوّج شقيقته علياء

الأردنيين في ٢٣ آذار/ مارس ١٩٩٩، ذهب إلى أفغانستان، وأقام في مدينة جلال آباد في محيط بيشاور بالقرب من الحدود الأفغانية، وبدأ يعمل على إعادة بناء شبكته وكانت الحملات الأمنية الباكستانية قد تصاعدت باعتقال الأفغان العرب عقب قيام القاعدة بتأسيس "الجبهة العالميّة لقتال اليهود والصليبيين" عام ١٩٩٨، واستهداف السفارتين الأمريكتين في كينيا وتنزانيا في آب/ أغسطس من نفس العام، وقد حاول الزرقاوي الالتحاق بقائد الجهاديين العرب في الشيشان لكنه لم ينجح وبعدها قرّر الدخول إلى أفغانستان وبدأ العمل على إنشاء معسكره الخاص في منطقة "هيرات" على الحدود الأفغانية الإيرانيّة،وبرز كزعيم للجهاديين من الأردن وفلسطين وبلاد الشام، وتمكن من نسج علاقات واسعة مع جميع الأطراف.

اعتمد الزرقاوي في بناء شبكته وتنظيمه إيديولوجياً وفكرياً وفقهياً على مرجعية شيخه أبو عبدالله المهاجر. فقد كان للمهاجر الأثر المباشر في بناء عقيدة الزرقاوي القتالية ونهجه الفقهي، وخصوصاً في المسائل المتعلقة بأولوية قتال "العدو القريب" المتمثل بالمرتدين من الأنظمة العربية والإسلامية الحاكمة، وكذلك في مسألة تكفير الشيعة عموماً. كما إنّ معظم خيارات الزرقاوي الفقهية المتشددة الخاصة بالعمليات الانتحارية، ومسألة التترس، وعمليات الاختطاف والاغتيال، وقطع الرؤوس، وتكتيكات العنف والرعب، مستمدّة من المهاجر الذي رافقه حين عمل مدرساً في معسكر هيرات. وعلى الرغم من أهمية المهاجر إلا أن كتاباته عموماً وكتاب "مسائل من فقه الجهاد" تخلو من الحديث عن دور المرأة في الجهاد، الأمر الذي ينطبق على مرجعية الزرقاوي الأخرى؛ أبو بكر ناجي، التي استند إليه الزرقاوي على الصعيد الاستراتيجي العسكري وتكتيكات النكاية وإدارة التوحش والتمكين. إذ لا نجد أي حديث عن دور للمرأة في كتاب ناجي الأساسي "إدارة التوحش"، وهو أمر يمكن فهمه ببساطة باستحضار أن هؤلاء المنظرين قد كتبوا كتاباتهم قبل عام ٢٠٠٣، حين كانت أدوار النساء في الجماعات الجهادية لا تزال محدودة وهامشية قبل ظهور كتابات صالح يوسف العييري وبدء الاستفادة من التجربة الشيشانية والفلسطينية.

انظر: محمد أبو رمان، وحسن أبو هنيّة، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، مقاربة الهوية ـ أزمة القيادة ـ ضبابية الرؤية، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ١٢ ـ ٢٩.

من أبو القسام خالد العاروري[١٦٩]. وبحسب شهادة أبو المنتصر، الذي كان عضواً في مجموعة "بيعة الإمام"،فقد تبنت الجماعة مسألة تعدد الزوجات إذ يقول: "من أهم الأفكار التي تبنيناها أثناء العمل مع المقدسي وأبو مصعب مسألة تعدد الزوجات. . .لذلك نرى أن القيادة، على الأقل، قد عددت الزواج؛ فأبو محمد المقدسي تزوج الثانية قبل سجنه وهي أخت مصطفى (أحد أعضاء الجماعة) وتزوجت أنا والزرقاوي بعد الخروج من السجن . وتزوج خالد العاروري (الذراع الأيمن للزرقاوي) من أخت الزرقاوي"[١٧٠].

جسّد معسكر "هيرات" الذي أسسه الزرقاوي في أفغانستان عام ٢٠٠٠، مجتمعاً جهادياً مصغراً وكان يضم نحو ٨٠ عضواً مع عائلاتهم تحت إمرته[١٧١].وقد تزوج الزرقاوي في هيرات للمرة الثانية من إسراء، ابنة ياسين جراد، وقد نفذ صهره جراد،لاحقاً، عملية اغتيال الزعيم الديني الشيعي المعروف، باقر الحكيم بعملية انتحارية في آب/ أغسطس ٢٠٠٣.وبحسب شهادة سيف العدل المسؤول الأمني في تنظيم القاعدة فقد نجح الزرقاوي "ببناء مجتمع إسلامي مصغر"[١٧٢].

عندما هاجم تنظيم القاعدة الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، قامت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان عبر تحالف دولي بهدف القضاء

(١٦٩) انظر: جان شارل بريزار، أبو مصعب الزرقاوي: الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٤٧.

(١٧٠) انظر: شهادة أبو المنتصر، ضمن فؤاد حسين، الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٩٤.

(١٧١) شكَّل هؤلاء النواة الأساسية لشبكة الزرقاوي من الجهاديين العرب والأجانب، وفي مقدمتهم: خالد العاروري أبو القسام، وعبد الهادي دغلس (أبو عبيدة)، ورائد خريسات (أبو عبد الرحمن الشامي)، وعزمي الجيوسي، ونضال عربيات، ومعمر الجغبير، وياسين جراد، ومن سوريا: سليمان خالد درويش (أبو الغادية)، وأبو محمد اللبناني، وعمل كذلك على إيجاد قاعدة له في كردستان العراق، وأشرف على معسكرات التدريب في "سرغات" في كردستان العراق.

(١٧٢) انظر: سيف العدل، تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9618.html

على نظام حكم طالبان، وحليفه تنظيم القاعدة، وسرعان ما نظّم الزّرقاوي عمليّة خروجه وأتباعه إلى إيران.وعندما تمكّنت القوات الأميركية في التاسع من نيسان/ إبريل ٢٠٠٣ من احتلال بغداد، وإسقاط نظام صدام حسين، دخل الزرقاوي العراق وبدأ بشن حرب عصابات معتمداً على شبكته التي بدأ بتوسيعها.

لم تشهد شبكة الزرقاوي المزدهرة في بداياتها استدخال النساء في الأعمال القتالية.وعندما أعلن عن تأسيس جماعة "التوحيد والجهاد" في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣ حافظت الجماعة على نهجها الذكوري. لكن ذلك قد بدأ بالتغيّر مع توسع وانتشار التنظيم ضمن حاضنة اجتماعية في المناطق السنية، بعد ظهور ممارسات طائفية شيعية ضد المكون السني واتساع نطاق الاعتقالات لتشمل النساء.حينها، تبلور موقف الزرقاوي تجاه استهداف الشيعة لأسباب هوياتية طائفية صريحة مع نهاية عام ٢٠٠٤، بحسب المسؤول الإعلامي للجماعة ميسرة الغريب[١٧٣]، وذلك بعد معارك الفلوجة الأولى في نيسان/ إبريل ٢٠٠٤،والتي أسفرت عن سيطرة جماعة الزرقاوي عن المدينة، وبدء معركة الفلوجة الثانية في تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤.

مع تصاعد حملة الاعتقالات في صفوف النساء والرجال من السنة،والتي تضمّنت حالات تعذيب واغتصاب واعتداءات جنسية كما أظهرت سلسلة التقارير المروعة حول سجن "أبو غريب"[١٧٤]، أصبحت المرأة في صلب خطاب المقاومة العراقية

(١٧٣) ميسرة الغريب، مقاتلة الشيعة في العراق: الحُكْمُ والحكمة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الحلقة الرابعة.

(١٧٤) بدأت الصدمة مع نشر الصور على برنامج "٦٠ دقيقة" الأمريكي. تلاه بعد يومين فقط تحقيق من كاتب النيويوركر المخضرم "سيمور هيرش". لقد رسم هيرش صورة لسياسة التعذيب المنهجي المتعمد، وتتبع أحداث أبوغريب عن طريق متابعة ضباط وكالة المخابرات، والمختصين في الاستجواب، والمترجمين، ومقاولي الدفاع، وحتى حراس السجن. كان "هيرش" أول من وصف بالتفصيل ما الذي حدث في سجن أبوغريب بالعراق، واقتبس هيرش من "تقرير تاجوبا"، وهو خلاصة تحقيق داخلي سري في الجيش الأمريكي حول الانتهاكات ضد العديد من السجناء (سمى التقرير بذلك نسبة للواء أنطونيو تاجوبا، الذي قاد عملية التحقيق). انظر: سيمور هيرش: المنطقة الرمادية: كيف انتقل برنامج سري للبنتاغون إلى أبو غريب، المستقبل العربي، بيروت،

عموماً، وجماعةالزرقاوي خصوصاً[١٧٥].وباتت المرأة إحدى أهم القضايا في التعبئة والتجنيد، مما دفع الزرقاوي إلى محاولة اقتحام السجن مرات عديدة بهدف تحرير المعتقلين والمعتقلات.

أصبحت خطابات الزرقاوي وقاعدة العراق (بعد أن بايع أسامة بن لادن في ٢٠٠٤) تتضمن مساحة للحديث عن الانتهاكات بحق المرأة العراقية على يد قوات الاحتلال الأمريكي وقوات الحكومة العراقية التي يهيمن عليها المكون الشيعي وأصبحت المرأة السنيّة الممتهنة التي تتعرض للاعتقال والانتهاك والاغتصاب ثيمة ثابتة، ومسألة حيوية في الاستقطاب والتعبئة والتجنيد. وقد شن تنظيم القاعدة عملية منسقة كبيرة على سجن أبي غريب لتحرير المعتقلين، وخصوصاً النساء، للمرة الثانية في كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٥ حملت اسم قائد العملية الأولى "أبو أنس الشامي"[١٧٦]، وتضمنت العمليّة تفجير سيارتين مفخختين، وقدأسفرت العمليّة عن تحرير أكثر من ١٥٠ معتقل.

جاء استدخال المرأة في صفوف قاعدة العراق على خلفية تصاعد الطائفية والحرب الأهلية في ظل الاحتلال الأمريكي وتنامي اعتقال نساء السنة مع صدور قانون الإرهاب. إذ تشير مقابلات منظمة هيومن رايتس ووتش، خلال هذه الفترة، مع محتجزات ومع محامين وقضاة، إلى أن السلطات كانت تحتجز ما لا يقل عن ١٠٠ سيدة، وربما أكثر بكثير، بموجب القانون ١٣ لسنة ٢٠٠٥[١٧٧].

العدد ٢٧، تموز/ يوليو ٢٠٠٤، نقلا" عن أسبوعية نيويوركر الأمريكية في ٢٤ أيار/ مايو ٢٠٠٤.

(١٧٥) لمزيد من التفصيل حول الانتهاكات بحق النساء في سجن أبو غريب، انظر: فاضل الربيعي، نساء أبو غريب: بزوغ مجتمع اغتصاب نموذجي في العراق الجديد (إعادة بناء الرواية الناقصة عن فضيحة سجن أبو غريب)، المستقبل العربي، السنة ٢٨، العدد ٣١٦، حزيران/يونيو ٢٠٠٥.

(١٧٦) انظر: الدكتور وليد الراوي، دولة العراق الإسلامية، دار آمنة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(١٧٧) يفرض قانون مكافحة الإرهاب العراقي عقوبة الإعدام لكلّ "من يرتكب أعمالًا إرهابية" ولـ"كل من يمكّن الإرهابيين من ارتكاب تلك الجرائم". يجري احتجاز العديد من السيدات بموجب المادة ٤ من القانون لـ"تسترهن" المزعوم على أزواجهن، ويشير التقرير إلى اعتداءات جنسية

كانت قصص الانتهاكات والممارسات الشنيعة في السجون العراقية بحق الرجال والنساء تتسرب وتنتشر بصورة هائلة في المجتمع العراقي السني خصوصاً والعالم العربي الإسلامي السني عموماً. وأصبحت خطابات الزرقاوي تخاطب المرأة بشكل مستمر، وتحرّض الرجال على تحرير النساء من المعتقلات وإنقاذهن من الانتهاكات على يد قوات الاحتلال الأمريكي والحكومة الشيعية؛ ففي كلمة للزرقاوي بعنوان "يا أهل الإسلام: الشدّة الشدّة" في نيسان/ إبريل ٢٠٠٥، يخاطب الزرقاوي المقاتلين السنة والمسلمين بقوله "**كيف يضعف يقينكم وتخور عزيمتكم وأنتم ترون العدو قد استباح الديار وانتهك الأعراض . .. أوما سمعتم صرخات أخواتكم تستغيث من وراء أسوار سجون القهر الصليبي؟ أوما بلغكم ما حلّ بأخواتكم في فلوجة العز؟ أوما سمعتم صرخة أمكم التي داس كرامتها رافضيّ خبيث يوم أن جاؤوا ليعتقلوا زوجها، ولمّا لم يجدوه قاموا باعتقالها وهي تستغيث وتتوسل حتى قبّلت حذاءه راجيةً منه ألا يسلمها إلى الأمريكان، قائلةً له أنا عراقية وأنت عراقي فلماذا تسلمني إليهم فما كان من جنود الحرس الوثني إلا أن عصبوا عينيها وقيدوا يديها إلى ظهرها وحملوها وقذفوا بها في سيارة الاعتقال الأمريكية**".ويضيف الزرقاوي بعد أن يشن حملة على من أسماهم علماء السوء: " **أين هم المدفعون عن أعراض المسلمات؟**" **ويقول**: "**لبيك يا أماه ولبيك يا أختاه، لبيك أيتها الطاهرة العفيفة، فوالله لن يهنأ لنا عيش، ولن يغمض لنا جفن، ولن يعمد لنا سيف حتى نثأر لعرضكن وكرامتكن**".ويقول مذكراً بإنجازاته بتحرير النساء من السجون "**اجعلو من غزوة الثأر (غزوة أبي أنس الشامي) بداية عهد جديد للفتوحات**"[١٧٨].

وحالات اغتصاب وصور فظيعة من التعذيب، وبحسب التقرير: يبدو أن السيدات تتعرض لاستهداف غير متناسب بسبب علاقتهن بأقارب من الذكور تعتبرهم الحكومة مشتبهاً بهم، وخاصة في قضايا الإرهاب. ويمثّل استهداف السيدات كوسيلة للوصول إلى المشتبه بهم الذكور عقاباً لهن على جرائم لم يرتكبنها، مما ينتهك حقهن في سلامة الإجراءات القانونية.

انظر: "لا أحد آمن": انتهاك حقوق المرأة في نظام العدالة الجنائية العراقي، منظمة هيومن رايتس ووتش، ٥ فبراير ٢٠١٤، على الرابط: https://www.hrw.org/ar/report/2014/02/05/256515

(١٧٨) أبو مصعب الزرقاوي، يأ أهل الإسلام الشدة الشدة، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، ص ٢٣٤.

في سياق توسع الزرقاوي باستخدام العمليات الانتحارية لاستهداف القوات الأميركية والشيعة، وتزايد الانتقادات بهذا الشأن، وتمهيداً لاستدخال المرأة في العمليات الانتحارية شدد الزرقاوي في كلمة بعنوان "وعاد أحفاد ابن العلقمي" في مايو/أيار ٢٠٠٥ على جواز العمليات الانتحارية ومسألة كفر الشيعة ولخص ما قرره شيخُه أبو عبدالله المهاجر، وركّز على ممارسات الاحتلال الأمريكي والشيعة بحق النساء من الاعتقال والتعذيب والاغتصاب[١٧٩].

من الواضح أنّ تنظيم القاعدة في العراق بزعامة الزرقاوي بدأ يفكر باستدخال النساء في العمليات القتالية وخصوصاً الانتحارية منتصف ٢٠٠٥. فقد أصبحت خطاباته الموجهة للرجال تتدرج من استخدام الانتهاكات بحق نساء السنة من أجل تجنيد الرجال إلى مخاطبة النساء بصورة مباشرة، ففي كلمة مطولة للزرقاوي، تنطوي على أهمية تأسيسيّة، بعنوان "أينقص الدين وأنا حي؟" في تموز/ يوليو ٢٠٠٥ يخاطب الرجال بالقول: "**متى نستميت في الدفاع عن أعراض المسلمين والمسلمات؟ أعندما يدخل عُبّاد الصليب إلى أرض الشام؟ أم إلى مكة والمدينة وينتهكوا أعراضنا فعندها تكون الاستماتة في القتال؟! فما بال أخواتنا نساء العراق من ذوات الخدور العفيفات الطاهرات، اللواتي يجأرن إلى الله في قعر زلازلهن من ظلم أعداء الله؟! والله يعلم أن ظفر امرأة من أهل السنة في العراق عامة وأهل الفلوجة خاصة؛ أحب إليّ من الدنيا وما فيها. فوالله لو أن "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" يفنى عن بكرة أبيه على أن تحرر النساء من سجون الصليبيين والروافض الحاقدين؛ لما ترددنا في ذلك لحظة واحدة**"[١٨٠].

وفي كلمته الموجهة للمرأة لأول مرة حمّل الزرقاوي النساء مسؤولية مباشرة وطالبهنّ القيام بأدوار لوجستية متعددة، ومهّد لبداية إشراك المرأة في الأعمال القتالية

(١٧٩) أبو مصعب الزرقاوي، وعاد أحفاد ابن العلقمي، بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٠٥، سلسلة محاضرات، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، ص ٢٥٩ . ٢٦١.

(١٨٠) أبو مصعب الزرقاوي، أينقص الدين وأنا حي؟، بتاريخ ٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٥، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، ص ٢٩٩.

والانتحارية، حيث وجه خطابه إلى المرأة بقوله: "**هذه رسالة إلى الحرائر من نساء الرافدين خاصة وإلى نساء الأمة عامة"أين أنتن من هذا الجهاد المبارك؟ وماذا قدمتن لهذه الأمة؟ ألا تتقين الله في أنفسكن؟ أتُربين أولادكن ليذبحوا على موائد الطواغيت؟ أرضيتن بالخنوع والقعود عن هذا الجهاد؟ ألا ترين أن الرجال قد أذالوا الخيل ووضعوا السلاح وقالوا؛ "لا جهاد"؟ فما لكنّ لا تلقين أولادكن في أتون المعركة حتى يصطلوا بنارها ويدافعوا عن هذا الدين؟ لماذا لا تحرضن أزواجكن وأولادكن على جهاد الصليبيين وقتال المرتدين، وبذل نفوسهم ودمائهم رخيصة في سبيل هذا الدين؟لقد كانت المرأة من المشركين في يوم أحد – وهن على الباطل – تحمل معها المكاحل والمراود، فكلما ولّى رجل أو تكعكع ناولته إحداهن مروداً ومكحلة، وقلن له؛ "إنما أنت امرأة"، فما بالكن وأنتن على الحق؟! الله الله في أنفسكن أعتقنها من النار، الله الله يا حفيدات أم عمارة، وما أدراكن ما أم عمارة؟ قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: (لمقامها اليوم خير من مقام فلان وفلان). وكانت رضي الله عنها لا ترى الخطر يدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون سداده وملأ لهوته، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني)، وشهدت رضي الله عنها اليمامة، فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثنا عشر جرحاً.**"

إن المرأة المجاهدة هي التي تربي وليدها؛ لا ليعيش، بل ليُقاتل، ثم ليُقتل، ثم ليعيش فيكون حراً... ما أعظمها من همة، وما أسماها من نية. الله الله يا حفيدات صفية وأسماء والخنساء. ألا ترين أن الأمة تُنحر من الوريد إلى الوريد، وتُستباح من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها؟ ألم يبلغكن ما تلاقيه أخواتكن في سجون القهر الصليبي؟ وهل استشعرت إحداكن أن لو كانت مكانهن كيف سيكون حالها وأنها تتمنى من أبناء الأمة استنقاذها وفك أسرها؟

ولقد بعث لي كثير من الأخوات المجاهدات في أرض الرافدين، يطلبن القيام بعمليات استشهادية، ويلححن في طلب ذلك، وقد كتبت لي إحداهن رسالة سطرتها بمزيج دمعها ودمها، وذلك بعد استشهاد الاخوة في عملية أبي غريب، التي كانوا يرومون منها استنقاذ الأسيرات من سجون القهر الصليبي، كتبت تلح

علي فيها بتنفيذ عملية استشهادية، قائلة: (إن الحياة لا تطيب بعد مقتل هؤلاء)، واستحلفتني بالله طويلاً أن أستجيب لها في طلبها، ومنذ ذلك اليوم وإلى هذه الساعة – وذلك قرابة ثمانية أشهر – وهي تواصل الصوم لا تفطر.

ويعلم الله مقدار تأثري بكلماتها وما تمالكت نفسي فبكيت أسفاً على حال هذه الأمة. ألهذا الحد وصلت المهانة بأمتي، هل فني الرجال فاضطررنا لتجنيد النساء؟! أليس من العار على أبناء أمتي أن تطلب أخواتنا الطاهرات العفيفات أن يقمن بالعمليات الاستشهادية ورجال أمتي في سباتهم نائمون وفي لهوهم يلعبون؟!"[١٨١].

دشن هذا الخطاب التأسيسي مرحلة جديدة من "استدخال النساء" في هياكل الجهادية العالمية. فقد مثّل موقف الزرقاوي تحوّلاً في أدوار المرأة الجهادية– كما يلاحظ فائق الجنابي–حيث أسس لنموذج "المرأة الاستشهادية" في مقابل "الرجل المتخاذل" عن الالتحاق بساحات القتال في العراق، بعد أن تجنب منظرو تنظيم القاعدة هذه القضية"الشائكة" دينياً واجتماعياً لسنوات.وبحسب الجنابي؛ فإن معظم الباحثين لم يتمكنوا في ذلك الوقت من الربط بين استخدام الزرقاوي لورقة "الاستشهاديات" من أجل جذب المزيدمن المقاتلين الأجانب، وبين مرحلة العنف الطائفي التي بدأت بعد خمسة أشهر من ذلك والتي بدأت مع تفجيرات المراقد المقدسة بمدينة سامراء في شباط/ فبراير ٢٠٠٦[١٨٢].

بالطبع،كان الزرقاوي يسعى لحشد السنة في العراق والعالم العربي والإسلامي لخوض حرب واسعة ضدّ "الصليبية" الاحتلالية و"الصفويّة" الطائفية، وهي مفردات تقع في المعجم الهوياتي لقاعدة الزرقاوي والدولة الإسلامية. وقد استثمر الزرقاوي ما تتعرض له المرأة في العراق من السجن والاعتقال والانتهاكات الجنسية والاغتصاب، في مجتمعات دينية محافظة؛ تشكل قيمة العرض والشرف فيها مسألة حيوية وجودية

(١٨١) أبو مصعب الزرقاوي، "أينقص الدين وأنا حي؟"، المرجع السابق، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨.

(١٨٢) انظر: ميادة داود، أجيال الانتحاريات في العراق: بين رباعية الموت والإخلاصلأمراء غرباء، تحقيق، شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج)، ١٥ يونيو ٢٠١٢، على الرابط: http://www.nirij.org/?p=625

لإثارة الحمية الدينية والقبلية وجلب المقاتلين، مع تنامي نذر حرب أهلية طائفية تحت الاحتلال.

بعد عملية تحرير المعتقلين والمعتقلات من سجن أبو غريب من قبل تنظيم قاعدة العراق اكتسب الزرقاوي في أوساط السنة سمعة جيدة وظهر التنظيم كدرع واقٍ يدافع بصلابة عن حقوق السنة. وتعكس الرسالة التي تسربت من امرأة سنيّة تدعى فاطمة من داخل سجن الكاظمية في آب/ أغسطس ٢٠٠٥ وانتشرت عبر وسائل الإعلام الجديد وشبكة الإنترنت، بصورة لافتة، صورةَ الزرقاوي كمخلِّص بعد أن خاطبته بقولها:"حررنا يا زرقاوي، حررونا يكفي عذاب" [١٨٣].

حققت رسالة الزرقاوي للنساء نجاحاً كبيراً وأثرا سريعاً، فارتفعت نسبة المتطوعين العرب والأجانب من الرجال والنساء، وأصبح نموذج "المرأة الاستشهادية" مقبولاً ومشروعاً، بعد أن كانت النساء مستبعدات من "باب الشهادة". ودخلت ظاهرة "الانتحاريات" مرحلة جديدة انتقلت فيها من الخطاب والقول إلى الممارسة والفعل. وقد جاء الإعلان عن ولادة ظاهرة العمليات الانتحاريّة النسائية وتدشينها بصورة جهادية معولمة عابرة للحدود مع العمليتين الانتحاريتين المتزامنتين في اليوم نفسه في ٩ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥، لكل من موريل ديغوك وساجدة الريشاوي، كما

(١٨٣) وجهت فاطمة رسالة من نساء العراق إلى أبو مصعب الزرقاوي، تقول فيها " أنا فاطمة ومن السنة بالعراق سجنت قبل ثلاثة أشهر. في أول عشرة أيام لم يكن لدي أي تهمة أو تحقيق، بعد ذلك أنزلوني للتحقيق والتعذيب وكانت هناك التهم وكانت هناك المذلة. ذهب الكبرياء والشرف. لم يبقي لنا صديق سوي الموت ليرحمنا مما نحن فيه. اغتصاب وتعذيب ليل نهار. وحوش أمامنا لا يفهمون سوي القتل والتعذيب والأعمال الإجرامية. كل يوم نموت ولا نحيا إلا على صوت فتاة أخرى يقوم بتعذيبها واغتصابها العملاء من الشرطة العراقية. فلم يتركنا قائد ولا عسكري في المركز وإلا وقام باغتصابنا وتعذيبنا بطرق مشينة لم نتخيلها ابداً. أرجوكم وأمانة في أعناقكم أن تنشروا هذه الرسالة وتوصلوها لقائد المجاهدين "أبو مصعب الزرقاوي" ولكل مجاهد من الفلوجة وبغداد "الرشيد" وكل مجاهد مازال يسجد لله أن يفجرهم ويدمرهم فنحن ما عاد يهمنا سوي أنا نموت لكي نتخلص مما نواجهه فوالله لا نعلم ما في بطوننا ولا نعلم من آباؤهم، حررنا يا زرقاوي، حررونا يكفي عذاب".

انظر: رسالة خطيرة للغاية من نساء العراق إلى "أبو مصعب الزرقاوي"، على الرابط: https:// forums.graaam.com/13153.html

سنأتي على ذكر ذلك لاحقاً[١٨٤].

مع تنامي قدرات الفرع العراقي للقاعدة نهاية عام ٢٠٠٥، وزيادة مجال نفوذه وانتشاره، بدأ يفكر بإنشاء إمارة سنيّة. وقد ساهمت قدراته وفاعليته ونجاحه باستقطاب عدد من الجماعات السنيّة المسلحة، فأعلن في كانون أول/ ديسمبر ٢٠٠٥عن تأسيس "مجلس شورى المجاهدين"[١٨٥] إلا أن مقتل الزرقاوي في ٧ يونيو/ حزيران ٢٠٠٦، حال دون الإعلان عن ذلك، وقد سارع خلفاء الزرقاوي إلى تحقيقه وإعلان دولة إسلامية على أساس الهوية السنية باسم "دولة العراق الإسلامية" في ١٥ تشرين ثاني/ أكتوبر ٢٠٠٦[١٨٦]، وتولى أبو عمر البغدادي[١٨٧] منصب أمير دولة العراق

(١٨٤) انظر: صوفي فيوليه، الإسلاموية المتطرفة والغرب: أسباب الالتحاق بالتشكيلات الإسلاموية المسماة متطرفة في المجتمعات الغربية، ترجمة محمد أحمد صبح، دار نينوى، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص ٥١ ـ ٥٣.

(١٨٥) انظر: بيان تأسيس مجلس شورى المجاهدين، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=5cqkqf0o

(١٨٦) جاء بيان التأسيس الذي أعلنه محارب الجبوري المتحدث باسم دولة العراق الإسلامية ـ وزارة الإعلام معبراً عن التغيرات في الساحة العراقية وتهميش المكون السني، انظر: نص البيان على الرابط: https://nokbah.com/~w3/?p=536

(١٨٧) أبو عمر البغدادي (١٩٥٨ ـ ٢٠١٠)، حامد داوود محمد خليل الزاوي، من مواليد عام ١٩٥٨، في قرية الزاوية التابعة لمدينة حديثة في ولاية الأنبار. تخرج من كلية الشرطة في بغداد، وكانت بداية عمله ضابطاً في الشرطة العراقية. وعقب الاحتلال الأميركي للعراق ٢٠٠٣، بدأت اهتماماته الجهادية بالظهور، وباشر التدريب مع عدد من أصدقائه في حديثة، وأسس مع مجموعة من المقاتلين جماعة جهادية، ثم أخذ بالتواصل مع أبي مصعب الزرقاوي، حيث انضم إلى جماعة "التوحيد والجهاد" . ثم تسلم مهاماً عدة وتنقل بين الولايات في المحافظات العراقية، إلى أن أصبح مسؤولاً عاماً عن تنظيمها. وبعد مقتل الزرقاوي في ٧ يونيو/ حزيران ٢٠٠٦، تم الإعلان عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" في ١٥ تشرين الثاني/ أكتوبر ٢٠٠٦، ومبايعة أبي عمر البغدادي أميراً للدولة. وفي ١٩نيسان/ إبريل ٢٠١٠ أعلنت القوات الأميركية عن مقتل أبي عمر البغدادي، وأبي حمزة المهاجر في بلدة الثرثار في محافظة صلاح الدين.

الإسلامية، بمباركة بن لادن[١٨٨].

عند الإعلان عن التشكيلة الوزارية لحكومة دولة العراق الإسلامية في١٩ نيسان/ إبريل ٢٠٠٧،خلت التشكيلة من تولي المرأة لأي منصب وزاري[١٨٩]. وعلى الرغم من إعلان الدولة، إلاّ أنّ التنظيم بدأ واقعياً بالانحسار، بعد تمرد المجتمع السني عليه.وكان التنظيم يعاني حالة من العزلة والضعف، ويفتقد إلى الجاذبية الإيديولوجية الضرورية للحشد والتعبئة والتجنيد، كما كان يفتقد الموارد البشرية والمالية اللازمة للصمود، ويفتقر إلى الحاضنة الاجتماعية الأساسية للازدهار والنمو، ولا يتوافر على عمق جغرافي استراتيجي لإسناد حروب الاستنزاف[١٩٠].

سوف تحافظ خطابات وكلمات زعيم التنظيم الجديد أبو عمر البغدادي على نهج الزرقاوي باستحضار معاناة المرأة لتحريض الرجال على الانضمام للتنظيم من خلال التركيز على ما تتعرض له النساء من انتهاكات في السجون وفي المناطق السنية، كما يعبّر عن ذلك أحد عناوين خطاباته، في تموز/ يوليو ٢٠٠٩، "العز بصيانة الدين والعرض"[١٩١].

وعلى الرغم من خلو وزارات التنظيم الافتراضية من النساء، إلا أدوار المرأة اللوجستية والقتالية قد تنامت في صفوف التنظيم، فزادت وتيرة اعتقالات النساء بتهمة الانتماء لتنظيم دولة العراق الإسلامية. وفي أواسط ٢٠٠٧ اتسعت ظاهرة الانتحاريات لتتحول من التجنيد الفردي إلى التنظيم الجماعي، وقد أعلن التنظيم عن تشكيل أول "كتيبة استشهادية" في العراق؛ باسم كتيبة "الخنساء". وبين ربيع عام

(١٨٨) أسامة بن لادن، السبيل لإحباط المؤامرات، مؤسسة السحاب، ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٧،على الرابط: https://archive.org/details/Osma_E7bat_Mo2amrat

(١٨٩) انظر: التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، ١٩ إبريل ٢٠٠٧، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

(١٩٠) برايان فيشمان، اختلال الوظيفة والانحدار: الدروس المستفادة من داخل شبكة القاعدة في العراق، مركز دراسات الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت، آذار/ مارس ٢٠٠٩، ص ١.

(١٩١) أبو عمر البغدادي، العز بصيانة الدين والعرض، تموز/ يوليو ٢٠٠٩، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

٢٠٠٧ وصيف ٢٠٠٩ كانت عشرات "الانتحاريات" المفترضات في السجون، على خلفية مشاركتهن بتجنيد انتحاريات أو محاولة تنفيذ عمليات انتحارية. ورغم تضارب الأرقام حول عدد العمليات الانتحارية النسائية خلال هذه الفترة إلا أنّها تبلغ، بالمعدّل، أكثر من ٩٠ عملية[١٩٢].

عندما تمكنت الولايات المتحدة من قتل أبي عمر البغدادي في ١٩أبريل/نيسان ٢٠١٠، إلى جانب وزير حربه أبي حمزه المهاجر، بدا ذلك نجاحاً باهراً للاستراتيجية الأميركية، ولحظةً مناسبة للانسحاب من العراق[١٩٣]. لكن تنظيم "دولة العراق الإسلامية" كان قد نجح في الحفاظ هيكليته التنظيمية وبات يتوافر على منظومة بيروقراطية متماسكة، وتمكن من إعادة بناء أجهزته الدعائية في ظل فشل سياسات بناء دولة عراقية وطنية ما بعد الاحتلال، وبسبب ضعف الممارسة الديمقراطية وحكم القانون وغياب الاستقلال ومبادئ المواطنة، حيث أصبحت السلطوية والطائفية والفساد ممأسسةً في العراق[١٩٤].

أخذت سياسات رئيس الوزراء نوري المالكي السلطوية الطائفية تتفاقم مع التحضيرات الأمريكية للانسحاب، وبدأ النفوذ الإيراني في التنامي أكثر وأكثر في العراق.وقد بادر تنظيم دولة العراق الإسلامية، بعد مقتل أبي عمر البغدادي وأبي حمزة

---

(١٩٢) انظر: ميلاد الجبوري،أجيال الموت: انتحاريات تحت ظلال قتلة غرباء، شبكة أريج، على الرابط:
/http://arij.net/report

(١٩٣) أسفرت ثمان سنوات من الاحتلال الأميركي للعراق عن خسائر بشرية ومادية جسيمة، حيث قتل (٥٠٠٠) جندي أمريكي وأصيب (٣٥٠٠٠) جريح. وقدرت خدمة أبحاث الكونغرس الكلفة المالية للحرب على العراق لوحدها بأكثر من ٨٢٣ مليار دولار حتى السنة المالية لعام ٢٠١٢. انظر: أنتوني كوردسمان، النتائج الحقيقية من الحرب على العراق :المنافسة الإستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، تقرير صادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأميركي CSIS، ترجمة دار بابل للدراسات والإعلام، ١٣ مارس ٢٠١٢، على الرابط: http://www.darbabl.net/show_tarjama.php?id=251

(١٩٤) انظر: حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهاديّة العالمية، فريدريش إيبرت، عمان، ٢٠١٥ ، ص١١٢-١٢٧.

المهاجر سريعاً، إلى استبدال كبار قادته، للبرهنة على قوة التنظيم ورسوخ منظومته البيروقراطية التنظيمية. فقد أعلن في بيان أصدره مجلس شورى المجاهدين بتاريخ ١٦ أيار/ مايو ٢٠١٠، عن قيادة جديدة بزعامة أبو بكر البغدادي[١٩٥].

شهدت حقبة أبو بكر البغدادي[١٩٦] تحولات عميقة مع استكمال الانسحاب الأميركي(في ٣١ كانون أول/ ديسمبر ٢٠١١)، فقد أصبح العراق يقع في مجال النفوذ الإيراني[١٩٧]، وتحت هيمنة المكون الشيعي. وتنامت النزعة السلطوية العراقية الجديدة[١٩٨]، وغرق العراق في مستنقع السياسات الطائفية، وزادت وتيرة تهميش واستبعاد السنة، وأُتخم العراق الجديد بالفساد[١٩٩].

(١٩٥) انظر: بيان مجلس شورى دولة العراق الإسلامية، ١٦ مايو ٢٠١٠، على الرابط: http://www.muslm.org/vb/archive/index.php/t-388724.html

(١٩٦) أبو بكر البغدادي (١٩٧١ ـ)، إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدري السامرائي، من مواليد عام ١٩٧١، في الجلام من أعمال سامراء العراقية. واصل دراسته الأكاديمية في الشريعة الإسلامية، فتخرج من الجامعة الإسلامية في بغداد بعد أن أكمل فيها دراسة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وأسس غداة الاحتلال الأميركي تنظيماً سلفياً جهادياً باسم "جيش أهل السنة والجماعة"، لكن قوات التحالف اعتقلته في شباط/فبراير حتى ٤ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٤، ثم أطلقت سراحه لأنها لم تعتبره تهديداً رفيع المستوى. وانضم مع تنظيمه الى "مجلس شورى المجاهدين" عام ٢٠٠٦، ثم نصب أميراً لتنظيم الدولة. وعقب سيطرة التنظيم على الموصل تم الإعلان عن قيام دولة "الخلافة"، وجرى تنصيب أبي بكر البغدادي خليفة للمسلمين في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، الموافق لأول أيام شهر رمضان، وبعدها بخمسة أيام ظهر "البغدادي" لأول مرة خطيباً للجمعة في مسجد الموصل الكبير في السادس من رمضان.

(١٩٧) انظر: أنتوني كوردسمان، النتائج الحقيقية من الحرب على العراق :المنافسة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، مرجع سابق.

(١٩٨) انظر: توبي دودج، الدولة والمجتمع في العراق بعد عشر سنوات من تغيير النظام: صعود السلطوية من جديد، ترجمة: شادي عبد الوهاب، على الرابط: http://www.baghdadcenter.net/print-149.html.

(١٩٩) خلال الفترة بين ٢٠١٠ و٢٠١١، أصبح الفساد مستشريًا في كافة مفاصل الدولة العراقية، بحيث كان مؤشر إدراك الفساد الذي تقوم به منظمة الشفافية الدولية يضع العراق في المرتبة ١٧٥ من إجمالي ١٨٢ دولة، انظر: منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد ٢٠١١، على

يُمكن القول بأنّ تعاظم حضور المرأة وتعدد أدوارها داخل تنظيم الدولة الإسلامية قد بدأ فعلياً بعد التنامي الأخير لتنظيم الدولة الإسلامية، عقب فشل التحولات الديمقراطية، والانقلابات على حركات الاحتجاج الثوري السلمي في العالم العربي بداية ٢٠١١، وخصوصاً مع وصول الاحتجاجات إلى سوريا. فقد عمل نظام الأسد على قمع الحركة الاحتجاجية السلمية بقسوة وودفع إلى عسكرتها، وبهذا تحولت سورية خلال فترة وجيزة إلى أكبر ساحة لاستقطاب الجهاديين العرب والأجانب؛ إذ يشير التقرير الثالث للأمم المتحدة إلى أن قرابة ٣٠ ألف "مقاتل أجنبي" ينتشرون في العراق وسوريا[٢٠٠]. وبحسب جون بول لابورد، رئيس المديرية التنفيذية للجنة الأمم المتحدة لمحاربة الإرهاب،فإنّ "**القضية الأولى التي أذهلت المحللين في فريقي هي أن ٥٥٠ امرأة أوروبية سافرن إلى مناطق خاضعة لتنظيم الدولة الإسلامية. وفي بعض الدول تمثل النساء ما بين عشرين وثلاثين في المئة من المقاتلين الإرهابيين الأجانب، كما أن عدد الفتيات الصغيرات اللاتي أقسمن بالولاء لتنظيم الدولة على الإنترنت قد ازداد أيضاً**"[٢٠١].

إذا كانت مسألة دخول الجهاديات في صفوف تنظيم القاعدة محدودة الأثر والتأثير وذات أدوار هامشية، فقد شهد انخراط الجهاديّات، خلال حقبة صعود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية، تنامياً وتطوراً لافتاً يؤسس لتبدل وتغيّر أدوار النساء الجهادية التقليدية في المستقبل.

وهكذا؛ سوف تستكمل عملية استدخال المرأة في الهياكل التنظيمية للدولة الإسلامية مع فرض التنظيم سيطرته المكانية على أجزاء واسعة من سورية، وخصوصاً

الرابط: http://cpi.transparency.org/cpi2011/results.

(٢٠٠) انظر: تشارلز ليستر،المقاتلون الأجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟، معهد بروكنجز، الدوحة، ٢٠١٥، ص ١، على الرابط: http://www.brookings.edu/~/media/Research/Files/Papers/2015/08/13-foreign-fighters-lister/Ar-Fighters-Web.pdf?la=ar

(٢٠١) انظر: النساء يمثلن نحو ٣٠٪ من المقاتلين الإرهابيين الأجانب، تقرير دولي، مركز أنباء الأمم المتحدة، ٢٦ فبراير ٢٠١٦، على الرابط: http://www.un.org/arabic/news/story.asp?NewsID=25629#.WFsSu1N97IU

مدينة الرقة التي فرض سيطرته عليها منذ ١٤ كانون ثاني/ يناير ٢٠١٤، وتمدده وفرض سيطرته على مساحات كبيرة من العراق، وخصوصاً مدينة الموصل التي تمكن من الاستيلاء عليها في ١٠ يونيو/ حزيران، ٢٠١٤.وبعد أن أعلن الناطق باسم تنظيم الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني(في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤) عبر تسجيل صوتي بعنوان "هذا وعد الله" عن قيام دولة "الخلافة" وتنصيب أبو بكر البغدادي إبراهيم عواد البدري خليفة للمسلمين[٢٠٢].

(٢٠٢) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان "هذا وعد الله"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=b1qkBXKvs_A

الفصل الثالث

"نساء الخلافة"

الفصل الثالث

"نساء الخلافة"

مقدمة

عقب سيطرته على الموصل أصدر تنظيم الدولة الإسلامية، عن طريق المكتب الإعلامي في "ولاية نينوى"، وثيقة تأسيسية تمثل دستور الدولة الجديدة، وأطلق عليها **"وثيقة المدينة"**[٢٠٣]. تتضمن "مادة" خاصة موجهة لعموم النساء تقرر أن الأصل هو

---

(٢٠٣) وهي ذات التسمية التي وردت عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، عند هجرته إلى المدينة المنورة قادماً من مكة. وقد تضمّنت الوثيقة التي أصدرها التنظيم الأسس والمبادئ المعتمدة في الحكم وإدارة شؤون الدولة والمجتمع، وتؤكد على مسألة هوية الدولة الإسلامية وتبشر بعهد جديد مختلف عن أنظمة الحكم السابقة التي حكمت العراق. حيث جاء في ديباجة الوثيقة التي تخاطب الرجال والنساء "أيها الناس إنكم قد جربتم الأنظمة العلمانية كلها ومرت عليكم الحقبة الملكية فالجمهورية فالبعثية فالصفوية وقد جربتموها وذقتم لوعتها واكتويتم بنارها وسعارها وها هي الآن حقبة الدولة الإسلامية وعهد الإمام أبو بكر القرشي وسترون بحول الله مدى الفرق الواسع الشاسع بين حكومة علمانية جائرة صادرت طاقات الناس وكممت أفواههم وأهدرت حقوقهم وكرامتهم وبين قرشية اتخذت من الوحي المنزّل منهجاً ".

تتألف الوثيقة من ١٦ بنداً موجهة من قبل التنظيم إلى "عشائرنا الأصيلة وأهلنا وأحبابنا وعوائلنا في ولاية نينوى"، وتخص بها مدينة الموصل، تكمن أهمية الوثيقة باعتبارها نصاً تأسيسياً لعقد اجتماعي جديد، يستند إلى قراءة التنظيم الخاصة للعقيدة والشريعة الإسلامية في المجال التاريخي السني، حيث ستكون معاملة الناس (من أهل السنة) "بما ظهر لنا منهم"، فلا "نأخذ أحداً بالظن والتهمة بل بالبينة والحجة الساطعة". يتضمن هذا البند طلباً جلياً من "الناس"، بالإقرار، بواقع سلطة الدولة وحكامتها، والتي تسعى إلى تحقيق العدل والاطمئنان والرفاه فلا "رغد للعيش إلا في ظل حكم إسلامي يضمن للرعية حقوقهم، وينصف المظلوم ممن هضمه حقه". والوعيد لمن "صدّ وندّ وارتد". ويستطرد البند ببيان المنظومة العقابية لمن يخرج على "حاكمية الإسلام"، وما يترتب عليه من الخروج من وصف الرعية، والدخول إلى حكم الردة.

يقدم التنظيم نفسه كمنظومة حكم شمولية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً؛ فالخليفة هو إمام المسلمين، والمسلمون هم رعايا الخليفة، فالأموال التي كانت "تحت قبضة الحكومة الصفوية . . . أمرها عائد إلى إمام المسلمين"، فمن يمد يده من بقية القوى إلى مال المسلمين "بنهب أو سلب" فقد عرّض نفسه "للمثول أمام القضاء الشرعي". وسيتم التعامل مع "عصابات السطو المسلح .

التزام المرأة بيتها إلا للضرورة والحاجة. وتدعو إلى الالتزام بارتداء الجلباب في الفضاءات العامة، حيث خاطبت الوثيقة (في المادة ١٤): "**النساء الفضليات الكريمات: الله الله في الحشمة والستر والجلباب الفضفاض، فالقرار في البيت وملازمة الخدر وترك الخروج إلا لحاجة هو هدي أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات رضي الله عنهن جميعاً**"[٢٠٤].

تعتمد "الدولة الإسلامية" في رؤيتها الإيديولوجية على تصورات تمزج بين الحداثة والتقليد على صعيد شكل الدولة ومؤسساتها، إلا أنّ فلسفة التنظيم ذات طبيعة شمولية (توتاليتارية) دينية. فقد أرسى التنظيم منظومة سياسية وقانونية وتشريعية وقضائية وإدارية صارمة تستند إلى التراث السياسي والإداري الإسلامي التاريخي. وفرض تصوراته وأحكامه على الناس بصورة فجة في مناطق مضطربة وجامحة وتتسم بالفوضى. وقد أنشأ التنظيم مجموعة من المؤسسات الإيديولوجية والعسكرية، وفي مقدمتها منظومة واسعة من الدواوين (مؤسسات) المختصة بمختلف نواحي الحياة، أمثال: ديوان الجند الذي يتبع وزارة الحرب، وديوان القضاء والمظالم، وديوان التعليم، وديوان الإعلام، وديوان الدعوة والمساجد، وديوان البحوث والإفتاء، وديوان الصحة، وديوان بيت المال، وديوان الزراعة، وديوان الزكاة، وديوان الصدقات، وديوان الخدمات، ديوان العشائر، وديوان الحسبة، ديوان الأمن العام، وغيرها من الدواوين[٢٠٥].

. . على أنهم مفسدون في الأرض". وتحض الوثيقة الرعية على الامتثال لأحكام الشريعة، وتحث المسلمين على تأدية الصلوات في أوقاتها مع الجماعة، وتحرم الإتجار والتعاطي بالخمور والمخدرات والدخان وسائر المحرمات، وتعلن عن عزمها على إزالة المظاهر الشركية بهدم المراقد والمشاهد.

ويجرم التنظيم عقد "المجالس والتجمعات والرايات بشتى العناوين وحمل السلاح"، ويدعو الجميع إلى التوحد تحت قيادة الخلافة.

انظر: الدولة الإسلامية في العراق والشام، وثيقة المدينة، ولاية نينوى، ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ، العدد ٣٤ على الرابط: http://justpaste.it/Nenwa

(٢٠٤) الدولة الإسلامية في العراق والشام، وثيقة المدينة، المرجع السابق.

(٢٠٥) انظر: دواوين الدولة إذاعة البيان، برنامج جولة في دواوين الدولة الإسلامية (السبت ١٢ أغسطس ١٤٣٦ حتى الجمعة ١٨ أغسطس ١٤٣٦) على الرابط: https://isdarat.tv/16001

حضور المرأة في تنظيم الدولة الإسلامية على صعيد المناصب القيادية العليا لا يزال معدوماً، على الرغم من وجود أدوار فاعلة للمرأة في مجال الوظائف الإدارية واللوجستية في دواوين عديدة. ومع ذلك فإنّ المرأة في الدولة الإسلامية تمتلك رؤية لا تختلف عن رؤية الذكور، في تحديد أدوارها باعتبارها تنبثق عن أدوار حددتها الشريعة الإلهية سلفاً؛ بعيداً عن الصور النمطية السائدة التي تنظر إلى النساء اللواتي يلتحقن بمجموعات جهادية باعتبارهن إما يائسات، أو مختلات عقلياً، أو ساذجات، أو يتم التلاعب بهنّ من قبل نظرائهن الذكور، أو يرغبن في أن يكنّ "عرائس للجهاديين". ويُمكن القول بأنّ النساء في "الدولة الإسلاميّة" منخرطات في شكل من النسوية المضادة لتوجهات النسوية الغربية والنسوية الإسلامية.

من الضروري هنا الإشارة إلى أنّ "النسائية الجهادية"- كما هو الحال بالنسبة لواقع المرأة في تنظيم الدولة- هي بمثابة فعل استعادة هوية راديكالي عنيف يناهض كافة اجتهادات النسوية الإسلامية المطالبة بإعادة تأويل الشريعة بخصوص المساواة والحقوق،إذ تنظر الجهاديات إلى هذه الدعوات باعتبارها خضوعاً واستسلاماً للنسوية الغربية.وتتماهى أطروحات "النسائية الجهادية" مع نظرة الجهادية الذكورية بادعائها أنها تحتكم إلى مرجعية تتعالى على الذكورة والأنوثة، وفق رؤيتها، نشأت عن مصدر إلهي حدَّدَ الأدوار والوظائف بغضّ النظر عن مسألة النوع الاجتماعي للرجل والمرأة.

إذاً تنطوي رؤية نساء الدولة الإسلامية على منظور أصولي حدّي يرى في اجتهادات النسويات الإسلاميات كفراً وردة وانحرافاً عن أصول الإسلام، واستسلاماً لمقولات النسوية الغربية المعولمة باعتبارها استراتيجية للغزو والسيطرة والهيمنة. فجهاديات تنظيم الدولة الإسلامية، على نقيض النسويات الغربيات، ينظرن بارتياب شديد لمسألة تحرير المرأة من السيطرة الذكورية، ويعتبرن بأنّ تغطية جسد المرأة إكرام، وليس امتهاناً لها، بل ويبالغن بالقول بوجوب ستر المرأة لجسدها كله؛ حتى وجهها وكفيها.

في سياق بيان دور المرأة ومكانتها والتعريف بالأسس الفلسفية الإيديولوجية وتحرير المبادئ الرئيسية الدينية العقدية والفقهية، أصدرت سرية الخنساء الإعلامية النسائية في الدولة الإسلامية (في ٢٣ كانون ثاني/ يناير ٢٠١٥) وثيقة تأسيسية

بعنوان "المرأة في الدولة الإسلامية: رسالة وتقرير"[٢٠٦]؛ تضمنت تصوراتها وفلسفتها بخصوص المرأة. وتتكون الوثيقة من مقدمة وثلاثة أقسام؛ خصص القسم **الأول** حديثه عن رسالة المسلمين في الحياة، **والثاني** حول المرأة في الدولة الإسلامية، **والثالث** عقد مقارنة سريعة بين واقع المرأة في الدولة السلولية (التسمية المفضلة عند التنظيم للسعودية) وبين المرأة في الدولة الإسلامية. ويهيمن على منظورات الوثيقة ومقولاتها، النزوع نحو التأكيد على هوية نسائية دينية مغايرة لأطروحات الرؤية النسوية العلمانية.

حددت المقدمة أسباب وعلل تراجع مكانة الإسلام المسلمين في العالم وأرّختهُ بدخول الاستعمار الغربي وإنهاء نظام الخلافة الإسلامية ثم إيجاد أنظمة محلية تابعة، إذ تقول: "حين سقطت الخلافة العثمانية وحلت محلها النظم العربية والأعجمية العميلة لأعداء الملة، واحتُلت المجتمعات المسلمة احتلالاً عسكرياً واقتصادياً بل وفكرياً أيضاً، وأصبح الفكر الإسلامي الصافي المستمد من الكتاب والسنة فكراً غريباً بعيداً عن واقع الناس وعن حياتهم، واستطاع الاستعمار الغربي أن ينشر ثقافته النجسة وفكره المادي الملحد بين المسلمين أينما كانت بلدانهم، اختفى، منذ ذلك، الوقت المجتمع الإسلامي الحقيقي، الذي يعي مفهوم الحياة الدنيا ويعمل بمقتضى الأمر الإلهي للثقلين بالعبادة، (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون)"[٢٠٧].

تحتفي الوثيقة بعودة الخلافة التي بعودتها "انتهى هذا التيه الذي عاشته أجيال المسلمين منذ عقود طويلة، وانقضى زمن التقليد للأقوى، وهو المنتصر الغربي، في أسلوب الحياة ومنهاج العيش". وتشير الوثيقة إلى أن مرجعيّة رؤيتها للمرأة هي القرآن والسنة "بعيداً عن تعكير هذه الأزمان المتأخرة، التي عبثت بفطرتها وبدينها حتى أنستها وأنستنا سبب وجودها ووجودنا على ظهر الأرض"[٢٠٨].

يتحدث القسم الأول من الوثيقة عن "رسالة المسلمين في الحياة" وتعرّف المسلم

---

(٢٠٦) انظر: المرأة في الدولة الإسلامية: رسالة وتقرير، سرية الخنساء الإعلامية، ١٦ فبراير ٢٠١٦، على الرابط:
https://justpaste.it/almarah_resalh

(٢٠٧) المرجع نفسه.

(٢٠٨) المرجع نفسه.

بأنه "شخص يتميز عن غيره من أصحاب الأفكار الباطلة بأنه يسعى إلى تحقيق التوحيد في الأرض، دون أن ينازعه منازع من مقاصد الدنيا الفانية"، وتتابع الوثيقة بالقول "أنّ المجتمع الإسلامي المثالي لا يُراد منه سبر أغوار المادة واكتشاف أسرار الطبيعة وبلوغ أعلى مراتب الحضارة المعمارية، وإنما يراد منه أن يحقق التوحيد فيما يخص القبور والقصور، وأن يُقيم الشريعة، وينشر الإسلام في الأرض، ويخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ولا يعني هذا بأي حال إهمال العلوم الضرورية الدنيوية التي لا تقوم حياة البشر بدونها، في الزراعة والطب والبناء وغير ذلك، ولكن يؤخذ من ذلك بالقدر الذي يكفي حاجة الناس وتقوم به حياة المسلمين ويصلح شأنهم"[٢٠٩].

تشدد الوثيقة على أن المرأة والرجل في الحياة يخضعان لمعايير شرعية ومرجعية إلهية، وأنّ رسالتهما في الحياة واحدة "وأصل هذه الرسالة، أن المرأة خُلقت كما الرجل لإعمار الأرض، ولكن على نحو ما أراد الله تعالى، فقد خلقها من آدم ولأجل آدم، فبعد أن تؤدي حق خالقها فيما افترض عليها لا يكون هناك حق أعظم من حق زوجها عليها". والمشكلة اليوم، بحسب الوثيقة، أن المرأة لا تجد نفسها منتمية لوظيفتها الحقيقية المتماشية مع فطرتها وطبيعتها لسبب وجيه، وهو أنها تجد نفسها أمام صورة رجل لا أمام رجل حقيقي. ومع كل هذا، يجب على المسلمات أن يهذبن أنفسهن ويربين بناتهن على ما أراد الله خالقهن منهن ليقوم البيت المسلم، ويقوم من بعده مجتمع المسلمين لرب العالمين. "إن وظيفة المرأة الأساسية ومكانها الصحيح في المجتمع، هو ذلك المسكن الهادئ، بين أبنائها وأهلها، تربي وتعلّم، تحفظ وترعى الأجيال، ولا يتأتى هذا لها إذا كانت أمّية جاهلة. والإسلام لا يقر منع التعليم وحجب الثقافة عن المرأة"[٢١٠].

تحت عنوان "فشل النموذج الغربي في المرأة" تتحدث الوثيقة عن أن نموذج تحرير المرأة بخروجها من البيت أدى إلى شقائها فـ" جنود إبليس اليوم، يبتغون "بتطورهم" و"تقدمهم" و"ثقافتهم" أن يرسلوا بنات آدم من جنائنهن في أكنان أزواجهن إلى محارق الكدح وعذابات الكد والتعب، وقد كان لهم بعض ذلك بتحريف أربعة

(٢٠٩) المرجع نفسه.

(٢١٠) المرجع نفسه.

مفاهيم اخترقوا بها عقول المسلمات وعبثوا بعواطفهن"، وتتمثل هذه المفاهيم، بحسب الوثيقة،بخروج المرأة عن أصل "القرار" في البيت، وتحريف مفهوم "العمل" بالتفريق بين عمل البيت وخارجه، وتشويه مفهوم "العلم" بقصره على العلوم الدنيوية دون الشرعية، والتلاعب بمفهوم "الجمال" بتقبيح الستر والحشمة وتحسين الكشف والتعري[٢١١].

إنّ الوظيفة الأساسية للمرأة كما تقررها الوثيقة هي التزامها بيتها مع زوجها وأطفالها، وتخرج إذا اقتضت الظروف لخدمة المجتمع المسلم، في عدة حالات وهي: الجهاد المتعين، إذا هاجم العدو بلدها ولم تحصل بالرجال الكفاية، وطلب العلم وأهمه علوم الدين، وقد تخرج المرأة طبيبة أو معلمة تنفع غيرها من النساء، فبحسب الوثيقة،"لم تجنِ النساء من خرافة "المساواة" بالرجال إلا الشوك"[٢١٢].

يقدم القسم الثاني من الوثيقة بعنوان "المرأة في الدولة الإسلامية" صورة وردية عن أوضاع المرأة في ظل "الخلافة وولاياتها"، باعتباره تغيراً جذرياً في واقع المرأة منذ حقبة الاستعمار وما مرّ بعدها من غزو صليبي غاشم، تلته سيطرة للشيعة على سدة الحكم في العراق، وسيطرة للنصيرية على الحكم في بلاد الشام. ولكل بلد، بحسب الوثيقة،"مراحل خاصة من الظلم والاضطهاد الذي مورس على المسلمات باسم الحرية والإنسانية والمساواة"[٢١٣].

تتناول الوثيقة مجموعة من قضايا المرأة المتعلقة بالحقوق والواجبات ومن أهمها: المرأة والحجاب باعتباره أصل الحقوق وأساس الهوية، وباعتباره حقاً مسترداً منعه الاستعمار. وتتحدث الوثيقة عن المرأة والأمن فـ"المرأة السنية طوال فترة الحرب الصليبية الشيعية عانت من الاختطاف والأسر، ومن التعذيب وانتهاك العرض، والقتل في كثير من الحالات". وتناولت الوثيقة مسألة المرأة والعدل؛ فبحسب الوثيقة، لم تكن المحاكم العادلة متوفرة قبل سيطرة الخلافة بسبب تعطيل حكم الشريعة، بخصوص قضايا المرأة

---

(٢١١) المرجع نفسه.

(٢١٢) المرجع نفسه

(٢١٣) المرجع نفسه.

والقضايا المعيشية[٢١٤].

تضمّن القسم الثالث من الوثيقة عقد مقارنة بين السعودية والدولة الإسلامية في شأن المرأة، نظراً لأنّ كلا الدولتين تدعيان تطبيق الشريعة، ونظراً لأنّهما تستندان إلى ذات المرجعية المتمثّلة بالمذهب السلفي الوهابي. وتقول الوثيقة "نريد هنا أن نفضح هذا النموذج الخدّاع ونبيّن للناس زيف دعواه وكذب أخباره فيما يخص المرأة في عدة نقاط". فعن موضوع الخوف والمرأة، تتحدث الوثيقة عن اعتقال النساء وتعذيبهن وتهديدهن، وعن المحاكم السعودية الظالمة. وتتناول الوثيقة تحت عنوان المرأة والتغريب سياسات السعودية، وتصف منع النساءمن "قيادة السيارة" بأنه لم يكن بسبب حرصهم على الدين، وإنّما لاعتبارات "أمنية". فالتغريب،بحسب الوثيقة، يتمثل بالتعليم والابتعاث للخارج ودعم القنوات الفضائية الفاسدة التي تنشر الرذيلة. وبخصوص المرأة والفقر تذكر الوثيقة بأن الدولة النفطية الثرية مليئة بالأحياء الفقيرة، وتنتقد نظام رعايتها الاجتماعية[٢١٥].

تختتم الوثيقة بتوجيه رسائل للنساء "**لأخواتنا اللاتي ينعمن بحكم الله تحت ظل الخلافة، اتقين الله وأدين واجبكن تجاه دولتكن، واحذرن أن تسئن إليها من حيث تعرفن أو لا تعرفن، بادرن بتنشئة أبناء الخلافة على التوحيد الخالص، وبناتها على العفة والحشمة، واعلمن أنكن أمل هذه الأمة فمن بين أيديكن يخرج لنا حراس العقيدة وحماة الأرض والعرض، بارك الله فيكن وكتب أجر صبركن، أنتن منا ونحن منكن. والثانية: إلى النساء في كل مكان، وأخص منهن الغيورات على أمتهن، ليكن في خبركنّ أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لن تنهض بدون سواعدكن، فلا تخذلن الخلافة، واخدمنها ولو بكلمة، وليكن أبناؤكن حجارة أو لبِنات في صرح المجد ومنارات دولة الإسلام، بارك الله فيكن وكتب أجر صبركن، أنتن منا ونحن منكن. والثالثة: إلى أعداء الدولة الإسلامية، وأعداء العفة والطهارة من العلمانيين والليبراليين من بني جلدتنا، لقد عادت فتياتنا إلى جلابيبهن، وقرّت نساؤنا في بيوتهن، فألقوا بصاق ثقافتكم وتحضركم وفكركم في البحر،**

---

(٢١٤) المرجع نفسه.

(٢١٥) المرجع نفسه.

قاتلكم الله، لستم منا ولسنا منكم"[٢١٦].

سوف تنعكس الرؤية السابقة المؤسِّسة لأدوار المرأة في هياكل تنظيم الدولة الإسلامية على حضورها في المؤسسات التابعة للتنظيم، التي يمكن للمرأة أن تساهم من خلالها في خلق دولة و"مجتمع جهادي"، وخصوصاً مجالات الإعلام والتعليم والبحوث الشرعية والشرطة النسائية والخدمات والصحة وكافة الأعمال غير القتالية. لكن ذلك لن يمنع من قيامها بأعمال قتالية إذا لزم الأمر أو إذا استُنفرت كما جاء في الوثيقة، أو إذا رغبت بطلب الشهادة.

الإعلام والدعاية والدعوة

تتموضع المرأة الجهادية، بصورة أساسية، داخل هياكل الجهادية العالمية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، في صلب المؤسسات الإيديولوجية والدعائية. فهي كحركات دينية شمولية (توتاليتارية) لا ينفصل فيها المجال العسكري عن الدعوي، ذلك أن الجهاز الدعائي الدعوي يشكل أحد أهم الأجهزة الضرورية الميسّرة للتعبئة والتجنيد والاستقطاب. ونظراً لطبيعة الإيديولوجية الجهاديّة الدينية، فإن معرفة علوم الفقه والعقيدة والشريعة ضرورية في مجال التبشير والدعوة للحجاج والإقناع والنقاش. ونظراً لاعتماد الحركات الجهادية على وسائل الإعلام البديلة المتوفرة في الفضاء الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي، كان لابد من التثقف بخصوص الشبكات والاتصالات؛ وبهذا يصعب الفصل بين الأجهزة الشرعية والإعلامية على صعيد التخصص والوظائف والمهام والأدوار، فتمتزج الإيديولوجيا بالدعاية في مساهمات المرأة داخل الحركات الجهادية.

وعلى الرغم من تأسيس أجهزة ومؤسسات وهيئات متعددة داخل هياكل الدولة الإسلامية، التي تطلق عليها تسمية الدواوين، أمثال ديوان الإعلام، وديوان الدعوة والمساجد، وديوان البحوث والإفتاء، فإن تلك المؤسسات تتضافر لإيصال رسالتها وتتشابك في وظائفها. فتقوم الهيئة الشرعية بإصدار الكتب والرسائل، كما تقوم

---

(٢١٦) المرجع نفسه.

بصياغة خطابات البغدادي وإعداد البيانات والتعليق على الأفلام والأناشيد والمواد الإعلامية الخاصة بالتنظيم. وتنقسم الهيئة الشرعية إلى قسمين رئيسين، الأول: يتعلق بتنظيم المحاكم الشرعية ومؤسسة القضاء للفصل في الخصومات وفض النزاعات وإقامة الحدود، والقيام بوظيفة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والثاني: يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة الإعلام، ويعتمد التنظيم على العرب والأجانب بشكل كبير في عضوية الهيئة الشرعية، وخصوصاً المكون العربي الخليجي.

تتكامل المؤسسات الإيديولوجية الشرعية مع المؤسسات الإعلامية الدعوية.وقد أدركت "الجهادية العالمية" مبكراً أهمية المسألة الإعلامية، ونشطت مع ثورة الاتصالات والعولمة وظهور الإنترنت، فبدأت المؤسسات الإعلامية للقاعدة بالتكاثر بعد ٢٠٠١، وقامت بإنشاء أجهزة إعلامية عديدة لنشر رسالتها الإيديولوجية، وغدا مفهوم "الجهاد الإلكتروني" راسخاً في أدبيات الجهادية العالمية الإعلامية[٢١٧].

كما سارعت الفروع الإقليمية للقاعدة بإنشاء وتأسيس مواقع ومنتديات جهادية ومراكز إعلامية، فظهرت "مؤسسة السحاب" التي تتبع التنظيم المركزي، ومركز "صوت الجهاد"، الذي يتبع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. وعقب اندماج فرعي القاعدة في السعودية واليمن ظهرت "مؤسسة صدى الملاحم". وقامت هذه المؤسسات بإصدار كتب ومجلات إلكترونية عديدة أمثال "صوت الجهاد" و"البتار" و"ذروة السنام" وغيرها. ثم ظهر "مركز اللجنة الإعلامية" الذي يتبع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي الذي تحول اسمه لاحقاً إلى"مؤسسة الأندلس للإنتاج الإعلامي". ومنذ تأسيس "مركز الفجر الإعلامي" في شباط/ فبراير ٢٠٠٦، أصبحت كافة المؤسسات

(٢١٧) أشار الظواهري إلى أن العمل الإعلامي للقاعدة يتمتع بنفس أهمية العمل العسكري، وقال في أحد لقاءاته: "أسأل الله أن يجزي العاملين في الإعلام الجهادي خير الجزاء ... وأدعوهم لمزيد من الجهد والعطاء، وأحمد الله أن شهد الأعداء وفي خدمتهم الإمكانات الهائلة ومؤسسات الإعلام الجبارة بهزيمتهم أمام الإمكانات الضئيلة للمجاهدين"، أيمن الظواهري: "كلمة إلى رجال الإعلام الجهادي نخبة الإعلام الجهادي من لقاء مؤسسة السحاب، ذو الحجة ١٤٢٨ هـ - ١٦/ ١٢ / ٢٠٠٧ م.

الإعلامية للفروع الإقليمية تابعة له[٢١٨]. وعلى الرغم من انتشار المؤسسات الإعلامية لتنظيم القاعدة المركزي وتأسيس مجلات جهادية عديدة إلا أنّ تلك المؤسسات لم تتضمن مساهمات نسائية.

بعد صدور عدد وحيد من مجلّة "الخنساء" عن فرع القاعدة في جزيرة العرب، استأنف تنظيم القاعدة نشاطه المتعلق بخطاب المرأة إعلامياً بتأسيس مؤسسة الشامخة الإعلامية، وأصدر من خلال مركز الفجر للإعلام التابع للتنظيم المركزي مجلة نسائية جديدة بعنوان "الشامخة"، صدر عددها الأول في شباط/ فبراير ٢٠١١؛ واللافت أن مسؤول تحريرها لم يكن امرأة بل رجلاً هو صالح يوسف. على أنّ المجلة تضمّنت كتابات نسائية بأسماء حركية أمثال أم راغب المقدسية، وأم رزان، وأم محمد الهاشمية. وركزت مضامينها الخطابية على ذات الأدوار التقليدية غير القتالية، لكنها استعملت عناوين ومفردات غير معهودة في الخطابات الجهادية؛ مثل: رفيق الدرب، الشامخ الصغير، إتيكيت الشامخة، جمال الشامخة، مهارات منزلية.وقد توقّفت المجلة عن الصدور بعد العدد الثاني.

بعد توقّف مجلة الشامخة، صدر عدد من المجلات الجهادية النسائية،ولكنها سرعان ما اختفت، أمثال: مجلة حفيدات الخنساء الصادرة عن سرية الصمود الإعلامية، ومجلة حفيدات عائشة، وظهرت مجلة جهادية مختصة بالمعتقلات من الجهاديات بعنوان "الأسيرات".

صحيحٌ أنّ تنظيم القاعدة قد أولى اهتماماً ملحوظاً بالإعلام، إذ كان هناك نشاط نسائي في مجال الإعلام والدعاية، وشاركت نساؤه على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن مساهمته كانت متواضعة وتأثيراته محدودة وموادّه ضعيفة على المستوى الفنّي، مقارنةً بتنظيم الدولة الإسلامية، الذي لم يخصص مجلات خاصة بالنساء بل أدمجهن في آلته الإعلامية ومؤسساته الدعائية. وهن يعملن وفق استراتيجية إعلامية مركزية تدار من قبل ديوان الإعلام الذي يتحكم في عشرات

---

(٢١٨) انظر: حسن أبو هنيّة، القاعدة والجهاد الإلكتروني، مركز الجزيرة للدراسات، ١٠ فبراير ٢٠١٢، على الرابط: http://www.assakina.com/center/files/12842.html

المؤسسات المتخصصة في الإنتاج والتوزيع.

تتمتع الآلة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية بقدرات تقنية فائقة وكفاءات كبيرة في التعامل مع العوالم الافتراضية والثورة الاتصالية وشبكات التواصل الاجتماعي. وقد تمكن التنظيم من تأسيس جيش إلكتروني كبير، وبات يمتلك جهازاً إعلامياً متطوراً قادراً على الدخول في أفق اللعبة الإعلامية واستثمار منصاتها الإعلامية للتلاعب بالعقول من خلال الاستناد إلى صناعة زخم إعلامي وتصوير الدولة الإسلامية كقوة عظمى لا يمكن هزيمتها.

استطاع تنظيم الدولة جذب انتباه الإعلام الدولي بشكل لم تستطع أية مجموعة جهادية تحقيقه من قبل. ولم يكن ذلك نتيجةً عرضية، وإنما كان نتيجة لاستراتيجية مميزة، تم نشرها عبر بروباغندا مخططة بدقة، وعبر تأهيل شبكة من الناشرين المتحدين للصعوبات.ولا يقتصر تأثير دعايتها على"القيمة الإنتاجية العالية" و"الاحترافية" بل على رسالتها الإيديولوجية الكامنة خلف فن التصوير السينمائي اللافت للأنظار.

إن الحجم الكلي لدعاية الدولة الإسلامية هائل جداً، إذ يتم، يومياً، نشر عدد من مقاطع الفيديو والصور الفوتوغرافية، وتظهر نشرات الأخبار الإذاعية يومياً، ويتم بثها بانتظام ودقة ولغات مختلفة؛ من ضمنها العربية والتركية والكردية والإنكليزية والفرنسية والروسية.وبالإضافة إلى الدعاية المذاعة، يؤلف التنظيم الأناشيد الجهادية والأفلام، التي تعرض الأفعال الأكثر وحشية، والتي تنشر شهرياً[٢١٩].

شهدت الهيئة الإعلامية لتنظيم الدولة تطوراً كبيراً على مستوى الشكل والمحتوى، وتعتبر مؤسسة "الفرقان" الإعلامية المؤسسة الأقدم. وقد ظهرت بعد توسع سيطرة التنظيم ٢٠١٤ مؤسسات إعلامية عديدة تتبع التنظيم، مثل: مؤسسة "الاعتصام" ومركز "الحياة"، ووكالة أعماق، ومؤسسة البتار، ومؤسسة دابق الإعلامية، ومؤسسة الخلافة، ومؤسسة أجناد للإنتاج الإعلامي، ومؤسسة الغرباء للإعلام، ومؤسسة

(٢١٩) انظر: شارلي وينتر، الخلافة الافتراضية: فهم إستراتيجية بروباغندا الدولة الإسلامية، ترجمة ياسر البشير، المركز الوطني للأبحاث واستطلاع الرأي، ٣٠ مايو ٢٠١٦، على الرابط: http://ncro.sy/?p=3804

الإسراء للإنتاج الإعلامي، ومؤسسة الصقيل، ومؤسسة الوفاء، ومجموعة من الوكالات التي تتبع الولايات والمناطق التي يسيطر عليها التنظيم، كوكالة أنباء "البركة" و"الخير" وغيرها. كما صدر عدد من المجلات بالعربية والإنجليزية أمثال: "دابق" و"الشامخة"، وأنشأت الهيئة إذاعات محلية، مثل إذاعة "البيان" في مدينة الموصل في العراق، وإذاعة أخرى في مدينة الرقة في سورية، وتحدّث التنظيم عن التحضير لإطلاق قناة الخلافة التلفزيونية.

يمكن القول بأن نجاح استراتيجية الدولة الإسلامية الدعائية في نشر رسالتها الإيديولوجية يستند إلى العمل في بيئة من الأفكار والمفاهيم والسرديات المساندة، وهو ما يُطلق عليه جاك إيلول بـ "ما قبل البروباغندا"؛ فبدون تلك البيئة، "لا يمكن للبروباغندا أن تتواجد". فنطاق رسائل التنظيم الفكرية السياسية واسع جداً. وبالإضافة إلى الوحشية المفرطة، تهتم الرسائل الإعلاميّة للتنظيم بالشفقة والتضحية والانتماء والعسكرة وطبعاً بالتنبؤ اليوتوبي. ورغم استثمار الحركات الجهادية عموماً لبعض هذه العناصر، إلا أن تنظيم الدولة الإسلامية قد نجح باستخدامها بشكل مختلف من النواحي الكمية والنوعية والانتظام، بالإضافة إلى المعالجة الفنية البارعة[٢٢٠].

إن أدوار النساء في تنظيم الدولة، في خلق زخم إعلامي، يعمل وفق استراتيجية تدار بصورة مركزية. حيث تصدر التعليمات والتوجيهات بشكل مستمر حول الموضوعات والأفكار. إلا أنّ اتساع نطاق الدعاية وجاذبيّة إيديولوجيا التنظيم تستندان إلى "ما قبل البروباغاندا"؛ التي تتمثل بالأفكار السائدة والبيئة الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية، وبالأسباب والشروط والظروف الموضوعية التي لا يخلقها التنظيم، بل يعمل على تقديم نفسه كضحية لها وكمنقذ من أهوالها، ومنتقم من صانعيها ومؤسس لمستقبل مُغاير لها. فعلى الرغم من الطبيعة العنيفة والمتطرفة لإيديولوجية التنظيم وسلوكه عموماً، إلا أن معظم الجمهور العربي والإسلامي لا يختلف، مع التنظيم، في تصوراته حول توصيف الأوضاع السياسية والاقتصادية في المنطقة، إذ تستند دعاية الدولة الإسلامية إلى مجموعة من المسائل والقضايا والأفكار، تتلخص في خمسة عناوين رئيسية وهي:

---

(٢٢٠) المرجع السابق.

أولاً: فشل الدولة القطرية العربية والإسلامية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وطبيعتها السياسية الدكتاتورية، وإخفاقها في تحقيق التحديث والاستقلال، وتبعيتها للغرب. لم يخترع تنظيم الدولة الإسلامية هذه الأوصاف، لكنه يعزوها ذلك إلى غياب حكم الشريعة والابتعاد عن الدين الإسلامي والاحتكام إلى العلمانية والديمقراطية التي يصفها بالكفر والردة.

ثانياً: بروز النزعة الطائفية التي أصبحت أحد المفاهيم السائدة في مناطق الصراع في المنطقة وخصوصاً العراق وسوريا، حيث بات الخطاب الطائفي سمة أساسية في التعبئة والحشد، وأصبحت المنطقة منقسمة على أسس طائفية بين السنة والشيعة. وتكونت مليشيات طائفية مسندة من دول إقليمية كإيران والسعودية. ويقدم تنظيم الدولة خطاباً يستثمر فيه الحالة الواقعية ويقدم نفسه كدرع واقٍ للسنة ضد المليشيات الشيعية وينزع عن الدول العربية، وخصوصاً السعودية، صفة تمثيل السنة، بل يتهمهم بالتواطؤ أحيانا وبالعجز دوماً.

ثالثاً: السياسات الغربية الإمبريالية والاحتلال الأميركي للعراق خصوصاً، ودعم الغرب للأنظمة الدكتاتورية العربية والإسلامية، ومساندة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. حيث تقوم دعاية الدولة الإسلامية على تعزيز فكرة جود حرب غربية صليبية ضد الإسلام والمسلمين، ويُقدم التنظيم نفسه كمدافع ومناهض للهيمنة والاحتلال، ويُصوّر حربهعلى أنّها ضد الظلم والاستغلال لتحقيق الاستقلال والكرامة للأمة الإسلامية.

رابعاً: الانقلابعلىالربيع العربي الذي أعاد بناء الأنظمة الاستبدادية وعزز أيديولوجية الدولة الإسلامية التي ترى العنف كوسيلة وحيدة للتغيير. حيث فقدت معظم الجماهير العربية ثقتها بالتغيير السلمي والمسار الديمقراطي الانتخابي. وتركّز دعاية الدولة الإسلامية على أن الحكومات العربية تحارب أي تغيير إذا أدّى إلى صعود الإسلاميين.

خامساً: رمزية يوتوبيا نموذج الخلافة الإسلامية في المخيال الإسلامي، فقد استثمر التنظيم حلم الخلافة الإسلامية كنظام حكم مثالي متخيل لدى المسلمين وقدم نفسه كمناضل في سبيل عودة الخلافة، حيث سارع إلى الإعلان عن إعادة تأسيس

نظام الخلافة، وطالب المسلمين بالهجرة والدفاع عن دولة الخلافة التي تمثل الإسلام والمسلمين في العالم، والتي تبشر بمعركة فاصلة بين الإسلام والغرب تنتهي بفتح روما.

سوف تقوم نساء التنظيم الناشطات في مؤسساته الدعائية المتعددة من البحوث والإعلام والدعوة على نشر رسالته الفكرية،وخصوصاً سرية الخنساء الإعلامية، والتي تم إلغاؤها ودمجها مع سرية حفيدات عائشة في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥[٢٢١].وقد نشطت سرية حفيدات عائشة بصورة لافتة على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في حملات دعائية منسقة[٢٢٢]،واعتمدت على نساء معظمهن من السعودية في حملتها؛ رغم أن أشهر نساء الدولة الإسلامية وقيادتها لسن سعوديات حيث تعتبر إيمان البغا وأم سمية المهاجرة من أبرز القياديات.

تعتبر إيمان البغا من أكثر نساء الدولة الإسلامية شهرة وهي تحمل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية. عملت في جامعات سعودية ثم التحقت بالتنظيم في تشرين ثاني/أكتوبر ٢٠١٤، وتولت مناصب رفيعة في ديوان البحوث. وقد تكون البغا هي المرأة الوحيدة في مجلس شورى تنظيم الدولة الإسلامية، وكانت قد أصدرت كتاباً بعنوان "أنا داعشية قبل أن توجد داعش"، تدافع فيه عن إيديولوجية الدولة الإسلامية، كما سنفصّل لاحقاً[٢٢٣].

أما أم سمية المهاجرة فهي من أكثر نساء الدولة الإسلامية شهرة وإثارة للجدل. ولا يعرف اسمها الحقيقي، ويرجح بأنها أوروبية من أصول مغاربية وتحديداً تونسية. ويقال بأنها زوجة المفتي الشرعي للدولة الإسلامية، البحريني تركي البنعلي. وهي تكتب في مجلة الدولة الإسلامية الإنجليزية الأشهر "دابق" بشكل شبه دائم وتدافع

(٢٢١) انظر: بيان إلغاء سرية الخنساء الإعلامية، ودمجها مع سرية حفيدات عائشة، مؤسسة البتار الإعلامية، ٦ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط:https://justpaste.it/njss

(٢٢٢) انظر نموذجاً لحجم المشاركة النسائية وتنوعها من خلال مقالات وكتابات وصور وتقارير متنوعة في سياق حملة "لاجئون إلى أين"، انظر: رابط شامل لكل ما نشرته سرية حفيدات عائشة في حملة لاجئون إلى أين، ١٧ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط: https://justpaste.it/nsji.

(٢٢٣) د. إيمان مصطفى البغا، أنا داعشية قبل أن توجد داعش، مكتبة الهمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

بشراسة عن أكثر فتاوى التنظيم إثارة للجدل، فقد كتبت مقالاً تدافع فيه عن سبي النساء بعد أن أصدر التنظيم فتوى تجيز سبي النساء الكافرات[٢٢٤] وتدافع عن تطبيق التنظيم للفتوى من خلال سبي النساء الأيزيديات[٢٢٥]، فكتبت مقالًا بعنوان "أسبايا أم بغايا" تدافع فيه عن السبي وتعتبره حكماً شرعياً كان مطبقاً في الإسلام وبإجماع الفقهاء[٢٢٦].

وبعد أن أصدرت الدولة الإسلامية مجموعة من الكتب الرسائل حول وجوب الهجرة إلى أراضي الخلافة من الدول التي تعتبر دار كفر[٢٢٧]، كتبت أم سمية مقالًا بعنوان "شقائق المهاجرين" تدعو فيه إلى الهجرة إلى أرض الخلافة وتستعرض أراء الفقهاء بوجوبه وترد على فتاوى المعارضين[٢٢٨].

وكتبت أم سمية مقالاً بعنوان "لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن" – بعد أن أصدر تنظيم الدولة الإسلامية فتاوى بتكفير فصائل الثورة السورية وخصوصاً جبهة النصرة– أكدت فيه على كفر فصائل المعارضة السورية، وطالبت زوجات مقاتلي الفصائل وجبهة النصرة بترك أزواجهنّ بذريعة أن الكفر يوجب التفريق بين الأزواج

(٢٢٤) انظر: سؤال وجواب في السبي والرقاب، الدولة الإسلامية، مكتبة الهمة، محرم ١٤٣٦ هـ.

(٢٢٥) كُتب الكثير حول مأساة الأيزيديات ومحنتهن في الأسر والسبي على يد تنظيم الدولة الإسلامية، انظر عينة من التقارير الحقوقية التي توثق قصصاً من المأساة،: الفرار من الجحيم: التعذيب والعبودية الجنسية في الأسر لدى الدولة الإسلامية في العراق، منظمة العفو الدولية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

(٢٢٦) انظر: أم سمية المهاجرة، أسبايا أم بغايا، مجلة دابق العدد التاسع، شعبان ١٤٣٦، ص ٤٤ ـ ٤٩.

(٢٢٧) أصدر تنظيم الدولة مجموعة من الفتاوى والكتب والرسائل يدعو فيها إلى الهجرة من البلاد التي يطلق عليها وصف الكفر إلى أراضي الدولة الإسلامية، انظر على سبيل المثال: أسد المعارك الأثري، الهجرة وأحكامها، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ٢٠١٥.وأبي ماريا الأسيف، الهجرة والمقام في دار الإسلام، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. وسهيل الحجازي، لجوء المسلمين إلى أراضي الصليبيين والإقامة فيها، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

(٢٢٨) انظر: أم سمية المهاجرة، شقائق المهاجرين، مجلة دابق العدد الثامن، جمادى الآخرة ١٤٣٦، ص ٣٢ ـ ٣٨.

واعتبرت بأنّ بقائهن مع أزواجهن نوع من الزنا[٢٢٩].وتؤكد أم سمية المهاجرة في مقال بعنون "جهاد لا قتال فيه" على أنّ عدم وجوب الجهاد والقتال على المرأة المسلمة -إلا دفعًا للصائل عليها- لا يُسقط عنها دورها في بناء الأمة وصناعة الرجال والدفع بهم إلى معمعات النزال[٢٣٠].

لاحقاً، سوف تنخرط مجموعة من الجهاديات المخضرمات في الأجهزة الشرعية والإعلامية للدولة الإسلامية من اللواتي يتوافرن على تاريخ جهادي في مناطق عديدة، واللواتي هاجرن إلى أراضي الخلافة أمثال المغربية فتيحة المجاطي، إلا أن المساهمة الأكبر كانت من الجهاديات السعوديات اللواتي يتوافرن على معرفة بالعلوم الشرعية وخبرة في المجالات الإعلامية الإلكترونية.فقد أصبحت الجهاديات السعوديات أكثر حضوراً في الجهاز الشرعي والإعلامي مع توافدهن إلى أرض الخلافة في العراق وسوريا؛ أمثال ندى معيض القحطاني، التي تطلق على نفسها لقب أخت جليبيب، تذكيراً بشقيقها جليبيب عبد الهادي القحطاني، الذي سبقها إلى سوريا وانضم لتنظيم الدولة الإسلامية. وقد ظهرت عدّة أسماء نسائية وألقاب حركية تشير كتاباتهن وألقابهنّ إلى انتمائهن إلى بلدان متعددة؛ وخصوصاً السعودية وتونس ومصر والعراق، حيث انخرطن في الأجهزة الشرعية الإعلامية وأصدرن مجموعة من الكتب والرسائل التي تعزز الرسالة الإيديولوجية للدولة الإسلامية؛ أمثال: إرهاب القحطانية[٢٣١]، وأخت لمن بايع

---

(٢٢٩) انظر: أم سمية المهاجرة، لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ، مجلة دابق العدد العاشر، رمضان، ١٤٣٦، ص ٤٢ - ٤٨.

(٢٣٠) انظر: أم سمية المهاجرة،جهاد لا قتال فيه، مجلة دابق، العدد الحادي عشر، ذو القعدة، ١٤٣٦، ص ٤٠ - ٤٦.

(٢٣١) انظر: إرهاب القحطانية، أحيو سنة الرباط، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

دولة الإسلام[٢٣٢]، ولمع الأسنة العدنانية[٢٣٣]، وماوية العدنانية[٢٣٤]، وأم نسيبة ندى الخلافة[٢٣٥]، وأم مارية العراقية[٢٣٦]، وأم عمارة الوزيرة[٢٣٧]، وأم السمح القرشية[٢٣٨]، وأم

(٢٣٢) انظر: أخت لمن بايع دولة الإسلام، الحشود الخاضعة بقوة الله القاهرة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أخت لمن بايع دولة الإسلام، النظام التركي الخائب بين براثن الأجدل الغاضب، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٣٣) انظر: لمع الأسنة العدنانية،موالاة الكافرين تنقض أصل الدين، مؤسسة أشهاد الإعلامية، ٢٠١٦

(٢٣٤) انظر: ماوية العدنانية،السياحة الحقيقية في تركيا، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٧.

(٢٣٥) انظر: أم نسيبة ندى الخلافة، أسيرات الكنانة: صرخات مصريات في سجون الطواغيت، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة، القول المبين في أسباب بيع الجسر والجزيرتين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. نسيبة ندى الخلافة، المرأة الإسلامية بين جحيم العلمانية ونعيم الدولة الإسلامية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة، الوعد والوعيد لقتلة أهل التوحيد، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة،باليقين يأتي التمكين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة،أجناد مصر خير أجناد الأرض، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة،عشرة أسباب بينة لغزوة بروكسل العاصمة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة،كشفت عورة الإخوان فما القادم، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة،يا أحفاد عقبة امتطو الجواد، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة،يا أهل حلب إنما هما فسطاطان فاختاروا، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

(٢٣٦) انظر: أم مارية العراقية، اقتل الكفار والمرتدين واشف صدور المؤمنين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم مارية العراقية، الحق الماحق لجنود الصليبيين في دابق، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦، أم مارية العراقية، إنذار المتجسسين على دولة الحق والدين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم مارية العراقية، تفجيرات الرقة والموصل تكرر في بروكسل، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم مارية العراقية، تنبيه الغافلين لما يحاك بنشر الفساد في بلاد الحرمين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم مارية العراقية، حال سيناء بعد بيعة موحديها، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٣٧) انظر: أم عمارة الوزيرة،خواطر على طريق النفير والشهادة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم عمارة الوزيرة،لا سبيل للتمسح بالعقيدة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم عمارة الوزيرة، هل أتاك نبأ آل سعود؟، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٣٨) انظر: أم السمح القرشية،يريدون الرقة ونريد روما، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

أسيد الغريبة[٢٣٩].

لا تقتصر مشاركة نساء الدولة الإسلامية على كتابة الأبحاث والمقالات الشرعية، فقد ظهرت مجموعة من الشاعرات ينافحن عن الخلافة ويمجدن الدولة الإسلامية، وتعتبر "أحلام النصر" وهو اسم حركي يقال أنه لابنة إيمان البغا، أهم شاعرات الدولة الإسلامية، حيث يطلق عليها لقب "شاعرة الدولة الإسلامية".وقد احتفى التنظيم بوصولها إلى أرض الخلافة في سوريا بداية تشرين ثاني/ أكتوبر ٢٠١٤.وقالت "أحلام النصر"، فور وصولها أنها كانت تسعى فقط لـ"النفير"، أو تنفيذ عملية "استشهادية" في قواعد أميركا بإحدى الدول الخليجية، إلا أنها استطاعت الخروج بسلام من السعودية، برفقة أحد محارمها، وتزوجت من "أبو أسامة الغريب"، وهو جهادي انتقل من النمسا، التي نشأ فيها بعد سجنه لفترة، إلى ألمانيا، ثمّ استطاع السفر إلى تركيا تمهيداً للدخول إلى الأراضي السورية، إلا أن السلطات التركية قامت باعتقاله، قبل أن يطلق سراحه في صفقة تبادل تمت مع تنظيم الدولة[٢٤٠].

أصدرت "أحلام النصر" ديواناً شعرياً بعنوان "أوار الحق"[٢٤١]، عام ٢٠١٤ تمجّد فيه الجهاد والجهاديين. وهي تنشر أشعارها عبر وسائل التواصل الاجتماعي في تمجيد الدولة الإسلامية، ولها بحوث ودراسات منها رسالة بعنوان "سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجيّ"، الذي يتمثل بالأطفال اللذين نشؤوا في ظل الدولة الإسلامية، فبحسب "أحلام النصر":**"الأطفال.. الجيل المسلم الناشئ في ظل الخلافة الإسلامية؛ هو رعبُ الكفرِ الحقيقيُّ! هو سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجي**"[٢٤٢].

---

(٢٣٩) انظر: أم أسيد الغريبة، أيفك الأسير أسيراً، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. أم أسيد الغريبة، رسالة إلى أهلي بتونس: ثباتاً يا أسود القيروان ثباتاً، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. أم أسيد الغريبة، رسائل إلى أسود بيت المقدس،مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

(٢٤٠) انظر: مؤيد باجس، شاعرة "داعش" السعودية تصل سوريا وتتزوج "الغريب"، عربي ٢١، ١٤ أكتوبر ٢٠١٤، على الرابط:
https://goo.gl/beYPeU

(٢٤١) انظر: أحلام النصر، أوار الحق، فرسان البلاغ للإعلام، ٢٠١٤.

(٢٤٢) انظر: أحلام النصر، سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجيّ، مؤسسة البتار الإعلامية، ١٣ أغسطس ٢٠١٥، على الرابط:https://justpaste.it/mzsm

وقد ظهرت شاعرات أخريات ومنهن "سلاف النجدية"، التي أصدرت رسالة بعنوان "صنم الوطنية" تحط وتذم فيه الروابط على أساس الوطن وتمجد روابط الأخوّة الدينية الإسلامية[٢٤٣]. وكتبت النجديّة رسالة في مآثر الناطق باسم الدولة "أبو محمد العدناني"، بعد مقتله، بعنوان "فقيدنا الشيخ العدناني وكلمته الأخيرة"[٢٤٤]. وكتبت نصاً أدبياً بعنوان "هجرة روح: رحلة إلى النور من جزيرة العرب"، تتحدث فيه عن فضل الهجرة وجمال العيش في ظل الخلافة[٢٤٥]، كما نظمت مجموعة من القصائد الشعرية في تمجيد الدولة الإسلامية ورثاء بعض قادتها، ومنها مجموعة قصائد بعنوان "أراجيز تحريضية"، تمجد فيها الجهاد ومقاتلي الدولة الإسلامية وتذم خصوم التنظيم وأعداءه[٢٤٦]. كما نظمت قصيدة في رثاء أبو محمد العدناني بعنوان " رحيل المنجنيق: في رثاء الشيخ المجاهد أبي محمد العدناني"[٢٤٧]، وقصيدة في رثاء القائد العسكري عمر الشيشاني بعنوان "ثلم القلوب: في رثاء الشيخ القائد عمر الشيشاني"[٢٤٨].

وعلى الرغم من الحرب الإلكترونية الشديدة وإغلاق آلاف الحسابات التي تتبع تنظيم الدولة الإسلامية على وسائل التواصل الاجتماعي، فإن التنظيم ينشط في مواقع "فيس بوك" و"تويتر"، وأصبح يعتمد بصورة كبيرة على تطبيق "تلغرام" لاعتماده السرية. هكذا، تشكّل نساء الدولة الإسلامية جيشاً إلكترونياً، إذ ظهرت مجموعة كبيرة من الجهاديات الافتراضيات بأسماء وكنى حركية، وقدمن البيعة لأبي بكر البغدادي كخليفة للمسلمين، وصدر بيان جماعي ضمّ قرابة (٢٠٠) جهادية على

---

(٢٤٣) انظر: سلاف النجدية، صنم الوطنية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٤٤) انظر: سلاف النجدية، فقيدنا الشيخ العدناني وكلمته الأخيرة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٤٥) انظر: سلاف النجدية، هجرة روح: رحلة إلى النور من جزيرة العرب، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٤٦) انظر: سلاف النجدية، أراجيز تحريضية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٤٧) انظر: سلاف النجدية، رحيل المنجنيق: في رثاء الشيخ المجاهد أبي محمد العدناني، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢٤٨) انظر: سلاف النجدية، ثلم القلوب: في رثاء الشيخ القائد عمر الشيشاني، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

الشبكة العنكبوتيّة[٢٤٩].

أصبح واضحاً بأنّ المرأة تلعب دوراً كبيراً في دعاية الدولة الإسلامية، وهي تدرك أهمية وظيفتها ودورها، وليست مجرّد ضحيّة ساذجة، بل إنّها تعمل بصورة فاعلة ضمن الاستراتيجية الإعلامية، التي تستند إلى رؤية دينية شمولية تؤمن بنظام الخلافة، وترتكز دعايتها على أفكار ومفاهيم تخاطب عواطف المتلقي الإسلامي من حلم ويوتوبيا الخلافة، التي تقيم الحق والعدل والمساواة وتحقق الكرامة والشعور بالاستعلاء.

كتيبة الخنساء والمرأة المحتسبة

منذ سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على مساحات واسعة في العراق سوريا وإعلان تأسيس الدولة الإسلامية، عمل التنظيم على تأسيس أجهزة ومؤسسات وهيئات مختلفة لتنظيم شؤون الحكم. وتعتبر مؤسسة الحسبة أو ديوان الحسبة من المؤسسات المهمة في هذا السياق. والحسبة أحد أنظمة الحكم الإسلامي التاريخية، ويتوافر الفقه السياسي الإسلامي على مجموعة كبيرة من الكتب والمصنفات التي تتناول موضوع "الحسبة" ومكانتها ووظيفتها وآدابها نظراً لارتباطها بمسيرة الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة. وهو مفهوم يشير إلى دعوة القرآن الكريم إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي بدأت طوعاً بدافع الإيمان والحرص على المصلحة العامة، ثم تطورت إلى صيغة تنظيمية إدارية؛ فالحسبة وظيفة إدارية يعرف مُتوليها "بالمحتسب"، وتقع عليه مهمة حفظ الأمن ومراقبة الأسواق والآداب العامة[٢٥٠].

بدأ التنظيم بتطبيق رؤيته الإيديولوجية على الأراضي التي سيطر عليها في مدينتي

(٢٤٩) انظر: النصرة الحيّة للدولة الإسلامية، ورشة جنود الإعلام لنصرة الإسلام، ٢٦ مايو ٢٠١٤، على الرابط: justpaste.it/fm٦٥

(٢٥٠) لمزيد من التفصيل حول مؤسسة الحسبة في الإسلام، انظر، أحمد مصطفى المراغي، كتاب الحسبة في الإسلام، الجزيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

الرقة السورية والفلوجة العراقية في كانون ثاني/ يناير ٢٠١٤ ، وشرع بتطبيق نظام مستمد من رؤيته للفقه السياسي الإسلامي التقليدي والأنظمة السياسية الإدارية الحديثة. وقد استدخل التنظيم المرأة في أجهزة عديدة، فأسس كتيبة نسائية باسم **كتيبة "الخنساء"** في ٢ شباط/فبراير٢٠١٤، وكانت وظيفتها هي التفتيش والتدقيق بالحواجز والسيطرات،التي تقع تحت نطاق سيطرة وحكم التنظيم. وقد فرضت الظروف الأمنية ضرورة تشكيل هذه الكتيبة، بعد وقوع عمليات عسكرية نُفذت بزي نساء، فبحسب شهادة إحدى منتسبات الكتيبة، فإن ما عجَّل بتأسيس كتيبة "الخنساء" هو ما حدث على حاجز السباهية غرب الرقة، حين قُتل ثلاثة عناصر من التنظيم، وقتل أربعة آخرون على حاجز المشلب شرق المدينة، على أيدي مجهولين يرتدون لباساً نسائياً، ويغطون وجوههم بالبراقع. **"وخوفاً من تكرار العملية، سرَّعت "أم ريان"في الخطوات التنفيذية لتشكيل الكتيبة. كنا بداية ٣٥ امرأة: ٣ سوريات، ٢ يمنيات، ٤ سعوديات، كويتية واحدة، ٧ تونسيات، ٣ ليبيات، ٩ شيشانيات، ٣ مصريات، ٣ عراقيات. كانت المهمة العاجلة لنواة هذه الكتيبة هي تفتيش النساء في الشوارع والمحلات خوفاً من تكرار العمليات، وأيضاً من أجل إزالة العقبات التي تواجه التنظيم أثناء "توعية"أو اعتقال أو محاسبة النساء اللائي "يخطئن"، أو يخالفن الشريعة الإسلامية"**[٢٥١].

تطورت كتيبة الخنساء بعد السيطرة على الموصل في حزيران/ يونيو ٢٠١٤، وأصبحت جزءاً من ديوان الحسبة وتوسع نطاق عملها وزادت مهامها ووظائفها. فباتت بمثابة وزارة شؤون المرأة في الدولة الإسلامية، فهي تعمل في مجالات الإعلام والتعليم والدعوة والمساجد والأمن والشرطة والتحقيقات وإقامة الحدود. فبعد أن استكمل التنظيم بناء مؤسسات الدولة الإسلامية، تم فتح باب الوظائف في ديوان التعليم والتربية، وفي ديوان الركاز، حيث تقدّم الآلاف من رعايا الدولة لهذه الوظائف، وكان من بين آلاف المتقدمين نسبة كبيرة من النساء تم قبولهن للعمل في الدواوين السابقة، بعد تهيئة المؤسسات لمنع الاختلاط وتوفير الشروط الشرعية في مكان العمل.وبحسب شهود فإن الرواتب التي يتقاضاها العاملون تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى

(٢٥١) انظر: أحمد إبراهيم، هاجر، وكتيبة الخنساء، موقع الجمهورية، ٧ يوليو ٢٠١٥، على الرابط: http://aljumhuriya.net/33606

٦٠٠ دولار، بحسب التخصص والوظيفة[٢٥٢].

وتشارك الكتيبة أحياناً في العمليات القتالية، وتقوم بدور مساند في ديوان الجند والجهاز العسكري من خلال الخدمات الطبية وإعداد الطعام، فقد ورد في وثائق التنظيم، الصادرة عن ديوان الدعوة والمساجد، المخصصة لسير وقصص الجهاديات أن إحدى بنات أم خالد الوهاجي المغربية، التي تعمل في جهاز الحسبة في الرقة، قد نفذت عملية استشهادية ضد قوات حماية الشعب الكردي في مدينة عين العرب-كوباني. وتتحدّث وثيقة أخرى عن قصة فاطمة الشامي، وهي سورية انضمت لصفوف التنظيم، وعملت في مطابخ التنظيم لإعداد الطعام للمقاتلين وخدمت في أقسى الجبهات في ريف دمشق والفلوجة ودير الزور[٢٥٣].

تتمثّل إحدى مهام كتيبة الخنساء في العمل الأمني الاستخباري لتتبع الجواسيس والجاسوسات والكشف عنهم. وقد أعلن التنظيم (في العدد الرابع من مجلة "المنبع") تنفيذ حكم القصاص على امرأة من شمالي القوقاز، تدعى "إلفيرا كارابيفا" أو "سمية"، إذ أدينت بالتجسس لصالح جهاز الاستخبارات الفدرالي الروسي FSB. وبحسب تحقيقات التنظيم فقد سرّبت "كارابيفا" خلال عملها أسرار عدد كبير من مجاهدي شمالي القوقاز، وتسبَّبت بمقتل ٦ إخوة، بينهم زوجها الأخير "أبو مسلم"، وأختٌ مجاهدة كانت تعدّ نفسها لتنفيذ عمليّة استشهاديّة[٢٥٤].

تشرف على إدارة كتيبة الخنساء مجموعة من النساء المهاجرات من دول عديدة

---

(٢٥٢) انظر: عبيدة الدليمي، تنظيم الدولة يوظف النساء في المؤسسات العامة بالعراق، موقع عربي ٢١، ٢٧ أغسطس، ٢٠١٥، على الرابط: https://goo.gl/fDmjhR .

(٢٥٣) انظر: أيمن جواد التميمي، أرشيف قصص المجاهدين: المرأة في الدولة الإسلامية، ١٧ أكتوبر ٢٠١٦، على الرابط: http://www.aymennjawad.org/19291/the-archivist-stories-of-the-mujahideen-women

(٢٥٤) انظر: الجاسوسة "إلفيرا كارابيفا" والمصير المحتوم ، عيون الأمَّة، ٤ يونيو ٢٠١٦، على الرابط: https://justpaste.it/uycx ، انظر كذلك: داعش يعدم جاسوسة روسية في القوقاز، صحيفة الوفد المصرية، ٢٠١٦/٥/١١.

أوروبية وعربية وإسلامية، بالإضافة إلى النساء المحليات من العراق وسوريا، ومنهن أم الريان وتعرف بأم مهاجر، وكانت المرأة الأقوى في التنظيم في مع بداية تأسيس الكتيبة،وهي مهاجرة تونسية جاءت مع عائلتها من العراق بعد أن زوّجت ابنتيها إلى قياديين في التنظيم، وهما من زكياها لتشكيل كتيبة الخنساء بالرقة[٢٥٥]. وليس ثمّة معلومات متوفّرة عن اسمها الحقيقي، وهي في الأربعينيات من العمر، وتوصف بالقوة والشراسة وتُعرف بإدارتها الصارمة، وقسوتها على النساء وقوة شخصيتها وامتثالها لقرارات التنظيم وتعليماته وإيمانها بعملها ورسالتها الدينية والإيديولوجية.

تعتبر السعوديتان ريما الجريش وندى القحطاني من أبرز قيادات كتيبة الخنساء، وقد أشيع أن ريما الجريش قتلت بعد تكثيف التحالف غاراته على مدينة الشدادي السورية في محافظة الحسكة، وبأنها كانت قد تزوجت بعد وصولها إلى سورية من القيادي البارز في الدولة الإسلامية أبو محمد الشمالي في شهر آب/ أغسطس ٢٠١٥، لكن والدتها نفت نبأ مقتلها[٢٥٦]. وأفادت بعض التقارير أن ندى القحطاني الملقبة بـ"أخت جليبيب" تتمتع بنفوذ كبير، وأن أبو بكر البغدادي زعيم الدولة الإسلامية اجتمع بها أكثر من مرة وقام بتعيينها مسؤولة عن كتيبة الخنساء الميدانية بالرقة، في الوقت الذي تولت فيه ريما الجريش "أم معاذ" مسؤولية كتيبة الخنساء الإلكترونية، ومهمة تجنيد الفتيات والنساء[٢٥٧].

تشير بعض التقارير إلى أن العراقية عائشة عثمان من النساء الفاعلات في كتيبة الخنساء وأنّ أدوارها تتجاوز أعمال الكتيبة، وتمتدّ إلى الأدوار القتالية. وبحسب المعلومات المتاحة، فهي من أولى النساء اللواتي التحقن بالتنظيم، خلال زعامة أبو

(٢٥٥) انظر: أحمد إبراهيم، هاجر، وكتيبة الخنساء، مرجع سابق.

(٢٥٦) انظر: والدة "ريما الجريش" تنفي مقتل ابنتها في سوريا، مفكرة الإسلام، ٢٤ فبراير ٢٠١٦، على الرابط: http://islammemo.cc/akhbar/locals-ksa/2016/02/24/284188.html

(٢٥٧) انظر: هدى الصالح، من هي الداعشية السعودية التي التقاها خليفة داعش؟، موقع العربية نت، ٢٨ فبراير ٢٠١٦، على الرابط: https://goo.gl/owChYq

مصعب الزرقاوي، من محافظة ديالى شمالي العراق. وهي الآن في العقد الثالث من عمرها، وسبق أن عملت كمدرّسة في مدرسة للتمريض، كما إنّها مقرّبة من مجلس الشورى، ولها صلات قويّة بضبّاط الجيش العراقي المنحل، وسبق أن سُجنت لمدّة سنة وثمانية أشهر في معتقل أبو غريب، وكانت من بين ١٥٠ معتقلاً تمّ تحريرهم إثر عمليّة بسيّارة مفخّخة، استهدفت السجن عام ٢٠٠٤،وهي متزوجة من أحد مقاتلي التنظيم تونسي يلقّب بأبي حفص[٢٥٨].

كما إنّ إحدى النساء اللواتي يشار إلى أدوارها الهامة في كتيبة الخنساء هي الاسكتلندية المسلمة من أصول باكستانية "أقصى محمود"، وتكنى بأم ليث، ويقال بأنها مسؤولة عن مجموعة "أم عمارة " داخل الكتيبة. ورغم أنها شابة تبلغ من العمر ٢٠ عاماً إلا أن ثمة تقارير تعتبرها المسؤولة الرئيسية عن تجنيد الفتيات المسلمات من أوروبا[٢٥٩]. وقد ربط المركز الدولي لدراسة التشدد والعنف السياسي أقصى محمود "أم ليث" بـ "أم حارثة" و"أم عبيدة" وأم "وقاص" وكلهن من بريطانيا، ويعتقد بأن لـ"أم عبيدة"شبكة من الروابط في السويد وتدير حساباً خاصا لكتيبة "الخنساء"[٢٦٠].

قدّمت أم سياف، نسرين أسعد إبراهيم العبيدي[٢٦١]، اعترافات هامة وإن كانت

(٢٥٨) انظر: من هي عائشة عثمان أمير حرب تنظيم داعش ؟، موقع صدى الحقيقة، ١٣ نوفمبر ٢٠١٤، على الرابط:http://sdhnews.com/archives/47445

(٢٥٩) انظر: سي ان ان تلاحق خطى الجهادية أقصى محمود من غلاسكو إلى الرقة، موقع عربي ٢١، ٢٥ فبراير ٢٠١٥، على الرابط:
https://goo.gl/a9XkZV

(٢٦٠) انظر: ريما شري، عروض زواج مغرية تدفع "أم حسين" و"أم ليث" و"أم جعفر" للإنضمام "للجهاد"، القدس العربي، ١٣ سبتمبر ٢٠١٤، على الرابط: http://www.alquds.co.uk/?p=220608

(٢٦١) وهي عراقية كردية زوجة أبو سياف أحد قياديي تنظيم الدولة الذي قتل خلال عملية أميركية شرق سوريا في ١٥ أيار/ مايو ٢٠١٥ وهو تونسي اسمه فتحي بن عون بن الجليدي مراد، وكان له دور بارز في الإشراف على مصادر النفط والغاز وإدارتهما المالية. واعتقلت زوجته أم سياف أثناء العملية، ثم سلمتها القوات الأمريكية بعد التحقيقات لحكومة إقليم كردستان في آب/ أغسطس ٢٠١٥.

مشوّشة – عقب اعتقالها – عن كتيبة الخنساء وأدوار النساء في الدولة الإسلامية، حيث قالت في اعترافاتها: إن معظم عمليات التنظيم يدبرها رجال، ولا يعدو دور النساء أن يكون دوراً بسيطاً، يتمثل في مراقبة نساء رهينات، وأن مرتبة المرأة داخل التنظيم ترتبط بمكانة زوجها، فكلما كان الزوج قيادياً كبيراً في التنظيم، كلما كانت مكانة المرأة وأدوارها أهم داخل التنظيم النسائي الموازي. وقالت بأن دور النساء ينحصر أساساً في الزواج من مقاتلي داعش والعناية بالبيت، وولادة مقاتلين مستقبليين للتنظيم.وباستثناء كتيبة الخنساء التي تعمل على مراقبة الأخلاق العامة في المناطق التي يسيطر عليها داعش، لا توجد أي أدوار تنظيمية أو قتاليّة أخرى للمرأة داخل الدولة الإسلامية، فالقتال والعمليات الانتحارية داخل داعش هي حكر على الرجال[٢٦٢].

يُمكن القول بأنّ شهادة أم سياف تتوافر على نصف الحقيقة،وأنّها لم تُفصح عن الوجه الكامل للحقيقة عمداً أو جهلاً، فأدوار المرأة الأساسية،بحسب رؤية التنظيم، هي أدوار إسنادية لوجستية تتمثل في بناء الأسرة وتربية الأطفال وإعداد جيل جهادي من أشبال الخلافة، لكن الدولة الإسلامية أصدرت بيانات ووثائق تؤكد على دور المرأة القتالي ومشاركتها في العمل الاستشهادي.على أنّ رواية أم سياف غاية في الأهمية فهي تقدم شهادة متوازنة بعيداً عن الخرافات والأساطير وهرطقات الدعايات التي نُسجت حول نساء الدولة الإسلامية.

(٢٦٢) انظر:داعش.. أي دور للنساء؟ ‹أم سياف› تفضح التنظيم، موقع راديو سوا، ٦ يوليو ٢٠١٥، على الرابط: http://www.radiosawa.com/a/isis-women-rule-/274663.html

الفصل الرابع

عاشقات الشهادة؛ ظاهرة الانتحاريات

الفصل الرابع

عاشقات الشهادة؛ ظاهرة الانتحاريات

"فليفتحوا الطريق لحرائر الجزيرة، وتالله لن نبيت ليلة واحدة إلا بعملية استشهادية تمزق أجسادنا إرباً إرباً ... أخواتي الموحدات تعلمن قيادة السيارة .. لا لتجبن شوارع الدنيا .. بل لتسجلن في قائمة الاستشهاديات .. فلا يتبقى إلا كبسة زر"

"أخت الجهاد" من السعودية

مقدمة

تعتبر العمليات الانتحارية ظاهرة حديثة، استحدثتها جماعات علمانية ودينية كاستراتيجية عسكرية في حالة الحرب. فقد برزت كتكتيك لمواجهة خصم يمتلك أسلحة عسكرية جبارة ويتوافر على طرائق فعالة لفرض السيطرة والتحكم بالسكان، بحيث تصبح المواجهة المباشرة معه مستحيلة في ظل حالة التفوق العسكري واختلال موازين القوى. وقد تأخرت الجهادية العالمية من تنظيم القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية باستخدام العمليات الانتحاريّة، بعد جدال كبير حول مشروعيتها وجدواها ثم عمدت إلى استنساخها من الحركات العلمانية والدينية والقومية وانتهت إلى استدخالها واستحسانها وتفضيلها وباتت التكتيك العسكري الرئيس في استراتيجيتها القتالية الحربية.

ومع كثرة الدراسات والأبحاث التي تجتهد في محاولة فهم دوافع منفذي العمليات الانتحارية وتسعى إلى أن تتجاوز القراءات النمطية؛ إلا أن التفسيرات الدينية والثقافية حول العمليات الانتحارية لا تزال تتمتع بانتشار واسع بفعل الأثر "الاستشراقي" حين يتعلق الأمر بالعالم العربي والإسلامي.إذ يتعالى الحديث عن "ثقافة الموت" في دين الإسلام وثقافة وتاريخ العرب والمسلمين، فتصبح العمليات الانتحارية، التي ينفذها غير المسلمين وكأنّها حالة الاستثناء، التي تؤكد القاعدة بوجود أساس إسلامي للظاهرة. ويلخص بيار كونيسا تلك الرؤية الاستشراقية الثقافوية الشائعة وحججها

عند أصحاب هذا التوجه في نص مكثف يقرر فيه أن "**الظاهرة هي إلى حد بعيد ذات منشأ إسلامي لكنها ليست محصورة فيه . . . وإلى حد بعيد، تفرض ثقافة العنف والموت نفسها. ومن ثمّ فإنّ تشكيل صورة الشهيد التي تحل تدريجياً مكان صورة المقاتل، هو أمر ضروري من أجل تحضير الأرض. فأجواء التضحية المتولدة عن عنف القوات المحتلة وعن تمجيد المقاومين تحضّر للتضحية الأسمى المفترض أنها أفضل من الحياة على هذه الأرض**"[٢٦٣].

يدّعي بعض الباحثين، مثل أوليفييه روا، تجاوزَ الأطر الاستشراقية الثقافوية والبحث عن تفسيرات سوسيولوجية لدوافع الفعل الانتحاري للجهاديين السنة، إلا أنه لا يخرج عن مستندات المقاربة الاستشراقيّة ومبادئها في الحفر عن جذورها الدينية في الإسلام. فهو يستسلم أمام المقاربة الاستشراقية الثقافوية، ويقرر بأن العمل الانتحاري فعل عدمي لا عقلاني على المستوى الجيوسياسي، فالرغبة بالموت جليّة وتتجاوز مجرد التضحية. ولا يجد روا أي فرق بين المذاهب السنية والشيعية، فاستشهاديو تنظيم "القاعدة" السني لا يختلفون عن عدمية "الشهيد الشيعي" [٢٦٤]، الذي كان يبحث عن الموت على الحدود العراقية أثناء عقد الثمانينيات، بحسب دراسة فرهاد خسروخافار؛ حيث يرى خافار بأنّ الشهيد الشيعي لم يكن يسعى لكسْب الحرب أو الجنة، بقدر ما كان مدفوعاً برغبته بمغادرة هذا العالم الذي لم يعد يهمّه، لأن النقاء الذي لاقاه أثناء الثورة اضمحلّ تحت وطأة الفساد ولعبة السلطة. كانت الحياة قد

---

(٢٦٣) انظر: بيار كونيسا، في جذور العمليات الانتحارية، الحوار المتمدن، العدد: ٨٥٩، ٦/٩/ ٢٠٠٤، على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=19175

(٢٦٤) لمزيد من التفصيل حول مفهوم الشهادة والشهيد عند فرهاد خسرو خافار والقراءة العدمية لمركزية المفهوم في المذهب الشيعي، ونموذج "استشهاد الحسين"، انظر: فرهاد خسرو خافار الأصوليون والعمليات الاستشهادية، ترجمة جهيدة لاوند، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، بدون تاريخ. وفرهاد خسرو خافار، شهداء الله الجدد في سوسيولوجيا العمليات الانتحارية، ترجمة جهيدة لاوند، دار المدى، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

توقفت عن أن تكون "مهمّة" بالنسبة له[٢٦٥].

إن "الاستقالة العلمية"في تفهم "الظاهرة الجهادية" تحجب الإبستمولوجي المعرفي لحساب الأيديولوجي السياسي،إذ يتم تجاهل الأسباب والشروط الظروف الموضوعية لظاهرة الإرهاب عموماً و"العمل الانتحاري" خصوصاً. ومع ذلك فإنّ ثمة إقراراً بتعقد الظاهرة وتعدد دوافعها وأبعادها، فبحسب ميا بلوم "**يحدد جميع المؤلفين في حقول علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية أسباباً جذرية يعتبرونها أساسية لفهم سبب وقوع معظم الحوادث الإرهابية والتحول إلى العنف من الرجال والنساء. وهي تشمل ما يلي: الافتقار إلى الديمقراطية والحريات المدنية وحكم القانون، ووجود دول فاشلة أو ضعيفة توفر ملاذاً آمناً للإرهابيين، والتحديث المفرط في السرعة، والأيديولوجيات المتطرفة؛ العلمانية والدينية على حد سواء.بالإضافة إلى وجود تاريخ من العنف السياسي والحروب الأهلية والثورات وأنظمة الحكم الدكتاتورية أو الاحتلال، وحكومات غير شرعية أو فاسدة، ووجود القمع من قبل احتلال أجنبي أو قوى استعمارية، والتعرض للتمييز على أساس الانتماء (الإثني أو العرقي أو الديني) والظلم الاجتماعي، ووجود زعماء إيديولوجيين كاريزماتيين. . . ويرى خبراء مثل يورام شوايتزر وفرحانة عليأن النساء يملن إلى التأثر بدوافع "شخصية" أكثر من تلك التي تؤثر في الرجال، ويمكن تلخيصها بأربعة وهي: الانتقام وغسل عار الخطيئة بالتضحية في سبيل الآخرين والاحترام والعلاقة، وهي تشمل على وجه الخصوص ما يلي: فقدان شخص عزيز (يكون عادة الذكر المهيمن في حياتهن الزوج أو الوالد أو الشقيق)، وحاجة إلى إعادة صياغة أنفسهن بسبب سوء تصرف جنسي مزعوم أو فعلي، وعدم القدرة على إنجاب الأطفال أو كونهن يعتبرن غير صالحات للزواج، والرغبة بتحسين وضع النساء في مجتمعهن، وإثبات أنهن متفانيات تماماً كالرجال في خدمة القضية، وكونهن شقيقات أو بنات أو زوجات متمردين معروفين**"[٢٦٦].

---

(٢٦٥) انظر: أوليفيه روا، "القاعدة" وعدمية الشباب، ترجمة: نائلة منصور، موقع الجمهورية، ٥ أبريل ٢٠١٤، على الرابط:http://aljumhuriya.net/26882

(٢٦٦) انظر: ميا بلوم، النساء كضحايا أو موقعات ضحايا، في التصدي للعقلية الإرهابية، أجندة

في تاريخ الظاهرة وتفسيرها

في سياق الجدل حول دوافع العمليات الاستشهادية يحاجج روبرت إيه. بيب في كتابه "الموت من أجل النصر: المنطق الاستراتيجي للإرهاب الانتحاري"، بأن العمليات الانتحارية لا ترتبط بالدين عموماً أو بالدين الإسلامي خصوصاً، إنما هي استراتيجية عسكرية فعالة لمواجهة الاحتلال؛ ويطالب أمريكا بتغيير نهج ما يسمى "الحرب على الإرهاب". وقد قام بإحصاء وتصنيف "العمليات الانتحارية الإرهابية" العالمية التي وقعت منذ عام ١٩٨٠ إلى عام ٢٠٠٣، وتوصل إلى أن العدد الإجمالي كان ٣١٥ عملية، وعند توزيع هذا العدد جغرافياً وعرقياً وسياسياً، وجد بأن الأقل عدداً هو ما قامت به منظمات أو حركات إسلامية: فمثلاً قام "نمور التاميل" بتنفيذ ٢٦٠ عملية انتحاريّة خلال عقدين من الزمن، وهم حركة سيرلانكيّة انفصاليّة قوميّة هندوسية.في حين أحصى بيب ٣٨ عمليّة انتحاريّة، استهدفت الأمريكيين والإسرائيليين، في الثمانينيات في لبنان (بواقع ثمانية عمليات لانتحاريين مسلمين، وثلاثة مسيحيين، وسبعة وعشرون لحركات علمانية واشتراكية)[٢٦٧]. يليهم، بعد ذلك، متمردون عراقيون مجهولو الهوية وقد استهدفوا أميركا وحلفاءها بعملياتهم، ثم القاعدة، والحركات الجهادية والوطنية في الشيشان، وحزب العمال الكردستاني، وحركات من السيخ[٢٦٨].

يبدو أن ما توصل إليه روبرت بيب بخصوص نفي ربط العمليات الانتحارية بالدين والثقافة والإثنية والعرق مهمّ. إلا أنّ ذلك لا يعني نفي دور الدين والثقافة بالمطلق عن دوافع منفذي العمليات الانتحارية. والأهم من ذلك أن تلك العمليات لا تشكل دائما استراتيجية فعالة في مواجهة الاحتلال، بل إنها في أحيان كثيرة تعمل

السياسة الخارجية، مكتب برامج الإعلام الخارجي وزارة الخارجية الأمريكية، آي جورنال يو اس أيه، مايو ٢٠٠٧، ص ١٧.

(٢٦٧) نقلًا عن : كارين آرمسترونغ، حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، ترجمة أسامة غاوجي، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص٥٢٧.

(٢٦٨) انظر: الدكتور سعادة خليل، منطق جديد للتفجيرات الانتحارية مغاير للسائد في الغرب، الحوار المتمدن، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥، على الرابط: http://www.miftah.org/Arabic/Display.

على تثبيت الاحتلال والتوسع في السيطرة على الأرض والتحكم بالسكان وتبرر الانتهاكات تحت ذريعة مكافحة "الإرهاب الانتحاري"، كما يظهر ذلك في الحالة الفلسطينية والشيشانية وغيرها.

يمكن القول بأن عدد العمليات الانتحارية التي نفذتها حركات دينية إسلامية قد تكاثر، بعد الفترة التي درسها بيب في منطقة الشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم، وهي عمليات تعكس بالدرجة الأولى المضاعفات الخطيرة للحروب والنزاعات. ويُظهر تسلسل الأحداث المرتبط بهذه الظاهرة، ازدياد عنف هذا الأسلوب الدموي، وقدرته على تجاوز الحدود ونشر الرعب والفزع بوسائل مختلفة. فقد تدرجت العمليات من الأحزمة الناسفة إلى السيارات والشاحنات المفخخة وصولاً إلى استخدام الطائرات المدنية، وقد تكاثرت العمليات الانتحارية التي بدأت في ثمانينات القرن الماضي حيث سُجل ٤٨١٤ هجومٍ انتحاري بين عامي ١٩٨١ ـ ٢٠١٥ في أكثر من ٤٠ دولة، منها أفغانستان والعراق وإسرائيل والأراضي الفلسطينية وباكستان وسيريلانكا، وتجاوزت أعداد ضحاياها ٤٥ ألف شخص[٢٦٩]. وقد أصبحت العمليات الانتحارية التكتيكَ العسكري الأبرز مع تنظيم الدولة الإسلامية. فبحسب إحصائيات التنظيم، فقد نفذ التنظيم ١١١٢ عملية انتحارية متنوعة في العراق وسوريا فقط خلال عام ٢٠١٦.

في سياق تحليل الخطاب الغربي حول "العمليات الانتحارية"، يقدم الأنثروبولوجي طلال أسد قراءة لافتة حول التفسير الثقافي السائد للظاهرة، والذي يقوم على استدعاء دوافع دينية ثقافية تستند إلى مفهوم "الشهادة" و"التضحية" و"المقدس". ويؤكد على أن التفسير المحبب حتى الآن هو ذلك الذي يؤكد على الدافع الديني والثقافي غير الليبرالي؛ لأن مثل هذه التفسيرات تساعد خطاب حماية الحضارة (أي الحرص على الحياة) من ثقافة البرابرة التي تتميز بحب الموت. فالتفجيرات الانتحارية ليست، بنظر المعلقين الغربيين، سوى تعبيرات عنيفة عن إسلام شمولي (توتاليتاري)

---

(٢٦٩) انظر: محمد الطاهر، تاريخ الهجمات الانتحارية من الألف إلى الياء، موقع روسيا اليوم، ٢٢ مايو ٢٠١٦، على الرابط:
goo.gl/C9eBa6

منحرف، أو عن حافز ديني بدائي (لاعقلاني) تجاوزته العلمانية[٢٧٠]، وهو ما يجعل العمليات الانتحارية مثيرة للهلع والهول في المجتمعات الليبرالية بدرجة أكبر من هجمات الطائرات والصواريخ، بل وحتى الأسلحة النووية. ويجادل أسد بأن المفجر الانتحاري ينتمي، بمعنى بالغ الأهمية، إلى تراث غربي حديث قائم على الصراع المسلح دفاعاً عن أي جماعة سياسية حرة لإنقاذ الأمة أو لتأسيس دولتها في حالة مجابهة مع عدو خطر[٢٧١].

يشير تاريخ العمليات الانتحارية إلى أن "الجهادية العالمية" تأخرت باستدخال العمليات الانتحاريّة وشرعنتها إلى منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي، وأنّها لم تستدخل النساء إلا مع بداية الألفية الجديدة. فقد تحفظت الجهادية العالمية من عبدالله عزام إلى أسامة بن لادن وأيمن الظواهري على شرعية القيام بالعمليات الانتحارية إلى حد تحريمها ومنعها على كلا الجنسين. وشددت على أدوار المرأة التقليدية، ولذلك لم تشهد أفغانستان خلال التدخل الروسي ١٩٧٩- ١٩٨٩ أي عملية انتحارية. وعندما بدأت حركات جهادية وطنية باستدخالها والتوسع بها خلال تسعينيات القرن الماضي واستخدام النساء في تنفيذها، بدأت الجهادية العالمية تعيد النظر في شرعيتها.

العمليات الانتحارية في السياق الإسلامي

تطورت استراتيجية الاستشهاد في السياق الإسلامي في البداية في إطار المذهب الشيعي بحيث أصبح الشهيد "رمزًا" للثورة الإيرانية ١٩٧٩، حيث وقعت أول عملية انتحارية في ٣٠ تشرين ثاني/ أكتوبر عام ١٩٨٠، ونفذها صبي إيراني يبلغ من العمر ١٣ عاماً. فقد هاجم صبي دبابة عراقية في مدينة خرمشهر جنوب غرب إيران، بعد أن لفّ قنبلة يدوية على وسطه، وتسلل تحت الدبابة؛ وقد تسببت العملية الانتحارية في إعطاب الدبابة. ثم انتقلت العمليات الانتحاريّة إلى العالم العربي عبر حركات شيعية

---

(٢٧٠) انظر: طلال أسد، عن التفجيرات الانتحارية، ترجمة فاضل جكنر، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٢١٢.

(٢٧١) المرجع السابق، ص ١٣٨.

في لبنان منذ عام ١٩٨٢، بعد أيام من احتلال إسرائيل جنوب البلاد، وكان حزب الله اللبناني الشيعي أول من استخدم هذه الاستراتيجية؛ التي كانت حكراً على الرجال آنذاك. حيث نفذ حزب الله أوّل عملية انتحارية عن طريق شاب يبلغ من العمر١٨ عامًا وهو أحمد قصير ضدّ مقرّ الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور في ١١ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٢.

جاء استدخال النساء في العمليات الانتحارية بداية في لبنان عن طريق الحركات العلمانية في نيسان/ إبريل ١٩٨٥، من خلال الحزب القومي السوري الاجتماعي والحزب الشيوعي اللبناني وحزب البعث، وفي سياق النضال ضدّ الجيش الإسرائيلي النظامي والميليشيات الداعمة له كجيش لبنان الجنوبي. وقد عارض حزب الله آنذاك، تولّي المرأة تنفيذ مثل هذه العمليات، ذلك أنّ مهمة المرأة تنحصر حسب حزب الله في ضمان استمرارية النسل وتربية الأطفال، ولا يجب في أيّ حال من الأحوال تشجيعها على المشاركة في المعارك بهذه الطريقة.

كانت سناء محيدلي البالغة من العمر آنذاك ١٦ عامًا أوّل امرأة تقوم بعملية انتحارية في لبنان في ٩ نيسان/ إبريل ١٩٨٥، حيث قادت سيارة محمّلة بمئتي كيلوغرام من المتفجرات وفجّرتها في موكب عسكري إسرائيلي على طريق جزّين في جنوب البلاد.وقد أدّت العمليّة إلى مقتل جنديين إسرائيليين فيما أصيب جنديّان آخران بجروح. وقد جسّدت العمليّة آنذاك وجهًا جديدًا من أوجه النضال القومي، ولم تكن سناء محيدلي، الملقّبة بـ"عروس الجنوب" – وهي شيعية كانت تعمل في إطار حزب علماني، وهو الحزب القومي السوري الاجتماعي – أوّل استشهادية لبنانية فحسب، بل كانت أيضًا أوّل امرأة على الإطلاق تلتزم بمثل هذا النوع من المهمّات. ثمّ تلتها سناء لولا عبّود، الملقّبة بـ"لؤلؤة البقاع"، وهي مناضلة شيوعية أورثوذكسية من مواليد القرعون، حبث نفّذت الهجوم الانتحاري الثاني في ٢١ نيسان/ إبريل ١٩٨٥. وخلال الحرب، نفّذت تسع نساء عمليات انتحارية خطّط لها وتبنّاها بالكامل الحزب القومي السوري الاجتماعي والحزب الشيوعي اللبناني وحزب البعث في لبنان[٢٧٢].

(٢٧٢) انظر: كارول أندره ديسّورن، الاستشهاد في الشرق الأوسط... ظاهرة في صيغة المؤنّث أيضاً، ترجمة جينيفر بري، موقع ناو، ٢٨ يناير ٢٠١٤، على الرابط:https://goo.

سرعان ما بدأت حركات فلسطينية إسلامية جهادية وطنية سنّيّة باستنساخ تكتيكات العمليات الانتحارية. وكانت أولى العمليات المفترضة التي تحمل طابعاً نسائياً ظهرت في عام ١٩٨٧ عن طريق شابة تدعى عطاف عليان. وهي من مواليد عام ١٩٦٢ وحاولت تنفيذ العملية في عام ١٩٨٧؛ وكان عمرها ٢٥ سنة. ، وهي عضو في حركة "سرايا الجهاد الإسلامي"[٢٧٣]، غادرت (عام ١٩٨٠) الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى لبنان في رحلة سرية للتدريب على السلاح، وتدربت فعلاً في معسكرات حركة" فتح ".بعد عودتها إلى الأراضي الفلسطينية عام ١٩٨٤ حيث بدأت عطاف تطالب قيادة سرايا الجهاد الإسلامي بتنفيذ "عمليات استشهادية"، وتمت الموافقة على ذلك في عام ١٩٨٥، وبدأت الاستعدادات للعملية الأولى التي كان يفترض أن تنفذ في فلسطين، وتمّ تحديد الهدف بمبنى رئاسة الحكومة الإسرائيلية في القدس، واستمر الإعداد للعملية لمدة عامين. وكان مع عطاف شاب فلسطيني من طولكرم مهمته تجهيز السيارة الملغومة بالمتفجرات، وفي ٢ آب/ أغسطس ١٩٨٧ اعتقل الشاب واعتقلت معه عطاف قبل أن تنطلق بالسيارة إلى القدس لتفجيرها[٢٧٤].

هكذا بدأت الحركات الفلسطينية الإسلامية باستدخال العمليات الانتحارية[٢٧٥]، وفي مقدمتها حركة الجهاد الإسلامي[٢٧٦]، وحركة المقاومة الإسلامية (حماس)[٢٧٧].

---

(٢٧٣) سرايا الجهاد الإسلامي، أسسها حمدي سلطان التميمي ومنير شفيق من داخل حركة فتح لإيجاد تحول إسلامي وبدء نشاط إسلامي عسكري مقاوم للاحتلال الإسرائيلي.

(٢٧٤) انظر: عطاف عليان رائدة العمليات الاستشهادية الفلسطينية، دنيا الوطن، ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣، على الرابط: https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2003/09/14/65.html

(٢٧٥) أصدرت حركتا حماس والجهاد الإسلامي مجموعة من الأبحاث والكتب حول جواز العمليات الاستشهادية، ومنها: عبد الله الشامي، فقه الشهادة، من منشورات جماعة الجهاد في فلسطين، وأحمد أبو زيد، الشهادة في سبيل الله، من إصدارات حركة حماس.

(٢٧٦) تأسست حركة الجهاد الإسلامي في أواخر السبعينيات من القرن العشرين على يد مجموعة من الطلاب الفلسطينيين في أثناء تواجدهم في مصر للدراسة الجامعية بقيادة الدكتور فتحي الشقاقي.

(٢٧٧) بعد الإعلان عن تأسيسها في ٦ كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٧، ظهر بيانها التأسيسي في ١٥

وارتبطت العمليات الاستشهادية في حركة حماس، باسم العقل المدبر لها المهندس يحيى عياش، الذي انضم إلى كتائب القسام، وأصبح قائدًا فيها في الربع الأخير من عام ١٩٩٢، وقد نقل العمل العسكري نقلة نوعية من خلال العمل الاستشهادي. وكانت أولى العمليات الاستشهادية في ١٦ نيسان/ إبريل ١٩٩٣، ونفذها ساهر حمد الله التمام داخل مستوطنة (ميحولا) بالقرب من مدينة بيسان شمال فلسطين المحتلة، واستهدفت العملية مقهى للجنود الإسرائيليين في المستوطنة، وأدت إلى مقتل وجرح العشرات من الجنود[٢٧٨].

إذا كانت الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧، قد شهدت تدشين العمليات الانتحارية للذكور، فقد شهدت الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)، التي اندلعت عقب اقتحام زعيم المعارضة الإسرائيلية آنذاك أرييل شارون في ٢٨ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠ باحات المسجد الأقصى، بداية العمليات الانتحارية النسائيّة، حين نفذت وفاء إدريس عملية انتحارية في ٢٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٢. وتنتمي وفاء إدريس لـ"كتائب شهداء الأقصى"، المجموعة العسكرية الفلسطينية التابعة لحركة فتح العلمانية، وقد فجّرت قنبلة في الوسط التجاري في القدس، فقتلت عجوزًا له من العمر ٨١ عامًا فيما أصيب العشرات بجروح. وتبنّت كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح العملية وتحوّلت الشابّة البالغة من العمر ٢٥ عامًا إلى رمز بالنسبة إلى الفلسطينيين؛ وتوجّهت عقب ذلك نساء أخريات إلى كتائب شهداء الأقصى، وهي المنظّمة الوحيدة التي استقبلتهنّ في ذلك الوقت[٢٧٩].

بهدف منع حركة فتح من الاستئثار بالعمليات الاستشهادية النسائيّة؛ بدأت الأجنحة المسلّحة للحركات الإسلامية بإعادة النظر بمبدأ استبعاد النساء من تنفيذ

كانون أول/ ديسمبر إبان الانتفاضة الأولى، التي اندلعت في الفترة من ١٩٨٧ وحتى ١٩٩٤، ثم صدر ميثاق الحركة في ١٨ آب/ أغسطس ١٩٨٨، باعتبارها امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين.

(٢٧٨) انظر: د. أحمد محمد الساعاتي، حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ١٩٨٧ ١٩٩٤، فلسطين أون لاين، ٨ يناير ٢٠١٣، على الرابط:http://felesteen.ps/

(٢٧٩) انظر: كارول أندره ديسّورن، الاستشهاد في الشرق الأوسط... ظاهرة في صيغة المؤنّث أيضًا، مرجع سايق.

العمليات الانتحارية، أمثال كتائب عزّ الدين القسّام (حماس) وسرايا القدس (حركة الجهاد الإسلامي). وسرعان ما تخلت الحركتان عن فتاوى سابقة، كان قد أصدرها مؤسس حماس الشيخ أحمد ياسين ومعظم علماء الإخوان المسلمين وغيرهم أمثال الشيخ يوسف القرضاوي بتحديد أدوار المرأة الجهادية بالأعمال اللوجستية، وبدأت الحركتان بقبول النساء في العمليات الاستشهادية[٢٨٠].وقد جسّدت هبة الدراغمة (البالغة ١٩ عاما) هذا التحوّل (في ١٩ أيّار/ مايو ٢٠٠٣) في العفولة في شمال إسرائيل، عندما نفّذت هجومًا تبنّته حركة الجهاد الإسلامي وأودى بحياة ثلاثة مدنيين. وبات التمييز، منذ ذلك الحين، بين العمليات ذات الطابع القومي التي تنفّذها حركات علمانية وبين تلك التي تتبنّاها التيارات الدينية، أمراً صعباً[٢٨١].

كانت دارين أبو عيشه، وهي طالبة في الأدب الإنجليزي بجامعة النجاح بنابلس، تبلغ من العمر ٢٢ عاماً، أول متضامنة مع حركة "حماس"، تلتحق بقائمة العمليات "الاستشهادية" للنساء، فقد اتصلت هذه الفتاة في شباط/فبراير ٢٠٠٢ بحركة حماس ورشحت نفسها للقيام بإحدى العمليات الانتحارية. ولأن جماعة الإخوان المسلمين رفضوا إعطاءها الإذن بالقيام بتلك العملية لجأت هذه الفتاة المتضامنة مع حماس إلى كتائب الأقصى، التي قدمت لها التجهيزات الملائمة، لتتمكن من تنفيذ العملية في ٢٧ شباط/ فبراير. إلا أنّ حماس سوف تستدخل الانتحاريات في صفوفها بعد هذه الحادثة، ففي ١٤ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٤ فجرت ريم الرياشي، من غزة تابعة لكتائب القسام (وكانت أماً لطفلين)، نفسها في تجمع لضباط وجنود الاحتلال عند معبر إيريز، مما أسفر عن مقتل ٤ ضباط وإصابة عدد آخر منهم، وبعدها استُدخلت

---

(٢٨٠) لمزيد من التفصيل حول تحولات أدوار المرأة داخل حركة حماس والنقاشات الفقهية والعملية، انظر: د. خالد محمد صافي، ود. أيمن طلال يوسف، موقف حركة المقاومة الإسلامية "حماس" من دور المرأة العسكري والسياسي (دراسة مفاهيمية)، مجلة جامعى الأقصى، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، يناير ٢٠٠٧، ص ٤٥ ـ ٥٥، على الرابط: https://www.alaqsa.edu.ps/site_resources/aqsa_magazine/files/137.pdf

(٢٨١) انظر: الاستشهادية المجاهدة "هبة عازم دراغمة": قالت لوالدها قبل استشهادها: سأقدم لك شهادة تفتخر بها،سرايا القدس – الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ١٩ مايو ٢٠١٢، على الرابط: goo.gl/511zR4.

المرأة كمقاتلة وأنشأت حماس وحدة نسائية أصبحت تعتبر اللواتي قمن بتلك العمليات الانتحارية مثلاً أعلى لهن. فقد نُشرت في سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٥ صورهنّ في مجلة "الرسالة" الأسبوعية الصادرة عن حماس وهن محجبات ويحملن الصواريخ معلنات عن عزمهن على الانضمام إلى الكفاح المسلح[٢٨٢].

كانت التجارب الأولى لاستدخال المرأة في الأعمال القتالية والانتحارية في "الجهادية العالمية" مزيجاً من الجهاد التضامني والوطني عبر الساحة الفلسطينية والشيشانية. ففي الشيشان برز تأثير قائد المجاهدين العرب في الشيشان السعودي "خطاب ـ سامر سويلم" والمسؤول الشرعي أبو عمر السيف إلى جانب القائد الشيشاني شامل باسييف، حيث كان أثرهما واضحاً على في استدخال المرأة في الأعمال القتالية المباشرة. فبحسب دوميتيلا ساغاراموسو "كان باسييف هو من أسس كتائب رياض السالكين الاستشهادية والتي ضمت بين صفوفها مقاتلات، وشنت هذه الكتائب سلسلة من الهجمات"[٢٨٣].

كانت الشيشانية حواء براييف، البالغة ١٧ عاماً، وهي قريبة القائد الجهادي الشيشاني عربي برايف أول إمرأة جهادية تنفذ عملية انتحارية في الشيشان في ٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠ على موقع للقوات الخاصة الروسية، ثم تبعتها أخريات. وقد ظهر مصطلح "الأرامل السود" من قبل وسائل الإعلام الروسية، وهو مصطلح يشير إلى أن سبب قيام النساء بتنفيذ العمليات الانتحارية هو الانتقام الشخصي لأسرهن، أي بسبب كونهن أرامل لمن قتلوا في هذه الحرب من الأزواج، أو من قريبات لمن قتل من الآباء، أو الإخوة. وعلى الرغم من صحة هذا التفسير جزئياً، إلا أن أسباب إقدام

---

(٢٨٢) انظر: كاي ادلر، نساء في حركة حماس"الإسلام يمنحنا الحماية"، ترجمة عارف حجاج، قنطرة، ٢١ سبتمبر ٢٠٠٦، على الرابط:
https://ar.qantara.de/content/ns-fy-hrk-hms-lslm-ymnhn-lhmy .

(٢٨٣) انظر: ليلا جاسينتو،هل عادت "الأرامل السود" ... للانتقام؟، موقع فرانس ٢٤، ٣٠ مارس ٢٠١٠،على الرابط:
http://www.france24.com/ar/20100330-russia-suicide-attack-metro-black-widows-north-caucasus .

النساء عموماً على الأعمال الانتحاريّة هي ذات أسباب الذكور غالباً. وقد شاع مصطلح "الأرامل السود" بعد عملية احتجاز الرهائن في مسرح دوبروفكا بموسكو في ٢٣ تشرين أول/ اكتوبر ٢٠٠٢ عندما اقتحم ٤١ مسلحا بينهم ١٩سيدة شيشانية مبنى المسرح واحتجزوا ٩١٤ شخصاً كرهائن، واستمرت عملية "نورد أوست" ٥٧ ساعة، انتهت بعملية الإفراج عن الرهائن وسقوط أكثر من ١٣٠ ضحية[٢٨٤].

عندما أصبحت العمليات الانتحارية شائعة كاستراتيجية حربية بعد استنساخ حركات دينيّة إسلاميّة وطنيّة تجربة الحركات العلمانية في هذا الصدد، أخذت "الجهادية العالمية" تفكر باستخدامها. وقد استغرق البحث في مشروعيتها الفقهية حتى منتصف تسعينيات القرن الماضي بعد أن تكاثرت الفتاوى والأبحاث الفقهية في مشروعيتها وجوازها منتصف ثمانينيات القرن الماضي؛ وخصوصاً في حالة الاحتلال وفي مقدمتها احتلال فلسطين. ومن الطريف أن فتاوى جواز العمليات باعتبارها استشهادية جاءت من طرف علماء شريعة معاصرين من داخل المؤسسات الدينية الرسمية أو قريبين منها، وليس من طرف منظري الجهادية العالمية، تحت باب جواز تفجير النفس بقصد النكاية بالعدو، أمثال الدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور علي الصوا، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والدكتور عجيل النشمي، وشيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي[٢٨٥]، ومفتي سوريا الشيخ أحمد كفتارو[٢٨٦]، والشيخ ناصر الدين الألباني. وقد أفتى بجوازها عدد من علماء السعودية، أمثال الشيخ عبد الله بن حميد، الشيخ عبد الله البسام، والشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ حمود العقلا، والشيخ محمد بن عثيمين[٢٨٧].

(٢٨٤) انظر: إرهابي شارك باحتجاز الرهائن في مسرح "دوبروفكا" يعترف بجرمه، موقع سبوتنك عربي، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٦ على الرابط:
goo.gl/2NcdYH

(٢٨٥) انظر: نواف هايل التكروري، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص ٨٥ - ١٠١.

(٢٨٦) انظر: موقف كفتارو الفقهي، في مجلة المجتمع في عددها الصادر في ٢٥ أغسطس ٢٠٠١.

(٢٨٧) انظر: سامي بن خالد الحمود، الأعمال الفدائية صورها وأحكامها الفقهية، بحث ماجستير في الفقه وأصوله من قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٢٨

"الاستشهاديات" في الجدالات الجهادية

كان موقف عدد من منظري الجهادية العالمية، في جواز العمليات الانتحارية واعتبارها عملاً حربياً استشهادياً مشروعاً ملتبسا ومستنكرا في البداية؛ فالمنظر الجهادي أبو مصعب السوري يقول: "**سألت الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز (الدكتور فضل) عن حكم العمليات الاستشهادية. فقال لي: أنه كان لا يرى جوازها لعدم عثوره على دليل نصي صريح يخرجها عن حكم الانتحار. وأنه تفكر فيها طويلاً, حتى وجد دليل جوازها في قوله تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقّ). وجهاد الأعداء ونكايتهم من أحق الحق. وقد رأيت دليله هذا من أصرح ما استُدل به على العمليات الاستشهادية بأسلوبها المعاصر**"[٢٨٨].

أما المنظر الجهادي الأبرز أبو محمد المقدسي فكان يفتي بحرمة العمليات الانتحارية، ثم كتب رسالة أفتى بجوازها بشروط وقيود دون توسع في استخدامها، وقد انتقد توسع الزرقاوي باستخدامها. وذكر المقدسي أن الزرقاوي كان يقلده في عدم جواز العمليات الاستشهادية، ثم توسع فيها في العراق[٢٨٩]. ورغم نفي الزرقاوي تقليده رأي المقدسي في جواز العمليات الانتحارية، إلا أنه أقرّ بأنه لم يكن يرى جوازها حتى لقائه بالشيخ أبي عبدالله المهاجر بعد خروجه من السجن عام ١٩٩٩ وذهابه لأفغانستان[٢٩٠].

بالمثل، لم يكن تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن يرى شرعية العمليات الانتحارية، وبدأ يعيد النظر في جوازها بعد منتصف التسعينيات. ويبدو أن أبا عبدالله المهاجر،

هـ، ص ١٨١ - ١٨٣.

(٢٨٨) انظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق، ص ١١٤٦.

(٢٨٩) انظر:لقاء الجزيرة مع "أبو محمد المقدسي"، ٢٠٠٥، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=8EYVO98K4Vo

(٢٩٠) انظر: أبو مصعب الزرقاوي، بيان وتوضيح لما أثاره الشيخ المقدسي في لقائه مع قناة الجزيرة، ١٢ يوليو/تموز ٢٠٠٥، على الرابط: https://justpaste.it/e7rz

الذي يتمتع باحترام كافة الجهاديين، والذي تفرّغ للبحث الفقهي الشرعي في تنظيم القاعدة، هو أول من كتب بحثاً بجواز العمليات الاستشهادية ضمَّنه في كتابه "مسائل من فقه الجهاد". فقد ناقش جميع الشُبَهْ والإشكالات والموانع حول شرعيتها بالاستناد إلى المذاهب الفقهية السنية، وقد ناقشها باعتبارها مسألة حديثة من باب "النوازل". وشرعنها بقياسها على مسألة "الانغماس" في العدو بهدف النكاية والرغبة في الشهادة في سبيل الله التي تختلف عن الانتحار الذي ينتج عن السخط واليأس. وقد أجاز هذه العمليات حتى لو أدت إلى قتل مدنيين مسلمين غير محاربين قياساً على مسألة "التترس" في حال استخدام المدنيين دروعاً بشرية، وقياساً على مسألة "التبييت" أي مهاجمة العدو دون إنذار ودون تمييز بين محارب ومدني، واستناداً إلى قاعدة فقهية تنص على "المعاملة بالمثل". والأكثر تطرفاً عند المهاجر أنه يعتبر بأن الكفر بذاته علة موجبة للقتل[٢٩١].

عندما أعلن بن لادن عن تأسيس "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" في ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٩٨ مع عدد من قادة الجماعات الجهادية، كانت مسألة جواز العمليات الاستشهادية عند القاعدة قد حسمت. وقد تبع الإعلان عن تأسيس الجبهة فتوى تنص على أن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين كانوا أم عسكريين فرض عين على كل مسلم[٢٩٢]. وباشر تنظيم القاعدة التحضير لمهاجمة المصالح الأمريكية بعمليات انتحارية، حيث كانت السفارتان الأميركيتان في نيروبي ودار السلام هدفاً لأولى عمليات القاعدة الانتحارية في ٧ آب/ أغسطس ١٩٩٨ من خلال شاحنات محملة بالمتفجرات في وقت متزامن. وقد أسفرت العملية عن مقتل ٢١٣ شخص في نيروبي بالإضافة إلى ١١ شخصاً في دار السلام، وكان غالبية الضحايا من الكينيين، و١٢ أميركياً، وأصيب أكثر من ٥ آلاف

---

(٢٩١) أنظر: أبو عبدالله المهاجر، مسائل من فقه الجهاد ، ص ٧٩ ـ ١١٨، على الرابط: على الرابط: http://ia601203.us.archive.org/19/items/kotobjehad/masael.pdf

(٢٩٢) نص بيان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود و الصليبيين، على الرابط: http://www.islamww.com/a/index.php/topic/9423-

جريح[٢٩٣]. ثم نفذت القاعدة هجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، التي استهدفت نيويورك وواشنطن بعد أن قامت أربع طائرات خطفها ١٩ شخصاً باستهداف برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك ومقر البنتاجون بالعاصمة واشنطن، بينما تحطمت الطائرة الرابعة التي اختطفها انتحاريو القاعدة في حقل في بنسلفانيا بينما كانت في طريقها إلى واشنطن وأسفرت الهجمات عن مقتل نحو ٣ آلاف شخص[٢٩٤].

تشكّل ظاهرة "الجهادية الانتحارية"

بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أصبحت العمليات الانتحارية الاستراتيجية الحربية الأساسية للجهادية العالمية نظراً لما تحدثه من خوف ورعب، ونظراً لقلة كلفتها وشدة أثرها ونكايتها في العدو بحسب الجهاديين. وقد تكاثرت الكتب والرسائل والفتاوى في بحث مشروعيتها واستحبابها، بحيث لا نجد منظراً جهادياً لم يتناولها بالكتابة في مباحث خاصة ضمن مؤلفات تعنى بأحكام الجهاد، أو أفرد لها رسالة منفصلة.هكذا، فقد تكوّنت مكتبة ضخمة خاصة بالعمليات "الاستشهادية" والانغماسية (وهو اصطلاح يطلق على من ينفذ هجوماً خطيراً غالباً ما ينتهي بقتله؛ لتمييزه عن العمل الانتحاري). لكنها على كثرتها، لم تتحدث عن إشراك النساء في هذه العمليات وإن كانت قد مدحت منفذيها بشكل عام[٢٩٥].

---

(٢٩٣) وضعت الولايات المتحدة الأمريكية لائحة تضمّ ٢٢ مطلوبًا لتنفيذهم وتخطيطهم للتفجير، وكان على رأسهم أسامة بن لادن، وأيمن الظواهري. انظر: الحكم بالسجن مدى الحياة على أتباع بن لادن المدانين بتفجير السفارتين الأميركيتين في إفريقيا، جريدة الشرق الأوسط، على الرابط: http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&arti-.Ycle=6231#.VSwoRPmUck

(٢٩٤) لمزيد من التفصيل حول هجمات سبتمبر والتعريف بأهم شخوص مُنفِّذي الهجمات، وماهيتهم، وكيفيَّة ارتباطهم بتنظيم القاعدة، انظر: محمد محمود ولد محمدو، الهجمة المضادة للحملة الصليبية: جذور وتداعيات الحادي عشر من سبتمبر، مرجع سابق.

(٢٩٥) لمزيد من الاطلاع على عينة من بيبلوغرافيا الكتب والرسائل التي تتناول العمليات الاستشهادية، على موقع التوحيد والجهاد، الذي يمثّل أحد المنابر الافتراضية الجهادية المعروفة،

كان زعيم القاعدة في جزيرة العرب يوسف العييري أول من دافع عن مشاركة المرأة في الأعمال الجهادية، فعلى الرغم من تشديده على الأعمال اللوجستية غير القتالية، إلا أنه امتدح العمليات الاستشهادية النسائية، وأثنى على حواء برابيف، التي نفذت أول عملية نسائية في الشيشان كما ذكرنا سابقاً.

إذا كان يوسف العييري امتدح مشاركة المرأة في العمليات الاستشهادية دون أن يستدخلها فعلياً، فقد عمل الزرقاوي على إدماجها وتأسيس كتيبة جهادية نسائية. ويعتبر الزرقاوي أكثر الجهاديين توسعاً باستخدام العمليات الانتحارية عموماً. وقد بدأ الزرقاوي (في منتصف ٢٠٠٥) بالتفكير فعلياً باستدخال النساء في العمليات

انظر: تركي بن مبارك البنعلي، الأقوال المهدية إلى العمليات الاستشهادية. أبو الحسن الفلسطيني، البشرى المهدية لمنفذي العمليات الاستشهادية. أحمد الجدع، فدائيون من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم. عبدالحكيم حسان، حكم العمليات الاستشهادية. أيمن الظواهري، شفاء صدور المؤمنين. يوسف العييري، هل انتحرت حواء أم استشهدت؟أبو أيمن الهلالي، العمليات الاستشهادية ونهاية الدجل السياسي. الأمين الحاج محمد أحمد، العمليات الجهادية الاستشهادية؛ حكمها، شروطها، فضلها، ثوابها. الأمين الحاج محمد أحمد، العمليات الجهادية الاستشهادية؛ بين المجيزين والمانعين. أبو بصير الطرطوسي، محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية.يحي هاشم حسن فرغل، كشف الطوية في العمليات الاستشهادية. أبو أيمن الهلالي، العمليات الاستشهادية؛ طريقنا إلى تحرير القدس. مجموعة من العلماء، العمليات الاستشهادية ؛ جهاد في سبيل الله ... حلال شرعاً. أبو سعد العاملي، العمليات الاستشهادية؛ ذروة سنام الاستشهاد. أبو قتادة الفلسطيني، جواز العمليات الاستشهادية وأنها ليست بقتل للنفس. بشر بن فهد البشر، حكم العمليات الاستشهادية. حامد بن عبد الله العلي، حكم العمليات الاستشهادية. سليمان بن ناصر العلوان، حكم قتل أطفال ونساء الكفار في العمليات الاستشهادية. سليمان بن ناصر العلوان، حكم العمليات الاستشهادية "١". سليمان بن ناصر العلوان، حكم العمليات الاستشهادية "٢".علي بن خضير الخضير، حكم العمليات الاستشهادية. حمود بن عقلاء الشعيبي، حكم العمليات الاستشهادية. أبو محمد المقدسي، حول فتوى مفتي السعودية بشأن العمليات الاستشهادية. أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، ما حكم العمليات الاستشهادية؟. أبو الوليد المقدسي، حكم من سقط من الأبرياء في العمليات الاستشهادية؟. أبو جويرية الشامي، العمليات الاستشهادية وأحكامها.

انظر، مزيد من الكتب والرسائل على موقع منبر الجهاد والتوحيد، وتجدها على الرابط: https://justpaste.it/3cvq

القتالية وخصوصا الانتحارية، وأصبحت خطاباته الموجهة للرجال تتدرج من استخدام الانتهاكات بحق نساء السنة من أجل تجنيد الرجال إلى مخاطبة النساء بصورة مباشرة. ففي كلمة مطولة للزرقاوي بعنوان "أينقص الدين وأنا حي؟"، في تموز/ يوليو ٢٠٠٥؛حمّل الزرقاوي النساء مسؤولية مباشرة وطالبهنّ القيام بأدوار لوجستية متعددة، ومهد بذلك لبداية إشراك المرأة في الأعمال القتالية والانتحارية.

حققت رسالة الزرقاوي للنساء نجاحاً كبيراً وأثراً سريعاً، حيث ارتفعت نسبة المتطوعبن العرب والأجانب من الرجال والنساء وأصبح نموذج "المرأة الاستشهادية" مقبولاً ومشروعاً بعد أن كانت النساء مستبعدات من "شرف الشهادة". وبهذا دخلت ظاهرة "الانتحاريات" مرحلةجديدة، حيث جاء الإعلان عن ولادة الظاهرة وتدشينها بصورة جهادية معولمة عابرة للحدود، من خلال "استشهاديتين" -وليس استشهادية واحدة -قامتا بتنفيذ عملية انتحارية في نفس اليوم بتاريخ ٩ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥ من مكانين مختلفين وفي مكانين متباعدين ومن جنسيات متعددة ومن أصول متباينة. وقد نجحت إحدى العمليّتين وفشلت الأخرى. كانت الانتحاريّة الأولى قد وصلت إلى العراق قادمة من القارة الأوروبية، وهي البلجيكية الشقراء، موريل ديغوك، (أو مريم كما أطلقت على نفسها بعد إشهار إسلامها) من مواليد عام ١٩٦٧. نشأت في أسرة عمّالية، بمنطقة شارلروا، جنوب بلجيكا، وعاشت طفولة من دون مشاكل، حسب الصحافة البلجيكية، على الرغم من أنها غادرت المدرسة بشكل مبكر لتتنقل بين وظائف بسيطة، بينها بائعة بمخبز. تحولت من الكاثوليكية للإسلام في الثلاثينيات من عمرها وتزوجت تركياً قبل أن يحصل الطلاق بينهما. وفي ٢٠٠٢ ارتبطت بعصام غوريس، وهو بلجيكي من أم مغربية وأب بلجيكي، وكان يصغرها بسبع سنوات. ذهب الزوجان للعيش في المغرب ثلاث سنوات، حيث انقطعت أخبارهما في بلجيكا، وعند عودتها إلى بلدها كانت موريل قد تغيرت كثيراً، إذ أصبحت ترتدي الحجاب والقفازات، ونادراً ما كانت تزور أسرتها، ثم ارتدت النقاب. سافرت ديغوك برفقة زوجها عصام إلى العراق في خريف٢٠٠٥ عبر إيطاليا وتركيا، والتحقت بقاعدة الزرقاوي، وطلبت تنفيذ عملية انتحارية حيث قامت ديغوك بتفجير سترتها المحملة بالمتفجرات وسط دورية أميركية راجلة في مدينة بعقوبة حيث جرحت جندياً أميركياً واحداً، بحسب تقرير قدمته وزارة

الخارجية الأميركية للشرطة الفيدرالية في بلجيكا. بينما قتل زوجها عصام غوريس غداة العملية على يد عناصر دورية حين كان يحمل حزاماً ناسفاً، بحسب الجيش الأميركي[٢٩٦].

أما الانتحارية الثانية التي كان من المفترض أن تنفذ عملية انتحارية بالتزامن مع عملية ديغوك فقد كانت العراقية ساجدة مبارك عطروس الريشاوي، من مواليد ١٩٧٠. شاركت في تفجيرات عمان ٢٠٠٥ في الأردن، التي استهدفت ثلاث فنادق في عمان (وهي فندق حياة عمان، وراديسون ساس، وديز إن)،والتي أسفرت عن ٥٧ قتيلاً و١١٥ جريحاً، لكنها نجت عندما لم ينفجر حزامها. وهي أرملة على حسين على الشمري، الذي نفذ تفجيرات فندق "راديسون ساس". والريشاوي من عائلة جهادية معروفة؛ فثلاثة من أشقائها قتلوا على أيدي القوات الأمريكية في العراق، وكان شقيقها ثامر الريشاوي أحد مساعدي أبو مصعب الزرقاوي.وقد اعتقلت ساجدة الريشاوي في الثالث عشر من تشرين الثاني ٢٠٠٥ في مدينة السلط بعد أن لجأت إلى عائلة جهادي أردني ينتمي إلى تنظيم القاعدة في العراق تجمعه بها صلة نسب.

ظهرت ساجدة على التلفزيون الرسمي الأردني عقب توقيفها وسردت تفاصيل تجهيز عملية التفجير الثلاثية، حيث قالت في اعترافها المتلفز أنها من مواليد عام ١٩٧٠ عراقية الجنسية تقيم في الرمادي، وأنها سافرت في يوم ٥ تشرين ثاني/ نوفمبر برفقة زوجها إلى الأردن بجواز سفر عراقي مزور، ودخلت للفندق برفقة زوجها، حيث تولّى هو زاوية وتولّت هي الزاوية الأخرى، وكان في الفندق حفلة عرس. وقالت بأنّ زوجها نجح في تنفيذ التفجير، في حين أنّ حزامها الناسف لم ينفجر. وعندما بدأ الناس بالركض ركضت معهم، كما تقول. وقد أعلن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بزعامة الزرقاوي مسؤوليته عن تلك الهجمات، وصدر على الريشاوي حكم بالإعدام عام ٢٠٠٦ ولم ينفذ حينها. وعادت قصتها للتداول بعد أسر الطيار الأردني معاذ الكساسبة على يد تنظيم الدولة الإسلامية. فقد حاول تنظيم الدولة الإسلامية عقد

---

(٢٩٦) انظر: صوفي فيوليه، الإسلاموية المتطرفة والغرب: أسباب الالتحاق بالتشكيلات الإسلاموية المسماة متطرفة في المجتمعات الغربية، ترجمة محمد أحمد صبح، دار نينوى، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص ٥١ ـ ٥٣.

صفقة تبادل أسرى مع الحكومة الأردنية، تطلق بموجبها الحكومة الأردنية سراح ساجدة الريشاوي، أو سيقوم التنظيم بقتل الطيار الأردني الأسير، معاذ الكساسبة، والرهينة الصحفي الياباني كينجي غوتو، واللذين أسرهما التنظيم في سوريا.

لم يظهر التنظيم أي دلائل على كون الطيار الأسير على قيد الحياة،ب عد طلب الحكومة الأردنية، وعليه فلم يطلق النظام الأردني سراح الريشاوي. وفي ٣ من شباط/ فبراير ٢٠١٥، بث تنظيم الدولة مقطع فيديو يبيّن قتل الأسير الكساسبة حرقاً، بعد أن كان أعدم الرهينة الياباني قبل ذلك بأيام. وكرد فعل من الحكومة الأردنية، تمّ إعدام ساجدة الريشاوي فجر يوم ٤ شباط/ فبراير [٢٩٧]٢٠١٥.

اتسعت ظاهرة الانتحاريات في قاعدة العراق أواسط ٢٠٠٧ لتتحول من التجنيد الفردي إلى التنظيم الجماعي، حيث ظهرت أول "كتيبة استشهادية" نسائية في العراق؛ باسم كتيبة "الخنساء"، وتكونت بداية من ٢٦ انتحارية أغلبهن من أقارب عناصر "القاعدة"، بحسب ضابط رفيع بمديرية التحقيقات، إلا أنّ الكتيبة لم تصدر أي بيانات رسمية.

وفي منتصف ٢٠٠٨ تشكلت كتيبة أخرى للانتحاريات على يد زوجة أحد قيادات "القاعدة" في شمال العراق تدعى أم سلمة، وانتشرت هذه الكتيبة في عدة مدن عراقية ونشرت بيانات تتوعد فيها بـ"انتقام تصبه عشرات من نساء الفلوجة وبغداد وديالى وثكالى وأرامل الموصل"، ولم يعرف حتى الآن مصير أم سلمة. لكن يبدو أن كتيبتها "نفذت بالفعل عمليات في ديالى وبغداد"، وهي أولى "الكتائب الاستشهادية النسائية"، التي ظهرت في العراق بشكل علني، وقد رفعت شعار الثأر والانتقام من المحتلين؛ إذ توعدت "أم سلمة" والمعروفة بأميرة سرية "ذات النطاقين الاستشهادية"، بزج جيش من النساء الاستشهاديات إلى شوارع بغداد لدك ما أسمته "صروح الكفر والرذيلة".

ويعتقد بأن أم سلمة هي زوجة الشيخ أبو عبيدة الراوي، القيادي في تنظيم

(٢٩٧) انظر: ساجدة الريشاوي، الجزيرة نت، ٢٥ يناير ٢٠١٥، على الرابط: goo.gl/eH-KkwA

القاعدة شمال العراق، الذي قتل بإنزال جوي أمريكي خريف عام ٢٠٠٧. والبيانات الصادرة عن سرية ذات النطاقين تشبه بيانات "دولة العراق الإسلامية"، وكانت تظهر بعد كل عملية انتحارية تنفذها سيدة عراقية. ووفق بعض التحليلات فإن سرية ذات النطاقين كانت ترتبط مباشرة بأبي حمزة المهاجر أمير تنظيم القاعدة وبأبي عمر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية، قبل مقتلهما[٢٩٨].

وكانت قوات خاصة قد قبضت على امرأة اسمها ابتسام عدوان (في ٢٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٨)، قالت السلطات الأمنية "أنها كانت المشرفة على إعداد الانتحاريات"، وأنها ورطت الانتحارية رانيا إبراهيم العنبكي (البالغة ١٥ عاما)؛ والتي ألقي القبض عليها (في ٢٥ من آب/ أغسطس عام ٢٠٠٨) عندما كانت تحاول تفجير نفسها وسط بعقوبة. وتنتمي رانيا لعائلة فقيرة، قتل أبوها وأحد أخوتها جراء العنف الطائفي، أما أمها وخالتها فتم اعتقالهن كمسؤولات عن تجنيد النساء الانتحاريات. وتزوجت من شاب يبلغ من العمر (١٧ سنة)، يدعى محمد حسن الدليمي، وهو عنصر ميداني في تنظيم القاعدة، (اعتقل مطلع ٢٠٠٩). وأصدرت محكمة عراقية في ٣ أغسطس ٢٠٠٩ حكماً بالسجن سبع سنوات ونصف بحق رانيا العنبكي، لكن الحكم ارتفع مع محكمة الاستئناف إلى ١٥ عاماً[٢٩٩].

مع تنامي ظاهرة الانتحاريات، تشكل منتصف عام ٢٠٠٨ تنظيم نسائي بهدف مواجهة تحدي "الانتحاريات" أُطلق عليه اسم "بنات العراق"، بدعم وتمويل من الجيش الأميركي. ولا تكشف بنات العراق هوياتهن غالباً، رغم أنهن ينتشرن في نقاط التفتيش، فهن يرتدين النقاب أثناء أداء عملهن بتفتيش النساء، بدلاً من

(٢٩٨) انظر: سامان نوح، ظاهرة الانتحاريات في العراق نتاج تخلف وفقر أم مقاومة احتلال، مركز أمان، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨، على الرابط: http://ror21.d1g.com/qna/show/2406378

(٢٩٩) انظر: السجن سبع سنوات لأول "انتحارية عراقية" تفتح "ملف النساء الانتحاريات"، موقع شينخوا عربي، ٤ أغسطس ٢٠٠٩، على الرابط: http://arabic.news.cn/speak/2009-08/04/c_1320254.htm

الرجال الذين لا يستطيعون تفتيش أجساد النساء جراء الأعراف العشائرية[٣٠٠].

تتضارب الأرقام عن "الانتحاريات" في العراق،إذ تختلط الدعاية بالحقيقة بين أطراف الصراع، وتحاول كلّ من الحكومة والقاعدة استثمار الظاهرة وتوظيفها. فالحكومة تبالغ بهدف التخويف والترويع وتبرير الاعتقالات والحصول على الدعم، والقاعدة تستثمر المبالغة للترهيب وجلب الأتباع والتجنيد وتحريض الذكور على الالتحاق بالتنظيم. ووفقًا لمركز أبحاث الإرهاب يقدّر عدد النساء اللواتي شاركنَ بمهمّات انتحارية في العراق بين أيّار ٢٠٠٥ وآب ٢٠٠٨ بنحو خمسين امرأة، لكنّ هذا العدد قد انخفض بين أيّار ٢٠٠٥ وكانون الأوّل ٢٠٠٧ إلى أربع عشرة امرأة فقط من أصل ٦٦٥ هجمة انتحارية. ووفقًا للجيش الأميركي، فقد بلغ العدد ٣٢ امرأة في العام ٢٠٠٨ مقابل ثماني نساء في العام ٢٠٠٧. وتتبدّل الأرقام بتبدّل المصادر[٣٠١]؛ فقد أحصت ميادة داود ٦٠ عملية عام ٢٠٠٨ فقط في عموم العراق استناداً لإفادة مسؤولين أمنيين لوكالات أنباء عديدة، وهي أرقام لا تتطابق مع ما ذكرته بيانات تنظيم "القاعدة" التي تشير إلى حدوث ٧٧ عملية انتحارية منها ٤٩ في ديالى وحدها، وهي بدورها تتضارب مع تصريحات المتحدث باسم الجيش الأمريكي الذي صرّح بحصول ٢٧ عملية في عموم العراق خلال الأشهر التسعة الأولى عام ٢٠٠٨. وبحسب الفريق الربيعي فإنّ الرقم هو ٢١ عملية.ولعلّ ذلك "يبدو مفهوماً في ظل حالة الهستيريا" التي خلّفها اتساع ظاهرة الانتحاريات واعتقاد المسؤولين الأمنين بأن أي تفجير انتحاري أو انفجار سيارة مفخخة، هو "تفجير انتحاري نفذته امرأة ترتدي حزاماً ناسفا"[٣٠٢].

---

(٣٠٠) انظر: محمد عبدالله، "بنات العراق" في مواجهة نساء القاعدة، موقع نقاش، ٢٤ يوليو ٢٠٠٩ على الرابط، http://www.niqash.org/ar/articles/politics/2494/

(٣٠١) انظر: كارول أندره ديسّورن، الاستشهاد في الشرق الأوسط... ظاهرة في صيغة المؤنّث أيضًا، مرجع سايق.

(٣٠٢) انظر: ميادة داود،أجيال الانتحاريات في العراق: بين رباعية الموت والإخلاصلأمراء غرباء، تحقيق، شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج)، على الرابط: http://www.nirij.org/?p=625

على خلفية تلك الحالة الهستيرية كانت عشرات "الانتحاريات" المفترضات منذ صيف ٢٠٠٩ في السجون، بتهم تتعلق بمشاركتهن بتجنيد انتحاريات أو محاولة تنفيذ عمليات انتحارية، ورغم تضارب الأرقام حول عدد العمليات الانتحارية النسائية خلال الفترة بين ٢٠٠٥ -٢٠١١؛ فإن متوسطها يبلغ أكثر من ٩٠ عملية، وقد تراجعت واختفت العمليات الانتحارية النسائية في العراق، منذ ذلك التاريخ،حتى نهاية ٢٠١٦.

يبدو أنّ ظهور الانتحاريات في قاعدة العراق قد شجع نساء أخريات في مناطق أخرى على الانخراط في ظاهرة الاستشهاديات.فشهدت باكستان حالة فريدة وحيدة حين قامت انتحارية مُنقّبة- يعتقد بانتمائها لحركة طالبان -. بتفجير نفسها بواسطة متفجرات تحملها تحت لباسها بها في سوق مزدحمة ببلدة فرح جنوب غرب أفغانستان في ١٥ أيار/ مايو ٢٠٠٨، وأسفرت عن مقتل ١٥ شخصاً بينهم ٣ ضباط وجرح ٢٢ آخرين. وقد جاءت الحادثة بعد تفاقم أزمة "المسجد الأحمر" في العاصمة الباكستانية وتشكيل "خلية الثأر" النسائية، وذلك عقب الإعلان عن خطط حكومية لهدم مساجد في العاصمة بينها المسجد الأحمر بدعوى بنائه بطريقة غير قانونية على أراض مملوكة للدولة. وقد فشلت جهود وساطة في الساعات الأخيرة لاحتواء الأزمة، حيث أعلن الجيش الباكستاني شن عملية لاقتحام المسجد الأحمر في ١٠ تموز يوليو ٢٠٠٧ تسببت بمقتل ٧٥ شخصاً[٣٠٣].

"انتحاريات الخلافة"

عندما سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على الموصل في حزيران/ يونيو ٢٠١٤ وأعلن عن تأسيس دولة الخلافة ظهرت أدوار محدودة للنساء في عمليات انتحارية في مناطق سيطرته في العراق وسورية، فبحسب ديوان الدعوه والمساجد التابع للتنظيم،

(٣٠٣) انظر: المسجد الأحمر .. فصول المواجهة الدامية، الجزيرة نت، ١٠ يوليو ٢٠٠٧، على الرابط:
goo.gl/QrQyjs

نفذت إحدى بنات أم خالد الوهاجي- وهي من المغرب - عملية استشهادية على وحدات حماية الشعب الكردي في معركة عين العرب (كوباني).وقد تزايدت أدوار النساء في مجالات الشرطة والحسبة والدعاية والتعليم والصحة، وقد جاءت مشاركة النساء في عمليات انتحارية من بعض فروع التنظيم الخارجية التي أطلق عليها "ولايات الخلافة"، وخصوصاً ولاية غرب إفريقيا في نيجيريا وولاية طرابلس في ليبيا.

بعد إعلان جماعة بوكو حرام النيجيرية انضمامها لتنظيم الدولة الإسلامية والإعلان عن تأسيس ولاية غرب إفريقيا، وبيعة زعيم بوكو حرام أبو بكر الشكوي لأبي بكر البغدادي (في ٧ آذار/ مارس ٢٠١٥)[٣٠٤]، زادت العمليات الانتحارية النسائية. وكانت الجماعة قد نفذت عدّة عمليات بعد إعلان تأييدها لتنظيم الدولة قبل إعلان الانضمام الرسمي لها. فعقب أيام من إعلان الشكوي مساندة البغدادي، نفذت انتحاريتان تنتميان لـ"بوكو حرام" عملية تفجيرأدت إلى مقتل وإصابة ٧٨ في شمال نيجيريا في أحد أسواق ولاية مايدوجوري الشمالية (في٢٧ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠١٤). وقبلها بأيام نفذت امرأة انتحارية عملية في ازار بولاية بوشي شمال شرق البلاد (في ١٦ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠١٤) واستهدفت أحد الأسواق، وأسفرت عن مقتل عشرة أشخاص على الأقل.

وفي تموز/يوليو ٢٠١٤، أدت موجة من الهجمات الانتحارية التي نفذتها فتيات في كانو، كبرى مدن شمال نيجيريا، إلى انتشار الرعب والخوف. وكانت أولى الانتحاريات النيجيريات قد فجرت نفسها في حزيران/يونيو ٢٠١٤ أمام قاعدة عسكرية في ولاية غومبي في الشمال الشرقي[٣٠٥].

---

(٣٠٤) انظر: بيعة جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد لخليفة المسلمين أبو بكر البغدادي حفظه الله، كلمة صوتية للشيخ أبي بكر الشكوي، مؤسسة العروة الوثقى،على الرابط: taradsi//:sptth. ٩١١٠٢/vt

(٣٠٥) انظر: نيجيريا: الانتحاريات سلاح بوكو حرام الجديد، موقع السكينة، ١٣ ديسمبر ٢٠١٤، على الرابط:.http://www.assakina.com/news/news1/59445 html

أما في ليبيا فإن فرع "الدولة الإسلامية"، الذي أعلن انضمامه للتنظيم، وبيعة أبو بكر البغدادي في ١٤ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠١٤، وأسس ثلاثة ولايات في كل من: برقة، شرقي البلاد، والعاصمة طرابلس في الغرب، وفزان في الجنوب وسيطر على مدينة سرت في ٨ شباط/فبراير ٢٠١٥، فقد استُخدمت الانتحاريات بعد تصاعد الحملة العسكرية لإخراج التنظيم من المدينة (التي انتهت بطرده منها في كانون أول/ ديسمبر ٢٠١٦).إذ أكدت مصادر ليبية بأن التنظيم قد استخدم النساء للمرة الأولى في عمليات انتحارية في ليبيا.

في ٢٩ فبراير/شباط ٢٠١٦ أعلن الجيش الليبي أنه اعتقل ٧ نساء يقاتلن في صفوف التنظيم، وقتل أكثر من ٣ أخريات خلال العمليات. ومع قرب انهيار التنظيم في سرت الليبية أمام تقدم قوات"البنيان المرصوص" المدعومة دولياً، ظهرت ولأول مرة انتحاريات التنظيم في المدينة في محاولة لصد تقدم القوات الحكومية. وأكد الناطق باسم غرفة عمليات "البنيان المرصوص" التابعة للمجلس الرئاسي الليبي (في ١٨ آب/ أغسطس ٢٠١٦) "إنه لأول مرة يجري التعامل مع نساء داعشيات يرتدين أحزمة ناسفة"[٣٠٦].

لم تقتصر مشاركة النساء على تنفيذ عمليات انتحارية تابعة لفروع التنظيم، فقد ظهرت انتحاريات ضمن خلايا وشبكات وذئاب منفردة تتبع أو تناصر تنظيم الدولة الإسلامية. فقد نفذت انتحارية تدعى ديانا رمضانوفا هجوماً على نقطة شرطة في منطقة السلطان أحمد السياحية في العاصمة التركية إسطنبول (في ٦ كانون ثاني/ يناير ٢٠١٥)، مما أدّى إلى مقتل شرطي. وهي من داغستان كانت متزوجة من مواطن نرويجي شيشاني الأصل هو أبو علوفيتش إدلييجيف. وكان الزوجان قد توجها إلى سوريا (في تموز/ يوليو ٢٠١٤) عبر تركيا، وقد أطلق أبو علوفيتش على نفسه اسم إدريس، بينما أسمت ديانا نفسها سميرة. وبعد مقتل زوجها (في كانون أول/ ديسمبر ٢٠١٤ في سوريا)، بينما كان يقاتل في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية عادت رمضانوفا إلى تركيا بشكل غير شرعي (في ٢٦ كانون الأول/ ديسمبر) قبل الهجوم

---

(٣٠٦) انظر: انتحاريات داعش في سرت.. الرمق الأخير، موقع بوابة إفريقيا، ١٨ أغسطس ٢٠١٦، على الرابط: goo.gl/GXcYM4

الانتحاري بأيام[٣٠٧].

لعل أول "عملية انغماسية" تنفذها امرأة لها صلات بتنظيم الدولة الإسلامية، كان في الولايات المتحدة، حين قامت تاشفين مالك وزوجها، في الثاني من كانون أول/ديسمبر ٢٠١٥، بإطلاق النار على حشد أثناء احتفال في مركز "إنلاند" الإقليمي،كما سنذكر في القسم التالي من الدراسة. [٣٠٨]

في فرنسا تضاربت التصريحات عن أول امرأة انتحارية على صلة بتنظيم الدولة الإسلامية عندما قيل في البداية أن حسناء آيت بولحسن دخلت التاريخ كأول امرأة تنفذ عملية تفجير انتحارية في أوروبا. لكن السلطات الفرنسية نفت لاحقاً القصص التي نسجت حول حسناء وتفاصيل تفجير نفسها، إذقال مصدر أمني فرنسي (في ٢٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥) إن حسناء آيت لحسن، قريبة مدبر اعتداءات باريس، التي قضت في هجوم الشرطة على شقة شمال باريس، لم تفجر نفسها كما اعتقد للوهلة الأولى، (وسنتحدث عنها أيضاً في القسم الثاني من الكتاب).[٣٠٩]

---

(٣٠٧) انظر: منفذة الهجوم في اسطنبول هي أرملة نرويجي داعشي، ١٧ يناير ٢٠١٥، على الرابط: goo.gl/CXxFiZ

(٣٠٨) انظر: منفذة هجوم "سان برناردينو" تاشفين مالك.. من هي؟..هذا كل ما نعرفه، موقع سي ان ان عربي، ٧ ديسمبر ٢٠١٥، على الرابط: http://arabic.cnn.com/world/2015/12/07/us-san-bernardino-shooter-tashfeen-malik

(٣٠٩) انظر: حسناء آيت بولحسن قريبة مدبر اعتداءات باريس لم تفجر نفسها، هافينغتون بوست عربي، ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط: http://www.huffpostarabi.com/2015/11/20/story_n_8612094.htm

خلاصات

على الرغم من بروز "ظاهرة الاستشهاديات/ الانتحاريات"في أوساط الجهادية العالمية، منذ بداية الألفية وتجاوز الأدوار التقليدية للمرأة المجاهدة وتطور الإيديولوجية الجهادية النسائية باتجاه إعطاء أدوار غير تقليدية للمرأة في هياكل الحركات الجهادية، إلا أن أدوار المرأة الأساسية قد بقيت في الأغلب ذات طبيعة لوجستية مساندة؛ كما هو الحال في الدول التي تختلف في مدى إدماج المرأة في الجيوش والسماح لها بالقيام بأدوار قتالية. فجهاد النساء – بحسب التنظيرات الجهادية– يتمثل بالأساس في واجبها بتأسيس عائلة مجاهدة وتربية الأطفال على التضحية والفداء ومساندة الزوج المجاهد والصبر على صعوبة العيش والمشقة وتحفيز الأجيال على النضال، والمشاركة في بناء مجتمع الجهاد من خلال المساهمة الفاعلة في مجالات الإعلام والتعليم والصحة والأمن والشرطة والمهام الإدارية المكتبية.

لقد تمّ دخول المرأة على خط العمليات الاستشهادية – في أغلب الأحيان– تحت ضغوطات وإلحاح النساء بتنفيذ عمليات انتحارية لذات دوافع الذكور. وتشكل المرأة الاستشهادية الشجاعة، في الحركات الجهادية ذات الطبيعة الأبوية الذكورية في مجتمعات محافظة وعشائرية، دعاية فعّالة في عمليات الاستقطاب والتجنيد بوصم الرجل بالمتخاذل الجبان.

تسعى الجهاديات لترسيخ صورتهن كاستشهاديات، لإشباع الذات وتحقيق المساواة مع الرجال، والمساهمة في تأسيس "مجتمع الجهاد"؛ فكتابات النسائية الجهادية الدعائية تتماهى مع خطاب الجهاديين التحريضي. فقد كتبت إحدى الجهاديات التي تكتب باسم "أخت الجهاد" من السعودية؛ التي تمنع قيادة المرأة للسيارة، في صفحة حسابها على موقع "تويتر" قائلة: "**فليفتحوا الطريق لحرائر الجزيرة، وتالله لن نبيت ليلة واحدة إلا بعملية استشهادية تمزق أجسادنا إرباً إرباً.. أخواتي الموحدات تعلمن قيادة السيارة.. لا لتجبن شوارع الدنيا.. بل لتسجلن في قائمة الاستشهاديات.. فلا يتبقى إلا كبسة زر**". ونعلم أنه لم تنفذ أي إمرأة سعودية عملية انتحارية حتى الآن، فالأمر لا يعدو خطاباً تحريضيا للذكور لكنه قد يتطور لاحقاً مع توافر الأساس الإيديولوجي.

يصعب الحديث عن استغلال الجماعات الجهادية للمرأة في الأعمال القتالية وإظهارها كضحية لرجال قساة؛ فالمرأة الجهادية لا تختلف عن الرجل في دوافعها ومعظم النساء الانتحاريات إما زوجات أو بنات أو أخوات للجهاديين أو صديقات لجهاديات وجهاديين. ومن المجازفة الحديث عن استغلال الرجل لزوجته وأبنائه وبناته وأخواته وصديقاته ودفعهم لحياة المشقة والتعرض للموت. ويبدو أن التركيز الإعلامي على إظهار المرأة كضحية مستغلة وتداول قصص الانتحاريات القاصرات والمختلات لا يعدو في معظم الأحيان عن أن يكون دعاية حربية تستبطن نزعة ذكورية تمتهن المرأة.

من المسائل الملتبسة في فهم دوافع الجهادية العربية والإسلامية أنها تقاس دوماً بالدوافع الليبرالية وفق ثنائية الحضارة والبربرية، الأمر الذي يقود إلى تفسيرات استشراقية وثقافوية تنتهي إلى القول بعدمية ظاهرة الانتحارية الجهادية، وذلك بسبب هيمنة المنظورات الوضعانية، التي تفصل العالم المرئي عن اللامرئي، وتفسر دوافع الأفعال ضمن الرهانات الدنيوية؛ بينما لا تفصل "الجهادية" خصوصاً والإسلامية عموماً بين العالمين، ويتداخل فيها الدنيوي والأخروي، والمادي والرمزي، فعندما يقوم الاستشهادي أو الاستشهادية بفعل الموت اختياراً فإنه، باعتقاده، يقتل موته ليحيا ويعيش من تركهم حياة كريمة؛ فالشهادة أعلى قيمة أخلاقية في المجتمعات المسلمة والشهيد في منزلة رفيعة من التقدير والاحتفاء.

وبحسب المسلمين، وبصرف النظر عن اختلافاتهم ومذاهبهم، فإن الشهادة تمثل طريق العبور إلى حياة الخلود فالآية الأشهر في القرآن الكريم في مجال القتال في سبيل الله عبر الجهاد؛ تقول:)ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٣١٠].

تتداخل وتتشابك الدوافع والأسباب التي تدفع المرأة والرجل للقيام بعمل استشهادي. لكن بالنسبة لجهاديي تنظيم الدولة الإسلامية فالعمليات الانتحارية هي التكتيك العسكري الأفضل لكسب المعارك والسيطرة المكانية في مناطق الصراع

---

(٣١٠) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

الداخلي، كما إنها تكتيك عسكري مهم لردع الاحتلال ومهاجمته في عقر داره ودفعه لإعادة النظر والتفكير، عبر خلق حالة من الخوف والترهيب والهول وزعزعة وخلخلة الأمن وإضعاف الاقتصاد.

ومع ذلك فإن العمليات الانتحارية النسائية قد تتزايد، خارج النطاق الجغرافي للصراع والنزاع، في حال محاصرة الحركات الجهادية وممارسة ضغوطات كبيرة، وتنفيذ عمليات عسكرية مصحوبة بقوة تدميرية تنتهك الحقوق والكرامة الإنسانية وتفضي إلى فقدان الحركات الجهادية للسيطرة المكانية، بحيث تصبح المسافة بين الكرامة والحياة من جهة، والموت من جهة أخرى، شبه منعدمة.

القسم الثاني

"المهاجرات": لماذا؟.. وكيف؟.. أصبحن "جهاديات"

القسم الثاني

"المهاجرات": لماذا؟.. وكيف؟.. أصبحن "جهاديات"

مقدمة

على الرغم من أنّ ظاهرة "النسائيّة الجهادية" سابقة على صعود تنظيم الدولة الإسلامية، وعلى تأسيسه فقد كانت الظاهرة حاضرة لدى القاعدة والتنظيمات الجهادية الأخرى، مثل الشيشانيات والحركات الوطنية التحررية الجهادية، كحماس وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين- إلاّ أنّ ثمّة "طفرة" كبيرة قد حدثت مع صعود تنظيم الدولة في العراق وسوريا وانتشاره إيديولوجياً في العالم، سواء على صعيد "الكمّ"؛ أي عدد الجهاديّات، أو "نوعيّة" الأدوار التي باتت تلعبها المرأة في التنظيم.

في هذا القسم حاولنا الانتقال من الجانب النظري إلى التطبيقي، من خلال دراسة حالات معينة، بصورة مفصّلة ومعمّقة، من النساء الجهاديات، لاستنطاق العوامل المؤثرة في تشكيل المرأة الجهادية؛ عبر الإجابة على مجموعة من الأسئلة الرئيسة: لماذا أصبحن جهاديات؟ وكيف وصلن إلى هذه المرحلة؟ من أجل ذلك فإنّ الاهتمام الأكبر في هذا القسم من الدراسة سينصبّ على البحث عن "نقاط التحوّل" في مسار المرأة وانتقالها إلى المسار الجهادي.

ومع رحلة العبور إلى "عالم الجهاديات"، وجدنا أنفسنا أمام صعوبات بحثّية جمّة وكبيرة، يتمثّل أوّلها في "محدودية المعلومات"، بخاصة في العالم العربي، سواء من مصادر الإعلام العربي المتعددة أو حتى مصادر التنظيم نفسه؛ فعلى صعيد الرواية الإعلامية

العربية فإنّ ثمّة تقنيناً شديداً في نشر المعلومات وإتاحتها، بحكم الرقابة التي تفرضها الآلة الأمنية والرسمية. كما إنّ تنظيم الدولة كثيراً ما يتحفّظ، لأسباب أمنية، على أسماء النساء المنخرطات في هياكله، وغالباً ما تُمنح النساء، كالرجال، كنى (ألقاباً) فور وصولهنّ إلى أراضي التنظيم، ويتم تحجيم مشاركتهن على مواقع التواصل الاجتماعي، في كثير من الحالات، ما يجعل من المعلومات الدقيقة محدودة.

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ ثمّة عاملين آخرين يساهمان في نُدرة المعلومات ومحدوديّتها وهما:

أوّلاً، أنّ المجتمعات العربية لا تزال محافظة. ففي كثير من العائلات، ينظر إلى "هجرة المرأة" أو "سجنها" بوصفه أمراً مخجلاً ومحرجاً للعائلة، فتقوم بالتستر على الأمر، وعدم الاعتراف به.

أمّا العامل **الثاني**، فيتعلّق بالجانب الأمني، حيث يتمّ حجب بعض المعلومات والتفاصيل وبعض الأسماء أحياناً، حتى في المجتمعات الغربية، خوفاً من تولّد ردود فعل معاكسة، في تلك المجتمعات على عائلات وأسرّ النساء. كما إنّ كثيراً من أسر "المهاجرات"، لا تعترف ولا تبلّغ عن هجرة أحد أفرادها، للسبب نفسه.

ومن الصعوبات الأخرى، التي واجهتنا، خلال الدراسة، ضعف المصادر المحايدة في المعلومات، فالمصادر السلفية الجهادية تقدّم رواية مناقضة في كثير من الأحيان للروايات الرسمية، ويتم التعامل مع المعلومات بصورة انتقائية من الأطراف المختلفة، فتتداخل المعلومات بالدعاية الإعلامية والسياسية المتبادلة بين أطراف الصراع، بخاصة في العالم العربي.

ترتبط بالمشكلة السابقة مشكلةُ الخلط بين الإعلامي والسياسي، في وسائل الإعلام العربية بخاصّة؛ أو عدم دقّة وموضوعية وسائل الإعلام، بالعموم، في كثير من الأحيان. فغالباً ما تميل الصحف والفضائيات إلى الإثارة، وإلتشويه و"شيطنة" الظاهرة النسائية الجهادية. وقد ذكرنا في القسم الأوّل أمثلة واضحة على ذلك، حيث يتم، في كثير من الأحيان، تضخيم بعض القصص ومنحها ألقاباً سلبيّة. وفي أحيان أخرى، يتمّ بناء بعض القصص على مصادر مجهولة وضعيفة، وغير محايدة، مثل الحديث عن

علاقة بعض النساء بزعيم التنظيم، أبي بكر البغدادي، وإطلاق أوصاف مثل "عشيقته"، أو المبالغة في دور بعض النساء في التنظيم، وهي الآفة التي لم تسلم منها الصحافة الغربية، وإن كانت على العموم- أكثر دقة وموضوعية وتحرياً من وسائل الإعلام العربية. وقد وجدنا الفرق واضحاً والفجوة كبيرةً بين تغطية الإعلام الأميركي خصوصاً، وبعض الصحف من جهة، وبين تغطية الإعلام العربي الغارق في الدعاية والتوجيه الأمني والتعليب المسبق للقصص الإخبارية من جهةٍ ثانية.

لتجاوز تلك الصعوبات والعقبات؛ اتّبعنا منهجية مركّبة، تتمثل في تنويع المصادر الإخبارية والمعلوماتية قدر الإمكان ثمّ المقارنة بينها، ثم استخلاص ما هو متفق عليه في تلك المصادر من وقائع وتطورات وتواريخ وقضايا، وتخليصها من الجانب الدعائي والتوظيفي؛ قدر المستطاع.

وفي سبيل ذلك، كانت مقاربتنا الرئيسة تتمثل في استخدام منهجية "كرة الثلج Snow Ball"، فالوصول إلى مصدر أو نموذج يقودنا إلى مصدر آخر، ونماذج تالية. فعلى سبيل المثال، حين نصل إلى اسم إحدى الحالات، يُمكن أن نتتبعه ليقودنا إلى البحث في مصادر أخرى، مثل مواقع التواصل الاجتماعي - الفيس بوك والتويتر - التي تساعدنا على التعرف على الشخصية وتحليلها ومتابعة تطورها؛ وهي مصادر رئيسة ومباشرة. ثم يُمكننا، بمزيد من التتبّع، استكشاف شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة بالشخصية، من العائلة والصداقات والمصاهرات. وهكذا نتدحرج مع المعلومات والبيانات، في أساليب استقصائية تحقّقية، في محاولة التعرف على الحالة واستكشاف الجوانب المختلفة والمتعددة، ومقارنتها، وصولاً إلى تنقية وتنقيح المعلومات الرئيسة، مع الحرص على بناء التحليل والدراسة على "قاعدة متينة" من مصادر المعلومات.

لاشكّ بأنّ عمليّة من هذا النوع هي عملية صعبة ومعقّدة، ومحفوفة بالفجوات والفراغات التي تتطلب ملأها، مثل تركيب قطع مختلفة من الصورة وصولاً إلى اللوحة الكاملة Puzzle؛ وقد لا نصل في كثير من الأحيان إلى تلك المرحلة، فتبقى بعض جوانب اللوحة غامضة وغير معروفة، إلا أنّ اكتمال الأجزاء الرئيسيّة من اللوحة يساعدنا أكثر على رسم صورة تقريبية للأجزاء المتبقية.

يقودنا ذلك إلى المنهجية التي استخدمناها في اختيار النماذج النسائية الجهادية،

وتتمثّل في الوصول عبر "كرة الثلج المتدحرجة" إلى أكبر عدد من الحالات النسائية، ثم البحث والتفتيش عن مصادر المعلومات المتاحة، وانتقاء تلك النماذج التي يمكن أن نجد حولها أكبر قدر ممكن من المعلومات والمصادر المتاحة. ثمّ قمنا بتقسيم النماذج وتصنيفها، بحسب ما يتوافر من معلومات، على النحو التالي:

أولاً، النماذج العربية: وقد اخترنا حالة الطبيبات السودانيات، اللواتي أثرن اهتماماً إعلامياً كبيراً، وشكّلن صدمة للأوساط النخبوية في السودان، وحالة فتيحة المجاطي المغربية المعروفة، التي انتقلت من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية في الآونة الأخيرة، وتتبعنا هذه القصص بشكل مفصل، فيما تعرّضنا بصورة موجزة لحالات أخرى، مثل الأردنية العائدة، وإيمان كنجو من فلسطين، والكويتية حصة محمد المحيلاني.

ثانياً، النماذج السعودية: وتضم قرابة ٢٢ حالة، تتفاوت في حجم التفصيلات المتاحة (فوزية العوفي، وفاء اليحيى، هيلة القصير، وفاء الشهري، ندى القحطاني، أروى البغدادي، حنان السمكري، نجلاء الرومي، ريما الجريش، ميّ الطلق، أمينة الراشد، هيفاء الأحمدي، نجوى الصاعدي، أم أويس، الملقّبة بـ"المهاجرة"، والملقبة بـ"مطلقة ساجر"، والملقبة بـ"الفنانة التشكيلية"، هند القرشي، عبير الحربي، بنان عيسى هلال، خلود الركيبي، وأم عاتكة).

ثالثاً، إيمان البغا: وتعتبر اليوم من أبرز فقهاء تنظيم الدولة الإسلامية، ومن أبرز الأصوات المدافعة عن التنظيم التي تؤطر فكره الإيديولوجي واختياراته الفقهية.

رابعاً، النماذج الأوروبية: وقسّمناها إلى الحالات البريطانية (مثل: أقصى محمود، خديجة سلطانة، أميرة عباسي، شاميما وشارمينا بيغول، الشقيقتان زهرة وسلمى حيلاني، مع أسماء أخرى عرضنا لها سريعاً)

والحالات الفرانكفونية (مليكة العرود، إيناس مدني، حياة بومدين، حسناء بولحسن وغيرهن).

خامساً، النموذج الأميركي: وتناولنا مجموعة من الحالات الرئيسة فيه، مثل تاشفين مالك، أريل برادلي، هدى محمد مثنى، شانون كونلي، وجايلين يونغ.

أمّا المعيار الذي استخدمناه في تصنيف الحالة ضمن "النسائية الجهادية"، فيعتمد على توافر أحد الشروط الرئيسة التالية أو أكثر:

أولاً: الهجرة إلى أراضي تنظيم الدولة أو القاعدة أو الانضمام إلى أحد الجماعات الجهاديّة.

ثانياً: محاولة الهجرة إلى تلك المناطق.

ثالثاً: الدعاية الواضحة عبر الإنترنت أو أي وسائل أخرى لأفكار ومفاهيم التنظيمات الجهادية.

رابعاً: التبني الواضح لأفكار وإيديولوجيا هذه الجماعات؛ ولم نعتبر بأنّ الاعتقال أو المحاكمة شرطٌ كافٍ لإدراج الحالة ضمن نطاق الدراسة، وذلك لنتجنب احتماليّة وجود خلل أو خطأ ما في المحاكمة أو الحكم.

لذلك عمدنا - بالإضافة إلى ما سبق- إلى منهجية تحليل النصوص واللغة المستخدمة من قبل الحالات المحتملة، فإذا كانت الخطاب ينمّ عن قناعة بإيديولوجية السلفية الجهادية، فهو أحد أهم المؤشرات المهمة على انتماء الحالة الجهادي، كأن تصرّح المرأة بالدعوة إلى الجهاد، وفق منظومة السلفيّة العقائدية، ضد الشيعة والإسرائيليين والغرب، أو أن تتحدث عن دعم تنظيم الدولة، وتدافع عنه، أو أن تصف قوات الأمن والجيش والحكومات بالكفار والطواغيت، أو تصف المعتقلين باستخدام مصطلح "الأسرى"، وغيرها من دلالات في تحليل المضمون التي تؤشر إلى خطاب سلفي جهادي.

الفصل الأول

نماذج نسائية عربية

الفصل الأول

نماذج نسائية عربية

"كان المراهق إلياس مريضاً، ولم تقَو ذاكرته تحمل الأهوال التي رآها وهو طفل ثم وهو مراهق ثم وهو شاب، فعوضاً عن أن يكبر وسط أسرة ومدرسة وزملاء فصل ولعب، فتح عينيه على معسكرات القاعدة وبنادق طالبان في أفغانستان، ثم على مسلسلات هروب "هوليودي" من القصف الأمريكي على كابول إلى بلاد الحرمين، حيث قتل والده كريم المجاطي ابن العائلة البرجوازية وابنه آدم، الأخ الأصغر لإلياس، في مواجهات مسلحة مع الأمن في الرياض"

توفيق بوعشرين عن عائلة فتيحة المجاطي

مقدّمة

يختلط "الحابل بالنابل" في القصص والروايات عن النساء العربيات والمهاجرات اللواتي انضممن إلى تنظيم الدولة الإسلامية من دول عربية مختلفة. فبالإضافة إلى النموذج السعودي، ومثال إيمان البغا، فإنّ ثمة نماذج وأمثلة أخرى مثبتة عن نساء قررن الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية، أو آمنّ بأفكاره في بلادهن، مثل حالة فتيحة المجاطي، المغربية، والطبيبات السودانيات. في المقابل فإنّ هنالك العديد من الروايات والقصص، الأقرب إلى الخيال والأساطير أو الدعاية الإعلامية منها إلى الحقائق، إذ لا يوجد ما يثبتها أو يعززها من خلال الشهادات الموثقة، أو التحقيقات الإعلامية الاستقصائية.

من أكثر القصص التي تمّ تداولها في الإعلام، خلال الأعوام السابقة، هو ما يسمى بـ"جهاد النكاح" للجهاديات التونسيات، وقد شاع الحديث عنه في وسائل الإعلام التونسية والعربية، وتم تداول المصطلح على "نطاق واسع"، لكننا لم نجد تحقيقات موضوعية تتناول الظاهرة بصورة محايدة أو تتوافر على الحدّ الأدنى من الحقائق والمؤشرات، مما يجعل، تمييز الحقيقي من الخيالي أو الأسطوري، في هذا التداول الإعلامي المكثف للظاهرة، أمراً صعباً ومتعسّراً.

والطريف في الأمر أنّ أحد الصحافيين العرب البارزين (في مجال التحقيقات الاستقصائية)، حازم الأمين، قد أغرته تصريحات وزير الداخلية التونسي السابق، لطفي بن جدو، المثيرة، (أمام المجلس التأسيسي التونسي في ١٥ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٣) عن وجود نساء تونسيات حوامل، يعدن من سورية، بعدما مارسن زواج النكاح هناك. وتحدث عن قرابة مائة تونسية، وعن "تداول جنسي" على النساء، كما يقول "يتداول عليهن (جنسياً) عشرون وثلاثون ومئة (مقاتل)، ويرجعن إلينا يحملن ثمرة الاتصالات الجنسية باسم جهاد النكاح، ونحن ساكتون ومكتوفو الأيدي"[٣١١]. إلاّ أنّ الأمين لم يجد شيئاً من ذلك، لا هو ولا العشرات من الصحافيين الأجانب، الذين ذهبوا إلى تونس بحثاً عن قصص مثيرة في الإعلام. ثم التقى الأمين بوزيرة تونسية تخبره بأنّ ما ذكره زميلها وزير الداخلية عن "جهاد النكاح" ليس صحيحاً![٣١٢]

وبالرغم من الجدل الإعلامي الكبير حول ظاهرة "جهاد النكاح"، فإنّ الوصول إلى معلومات دقيقة وموثوقة، تأكيداً أو نفياً لهذه الظاهرة، مع تضارب الأجندات السياسية والإعلامية، يبدو عملاً شاقّاً وصعباً للغاية، نظراً لاختلاط الخيال الخصب بالأجندات السياسية والإعلامية[٣١٣].

ثمّة عائق آخر يواجه الباحثين في ظاهرة "النساء الجهاديات" في المجتمعات العربية، ويتمثل في التعامل مع الظاهرة بوصفها عاراً أو عيباً يلحق العائلة. وتحاول السلطات التماهي مع هذه المشاعر فتقوم بإخفاء الأسماء، وفي أحيانٍ كثيرة التستر على قصص الالتحاق نفسها، والحيلولة دون النشر الإعلامي عنها. وهو ما نلاحظه في أغلب المجتمعات العربية؛ وإذا ما حصل تسريب إعلامي فإنّ الحديث يدور عن

(٣١١) انظر: تونسيات مارسن "جهاد النكاح" في سوريا يعدن إلى بلادهن حوامل، فرانس ٢٤، ٢٠ سبتمبر ٢٠١٣، على الرابط التالي:
goo.gl/7sH5kC

(٣١٢) انظر: حازم الأمين، جهاد النكاح بين زيارتين: ليس خرافة مشرقية، صحيفة الحياة اللندنية، ٢ نوفمبر ٢٠١٤. وكذلك: ديانا مقلّد، سقوط كذبة جهاد النكاح، صحيفة الشرق الأوسط، ٧ أكتوبر ٢٠١٣،

(٣١٣) المرجع السابق.

رموز وأوصاف عامة، وليس عن أسماء دقيقة لأولئك النساء.

من الصعوبات الأخرى في التعامل مع مصادر البحث (عن النساء العربيات)،"الانحياز الإعلامي"؛ وهي مشكلة واجهناها خلال مراحل الدراسة ومع أغلب الحالات، في ظلّ غياب التحقيقات الاستقصائية في كثير من الأحيان.في حين تعمد الكثير من المنابر الإعلاميّة إلى عمليات "نسخ ولصق"، دون تثبّت، عند الحديث عن الحالات النسائية، كما تسود حالة من الهوس الإعلامي بإطلاق المصطلحات والأوصاف غير الدقيقة على بعض الجهاديات، مما يُؤدّي إلى "أسطرة" الظاهرة، ويُغيّب الحقائق وسط "أكوام" من "الضجيج الإعلامي" غير الدقيق. ولعلّ أحد الأمثلة البارزة على هذه الحالة هو مثال حصة عبدالله محمد المحيلاني، المرأة الكويتية، التي تصدرت عناوين الأخبار، بوصفها الأمّ السبعينية المتشددة، التي جنّدت ابنيها في داعش ودفعت أحدهما إلى القيام بعملية انتحارية[٣١٤]. فبعد أن ذاع صيت هذه المرأة (أم "أبو تراب")، وحظيت بشهرة إعلامية واسعة، في شهر يوليو/ تموز ٢٠١٦، بعد الكشف عن خلايا تابعة للتنظيم في الكويت، عادت وسائل إعلام كويتية بعد أسابيع قليلة، لتنشر خبر الإفراج عنها، من قبل محكمة الجنايات بكفالة، بعد صدور تصريحات لها في المحكمة تؤكد عدم انضمامها للتنظيم، وتعلل ذهابها إلى هناك بأنّها محاولة لاستعادة ابنها (علي العصيمي؛ أبو تراب)، بعد مقتل ابنها الأول مع التنظيم.كما اتضّح لاحقاً بأنّ المحيلاني ليست سبعينية، وأنّها من مواليد العام ١٩٦٤[٣١٥].

(٣١٤) انظر على سبيل المثال: إمرأة كويتية تشجّع ابنها على تفجير نفسه في العراق؟!!، موقع قناة العالم، ١١ يوليو ٢٠١٦، الرابط التالي: http://www.alalam.ir/news/1837306 ، وكذلك الأمر: قصة المرأة الكويتية "حصّة" التي جندت أولادها مع داعش، موقع البوابة، ٥ يوليو ٢٠١٦، على الرابط التالي:
goo.gl/j4zj2a
وكذلك الأمر: الداخلية الكويتية: إحباط مخططات إرهابية لمجموعات تنتمي لـ "داعش"، موقع روسيا اليوم، ٣ يوليو ٢٠١٦، على الرابط التالي:
goo.gl/Ugtibu

(٣١٥) انظر: "أبو تراب" يروي قصة انضمامه لـ "داعش": تجندت إلكترونياً بفتاوى ثلاثة دعاة كويتيين، صحيفة السياسة الكويتية، ٢٠ يوليو ٢٠١٦. وكذلك: الاعترافات التفصيلية للخلايا

صحيح أنّ تلك المرأة الكويتية سافرت إلى الرقة، ودرّست هناك، إلا أنّ سمات الحالة وتفاصيلها تختلف كثيراً بين ما ورد في المحكمة، وما ورد في الإعلام سابقاً، مما خلق نموذجاً مغايراً تماماً للواقع الحقيقي؛ ولو كانت المحيلاني بتلك الخطورة لما قامت المحكمة بإطلاق سراحها بكفالة، على ذمة القضية.

نجد الكثير من الحالات والأمثلة المشابهة في "متاهات" الإعلام العربي. ويزيد الحال صعوبة في التعامل مع ظاهرة الداعشيات أو الجهاديات العربيات واستقصائها، أنّ تنظيم "الدولة الإسلاميّة" يتعامل مع النساء المنضمّات إليه، بمجرد وصولهن، من خلال "الألقاب" (الكنى)، وليس الأسماء الحقيقية، لأسباب أمنية بطبيعة الحال، مما يجعل من تتبع مسار الواحدة منهن، بعد وصولها إلى هناك مسألة في غاية الصعوبة، وكذلك الأمر في معرفة الأسماء الدقيقة والقصص الحقيقية.

المثال البارز على ذلك هي "أم مهاجر التونسية"، التي تقول التسريبات الأمنية، في التقارير الإعلامية، العربية والدولية، بأنّها تونسية، وأنّها زوّجت بناتها من عناصر التنظيم، وأنّ لها دوراً قيادياً في كتيبة الخنساء، وأنّها انتقلت مع زوجها من العراق إلى سوريا. إلا أننا لا نجد أي معلومة أخرى عنها، عن اسمها أونشأتها، أوحياتها. يتكرر نفس "السطر" (تقريباً) في أغلب التقارير الإعلامية التي تتحدث عن "القياديات الداعشيات"، دون منح الباحث القدرة على المتابعة والتدقيق[٣١٦].

الإرهابية، صحيفة الأنباء الكويتية، ٥-٧-٢٠١٦، وانظر كذلك: أم "أبو تراب" باكية أمام "الجنايات": أعوذ بالله من "داعش".. ذهبت إلى سورية لأعيد ابني فقط، كويت نيوز، ٢٠ يوليو ٢٠١٦، الرابط التالي: http://www.q8news.com/152916.html

(٣١٦) انظر: بالأسماء ستة نساء قياديات في داعش و"أم المقداد" أميرتهن، موقع المسلة الإلكتروني، ١٠-٣-٢٠١٦، على الرابط التالي:

http://almasalah.com/ar/NewsDetails.aspx?NewsID=37522

وكذلك: أخطر ٩ نساء في "داعش"، من هن ؟ و ما هي جنسياتهن؟، صحيفة الشروق التونسية، ٣ سبتمبر ٢٠١٤، على الرابط التالي:

goo.gl/ldcrBF

وكذلك: مهام أخطر نساء داعش.. "أم المقداد" و "أم مهاجر" و"القحطاني"، سودان موشن، على الرابط التالي:http://sudanmotion.com/home/1325.html

بالرغم من الصعوبات السابقة، فقد استطعنا الوصول إلى "نماذج" مهمة من النساء العربيات (بالإضافة إلى ما نماذج السعوديات، ونموذج د. إيمان البغا). وأبرز هذه النماذج يتمثل بالطالبات السودانيات، وأغلبهنّ كن يدرسن الطب في جامعة خاصة في السودان. ونسبة كبيرة منهن يحملن جوازات سفر بريطانية، كما إنّ أغلبهنّ بنات لأطباء وطبيبات مشهورات، ومن عائلات ثرية وبرجوازية، وهو النموذج الذي أفردنا له جزءاً كاملاً في هذا الفصل.

وبالرغم من أنّ أغلب أولئك الطالبات يحملن الجنسية السودانية (إحداهن تحمل الجنسيّة الأميركية)، وعشن في الغرب لفترة طويلة، إلاّ أنّنا فضّلنا التعامل معهن (في هذا الكتاب) ضمن نموذج النساء العربيات، لأنّ عملية التجنيد المباشرة، والمغادرة إلى معاقل تنظيم الدولة الإسلامية تمّت في دولة عربية (السودان)، وثانياً لأنّنا نتحدث عن ظاهرة سودانية تتمثل بسفر العديد من الطلاب والطالبات من جامعات سودانية إلى أراضي التنظيم، ممن يحملون الجنسيات السودانية والغربية معاً، فآثرنا التعامل مع الظاهرة كوحدة واحدة، وعدم تجزئتها بحسب جنسية أولئك الفتيات.

وكذلك الحال، أفردنا جزءاً من هذا الفصل لإحدى الشخصيات النسائية المشهورة في عالم السلفية الجهادية، بخاصة في المغرب، والتي تُعتبر من أبرز الوجوه النسائيّة لتنظيم الدولة الإسلامية، وهي فتيحة المجاطي، فأفردنا لها هي الأخرى جزءاً آخر من هذا الفصل.

ثمّة حالات أخرى، عديدة، من النساء والفتيات العربيات اللواتي التحقن بتنظيم الدولة الإسلامية، ولكنّ أسماءهنّ غير معلنة، نظراً للحساسيات الاجتماعية التي تحدثنا عنها سابقاً، أو أنّ حجم المعلومات المتاحة عنهن ليس كبيراً، مما دفعنا إلى تناولهنّ باختصار في هذه المقدمة، ومن أبرز هذه الحالات:

١. الأردنية العائدة: من مدينة الكرك، جنوب الأردن، عمرها قرابة ٢٥ عاماً، أنهت دراسة علم النفس في جامعة مؤتة المدنية عام ٢٠١١، والدها وأشقاؤها يعملون بالأجهزة الأمنية، تعرّفت على عناصر من التنظيم في الخارج، عبر شبكة الإنترنت، واستمرت عملية الإقناع قرابة عام ونصف، حتى اقتنعت الفتاة بضرورة السفر إلى الرقة، فقام التنظيم بتأمين مبلغ من المال لها عبر امرأة منقبة، لا تعرفها. وعندما

غادرت وتواصلت مع أهلها من إسطنبول، لتبلغهم بقرارها بالهجرة إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، تحرّك ذووها سريعاً، واستعانوا بنائب أردني سابق، مازن الضلاعين، الذي تواصل مع الفتاة عبر الواتس آب، وهي في منزل خصصه لها داعش مع نساء عربيات مهاجرات أخريات (إلى حين نقلهن إلى سوريا). ثمّ تم ترتيب عملية هروبها بمعاونة النائب والسفارة الأردنية في تركيا، وتم إعادتها إلى ذويها. وعزت هي (لاحقاً) الأسباب التي أدت إلى التحاقها بالتنظيم، بالبطالة والفراغ والملل، والبحث عن حياة جديدة، ووعود التنظيم بتأمين منزل ووظيفة لها هناك، في أراضٍ تحكم بالشريعة الإسلامية. واستطاعوا تجنيدها عبر تفنيد الفتاوى الدينية والدعاية السياسية ضد التنظيم، التي كانت تشوّش عقلها وقرارها بالهجرة إلى أراضيه[٣١٧].

كانت سمات هذا النموذج مقلقة للسلطات الأردنية، والرأي العام عموماً، لأنّه يُمثّل أول أردنية تلتحق رسمياً وعلنياً بالتنظيم، ولأنّها ابنة عشيرة معروفة في مدينة الكرك، ومحاطة بأسرة تعمل في الأجهزة الأمنية، وتحمل الشهادة الجامعية في تخصص (علم نفس)، الأمر الذي يفترض أن يحصّنها من الوقوع في هذا الفكر، وفق الفرضية السائدة؛ إلا أنّها مع ذلك كادت أن تصل إلى الرقة.

لم تتوقّف الهواجس الأردنية حول إمكانية وجود "أردنيات" في التنظيم، إذ صرّحت الفتاة العائدة بأنّها تعرّفت على ثلاث أردنيات، لم تعرف أسماءهن بل ألقابهن، موجودات في "الدار" التي خصصها التنظيم للقادمات من الخارج، تمهيداً للانتقال إلى سوريا[٣١٨].

بعد حادثة "العائدة الأردنية"، تم ذكر حالات أخرى، مع تعتيم إعلامي كبير،

---

(٣١٧) لمزيد من التفاصيل: انظر: حسين الصرايرة، تفاصيل إفشال تجنيد أول أردنية بداعش، موقع خبرني الإلكتروني، ٩ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/nVP17l
وكذلك الأمر: "الأردنية التائبة" تكشف أسرار تنظيمها وتجنيدها في داعش من الكرك، موقع جراءة نيوز، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/BqIUn6

(٣١٨) انظر: : حسين الصرايرة، تفاصيل إفشال تجنيد أول أردنية بداعش، مرجع سابق.

منها حالة مهندسة أردنية من مدينة العقبة، مخطوبة، أبلغت أهلها أنّها وصلت إلى تركيا، وتنوي الذهاب إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، وتحدثت مع خطيبها وطالبته بتطليقها (فسخ الخطبة). ثم اختفت الأنباء عن هذه الفتاة، ولم يتضح فيما إذا كانت السلطات تمكنت من استعادتها أم أنّها وصلت فعلاً إلى أراضي تنظيم الدولة[٣١٩].

٢. إيمان حمد كنجو، وهي طالبة دكتوراه في الشريعة الإسلامية، في جامعة الأزهر، من أراضي فلسطين الـ٤٨، من سكان مدينة شفا عمر، مواليد الناصرة، محافظة الجليل، تبلغ من العمر ٤٤ عاماً، لها خمسة أبناء، ثلاثة منهم جامعيون، وزوجها د. علي ساعد، إمام وخطيب مسجد، حاصل على دكتوراه الشريعة من الجامعة نفسها (التي تحضّر فيها إيمان للدكتوراه) في قسم الدراسات الإسلامية.

عُرفت إيمان في الأوساط الاجتماعية بأنشطتها الدعوية، وبعائلتها التي تتميز بالجانب الأكاديمي والعلمي، لكنّها قررت في ١٩ من شهر أغسطس/ آب من العام ٢٠١٦، بعدما تواصلت مع أعضاء في تنظيم الدولة الإسلامية عبر الإنترنت، التوجه إلى سوريا، والانضمام إلى التنظيم، والتدريس في مراكزه التعليمية والدعوية. ودعت والدها إلى مرافقتها إلى تركيا، وتوجها معاً بالفعل إلى هناك، ثم اختفت. وبعد أن بلّغ زوجها عن اختفائها، قامت السلطات الإسرائيلية بإبلاغ السلطات التركية، وباحتمال تفكيرها بالانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية. وقرر والدها العودة من دونها، ثم تمّ إلقاء القبض عليها من قبل السلطات التركية، على المنطقة الحدودية، وهي تحاول العبور إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، في ٢٨ آب/أغسطس؛ أي في الشهر نفسه، وبحوزتها مبلغ ١١ ألف دولار، تمت مصادرته، وأُعيدت إلى "إسرائيل".

خضعت إيمان للمحاكمة هناك، وتم الحكم عليها بـ" ٢٢ شهرا فقط في سجن الشارون للنساء"، بالإضافة إلى دفع غرامة مالية كبيرة بقيمة ٣٠ ألف شيكل،

(٣١٩) انظر: تفاصيل اختفاء مُهندسة أردنية تحاول الانضمام لِداعش، صحيفة الديار اليومية الأردنية، ٢٠ كانون الثاني ٢٠١٦، وكذلك الأمر: مهندسة أردنية تلتحق بداعش محاولات لاستعادتها، موقع عمان. نت، ٢ يناير ٢٠١٦، على الرابط التالي: http://wqw.amman1.net/jonews/jordan-news/107621.html

ومحكومية أخرى بالسجن لمدة عام مع وقف التنفيذ[٣٢٠].

خلال محاكمتها، رددت إيمان كنجو شعار "باقية وتتمدد"، في قاعة المحكمة، مما يؤكد على عمق ولائها وتأييدها للدولة الإسلاميّة. وقد انشغل أنصار تنظيم الدولة الإسلاميّة بموضوع تسليم تركيا لها لإسرائيل، واتهموا الرئيس التركي أردوغان بالخضوع لإملاءات إسرائيل، وبالنفاق، واحتفلوا بترديدها شعارات الدولة في قاعة المحكمة[٣٢١].

٣. نساء تنظيم الدولة في سرت؛ اللواتي عرضت وسائل إعلام ليبية تسجيلات مصورة لهن، بعد أن تم اعتقالهن، إثر هزيمة تنظيم الدولة في سرت. وثمة العديد من الحالات التي نشر الإعلام قصصاً عنها، من تونس، وسوريا وليبيا. بالرغم من ذلك فإنّ تلك التقارير الإعلامية لا تتوافر على تفاصيل وافية توضّح الأسباب والدوافع وراء التحاق أولئك النساء بتنظيم الدولة الإسلامية، بصورة واضحة. لكن القواسم المشتركة التي تجمع الحالات التي تمّ تقديمها إعلامياً، من سجن النساء، الذي وضعت فيه المعتقلات، يتمثل بالعمر الصغير، وغياب العمق الإيديولوجي في الانضمام إلى التنظيم، وجود عنصر الزواج، كأحد ديناميكيات الانضمام، ثمّ الصدمة من واقع التنظيم بعد الانتقال إليه، بما يخالف ما كنّا يوعدن من قبل أنصاره، حيث يروين

---

(٣٢٠) انظر: إيمان كنجو في محكمة إسرائيلية تردد "باقية وتتمدد"، موقع عربي ٢١، ٢٠ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:goo.gl/kzyImf

وكذلك: إيمان كنجو والدة لخمسة أطفال من الداخل الفلسطينيّ متهمّة بالانضمام لـ"الدولة الإسلامية" تُردّد بالمحكمة الإسرائيليّة "دولة الإسلام باقية وتتمدّد"، موقع الرأي اليوم، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي: http://www.raialyoum.com/?p=319557

وكذلك: الحكم على إيمان كنجو من شفا عمرو بالسجن الفعلي لمدة ٢٢ شهراً، موقع إشراقة، ٧ يوليو ٢٠١٦، على الرابط التالي:http://ishraqa.co.il/26608

(٣٢١) انظر: وائل عواد، إيمان كنجو بين الخليفة البغدادي والخليفة أردوغان، موقع نون بوست، 28 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:goo.gl/Jx0sCg

انظر كذلك مقطع ترديدها لشعار باقية وتتمدد، واحتفال أنصار تنظيم الدولة الإسلامية فيها، ١١ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=aLPfSpwYCzs

كيف تتمّ معاقبة النساء اللواتي يفكر بالهروب عبر وضعهن مع أطفالهن ببئر تحت الأرض، وفي ظروف قاسية[٣٢٢].

من الصعوبة بمكان التأكّد من دقة القصص المنشورة ومصداقيتها، مع عدم وجود مصادر مستقلة أو أخرى محايدة، ومع غياب التفاصيل التي تسمح بالبحث عن الأسماء المطروحة في اللقاءات مع النساء المرتبطات بالتنظيم.

إذاً في هذا الفصل، بالإضافة إلى ما قدّمناه باختصار عن نماذج عربية في المقدمة، سنعرض لنموذجين رئيسيين؛ الأول هو نموذج الطبيبات السودانيات الثريات، والثاني هو نموذج فتيحة المجاطي، ثم نحاول استنطاق النتائج والخلاصات الممكنة من هذه النماذج.

"الطبيبات الثريات" السودانيات

خلال العام ٢٠١٥، اتجهت ثلاث مجموعات من السودانيين، أغلبهم من طلاب أو خرّيجي جامعة العلوم الطبية، المعروفة باسم مأمون حميدة –وهي جامعة خاصة مملوكة لوزير الصحة السوداني، لذلك يطلق اسمه في الأوساط السياسية والإعلامية على الجامعة– في الخرطوم، إلى الأراضي التي يسيطر عليها تنظيم الدولة

(٣٢٢) قصة أم عمر التونسية كما روتها، موقع ليبيا المستقبل ٢٠١١، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:
goo.gl/rFpObZ
وكذلك: جمال لعريني، فاطمة تروي أيام داعش الأخيرة في سرت، موقع أخبار الآن (قناة الآن)، ١٧ ديسمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:
goo.gl/w3MxD9

وكذلك: جمال لعيريني، قصة نسيبة من اللجوء إلى داعش، موقع أخبار الآن (قناة الآن)، ١١ ديسمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:

goo.gl/QBuFMn

الإسلامية في العراق وسوريا.

غادرت المجموعة الأولى إلى إسطنبول في ١١ مارس/آذار، وضمّت ٩ طلاب وطالبات يحملون الجنسية البريطانية، ويعيش أغلب أبائهم في بريطانيا، ويعملون في مجال الطب. وقد ضمّت المجموعةخمس طالبات طب في الجامعة نفسها.

أمّا المجموعة الثانية فضمّت ١٨ طالباً، بينهم عدد من الطالبات، وغادرت في شهر يونيو/حزيران، من الجامعة نفسها، إحداهن تحمل الجنسية البريطانية، وأخرى هي ابنة المتحدث باسم وزارة الخارجية السودانية. فيما اقتصرت المجموعة الثالثة، التي غادرت في أواخر شهر أغسطس/ آب، على أربع طالبات.

ثمّة قواسم مشتركة رئيسة بين الفتيات (ومن معهم من الذكور)؛ فهن جميعاً من الطبقة الثرية، ومن عائلات عريقة، وأعمارهن تتراوح بين الـ١٨ و٢٣ عاماً، أغلبهن يحملن جنسية بريطانية، ويدرسن الطب، في الجامعة نفسها. يتميّزن بمستوى عالٍ من الذكاء، نظراً لطبيعة الدراسة (الطب)، وطبقاً لبعض شهادات التي سنوردها بعد قليل. أباؤهم غالباً أطباء، أو رجال أعمال أو شخصيات من مستوى اجتماعي عالٍ.

نحن أمام "نموذج" يتصادم مباشرةً مع "الصورة النمطية" الدارجة التي تربط الانضمام إلى الجماعات السلفية الجهادية، بعوامل الفقر والبطالة ومستوى التعليم المنخفض.

ما الذي حدث مع "الطبيبات السودانيات"؟ وما هي العوامل التي أدت إلى قرار الهجرة؟ هل تكمن القصة في الجامعة؟ أم في إشكالية الهوية، كما يظهر في كثير من "النماذج الأوربية"، بالنسبة للطالبات القادمات من بريطانيا؟ أم أنّ ذلك مرتبط بتأثير التيار الداعشي الناشط في السودان ودعاته المعروفين؟ وهل وصلوا إلى الاقتناع بإيديولوجية التنظيم عبر الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي الداعشية، كما تقول عائلاتهم؟

من هنّ الفتيات؟

في الدفعة الأولى (مارس/آذار ٢٠١٥) هنالك خمس فتيات وهن:

١. ندى سامي خضر، والداها طبيبان، يعيشان ويعملان في بريطانيا، عادت لتدرس الطب في جامعة مأمون حميدة، وتعيش مع شقيقها وشقيقتها، وتحمل الجنسية البريطانية.غادر شقيقها معها إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، وهو خريج الجامعة نفسها، وهي في العام الدراسي الثاني[٣٢٣].

٢. لينا مأمون عبد القادر، ١٩ عاماً، وهي طالبة طب في جامعة مأمون حميدة أيضاً، بريطانية- سودانية،والداها طبيبان في بريطانيا، والدها أخصائي جراحة عظام، ووالدتها أخصائية أطفال[٣٢٤].

٣. روان زين العابدين، طالبة طب أسنان، بريطانية- سودانية، ٢٢ عاماً، في السنة الثالثة، وكانت تعيش في بريطانيا، وانتقلت إلى السودان لدراسة الطب في الجامعة نفسها[٣٢٥].

٤. تسنيم سليمان حسين، ماجستير صحة، بريطانية- سودانية، والدها طبيب ومدير مستشفى جامعي، ووالدتها طبيبة، وتعمل في مستشفى الشرطة[٣٢٦].

٥. لجين أحمد أبو سبح، تخرجت من جامعة مأمون حميدة، في مجال الطب، وغادرت مع شقيقها إلى أراضي التنظيم، تحمل الجنسية البريطانية، والداها طبيبان يعملان في بريطانيا[٣٢٧].

---

(٣٢٣) انظر الرابط : goo.gl/AYXiaV

(324) Marga Zambrana, Hazar Aydemir and Emma Graham-Harrison, Nine British medics enter Isis stronghold to work in hospitals,The guardian. 21 March 2015.At: https://www.theguardian.com/world/2015/mar/21/british-medical-students-syria-isis?CMP=share_btn_fb

(٣٢٥) المرجع السابق.

(٣٢٦) المرجع السابق.

(٣٢٧) انظر معلومات مفصّلة عن والدي لجين: محمد خلف، خوفاً من انضمامهم إلى داعش:

أما المجموعة الثانية، التي غادرت في شهر يونيو/ حزيران ٢٠١٥، فقد ضمّن مجموعة من الطالبات ومنهن:

٦. زبيدة عماد الدين الحاج ودّاعة، وتشير بعض المصادر إلى أنّه تمّت إعادتها إلى السودان من الحدود التركية، وهي طالبة طب في جامعة مأمون حميدة[٣٢٨].

٧. سجى محمد عثمان، طالبة في جامعة مأمون حميدة، وتحمل الجنسية الأميركية[٣٢٩].

٨. صافينات علي الصادق، طالبة طب في جامعة مأمون حميدة، عمرها ١٨ عاماً، وهي ابنة المتحدث باسم وزارة الخارجية السودانية، السفير علي الصادق. ولا توجد معلومات مؤكدة فيما إذا كان والدها قد تمكن من استرجاعها قبل وصولها إلى سوريا، أم أنّها قد وصلت إلى أراضي التنظيم[٣٣٠].

فيما غادرت المجموعة الثالثة، المكوّنة من أربعة طالبات، الخرطوم في شهر أغسطس، وهن:

٩ و١٠. التوأم منار وأبرار عبد السلام العيدروس، ١٩ عاماً، تدرسان الطب في جامعة مأمون حميدة، ووالدهما يمتلك شركة تعمل في مجال قطع الغيار[٣٣١].

تفاصيل بحث عائلات سودانية بريطانية عن أبنائها في تركيا، موقع وزارة الدفاع السودانية، ٢٩ مارس ٢٠١٥. على الرابط التالي:
goo.gl/2WXFkR

(٣٢٨) انظر: المتحدث باسم الخارجية السودانية يؤكد انضمام ابنته لداعش، موقع إرم نيوز، ٢٩ يونيو ٢٠١٥، على الرابط التالي
http://www.eremnews.com/news/arab-word/305240

(٣٢٩) المرجع السابق.

(٣٣٠) ابنة الناطق الرسمي لوزارة الخارجية تغادر الخرطوم وتنضم لداعش، موقع راديو Dabanga، ٣٠ يونيو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/h2M5Ka

(٣٣١) هنالك مصادر تقول بأنّ التوأم تدرسان في جامعة العلوم الطبية والتطبيقية، ومصادر أخرى

١١. آية الليثي الحاج يوسف، طالبة طب في السنة الثانية، ١٨ عاماً، تدرس في جامعة مأمون حميدة، ووالداها طبيبان، يعملان في السودان[٣٣٢].

١٢. ثريا صلاح حامد، في السنة الثالثة طب، جامعة مأمون حميدة، أسرتها تقيم في الخليج، والدها يعمل في إمارة الفجيرة، فيما تقيم إيمان مع شقيقتها الصغرى، وخالتها في الخرطوم[٣٣٣].

الطريق إلى "أرض الخلافة":

بالرغم من محدودية المعلومات المتوفرة عن حياة الطالبات السودانيات، قبل الانتقال إلى تنظيم الدولة الإسلامية، فإنّ هنالك شهادات تتشابه في تحديد صفاتهن (بالإضافة إلى ما ذكرناه من مستوى اجتماعي واقتصادي عالٍ، وأسر عريقة، وجنسيات بريطانية (لغالبيتهن)، ومستوى عالٍ من الثقافة والدراسة).وتُشير المعلومات المتوفرة إلى وجود "نقطة تحول" معينة مشتركة حدثت في حياة كثيرٍ منهن، مع دخولهن جامعة مأمون حميدة، إذ بدأت العائلات تلاحظ تغيراً في أفكار الفتيات وفي ثقافتهم، كما يروي ذوو كلّ من ندى سامي خضر، وآية الليثي، وصافينات الصادق، وصديقات تسنيم سليمان حسين.

بالنسبة لندى، فلم تكن متشددة قبل انضمامها إلى الجامعة، وكانت ترتدي الملابس الحديثة، كما إنّها كانت منفتحة على المجتمع، لكن علامات التغير بدأت تحدث معها خلال العام الأول من الجامعة. وعندما عادت إلى منزل أهلها في لندن،

تقول إن إحداهن تخرجت وتعمل طبيبة في مستشفى، بينما الثانية ما تزال تدرس. لكن إحدى التقارير تؤكد بأنهن ما زلن على مقاعد الدراسة بحسب لقاء مباشر مع والدهن، انظر: بنات داعش السودانيات: قصة التوأم أبرار ومنار.. حكايات غريبة، صحيفة التيار، ٤-١١-٢٠١٥، على الرابط التالي: http://www.alnilin.com/12729350.htm

(٣٣٢) المرجع السابق.

(٣٣٣) الزين عثمان، من صالة الوصول إلى صالة المغادرة للمجهول، صحيفة اليوم التالي، ١١ أبريل ٢٠١٤، الرابط التالي:
goo.gl/KAlcHS

في أثناء إجازتها، لاحظت والدتها التغير في أفكارها وملابسها، فقامت بإلقاء ملابسها بالقمامة، واشترت لها ملابس جديدة، ولكنّ ندى تخلصت من الملابس الجديدة، فور عودتها إلى السودان، واشترت مرّة أخرى ملابس فضفاضة تتناسب مع الفتاوى الفقهية التي أصبحت تلتزم بها[٣٣٤].

أمّا آية الليثي، فقد لاحظ والداها أيضاً ظهور علامات التغير والتحول عليها، بصورة خاصة في السنة الثانية من دراستها. وانتبهوا إلى أنّها أصبحت تمضي وقتاً طويلاً على مواقع الإنترنت؛مما أثار قلقهم. ثم زادت هواجسهم بعد أن التحقت صديقتها سجى محمد عثمان، في يونيو/حزيران من العام نفسه بالتنظيم، فأخذوا يراقبون آية ويتابعونها بصورة مكثّفة، ويتحدث والدها معها، ولكنّها قامت بطمأنتهم بكلامها وخفّفت من متابعتها لمواقع التواصل الاجتماعي، وأصبحت تمضي مع أهلها وقتاً أطول[٣٣٥].

لكن بعد مدّةٍ من الوقت عاد والد آية ليلاحظ بأنّها عادت، بالتدريج، لقضاء وقت طويل على مواقع التواصل الاجتماعي، وأصبحت تتابع موقع الإنستغرام أكثر مما سبق؛ إلاّ أنّ مراقبة أهلها لم تفلح في الحيلولة دون سفرها. إذ أخبرتهم بأنّها تنوي الغذاء مع صديقاتها (التوأم منار وأبرار العيدروس)، في أحد المطاعم. وأقلّتها والدتها إلى هناك، لكن عندما عادت لتأخذها من المطعم مساءً، تفاجأت بأنّها وصديقاتها غير موجودات، وقد غادروا فوراً بعد ذهاب والدتها إلى المطار، والتقين هناك بصديقتهن القادمة من الإمارات، ثريا حامد، التي وصلت من صالة القادمين، والتقت بهم في صالة المغادرين، في الرحلة المتجهة إلى تركيا، ثم إلى الحدود السورية[٣٣٦].

---

(٣٣٤) انظر: طلاب جدد من جامعة واحدة يتوجهون إلى داعش، صحيفة الراكوبة السودانية، ٧ يونيو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-200828.htm

(٣٣٥) انظر: عبدالرحمن صالح، التفاصيل الكاملة لانضمام آية لداعش، صحيفة الراكوبة، ٩ يونيو ٢٠١٥، يمكن قراءة المادة كاملة على الرابط التالي:
http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-207875.htm

(٣٣٦) انظر: الرحلة لأرض داعش.. البداية والنهاية، موقع النيلين، ٣ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:

تروي كاتبة وصديقة للعائلة ما تعرفه عن شخصية صافيناز، ابنة السفير علي الصادق، وتقول بأنّها كانت خجولة ومتعلقة بوالدها بصورة كبيرة، وأنها كانت تحرص على مرافقته إلى عمله عندما كانت صغيرة. لكن علامات التغير بدأت معها في مرحلة الجامعة، فازداد تديّنها بصورة كبيرة، ثم ارتدت الملابس الفضفاضة، وغطت وجهها، وتغيرت صديقاتها، الأمر الذي أثار انتباه والدها، فطلب منها تغيير صديقاتها، وأصبح أكثر مراقبة واهتماماً بها، إلا أنّ ذلك لم ينجح في الحيلولة دون سفرها في شهر يونيو/حزيران، عبر تركيا[٣٣٧].

لا توجد تفاصيل كثيرة عن تسنيم سليمان حسين، طالبة ماجستير الصيدلة، سوى ما ينقله موقع البي بي سي، عن صديقات لها، قالوا إنّها تغيرت بصورة راديكالية ملحوظة خلال الأعوام الأخيرة[٣٣٨].

ما يتوافر من معلومات عن البقية، أيضاً، ينحصر في أنّ هنالك تغيّراً ملحوظاً قد طرأ على شخصياتهن، من خلال الصديقات، واللباس (ارتداء الخمار واللباس الفضفاض)، والالتزام بالفتاوى الفقهية المتشددة بشأن الغناء والرقص والتدخين والتلفاز، وهي تحولات كانت بالنسبة لبعض العائلات أمر إيجابياً؛ أي إنّها علامة على التدين والالتزام الأخلاقي، في حين كانت مقلقة لعائلات أخرى باعتبارها علامات على التشدد الديني. لكن العائلات لم تصل إلى درجة القلق الحقيقي، إلاّ بعد أن سافرت الدفعة الأولى من الطلاب والطالبات في شهر مارس/ آذار، مما أعطى مؤشّراً بأنّ هذا التحول قد يؤدّي إلى الذهاب للمناطق التي يسيطر عليها التنظيم[٣٣٩].

عند النظر في التقارير والشهادات المتعلّقة بشخصية لينا نور الدين، ووالداها

http://www.alnilin.com/12717103.htm

(٣٣٧) لينا يعقوب، حينما تؤمن بفكرة، صحيفة السوداني، ١١ يوليو ٢٠١٥، ويمكن الوصول إلى المقال عبر رابط آخر لموقع سودارس، كما يلي:
http://www.sudaress.com/alsudani/29704

(٣٣٨) انظر goo.gl/r2VtAZ

(٣٣٩) عبدالرحمن صالح، التفاصيل الكاملة لانضمام آية لداعش، مرجع سابق.

طبيبان في بريطانيا، سنجد بأنّها تميّزت بالذكاء الشديد، وأنها كانت منخرطة بالأنشطة المدرسية، وتلعب رياضة الهوكي، وفقاً لشهادة مديرة مدرسة Wisbech Grammar School؛ وهي مدرسة خاصة، متميزة، تصل رسومها السنويّة إلى ١٢ ألف جنيه استرليني[٣٤٠].

كما تُظهر متابعة حساب لينا على التويتر (الذي تمّ إيقافه لاحقاً) بأنّ علامات التغير أصبحت ظاهرة على مواقفها ولغتها وثقافتها، فهي تتحدث عن العملية التي قام بها عدد من المسلحين (المؤيدين لتنظيم الدولة الإسلامية) ضد صحيفة شارلي أيبدو، بما يوحي تأييدها العملية. وتنتقد الاعتقالات بحق الأفراد المتشددين، وتدعو إلى تطبيق الشريعة، وتعتبر بأنّ كثيراً من العادات هي بدع ليست من الدين، وتقول بأنّ العنف ليس هو القتال، وأنّ الإرهاب هو الاستبداد والقمع والقهر وغياب العدالة، وأنّ القتال هو ما يمكن أن يُخرجنا من العنف![٣٤١]

إذاَ، فلا يُمكن القول بأنّ التغييرات التي حدثت، لدى الفتيات، سطحية، أو عابرة، أو مرتبطة بقضية عاطفية معيّنة ، أو متأثّرة، فقط،بالرغبة بمعالجة الجرحى والمصابين السوريين والعراقيين هناك، كما حاول أباؤهم تبرير ذلك في بيان صحافي أصدروه عندما فشلوا في استعادة الطالبات، بالرغم من اللحاق بهم إلى الحدود التركية- السورية؛ فمن الواضح أنّنا نتحدث هنا عن تحولات وتغييرات ثقافية وفكرية مرتبطة بالمفاهيم الدينية، انعكست على سلوك الفتيات وملابسهن، وشبكة علاقتهن، ثم عن وجود عملية تجنيد هيأت لهم لاحقاً عملية السفر والانتقال، من خلال خطة معينة، وهو ما اكتشفه والدا التوأم بنان ومنار؛ إذ وجدوا في غرفة ابنتيهما بعض

---

(٣٤٠) انظر: عن المدرسة، الرابط التالي:
/http://www.wisbechgrammar.com

(341) Claire Ellicott ,British medic helping treat Isis killers praised Charlie Hebdo attacks on Twitter and also called for Sharia law, Daly Mail, 24 March 2015. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-3008623/British-medic-helping-treat-Isis-killers-praised-Charlie-Hebdo-attacks-Twitter-called-Sharia-law.html

التفاصيل المرتبطة بطريقة المغادرة والتواصل مع أشخاص آخرين. ويمكن ملاحظة ذلك أيضاً في عملية "التحايل" التي قامت بها آية الليثي لإقناع أهلها بأنّها تغيرت وعادت إلى حياتها القديمة، وأنّها لا تفكّر بالهجرة مثل صديقتها السابقة[٣٤٢].

جدلية المسؤولية والأسباب

عند التفكير في الأسباب التي تقف وراء قيام طالبات (وطلاب) - أثرياء، متميزين، من عائلات عريقة، على درجة عالية من المعرفة والعلم، بالهجرة إلى "أرض الخلافة"، وقبل ذلك الاقتناع بـ"إيديولوجية التنظيم"، نجد بأنّ ثمة عنصرين رئيسيين مشتركين في أغلب الحالات: **الأول** هو بيئة "جامعة مأمون حميدة"، فهم من طلاب الطب في تلك الجامعة، وهي جامعة خاصة يرتادها طلاب سودانيون وعرب وأفارقة، ورسومها مرتفعة جداً، ولا توجد فيها أنشطة سياسية، على الرغم من وجود بعضالأنشطة الثقافية المتنوعة. والعنصر **الثاني** هو دراسة الطب، فجميع هؤلاء الطلاب هم من دارسي الطب؛ وهنالك قراءات ومقاربات جديدة بدأت تربط دراسة الطب والهندسة والكليات العلمية التطبيقية، التي تحتاج إلى "معدّل ذكاء" مرتفع بالميول المتطرفة، ولدينا العديد من الأمثلة على ذلك؛ من الأطباء والمهندسين[٣٤٣].

(٣٤٢) انظر: بنات داعش السودانيات، مرجع سابق، وانظر أيضاً: التفاصيل الكاملة لانضمام آية لداعش، مرجع سابق.

(343) Elias Groll, There's a Good Reason Why So Many Terrorists Are Engineers, 11 July 2013. At: http://foreignpolicy.com/2013/07/11/theres-a-good-reason-why-so-many-terrorists-are-engineers/

وانظر كذلك: سليمان الضحيان، أي التخصصات الجامعية أكثر قابلية للتطرف، صحيفة مكة، 9 مارس 2016، وقارن ذلك بـ: شاهر النهاري، تخصص الأطباء والتشدد والإرهاب، صحيفة مكة، 17 مارس 2016.

من الصعوبة بمكان إيجاد رابط مفهومي منطقي بين دراسة الطب والميول المتشددة، سواء عبر فرضية ضعف الثقافة الدينية العلمية الشرعية، إذإنّ هنالك أطباء ومهندسون يمتلكون قدراً كبيراً من هذه الثقافة، أو عبر فرضية العقلية الحادة المنضبطة التي تبحث عن حلول عملية ومباشرة، أو حتى اعتبار تلك المعادلة (الطب والهندسة والتطرف) بمثابة نظرية، فما تزال هذه الفرضية هشّة ومحدودة، في أحسن الأحوال، ولا يمكن البناء عليها، بقدر ما يمكن أن نأخذ منها مؤشرات المستوى العالي من الذكاء والوعي والتربية الحديثة لدى هؤلاء الطلاب، وهو الأمر الذي يخالف مباشرةً التصوّر الاستشراقي الذي يربط التوجه نحو التطرف والإرهاب بالمدارس الدينية في العالم العربي والإسلامي، وبعوامل اقتصادية واجتماعية معيّنة. فهذا النموذج مفارق ومناقض تماماً للأطروحة الاستشراقيّة، إذ إنّ أغلب هؤلاء قد درسوا في مدارس غربية، ومتقدمة وحديثة، ومن عائلات عريقة، ولم تكن لديهم بما يتوافر من معلومات- أي مشكلات اجتماعية أو اقتصادية ملحوظة.

إذا نظرنا إلى العنصر الأوّل، وهو البيئة الجامعية، فإنّ أصابع الاتهام تتجه من قبل مسؤولين في الجامعة، وبعض أهالي الطلاب، إلى زميل سابق لهم درس في الجامعة، وهو بريطاني من أصول فلسطينية، ويدعى محمد فخري الخبّاص، كان يدرس في مدرسةWallington County Grammar School، في جنوب لندن، ثم درس الطب في السودان، وأصبح ناشطاً في جمعية الحضارة الإسلامية، في الجامعة؛ تلك التي يحمّلها الأهالي مسؤولية نشر الثقافة المتطرفة، عبر استضافة رموز ودعاة من التيار السلفي الجهادي السوداني، والقيام بعملية "غسيل دماغ" للطالبات، ورفاقهم الطلاب.

المفارقة في الأمر، أنّه بالعودة إلى (بروفايل) محمد الخبّاص، سنجد لديه ذات السمات التي وجدناها لدى الطلاب والطالبات السودانيات؛ فوالده طبيب يعمل في بريطانيا، وهو من أسرة تعيش في أوضاع اقتصادية جيدة، وليست لديها مشكلات كبيرة، و قد أعلن والده لاحقاً- خجله مما قام به ابنه[٣٤٤].ويُعتقد بأنّ محمد الخباص

(٣٤٤) انظر: منى الصنهاجي، مسعف بريطاني يجند الطلاب البريطانيين للانضمام إلى داعش في سورية، الخبر برس، ١٧ يونيو ٢٠١٥

يقيم الآن في الرقة، وأنّه بات من أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية، وتصفه واحده ممن تعرفه بأنّه مؤدب، هادئ، مبادر، من غير الممكن أن يكون ممن يشجّعون الشباب على الذهاب إلى الجهاد[٣٤٥].

من الممكن، فعلاً أن يكون ثمة دور حيوي وفاعل لمحمد الخبّاص في إقناع الطلاب والطالبات بأفكار تنظيم الدولة الإسلامية، وبمشروع الذهاب إلى هناك. لكن مثل هذا "القرار" لطالبات من هذه الخلفية الاجتماعية والثقافية هو قرار يترتب على تحولات نفسية وفكرية أولاً، وعلى وجود استعداد وقبول لذلك التحوّل ثانياً، وهو ما كان واضحاً من خلال التغيرات التي تحدثنا عنها سابقاً في شخصياتهن وسلوكهن.

ثمّة ميل لدى الأهالي والمراقبين لتحميل شبكة الإنترنت المسؤولية عن ذلك، من خلال المواقع التي تروّج لتنظيم الدولة الإسلامية وتنشر صوره وفيديوهاته، والتي أثّرت على بناتهن وأفكارهن؛ وهذا التأثير ملحوظ ولاشك. لكن التأثير الأكبر، الذي نجده في هذا النموذج، هو تأثير شبكة العلاقات الاجتماعية الواقعية؛ وليس الافتراضية؛ فثمة روابط صداقة متينة بين الطالبات، ومن الواضح بأنّ هذه الشبكة قد أدت دوراً مهماً وكبيراً في التأثير عليهن وتغييرهن، فقد اتُّخذ القرار بالتوافق بين الطالبات. وقد رأينا كيف أنّ بعض الآباء كانوا قلقين من تغيّر صداقات بعض بناتهنّ الطالبات، ومن هجرة زميلات وصديقات لهن سابقاً إلى سوريا. وقد غادرت الطالبات من خلال مجموعات من الأصدقاء والصديقات.

كما أنّنا نجداً دوراً للأشقاء في التأثير على بعضهم، مثل التوأم بنان ومنار العيدروس، والشقيقين ندى ومحمد سامي خضر، وغير ذلك من الحالات. وكذلك زواج روان زين العابدين من زميل لها، ممن ذهبوا معها إلى سوريا، وقد أنجبت منه

---

goo.gl/GYHSGfl

(345) Daniel Sandford, Steve Swann and Mohanad Hashim, UK medical student ‘recruited for IS’ at university in Sudan, BBC News, 17 July 2015. At: http://www.bbc.com/news/uk-33502534

ولداً، قبل أن تلقى حتفها في قصف جوي في يوليو/تموز [٣٤٦] ٢٠١٦.

إذاً،لم يكن لمحمد الخبّاص أو شبكة الإنترنت أن يُحدثا تأثيراً جوهرياً في شخصية "الطبيبات الثريات" وثقافتهن لو لم تكن هنالك دوافع أخرى، وشبكة علاقات وصداقات اجتماعية تعزز هذا التأثير وتمنحه دفعات قوية، فأين تكمن الأسباب والعوامل الفعليّة التي نتحدث عنها هنا؟

دعونا نذكّر، قليلاً، بالنموذج الذي نحلله: طالبات طب، من مستوى اقتصادي واجتماعي مرموق، نسبة كبيرة منهن درست في الغرب، أو عاشت فيه، ومنهن من تحمل الجنسية البريطانية، حدثت تغييرات ملحوظة على ثقافتهن وسلوكهن، فأصبحن أكثر تشدداً في التديّن، وفي مواقفهن الدينية والسياسية.

ضمن هذه الخلفية، فإنّ السؤال المهم هنا، فيما إذا كان العامل السوداني (أي البيئة السودانية) أو العامل الأوربي- الغربي الذي يرتبط بالهوية،هو السبب الكامن وراء التحول (كما حدث مع الفتيات الأوروبيات الذين سنتحدّث عنهن لاحقاً)؟

على الأغلب فإنّ هنالك تمازجاً وتفاعلاً بين العاملين.فلا شكّ بأنّ التنشئة في البلاد الأوربية يساهم في ولادة سؤال الهوية عبر الاحتكاك بالهويات الغربية، والبحث عن الذات والشخصية في وسط هذا المجتمع المختلف. وهو أمر لا علاقةله بمدى النجاح والتميز في الدراسة والعمل أو بالاندماج الظاهري لدى الأفراد، فثمّة شروط أخرى داخل الشخص تدفعه إلى البحث عن هويته وتعريف نفسه، وتحديد منظومة القيم والثقافة التي ينتمي إليها. قد يفسّر ذلك عودةَ الفتيات إلى السودان، للاقتراب من الثقافة الإسلامية والسودانية المحلية، بعد أعوام طويلة في الغرب.ومن ثمّ تفاعلت تلك الحيثيات مع حيثيات أخرى، تتمثل بالظروف القاسية في العراق وسوريا، وما

(٣٤٦) تعرّف على أطباء داعش السودانيين، موقع السودان اليوم، ٢٩ أغسطس ٢٠١٦، على الرابط التالي:

goo.gl/TfjEzZ

انظر كذلك: من هي طبيبة داعش السودانية التي قُتلت في العراق، موقع الرأي اليوم، ١١ يوليو ٢٠١٦، على الرابط التالي:

http://www.raialyoum.com/?p=474607

يتعرض له الناس من أزمة إنسانية كبيرة، لا تجد مواقف غربية وأميركية فاعلة لوقفها. في الوقت نفسه، تتزايد الاحتكاكات المرتبطة بالهوية الدينية والطائفية، بشكل مستمر، كما حدث في شارلي أيبدو، وغيرها، مع وجود تيار سلفي جهادي سوداني يشجّع ويحفّز ويدفع بهذا الاتجاه؛ إذ إنّ ثمّة شيوخاًسودانيّين أعلنوا تأييدهم لتنظيم الدولة الإسلامية، بصورة علنية.

إذاً، يمكن أن نفهم هذه الظاهرة من خلال التزاوج بين الأسباب الغربية والسودانية- المحلية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ ثمّة أعداداً أخرى من السودانيين، من ذات المرحلة العمريّة، الذين ذهبوا إلى العراق وسوريا وليبيا للقتال، فإنّ من المهم الالتفات إلى أنّ سنّ هؤلاء الشبابيخلق لديهم دافع الحماس للقيام بهذه المغامرة، من دون حسابات معقدة لدى الأجيال الأكبر سنّاً!

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ ثمّة مشروعاً جديداً يقدّمه تنظيم داعش لدى الشباب، ليصنع لهم هدفاً وغاية. يستبطن هذا المشروع "يوتوبيا" (متخيلة) تصوّر نفسها على أنّها أرض الأحلام، أرض الخلافة؛ وهي الصورة التي تحفّز وتعزّز سؤال الهوية لدى الشباب، في ظل ظروف سياسية وثقافية ولحظة تاريخية تدفع بالاتجاه نفسه. كل ذلك يمكن أن يساعدنا على فهم وإدراك وتفسير ظاهرة "الطبيبات الثريات" السودانيات في تنظيم الدولة الإسلامية.

فتيحة المجاطي.. تجربة استثنائية

نموذج فتيحة محمد الطاهر الحسني، المعروفة بأم آدم المجاطي، أو فتيحة المجاطي، هو نموذج استثنائي، لمرأة وُصفت بأنّها عابرة للقارّات، وبأنّها أسطورة، وبزوجة "عبدالله عزام" المغرب[٣٤٧].

لا تكمن "أسطوريتها" في وجود دور بارز تقوم به داخل التنظيم، ولا في أعمالها

(٣٤٧) انظر: مشاري الذايدي، وتحدثت فتيحة، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ٢١ يونيو ٢٠١٥.

النوعية، كما هي حال شخصيات أخرى من القاعديات أو الداعشيات، بل في الرحلة الاستثنائية التي مرّت بها، والمراحل التي عبرتها، من "الثقافة الغربية" إلى "الحجاب"، ثم الانتقال إلى السلفية الجهادية، بدايةً من أفغانستان، مروراً بتجربة الحياة في ظل حكم طالبان، وصولاً لمرحلة السجن القاسية، ونشاطها المغربي، وأخيراً الهبوط في "أرض الخلافة" لتلحق بابنها الذي سبقها إلى هناك.

كيف انتقلت فتيحة المجاطي إلى الداعشية؟ وما الذي جعلها "أسطورة" في الأوساط القاعدية، ثم الداعشية؟ وما هي "نقاط التحول" التي مرّت بها، نفسياً، وفكرياً، واجتماعياً؟ ومن هم الأشخاص الذين لعبوا الدور البارز في عملية التجنيد أو صناعة هذا النموذج؟

نقطة التحوّل الأولى: البحث عن "الهوية"

فتيحة محمد طاهر الحسني، هي امرأة مغربية، من مواليد العام ١٩٦١ (عمرها حالياً قرابة ٥٥ عاماً)، عاشت وتربّت في الدار البيضاء، وكانت متشبعة بالثقافة الغربية، في مواقفها وسلوكها. درست القانون الخاص باللغة الفرنسية من جامعة الحسن الثاني في العام ١٩٨٦، وكان بحثها للتخرّج أقرب إلى رؤية نقدية لموضوع "تعدد الزوجات"، باعتباره يتنافى مع حقوق المرأة[٣٤٨].

كانت فتيحة غربيّة التوجّه في ملابسها وفي أفكارها، وثقافتها، ثم حدثت "نقطة التحول الأولى" أو الصدمة الأولى في حياتها مع حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١، عندما هُزم الجيش العراقي؛ مع صور قصف ملجأ العامرية، والشعور بالانكسار والهزيمة. كل ذلك ولّد لديها ردّ فعل للبحث عن هويتها أو "الذات"، بعيداً عن

(٣٤٨) انظر: طارق بنهدا، فتيحة.. حكاية مغربية عاشت في مُعسكرات و"بايعت القاعدة"، موقع هسبرس، ١٠ يوليو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://www.hespress.com/marocains-du-monde/269823.html

مسارها السابق[٣٤٩].

بدأت بالصلاة وارتداء الحجاب وقت الصلاة إلى أن التقت بإحدى صديقاتها في المسجد، فهنأتها على لبس الحجاب، لكنها أخبرتها بأنّها ترتديه فقط في الصلاة، كي لا تُطرد من عملها في أحد المعاهد الخاصة، التي يديرها شخص فرنسي، لكن صديقتها أثّرت عليها وأقنعتها بارتدائه في كل مكان، وهو ما حدث.واجهت فتيحة معركة شرسة مع إدارة المعهد، التي طلبت منها الاستقالة، وتم تهديدها بطلب الشرطة، على خلفية رفض المدير الفرنسي لارتدائها للحجاب؛ وهو ما خلق جذور التحولات الكبرى اللاحقة، إذ بدأت تشعر بالوحدة، بعد ترك العمل، والظلم الذي لحقهاجراء انحياز الدولة للطرف الآخر[٣٥٠].

كان من طلاب المعهد (الذي كانت تعمل فتيحة موظّفة فيه)، عبد الكريم المجاطي؛ وهو طالب وسيم، ينتمي إلى أسرة برجوازية، ميسورة الحال، يعمل والده في التجارة، ووالدته فرنسية تعمل في مجال التجميل، وهو ينحدر من أسرة غربية الثقافة. وقد درس كريم نفسه بمدرسة خاصة، ووصل إلى المعهد (بعد المدرسة)، وهو لا يكاد يعرف اللغة العربية.راقب عبد الكريم، كغيره، المعركة التي حدثت بين إدارة المعهد وفتيحة، وكانت معرفته بها بسيطة، فسألها: لماذا تجلبين لنفسك المشكلات؟ فكان أن أخبرته بأنّ الحجاب مفروض في القرآن، وبدأت تذكر له الآيات. ثم لما تبيّنت عدم معرفته باللغة العربية، أحضرت له معاني القرآن باللغة الفرنسية، ليتعلم عن أحكام الدين، وقد كانت هذه اللحظة بمثابة "نقطة التحول" في حياة عبد الكريم المجاطي، الذي سيصبح زوجها لاحقاً[٣٥١].

---

(٣٤٩) انظر توفيق بوعشرين، عائلة المجاطي قصة تستحق أن تروى، موقع اليوم ٢٤. كوم، ٥ مارس ٢٠١٤، على الرابط التالي:
http://www.alyaoum24.com/172646.html

(٣٥٠) انظر: لقاء صحافي مع زوجة الشهيد عبد الكريم المخاطي، ٢٧ يوليو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
-/http://documents.tips/documents

(٣٥١) المرجع السابق، وانظر كذلك: نبيل دريوش، زوجة عبد الكريم المجاطي: دخلنا السعودية بجوازات قطرية مزورة.. ولا علاقة له بتأسيس "الجماعة المغربية المقاتلة"، صحيفة الشرق الأوسط

خلال تلك الشهور، كانت فتيحة معتكفة في المنزل، تشعر بالوحدة والظلم. وبالرغم من تضامن بعض طلاب المعهد معها، إلاّ أنّ ذلك كان مؤقتاً، باستثناء حالة عبد كريم المجاطي، الذي تطوّر تعاطُفُه معها إلى أن طلب منها الزواج (بالرغم من أنّها تكبره بسبعة أعوام)، فوافقت بشرط ألا يخبر أهله بزواجهما، إلاّ بعد أن يتم ذلك رسمياً، لعلمها بأنّهم سيرفضون زواجه بها لسببين؛ الأول هو فارق العمر، والثاني هو تديّنها، وهي عائلة بعيدة عن التدين[٣٥٢].

عُقد قرانهما وتزوّجا، لكنّهما عانيا لاحقاً في سبيل تأمين مصدر رزق لهما، وكانا يعيشان على ما تملكه من مدّخرات من عملها السابق في المعهد. وقد كان عبد الكريم رافضاً لأن تعمل زوجته، الأمر الذي شكّل لهما هاجساً حقيقياً في تدبير أمور الحياة، بخاصة أنّهما كانا على وشك أن يرزقا بابنهما البكر، ما يعني ضرورة وجود دخل ثابت للعائلة.

نقطة التحول الثانية: الدخول إلى الأوساط الإسلامية

ذهبا معاً إلى فرنسا في العام ١٩٩٢، إذ كان عبد الكريم، الذي يملك الجنسية الفرنسية، يحاول أن يجد عملاً له هناك.وقد تزامن وجودهما في تلك الفترة في فرنسا مع انعقاد مؤتمر إسلامي؛شاركت فيه فرقة اليرموك للنشيد الإسلامي، بالإضافة إلى دعاة ووعاظ دينيين، فحضرا جانباً من جلسات المؤتمر، ثم اندمجا في أجوائه تماماً، وتعرفوا على المشاركين والمشاركات، ونشأت بينهم علاقات وثيقة، وشعروا بدفء هذه العلاقات (كما نلحظ في توصيفها لحالتهما النفسية حينها)، مقارنةُ بالعزلة أو البرود في علاقاتهما العائلية مع أقربائهم في المغرب، وشعورهما بالأزمة المالية الملحّة عليهما.مثّلت هذه المشاعر مقدّمة لدوام التجربة، أي البحث عن أوساط إسلامية

اللندنية، ١٨ يونيو ٢٠٠٥، على الرابط التالي:
http://archive.aawsat.com/details.asp?article=306243&issueno=9699#.WFpbRn2cHIU

(٣٥٢) انظر: لقاء صحافي مع زوجة الشهيد عبد الكريم المخاطي، مرجع سابق.

أقرب إليهما في ثقافتهما وأفكارهما، يشعران معها بالأمان والراحة[٣٥٣].

أما التأثير الثاني للمؤتمر الإسلامي فقد تمثّل في إطلاعهما على تجربة "الحرب في البوسنة" بين المسلمين والصرب والكروات، إذ تأثّرا كثيراً بالخطاب الديني الذي كان يُروي عن معاناة المسلمين في البوسنة، بخاصة خطاب الشيوخ السعوديين، وشاهدا الصور والتسجيلات المصورة لما يحدث هناك، فكان لذلك تأثير عميق على زوجها عبد الكريم، ثم عليها. وفاتحها زوجها، بعد ذلك، برغبته في الذهاب والقتال في البوسنة بجوار المسلمين، الأمر الذي تسبب لها بصدمة كبيرة،إذ لم تكن تجربتهما وعلاقاتهما مع الأوساط الإسلامية قد وصلت إلى مرحلة القرار المصيري والحاسم هذا، إلاّ أنّها، بعد أن شاهدت أشرطة أخرى للمعاناة، واستمعت لشريط عاطفي للشيخ السعودي السلفي المعروف، سعد البريك، وهو يتحدث عن "مذابح المسلمين" هناك، ويحث على نجدتهم، قالت لزوجها بأنّ عليه أن يذهب ليساعد المسلمين هناك؛ كان ذلك في أثناء انتظارهما الطفل الأول للعائلة[٣٥٤].

ذهب زوجها إلى البوسنة، وعاش مع المقاتلين العرب هناك. وبسبب ضعف ثقافته العسكرية، فقد كان دوره مرتبطاً بتأسيس مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وكان ذلك أوّل احتكاك له بأوساط الجهاديين العرب. وقد وجد نفسه منسجماً مع الحياة الجديدة، فعاد ليأخذ زوجته معه إلى البوسنة، ليعيشا هناك في المناطق الآمنة. ولأسباب لوجستية مرتبطة بطرق الوصول إلى البوسنة، قرر العودة وحيداً، لكنه اعتُقل من قبل الكرواتيين، لمدة شهر، اضطر أن يصلي خلالها بعيونه فقط، كي لا يعرفوا بأنّه مسلم، وتم الإفراج عنه بعد تدخل السفارة الفرنسية، بحكم حمله لجنسية فرنسية؛ مع إيقاع عقوبة عليه بمنعه من دخول أراضي كرواتيا لمدة خمسة أعوام[٣٥٥].

خلال تلك الفترة كانت فتيحة، التي رُزقت بابنها الأول (إلياس) تنتقل من

---

(٣٥٣) المرجع السابق، وانظر كذلك: نبيل دريوش، زوجة عبد الكريم المجاطي: دخلنا السعودية بجوازات قطرية مزورة.. ولا علاقة له بتأسيس "الجماعة المغربية المقاتلة"، مرجع سابق.

(٣٥٤) لقاء صحافي مع زوجة عبد الكريم المجاطي، مرجع سابق.

(٣٥٥) المرجع نفسه.

عمل إلى آخر لتأمين نفقات الحياة، بينما أخذ زوجها يتدرّج في علاقاته بالأوساط الجهادية. وفي المرحلة الجديدة من حياته، قرر السفر إلى أفغانستان ليتدرب على العمل المسلّح، في العام ١٩٩٤، ولكنه عاد لاحقاً بعد أن ظهرت عليه أعراض الإصابة بالملاريا، فتعالج في المغرب، وظهرت بعد ذلك أعراض الإصابة بالسرطان على زوجته، فمكث إلى جوارها إلى أن تعافت، ثم أصيبت بالسل الرئوي، فهشاشة العظام؛ أي أنّها تعرّضت لأمراض متعددة متتالية، مما أثر على صحتها وحالتها النفسية. بالإضافة إلى أنّها كانت قد رزقت بابنها الثاني، وتدير أوضاعها المالية بصعوبة، في الوقت الذي كان زوجها فيه غير مستقرٍ على موقف أو على رأي نهائي، متنقلاً من التجربة البوسنية إلى الأفغانية. ثم غادر في العام ١٩٩٧ إلى ولاية نيوجيرسي، وكان يخطط لإقامة استثمار هناك، مع والده، لكنّه عدل عن قراره وعاد إلى أفغانستان، بعدما سيطرت حكومة طالبان على الحكم هناك[٣٥٦].

عاد، مرّة أخرى، إلى المغرب، ليأخذ عائلته لتستقر معه في أفغانستان في العام ٢٠٠١. وكان من الواضح بأن شبكة علاقاته قد توطّدت مع الجهاديين ومع القاعدة خلال تلك الفترة، بالرغم من أنّ زوجته فتيحة تنفي أن يكون قد انضم إلى القاعدة، قبل الحرب الأفغانية نهاية العام ٢٠٠١[٣٥٧].

مما سبق، يبدو أنّ التحولات العميقة في الشخصية والأفكار قد أصابت زوجها، الذي تنقّل من البوسنة إلى أفغانستان، وتعلّم المهارات العسكرية هناك، وأصبح متآلفاً مع المجتمعات الجهادية، بينما بقيت هي أغلب الوقت في المغرب، تعمل على تربية أبنائها وتأمين مصاريف الحياة. ولكنّ هذه النتيجة غير دقيقة، فمن الواضح بأنّها كانت متأثرة كثيراً بزوجها وبتجاربه تلك، ومؤيدة له في أفكاره، بل وتشاركه فيها. وهو ما ظهر لاحقاً بموافقتها على الانتقال معه إلى أرض طالبان؛ لأنّها تحكم بالشريعة الإسلامية. هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى تؤشر الخلافات التي ظهرت لاحقاً بينها وبين أحد أبرز شيوخ السلفية الجهادية المغربية (أبو حفص)، حول المراجعات التي قاموا بها، ورفضها لها، بأنّها كانت وزوجها عبد الكريم على تماس واحتكاك مباشر

(٣٥٦) المرجع السابق، وكذلك: مشاري الذايدي، وتحدثت فتيحة، مرجع سابق.

(٣٥٧) لقاء صحافي مع زوجة عبد الكريم المخاطي، مرجع سابق.

بالتيار السلفي الجهادي، وبأوساطه في المغرب؛ فعلى ما يبدو، انعكست تجربة زوجها في الخارج على علاقاتهما في الداخل المغربي أيضاً.

نقطة التحول الثالثة: من "الحلم" إلى "الجحيم"

انتقلت مع زوجها وطفليها (إلياس وآدم) في النصف الثاني من العام ٢٠٠١، إلى إسبانيا تمهيداً لسفرهما إلى إيران، للعبور إلى أفغانستان، إذ لم تكن الظروف في باكستان مهيّأة لانتقال العائلة عبرها إلى أفغانستان، كما كان يفعل زوجها وحده سابقاً.

وفي سردها لفترة انتظارهما لتأشيرة السفارة الإيرانية في إسبانيا، تبدو الخيوط الأولى لوجود علاقات قوية لزوجها بأنصار القاعدة واضحةً (حتى لو لم يكن رسمياً عضواً فيها كما تدّعي هي)، إذ تروي كيف أنّ الاعتقالات قد بدأت بملاحقة الجهاديين، وأنّهما كانا قلقين من أن تصل إليهما، حتى تمكنا من الحصول على التأشيرة الإيرانية والسفر إلى إيران، للسفر منها إلى هيرات عبر الحدود البرية، فقندهار، حيث توقف زوجها للسلام على أسامة بن لادن وتحيته[٣٥٨].

تتحدث فتيحة بشوق شديد وبـ"رومانسية" ملحوظة عن وصولها إلى أرض طالبان (قبل قرابة شهر من أحداث ١١ سبتمبر)، وشعورها بالارتياح وهي ترى النساء جميعاً محجّبات ومنقّبات، وعن استقبالهم بطريقة دافئة من أنصار القاعدة وطالبان في قندهار، ثم عن إقامة العائلة مدة شهر في كابول، في فيلا فاخرة، والتحاق أبنائها في مدرسة إسلامية هناك. ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر، والتي كانت من أجمل أيام حياتها كما تروي هي- فتم نقلهم غداة الأحداث إلى قندهار، فعاشوا في منازل طينية بدائية، لا يوجد فيها حمامات، ولا كهرباء، تحت قصف الطائرات الأميركية، وعلى أصوات الانفجارات والغارات، ينتقلون من مكان إلى آخر. ومن بيت طيني إلى فيلا كان يقيم فيها السفير الباكستاني، هكذا مرّت أيام متقلّبة تراجيدية عليها وعلى أبنائها مع أسر عربية أخرى، فيما كان زوجها عبد الكريم منخرطاً في

(٣٥٨) المرجع السابق.

القتال إلى جوار القاعدة (وقد انضمّ إليها رسمياً في الحرب، بحسب روايتها)، في مطار قندهار[٣٥٩].

بعد مدة من بدء الحرب قررت قيادة القاعدة نقل العائلات العربية إلى باكستان، وهو القرار الذي صدمها، وجعلها تبكي بشدة، أكثر مما بكت على فقدان زوجها وابنها لاحقاً. فقد شعرت بالانتماء إلى تلك المرحلة (تجربة الحياة تحت حكم طالبان)، وشعرت بنفسها في ذلك النمط من الحياة، مما ترك أثراً في نفسها لاحقاً، فأصبح هذا النمط من الحياة هو النموذج الذي تهواه وترغب به، وترى بأنّه يمثل هويتها وأهدافها.

انتقلت مع ولديها (برفقة عائلات المقاتلين العرب في القاعدة)، تحت ظروف قاسية إلى باكستان عبر الحدود، في حالة رعب شديد من القصف أولاً، وخوف من انكشاف أمرهم في باكستان ثانياً، فتم استقبالهم بقرى نائية على الحدود الباكستانية-الأفغانية، ثم انتقلوا إلى مدينة كويتا، ولاحقاً إلى كراتشي، حيث التحق زوجها عبد الكريم بها هناك، بعد انتهاء الحرب وتشتت جمع القاعدة وقادتها، وانتهاء حكم طالبان في أفغانستان. وتروي فتيحة بأنّ قرار مغادرة العرب قد أصدره الملا محمد عمر، لتعود طالبان إلى القتال في الجبال، بعدما تأكّد لها بأن البديل الوحيد عن ذلك هو تدمير المدن وإبادة قرى كاملة، وفق رواية فتيحة للأحداث.

كانت أعينهم تتجه إلى إيران، حيث عقدت قيادة القاعدة صفقة مع السلطات هناك لاستقبال العائلات الهاربة من القصف الأميركي، وبالرغم من وجود تلك العائلات في حالة أشبه بالاحتجاز، إلاّ أنّهم كانوا يقيمون في منازل فاخرة وفي ظروف آمنة. لكن، بالرغم من ذلك، لم تتيسّر ظروف السفر لهما إلى طهران، فأقامت مع زوجها وطفليهما مدة ٩ شهور متخفين في بنغلادش، حتى غادروا إلى السعودية بجوازات سفر قطرية مزورة، لأداء الحج، كما تروي. لكن التدقيق في روايتها يدفعنا إلى القناعة بأنّ زوجها أصبح منخرطاً في أوساط تنظيم القاعدة وأنشطته المختلفة، إذ تم استقبالهم من قبل أفراد القاعدة ومؤيديها في السعودية من المطار، وتأمين شقة لهم،

---

(٣٥٩) المرجع السابق، وكذلك: نبيل دريوش، زوجة الشهيد عبد الكريم المجاطي: دخلنا السعودية بجوازات قطرية مزورة.. ولا علاقة له بتأسيس "الجماعة المغربية المقاتلة"، مرجع سابق.

أقام معهم فيها خالد الجهني، أحد أبرز المطلوبين للسلطات السعودية[٣٦٠].

بعد قرابة ٣ أشهر من إقامتها مع ولديها وزوجها في شقة في الرياض، تم إلقاء القبض عليها من قبل السلطات السعودية، بصحة ابنها الأكبر إلياس؛ الذي كان يبلغ ١٣ عاماً حينها، في شهر يونيو/ حزيران من العام ٢٠٠٣، وهم في عيادة. وكان من المفترض أن يصطحبهم خالد الجهني منها ، فكان الموعد كميناً له، لكنه لم يأت. ووقعت هي وابنها قيد الاعتقال في السعودية، وعانت من الاستجواب والضغوط النفسية في تلك الفترة، في سجن ذهبان في جدة. وكان المطلوب أن تقدم ما لديها من معلومات عن القاعدة وزوجها والمطلوب الجهني[٣٦١].

عرفت السلطات السعودية بوجود زوجها في السعودية من التحقيق معها، وبدأت تتشكّل صورة أمنيّة خطيرة عن دوره في القاعدة، فوُضع على لائحة المطلوبين في السعودية، وإسبانيا (على خلفية تفجيرات مدريد ٢٠٠٤)، وفي المغرب (تفجيرات الدار البيضاء ٢٠٠٣)، وصار مطلوباً أيضاً لدى السلطات الأميركية بدعوى علاقته بالقاعدة، وبات يطلق عليه وصف أسامة بن لادن المغرب، كما بات يعتبر من أخطر الجهاديين، وأصبحت هي - بطبيعة الحال- معتقلة مهمّة لأنّها زوجة رجل خطير جداً![٣٦٢]

بعد مدّة من الاعتقال والاستجواب، وظروف سجن مريحة نسبياً (مقارنةً بما ستراه لاحقاً) قررت السلطات السعودية تسليمها إلى الأمن المغربي، الذي قام بدوره بنقلها بطائرة خاصة إلى سجن خاص في المغرب، ومكثت فيه هناك إلى ١٧ آذار/ مارس ٢٠٠٤، في ظروف تصفها هي في سردها لحياتها وتجربتها، بقدر كبير من اللغة المأساوية الحزينة لحجم الألم والضغوط النفسية التي تعرّضت له خلال تلك الشهور

(٣٦٠) انظر: مشاري الذايدي، وتحدثت فتيحة، مرجع سابق، وكذلك: لقاء صحافي مع زوجة الشهيد عبد الكريم المجاطي، مرجع سابق.

(٣٦١) انظر: لقاء صحافي مع زوجة الشهيد عبد الكريم المجاطي، مرجع سابق.

٣٦٢ انظر: نبيل دريوش، زوجة الشهيد عبد الكريم المجاطي: دخلنا السعودية بجوازات قطرية مزورة.. ولا علاقة له بتأسيس "الجماعة المغربية المقاتلة"، مرجع سابق.

المريرة في المعتقل المغربي، والحبس الانفرادي، مع ولدها وحدهما[٣٦٣].

كانت المعاملة في المغرب أكثر قسوة، وحدّة، وكانت ظروف الزنزانة غير صحية، مما تسبب لها بأمراض عديدة، ومنها البثور الجلدية، نتيجة الضغط النفسي، ومعاملة الضباط قاسية، فكانت تعاني من الحرّ إلى درجة الاختناق بسبب نقص الهواء في الصيف والبرد الشديد في الشتاء.

تمثّلت الحبكة الدرامية القاسية في تجربة فتيحة في التدهور الصحي الكبير، الذي حدث لابنها إلياس، خلال مرحلة السجن، إذ أصبح يعاني من خلل هرموني، بسبب الضغوط النفسية والحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية، وهو ما أدى إلى حصول إعاقة ذهنية ومشكلات صحية كبيرة له، فصارت تنتابه في السجن الانفرادي، مع والدته، نوبات عصبيّة، وحاول الانتحار في إحدى المرات، ما أصابها هي الأخرى بنوبات من التوتر الشديد ووضعها في حالة انهيار نفسي، وهي تحاول إقناع المحققين بضرورة إخراج ابنها من السجن وإرساله إلى منزل ذوي والده،إلا أنّهم رفضوا طلبها وأصرّوا على بقائه معها في هذه الظروف القاسية!

من الصعوبة ألا يشعر الباحث أو القارئ بتعاطف مع هذه التجربة الإنسانية المريرة في السجن. وأياً كانت المبالغة التي قد ترسمها فتيحة لتلك التجربة، فإنّها في الحدّ الأدنى كفيلة بتوليد نتائج نفسية كبيرة لديها ولدى ابنها، وعلاقة عداء مع الدولة والأجهزة وتجذير شعورها بالانتماء إلى الجهاديين وبهويتها مع تلك الأوساط التي تشاركها المعاناة نفسها، وهي المعاناة التي استمرت بعد ذلك مدة ثمانية أعوام كان ابنها في شبه عزلة يعاني حالة نفسية سيئة من تجربة السجن. وتلخص فتيحة ما حدث بقولها:" خرجتُ بطفل عمره ٢١ سنة مختل عقلياً وهرمونياً بعد أن كان طفلاً نابغة يحفظ ٤٥ حزباً من القرآن الكريم ويجيد القراءة برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق و برواية حفص عن عاصم، و كان يصلي بالناس التراويح وعمره ٩ سنوات"[٣٦٤].

---

(٣٦٣) انظر: لقاء صحافي مع زوجة الشهيد عبد الكريم المجاطي، مرجع سابق.

(٣٦٤) انظر: طارق بنهدا، فتيحة.. حكاية مغربية عاشت في مُعسكرات و"بايعت القاعدة"، مرجع سابق.

نقطة التحول الرابعة: الصعود إلى "خشبة المسرح"

تم الإفراج عنها، في آذار من العام ٢٠٠٤، وهي في حالة سيئة نفسياً، وتحاول معالجة ابنها من الأمراض النفسية التي أصابته، وواجهت تهرباً من الأطباء عندما كانوا يعرفون سبب هذه الحالة. وفي الوقت نفسه، أدت المراقبة الأمنية عليها، بعد خروجها من السجن، إلى عزلتها عن عائلتي زوجها وعائلتها لاحقاً، فسكنت مع والدها في شقة وحدهما، وبدأت تعمل في التجارة وأمور بسيطة أخرى لتدبير مصروفهما.

وكان زوجها قد اختفى (مع ابنها الأصغر آدم) فور اعتقالها، وأصبح كما ذكرنا سابقاً- على لائحة المطلوبين لأكثر من دولة. ثم بعد عام من خروجها من السجن (في ٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥)، قُتل زوجها (٣٧ عاماً) ومعه ابنهما آدم (١٢ عاماً) مع خلية تابعة للقاعدة في مواجهات مع القوات السعودية في مدينة الرسّ، وكان خبراً قاسياً آخر، أضاف لها هموماً أخرى[٣٦٥].

ظهرت فتيحة، لاحقاً، على خشبة المسرح، وأصبحت معروفة للإعلام المغربي والعربي، وهي تنشط في المطالبة بالحصول على جثة زوجها وابنها، الذين قتلوا في السعودية (وهو ما لم يحصل إلى العام ٢٠٠٧). وأخذت تنشط منذ العام ٢٠١١، بصورة ملحوظة أكثر في الأوساط السلفية الجهادية، ومع المسيرات السلمية، للمطالبة بمعاملة أفضل للسجناء الجهاديين. وتزوجت خلال تلك الفترة بأحد المحكومين من أبناء هذه التنظيمات، وهو مولاي عمر عمراني، والمحكوم ١٤ عاماً[٣٦٦]. وصارت عضواً في رئاسة لجنة الدفاع عن المعتقلين الجهاديين، ونشطت إعلامياً، وأنشأت لها

---

(٣٦٥) انظر: انتهت مواجهات الرس بمقتل ١٤ من قادة القاعدة الخطيرين واعتقال ٥، موقع العربية نت، ٥ أبريل ٢٠٠٥، على الرابط التالي:
https://www.alarabiya.net/articles/2005/04/05/11892.html

(٣٦٦) أخبار عن تعرض المعتقل مولاي عمر العمراني هادي للتعذيب على يد حراس سجن تولال٢، موقع فاس نيوز، ٢٨ مارس ٢٠١٣، على الرابط التالي:
http://fesnews.net

مدونة خاصة تضع فيها أراءها فيما يحدث في المنطقة وفي الدفاع عن المعتقلين[٣٦٧].

لكنها دخلت، لاحقاً، في معركة قاسية مع عدد من القيادات السلفية الجهادية، وفي مقدمتهم أبو حفص (محمد عبد الوهاب رفيقي)، الذي قاد عملية المراجعات الفقهيّة والفكريّة، ما أدى إلى خلاف واسع في أوساط لجنة الدفاع عن المعتقلين. ووقفت هي ضد المراجعات، ثم دخلت في اتهامات متبادلة مع أعضاء في اللجنة، فقررت الاستقالة منها، وحكّمت بينها وبين بعض أعضائها المصري هاني السباعي، أحد قيادات السلفية الجهادية المحسوبين على القاعدة في بريطانيا[٣٦٨].

في بداية العام ٢٠١٤ انتقل ابنها إلياس (٢٢ عاماً) إلى سوريا للقتال إلى جوار تنظيم الدولة الإسلامية، وودعته بقولها " أتمنى ألا يعود وألا أراه إلا في الجنة"[٣٦٩]. لكنّها لحقت به بعد عدة أشهر، فوصلت في شهر يوليو/ تموز ٢٠١٤ إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، ونشرت صورة لها غداة وصولها إلى هناك، كما احتفلت بذلك المواقع القريبة من التنظيم، نظراً للسمعة التاريخية والحضور الإعلامي، الذي أصبحت تتمتع به أم آدم في أوساط التنظيم والجهاديين عموماً[٣٧٠].

بعدما وصلت فتيحة إلى أراضي التنظيم غرّدت قائلةً " الحمد والشكر لله الذي منّ علي بالهجرة في سبيله. سلامي ودعائي من أمام المحكمة الإسلامية بجرابلس العز، بأرض الشام المباركة"[٣٧١].

---

(٣٦٧) مدونة أم الشهيد آدم المجاطي، على الرابط التالي:
http://oumadamelmejjati.blogspot.compost_18.html#more

٣٦٨ انظر: المرجع السابق، بعض المقالات والتقارير عن حكم السباعي والمشكلة بينها وبين قيادات في التيار السلفي الجهادي على مدونتها، على الرابط:
http://oumadamelmejjati.blogspot.comhtml

(٣٦٩) توفيق بوعشرين، عائلة المجاطي قصة تستحق أن تروى، مرجع سابق.

(٣٧٠) سكينة أصنيب، أرملة قتيل السعودية تنشر صورة لها في مناطق داعش، موقع العربية نت، ١٥ يوليو ٢٠١٤، على الرابط التالي:
http://ara.tv/j38fg

(٣٧١) انظر: موقع السكينة الرابط التالي:
http://www.assakina.com/news/news2/71530.html

نشطت أم آدم إعلامياً على التويتر منذ وصولها إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، وبدأت تعبّر عن أرائها وتهاجم الرئيس الأميركي، السابق، باراك أوباما. وانتشرت تقارير إعلامية عديدة عن زواجها بأبي علي الأنباري (قبل مقتله) الرجل الثاني في داعش، وأصبحت تصريحاتها وأدوارها جدلية في الأوساط الإعلامية المغربية من جهة، وفي دوائر السلفية الجهادية من جهةٍ أخرى.على الرغم من أنّها لم تقم بدور ثابت واضح لها في تنظيم الدولة الإسلامية، ولا توجد أخبار موثقة عن تفاصيل حياتها هناك[٣٧٢].

الخلاصة

من الواضح تماماً أنّ نموذج أم آدم المجاطي، هو "نموذج متدرج" على صعيد الفكر والوقت، إذ انتقلت في بداية التسعينيات من امرأة متحررة، غير متدينة، إلى امرأة محجبة، فكانت "معركة الحجاب" نقطة تحول دفعتها أكثر إلى "الهوية الدينية"، وتزامن ذلك مع تأثّرها بحرب الخليج الثانية؛ أي أنّ السبب الجوهري كان سياسياً. ثم جاء زواجها من عبد الكريم المجاطي، الذي أثرت عليه بداية، وتأثرت به لاحقاً، ليتكرّس هذا التحول في حياة الزوجين. وساعدت الظروف الاقتصادية الصعبة في تلك المرحلة التي مرت بها العائلة، مع الأحداث في البوسنة والهرسك، والتعرف على

(٣٧٢) انظر: المغربية "أم آدم المجاطي" تصل مناطق داعش وتهاجم "نهش عرضها" بشائعات تزوجيها لمساعد "الخليفة"، سي إن إن، ٣٠ يوليو ٢٠١٤، الرابط التالي:
http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/07/30/morocco-islamic-state-new
وانظر كذلك: طارق بنهدا، "دولة البغدادي" تحتفي بفتيحة المجاطي بعد "هجرتها" إلى العراق، هسبرس، ١٤ يوليو ٢٠١٤، على الرابط التالي:
http://www.hespress.com/orbites/235746.html
وكذلك: طارق بنهدا، هكذا توارت المجاطي خلف البغدادي بعد ضجيج مُستمر في المغرب، موقع هسبرس، ١٠ يوليو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://www.hespress.com/marocains-du-monde/269823.html

الأوساط الإسلامية والجهادية في تعميق صلات زوجها بالتيار السلفي الجهادي، وكانت تسير بخطٍ موازٍ له، لكن بدرجة أبطأ وفي الظل.

لا شكّ بأنّ الأمراض التي عانت منها، والظروف الاقتصادية الصعبة، والعلاقات الفاترة مع العائلة المحيطة به وبها، كل ذلك قد دفعها وزوجها إلى البحث عن مكان أكثر دفئاً يشعران بالاندماج فيه أكثر، ويستجيب لهويتهما الدينية. فكانت الرحلة إلى "أرض طالبان" بالنسبة لها مرحلة جديدة. لكنها كانت، بالنسبة لزوجها، تكريساً وتعزيزاً لانتمائه الجهادي وتشكّلاً لشخصيته الجديدة بعد مرحلة التحول نحو التدين.

في مرحلة لاحقة، كانت تجربة السجن والاعتقال استثنائية وقاسية، وساهمت في تشكّل وتبلور توجهها الأخير نحو الانتماء الكامل للسلفية الجهادية، ولاحقاً داعش، والعداء مع الدولة المغربية والولايات المتحدة الأميركية. وهو ما تجذّر تماماً مع مقتل زوجها في العام ٢٠٠٥، مع ابنها المحبوب آدم (الذي كان يحفظ ٢٥ جزءاً من القرآن)، والأمراض النفسية التي أصابت ابنها الأكبر إلياس، وانفضاض الأقارب عنها.

لم يبق لها خيار إلاّ السلفية الجهادية، لكن دورها انتقل إلى مرحلة جديدة ومختلفة، عما سبق، مع مطالباتها بجثة زوجها وابنها، واشتباكها مع الأوساط الإعلامية، وتحولها إلى "قيادية" في أوساط الحركة السلفية الجهادية، بل واعتُبرت بمثابة "الأم الروحية" للجهاديين المغاربة، فأصبحت معروفة إعلامياً، وعالمياً في أوساط القاعدة والجهاديين، عبر دورها في موضوع المعتقلين وباعتبارها زوجة عبد الكريم المجاطي، ولاحقاً عبر موقفها الصلب من المراجعات وتأييدها لأبي بكر البغدادي.

إنّها إذاً حياة غير طبيعية، كما وصفتها هي عندما قالت " حياتي غير طبيعية لأنني قضيت فترة مهمة من عمري برفقة ابني آدم في معتقلات سرية، وهو أمر غير عادي"[٣٧٣].

(٣٧٣) انظر:
http://www.madar24.net/news1554.html

خلاصات الفصل

من خلال تفحّص النماذج السابقة، سواء الطبيبات الثريات السودانيات، أو فتيحة المجاطي، أو حتى الحالات التي تناولناها باختصار في مقدمة الفصل، فإن ثمّة مجموعة من الخلاصات والنتائج التي يمكن الخروج بها:

الملحوظة الأولى: تتمثل في محدودية مصادر المعلومات والأخبار المستقلة عن هذه الظاهرة، وتأثّر أغلب ما ينشر في الإعلام العربي بالروايات الأمنية، غير المحايدة غالباً، أو بالخيال الجامح في تضخيم الظاهرة، وأسطرتها، ما ظهر بوضوح في قصة "جهاد النكاح"، أو حالة حصة عبدالله المحيلاني.

الملحوظة الثانية: ثمة أدوار متبادلة لكل من العلاقات الاجتماعية المباشرة والعالم الافتراضي، كعوامل تأثير وتجنيد للنساء والفتيات القاعديات أو الداعشيات. لكن في أغلب الحالات، نجد بأنّ المحيط الاجتماعي يلعب الدور الأكبر في عملية التأثير والتجنيد، ففي حالة الفتيات السودانيات كان الدور الأكبر لشبكة الصداقات، وفي حالة فتيحة المجاطي كان الزوج، وفي حالة حصة عبدالله كان الدور الأكبر هو للعائلة، بخاصة الابن المقتول مع التنظيم. أمّا في حالتيّ الفتاة الأردنية العائدة وإيمان كنجو، فإنّ ما يظهر من التفاصيل المتاحة هو أنّ التجنيد كان بالدرجة الأولى افتراضياً، أي عبر أنصار التنظيم في الفضاء الإلكتروني.

الملحوظة الثالثة: ثمّة علامات تبدأ واضحة في التأثر النفسي، من خلال استعراض أغلب الحالات السابقة، بأفكار وإيديولوجية التنظيم، تأخذ مساراً في التدين المفاجئ، وتغيّر الأفكار، ثم الميل إلى التشدّد الديني، والبحث عن البيئة الاجتماعيّة التي تتوافق مع هذا التفكير الجديد. وهنا يأتي العرض بالهجرة إلى "الدولة الإسلامية" بوصفها البقعة الجغرافية الوحيدة التي "تطبق الشريعة الإسلامية". وقد وجدنا هذا النموذج واضحاً في حالة فتيحة وفي مثال الطالبات السودانيات، وفي الأردنية العائدة.

الملحوظة الرابعة: يصعب اختزال ما يحدث فقط بعملية "غسيل دماغ"، فنحن نتحدث عن نماذج على درجة عالية من العلم والذكاء والتحصيل الدراسة.فالطالبات

السودانيات، يمتلكن خبرة ودراسة ومعرفة معمّقة بالحياة الغربية، ومستوى ذكاء يتناسب مع دراسة الطب. وكذلك الحال بالنسبة لإيمان كنجو، طالبة دكتوراه، وفتيحة (قانون باللغة الفرنسية)، والأردنية العائدة (علم نفس)، والمهندسة الأردنية. فعملية "غسيل الدماغ" في هذه الحالات تتطلب استعداداً وقبولاً أو شروطاً صلبة متوافرة في الحالة المطروحة لتتأثر بالرواية أو المفاهيم الجديدة القادمة إليها من عملية "غسيل الدماغ"، المفترضة.

لا شكّ بأنّ مسألة الهوية من أهم المداخل لفهم الظاهرة، وهو واضح تماماً في حالة فتيحة. إذ تشير هي إلى أنّها كانت غير متدينة، متأثرة بالثقافة الغربية إلى مدى كبير، لكنّها مع أحداث حرب الخليج ١٩٩٢، أصيبت بصدمة، جعلتها تعيد التفكير في توجهها، ثم التزمت، وتحجّبت، ودخلت في معركة على الحجاب، واعتبرتها معركة هويتها مع المعهد الذي كانت تعمل به.

أمّا الطالبات السودانيات، فبالرغم من عدم وجود أي مؤشرات على وجود مشكلات اجتماعية ونفسية سابقاً، في حدود ما يتم نشره غالباً، بخاصة البريطانيات منهن، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي بروز سؤال الهوية المعلّقة لديهن، بخاصة مع التوجه نحو التدين والتفكير فيما يحدث من حولهن في أماكن مختلفة، والبحث عن هدف أو مشروع يتجاوز الطابع المهني أو الدراسي، ينسجم مع الرسالة السامية لرسالة الطب، ويشتبك مع سؤال الدين والهوية لدى المسلمين في الغرب، والموقف النقدي من الحداثة الغربية، من جهة القيم والدين. كل ذلك ربما ساهم في تقصير المسافة بين الطالبات والتدين أولاً، والتأثر برواية تنظيم الدولة ثانياً.

الملحوظة الخامسة: تظهر الظروف الاقتصادية والاجتماعية مباشرةً بوضوح في قصة الأردنية العائدة، وبصورة موازية في قصة فتيحة المجاطي. فبالنسبة للأردنية العائدة، فقد أقرّت هي بأنّ ما شجعها على الذهاب إلى الرقة، على الرغم من خطورة الرحلة،هو الوعود بتوفير فرص عمل وحياة جديدة، وكانت تشعر بالضيق والملل من الفراغ والبطالة وعدم توفر فرص العمل لها. بينما نرى، في حالة فتيحة المجاطي، بأنّ الأزمة المالية التي تعرضت لها مع زوجها عبد الكريم في بداية حياتهما الزوجية، وعدم وجود مساعدة حقيقية من الأهل، بل وحالة الغربة التي شعروا بها، وعدم موافقته

على عمل زوجته، كل تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية دفعت بهما إلى البحث عن مجتمع بديل، يحتضنهم، لا يعزلهم أو يعاقبهم.

الملحوظة السادسة: من الواضح بأنّ هنالك عائلات تنبّهت إلى خطورة التحولات التي مرّت بها الفتيات، وحاولت إيقاف قطار التأثر بأفكار تنظيم الدولة الإسلامية، وقطع الطريق أمام هجرتهن، لكن المحاولات باءت بالفشل، ولم تُجد عمليات المراقبة، أو الدفع باتجاه مقاطعة أصدقاء معينين نفعاً. لكن الملاحظ، أيضاً، هو قدرة الفتيات على "التحايل" وإيهام الأهل بالانصياع والرجوع إلى ما يريدونه، وتغيير السلوك بما يطمئن العائلات، كما حدث مع العديد من العائلات السودانية، وذلك لتسهيل مهمة الفتاة بالهروب والهجرة، بعد تخفيف المراقبة العائلية عليها.

الملحوظة السابعة: تتمثل في تطوّر أدوات التنظيم في الاتصال والتجنيد، ففي أغلب هذه الحالات، كان هناك جهود ملحوظة من قبل أفراد التنظيم لإقناع الفتيات بالذهاب، ثم ترتيب المسار وخطة الخروج، وصولاً إلى وجود أشخاص يتولون تنظيم وتسهيل مهمة الهجرة في كل مرحلة من المراحل. ففي حالة الطالبات السودانيات، كان هنالك عملية منظمة للهروب والتحايل على الأهل. وكذلك الحال بالنسبة للفتاة الأردنية التي صبر من قاموا بتجنيدها (من خلال الشبكة العنكبوتية) قرابة عام ونصف، ولما اقتنعت، سهّلوا لها الطريق، ودفعوا لها تكاليف السفر، وهيؤوا الظروف لاستقبالها في تركيا.

الملحوظة الثامنة: أن جميع الحالات التي تناولناها في هذا الفصل مرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية، باستثناء فتيحة التي بدأت مع تنظيم القاعدة، لكنّها انتمت لاحقاً لتنظيم الدولة الإسلامية، في حين أنّ الفتيات السودانيات والفتاة الأردنية ونساء سرت، جميعهن ينتمين إلى الجيل الجديد الذي هاجر إلى أراضي تنظيم الدولة وليس إلى القاعدة، وذلك يعود بطبيعة الحال إلى عاملين رئيسين:

العامل الأول ذكرناه سابقاً- وهو التحول الكبير الذي حدث في النظرة إلى المرأة ودورها من تنظيم القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، فقد كانت القاعدة متحفظة في مسألة هجرة النساء، وتتعامل مع أدوارهن بصورة ثانوية، وهنالك دعوات متعددة لعدم هجرة النساء، وتجنب إشراكهن بصورة مباشرة في العمليات الانتحارية

أو حتى العسكرية، بينما أصبحت الحال مختلفة تماماً بالنسبة لتنظيم الدولة الذي أحدث "طفرة" في موضوع تجنيد المرأة وأدوارها ونشاطها ومكانتها في التنظيم.

وإذا لاحظنا من خلال نموذج "فتيجة المجاطي" أنّ أدوارها سابقاً لم تكن رئيسة، بل ثانوية، حين كان زوجها عبد الكريم مع القاعدة. لكن الأمور بدأت تختلف مع دخولهم إلى السعودية، واعتقالها وخروجها من السجن، وانتقالها إلى الدور المباشر والرئيس، بل والقيادي على خشبة المسرح، فأصبحت من الوجوه النسائية المعروفة في وسائل الإعلام المغربية والعربية، قبل أن تقرر الهجرة والانتقال إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية.

العامل الثاني أنّ تنظيم الدولة يقدّم مشروعاً مختلفاً عن القاعدة، وهو "أرض الخلافة" أو أرض الأحلام، مما يداعب خيال العديد من النساء العربيات الجهاديات، اللواتي يحلمن بالحياة في ظل دولة إسلامية تنسجم قوانينها وثقافتها والحياة العامة والخاصة فيها مع ما تؤمن به هؤلاء النساء، أكثر مما هو قائم في المجتمعات العربية. في حين أنّ تنظيم القاعدة لم يكن يهدف إلى إقامة دولة إسلامية، ولا يمتلك مثل هذا المشروع، الذي أغرى كثيراً من الفتيات والنساء، وتمّ الترويج له في العالم الافتراضي بصورة مثالية، على الرغم من أننارأينا كيف أنّ الفتيات اللواتي انضممن إلى تنظيم الدولة في سرت وجدن واقعاً آخر غير الذي وعدن به أو الذي يتم الترويج له عبر الشبكة العنكبوتية.

الفصل الثاني

تراجيديا "النسائية الجهادية" في السعودية

الفصل الثاني

تراجيديا "النسائية الجهادية" في السعودية

" زوجي العزيز أضحت جراح المسلمين تدميني فأصبحت بين خيارين: إما فراقك والنفير،أو الخذلان والنعيق مع القاعدين.."

" إلى زوجي العزيز، دفنت شوقي ويممت نحو الجهاد؛ قدوتي نسيبة، حينما ذادت عن النبي حتى أدميت عندما هرب الرجال"

أروى البغدادي (١ نيسان/ أبريل ٢٠١٣)

مقدمة

في صباح يوم الأربعاء ٢٨ مارس/ آذار ٢٠١٢، قام أشخاص ينتمون إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب (الذي يتكون من اندماج القاعدة في السعودية والقاعدة في اليمن، بعد إعلانهما الوحدة بين التنظيمين في العام ٢٠٠٩) باختطاف القنصل السعودي، عبدالله الخالدي، من أمام منزله في مدينة عدن (في اليمن الجنوبي). وبعد ذلك بقرابة ٢٠ يوماً (١٨ أبريل/ نيسان ٢٠١٢)، اتصل أحد المطلوبين السعوديين (الموجود في اليمن وهو عضو في تنظيم القاعدة) مع السفير السعودي في صنعاء، مؤكّداً له احتجازهم للقنصل السعودي ومطالباً بالإفراج عن عدد من المعتقلين لتسليمه للسلطات السعودية.

ذكر المطلوب أسماءَ عدد من المعتقلين السعوديين. وكانت المفاجأة للرأي العام هو في ذكره لأسماء معتقلات سعوديات يطالب التنظيم بالإفراج عنهن؛ الأمر الذي شكّل مفاجأة للمراقبين. إلا أنّ الأسماء النسائية المذكورة لم تكن صادمة أو مفاجئة لشرائح واسعة في الرأي العام السعودي، الذي كان يتابع المعركة الإعلامية، في مواقع التواصل الاجتماعي، بين مؤيدي النساء المعتقلات ومؤيدي السلطات، فأسماء مثل: هيلة القصير، وحنان سمكري، ونجوى الصاعدي وأروى البغدادي، وهيفاء الساعدي، وميّ الطلق وأمينة الراشد، أصبحت متداولة إعلامياً وسياسياً واجتماعياً، وشكّلت ظاهرة في مشهد اجتماعي ساكن مثل السعودية؛ لا تذكر فيه، عادةً، أسماء النساء.

لتصبح هذه الأسماء حاضرة على ألسنة آلاف المغردين السعوديين على تويتر[٣٧٤].

بدأت الأسماء النسائية بالظهور في العام ٢٠٠٤، عندما أعلن الأمن السعودي عن اعتقال فوزية العوفي، زوجة صالح العوفي (أحد قادة القاعدة حينها)، مروراً بوفاء اليحيى، التي التحقت بالزرقاوي وتزوجته في العراق، وأم أسامة المصرية محررة مجلة "الخنساء"، التي أصدرها فرع تنظيم القاعدة في السعودية، ووفاء الشهري.ثمّ بدأت حركة نساء المعتقلين، اللواتي نشطن منذ العام ٢٠٠٧ بالمطالبة بالإفراج عن أقربائهن، وأخيراً ظهرت قصة هجرة النساء إلى الجهاد، وصولاً إلى هجرة فنانة تشكيلية، كانت تشارك بلوحاتها الفنيّة في معارض الرياض، ثم أعلن والدها مؤخراً للإعلام بأنّها التحقت بتنظيم الدولة الإسلامية، كما ظهر مؤخّراً موضوع الفتيات اللواتي سلّمهنّ أهلهن للسلطات خشية من التحاقهن بتنظيم الدولة الإسلامية.

خلال الأعوام العشرة الماضية، حدثت "طفرة كبيرة" في دور المرأة السعودية وطبيعة مشاركتها في "الجماعات الجهادية". وتشكّلت ظاهرة نسائية جهادية لافتة، وبرزت في الإعلام والمجتمع. وأصبحت بعض هذه النساء أيقونات في عالم الجهاديات؛ مثلما هي الحال في هيلة القصير، الملقبة بأم الرباب (محكوم عليها السعودية بـ١٥ عاماً، وهي حالياً في السجون)، التي قام تنظيم الدولة الإسلامية بتسمية مدرسة باسمها في محافظة الرقة السورية التي يسيطر عليها.

في هذا الفصل سنقترب من ظاهرة "النسائية الجهادية" السعودية عبر ٢١ حالة لنساء سعوديات، أو يعشن بالسعودية، ارتبطن بـ"المجتمع الجهادي" بطرق وأدوارٍ مختلفة[٣٧٥]. والهدف من ذلك هو محاولة الوصول إلى فهم وإدراك للأسباب والشروط

---

(٣٧٤) انظر حول اختطاف القنصل السعودي: ماجد هزاع، **الخالدي منذ اختطافه حتى عودته**، موقع العربية نت، ٢ مارس ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://ara.tv/72fpm

(٣٧٥) تثار هنا إشكاليات منهجية، فضلنا وضعها في الهامش، لتوضيح معيار اعتماد تصنيف حالة معينة على أنّها تنتمي إلى "النسائية الجهادية" عموماً والسعودية خصوصاً، فإذا كانت بعض هذه الحالات واضحة في انتمائها، كحالات من هاجرن وانضممن إلى تلك الجماعات، فإنّ حالات أخرى قد تبدو "إشكالية" نظراً لارتباطها بتهم موجهة من قبل الحكومة السعودية لهؤلاء

الذاتية والموضوعية التي أحاطت بهذه التجارب ودفعت بها إلى محيط هذا التيار، ثم بناء "الأرضية" وتحديد السمات المشتركة بين هذه الحالات، من خلال استنطاق القواسم المشتركة والعوامل المتشابهة، مثل الخلفية الاجتماعية، شبكة العلاقات، مسار الانتماء، العمر، الدراسة، مراحل التطور، مكان السكن، وغيرها من متغيرات تُفيد في استنطاق الظاهرة، والوصول إلى دراسة أكثر عمقاً وتحليلاً لنموذج السعوديات القاعديات والداعشيات.

يجدر التنويه هنا إلى صعوبة فهم ظاهرة الجهاديات السعوديات دون الإلمام بالتطورات العامة التي حدثت في مسار السلفية الجهادية السعودية الممتدّ لأكثر من ثلاثة عقود منذ حقبة "الجهاد الأفغاني"، فالنساء أحد مكونات هذا المشهد؛ وإن كانت هذه الظاهرة قد بدأت تأخذ أبعاداً وصوراً جديدة مختلفة عما كانت عليه في الأعوام الأخيرة، وتحديداً منذ العام ٢٠٠٧، مع بداية ظاهرة الاعتصامات النسائية للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين الجهاديين، المرتبطين وفقاً للسلطات السعودية-

---

النساء، بالانتماء إلى تلك الجماعات أو ذلك الفكر، ما يجعل من "مصداقية" الحالة موضع نقاش لدى الباحثين أو المراقبين. وفي الجواب على ذلك، فإنّنا لا نعتمد فقط على اتهام الحكومة السعودية أو الأحكام التي صدرت على النساء، بقدر ما نغوص في دراسة الحالة نفسها، والتأكد من أنّ المرأة تنتمي في "الحدّ الأدنى" إلى فضاء السلفية الجهادية، عبر تحليل "لغة الخطاب" لكثير من هؤلاء النساء كاستعمال مصطلح "أسير" عند الحديث عن "المعتقلين والمعتقلات"، أو وصف الحكومة بالمرتدة أو تكفير وزير الداخلية والسلطات، أو تبني قضايا مؤيدة بصورة واضحة لتنظيم الدولة وجبهة النصرة.

فورود حالات معينة على لوائح الاتهام والاعتقال لا يعني بالضرورة، في هذه الدراسة، المصادقة على حكم القضاء السعودي، أو تبني تلك الاتهامات، في ظل غياب مصادر مستقلة ومجتمع مدني محايد. إنّما المهم هو معرفة ما إذا كانت الحالة تنتمي، فعلاً، إلى الفكر السلفي الجهادي وفضائه أم لا. وفي الحالة السعودية، وضمن هذا الفصل فإنّ جميع الحالات المذكورة هي الحالات المشهورة والأسماء المعروفة في السعودية، وليست تلك التي تخفيها السلطات، وهذه مشكلة أخرى واجهتنا في هذا الكتاب، فكثير من الأخبار والتقارير الإعلامية تتحدث عن أسماء مجهولة، وتركز على الحالة، بدعوى أنّ المجتمع محافظ ولا يفضل ذكر اسم المرأة، والأغرب أنّ أغلب الأسماء قد ظهرت أولاً في العالم الافتراضي للسلفية الجهادية، ثم تبعها الإعلام السعودي، الذي ما يزال يذكر كثيراً من الحالات من دون ذكر الأسماء، ما يصعّب من البحث العلمي.

بتنظيم القاعدة.إنّ فهم التطور التاريخي لمسار القاعدة في السعودية، وسياق بروز تنظيم الدولة الإسلامية مؤخراً، يمثّل مدخلاً رئيسياً و"أرضية معرفية" ضرورية لفهم "النسائية الجهادية" السعودية.

ومن الضروري الإشارة هنا، إلى أنّنا واجهنا خلال هذا الفصل متاعب وصعوبات بحثية كبيرة وعديدة، تتمثل في النقص الحادّ في المعلومات المتوافرة، ومحدودية المصادر المستقلة، إذ إنّ أغلبها يعود إما إلى الرواية الأمنية السعودية، والتسريبات الإعلامية المرتبطة بها، أو إلى مصادر التيار السلفي الجهادي، من دون وجود تحقيقات صحافية أو دراسات علمية مستقلة وموضوعية.

بالرغم من الجهد المبذول في هذا البحث للوصول إلى أكبر قدر من المعلومات والبيانات، عبر عملية متابعة وتفتيش متتالية عن الأسماء والأحداث، فلا يزال ثمّة نقص في المعلومات والبيانات المطلوبة، ولم تُجد محاولاتنا التواصل مع باحثين وإعلاميين سعوديين للحصول على المعلومات المطلوبة، فهي أيضاً غير متوفرة لديهم!

لذلك اعتمدنا في منهجية هذا الفصل، بالدرجة الأولى، على المعلومات الموثوقة، من مصادر متنوعة، لا تعبّر فقط عن رأي جهة واحدة من الجهات المعنية، بل لا بدّ من أن يكون هنالك قدر من التوافق على صحّة تلك المعلومات، أو تقديم رواية كل طرف للقضية المطروحة في الدراسة.

١) فوزية العوفي والنموذج التقليدي

تمثّل "فوزية العوفي" الاسم النسائي" الأول الذي عُرف إعلامياً في السعودية، وهي زوجة أحد أبرز قادة تنظيم القاعدة في السعودية، صالح العوفي، الذي قُتل في العام ٢٠٠٥، في مداهمة من القوات السعودية لمخبئه[٣٧٦].

(٣٧٦) صالح محمد عوض الله العلوي العوفي (٣٨ عاما)، تخرج من مدرسة سيف الدولة الحمداني المتوسطة (الإعدادية) بحي الدويمة الشعبي في المدينة المنورة، غادر للقتال في أفغانستان في مرحلة مبكرة من سنّ الشباب، ثم طاجكستان، قبل أن يعود إلى السعودية، ويصبح أحد المطلوبين للأمن. انظر رواية مؤيدة للقاعدة عن حياة العوفي، الرابط التالي:

ألقت السلطات السعودية القبض على فوزية العوفي وأبنائها، خلال مداهمة شقة في حي الملك فهد في الرياض في شهر تموز من العام ٢٠٠٤، كانت فيها مع عدد من قيادات تنظيم القاعدة. قُتل اثنان منهم، وأصيب ثلاثة، ووُجد في ثلاجة الشقة رأس الرهينة الأميركي جونسون، الذي قتلته القاعدة في السعودية.

وقد جرى التحقيق مع زوجة العوفي وتم توجيه عدد من التهم لها، منها وجودها في موقع لتخزين الأسلحة وموقع مطلوبين أمنياً وتسترها على أعمالهم وموافقتها على بقاء أطفالها الثلاثة في موقع خطر دون مراعاة لحالتهم السيئة، ثم صدر قرار إطلاق سراحها مراعاة لوضعها كامرأة وحاجة أبنائها لرعايتها وإعادة تأهيلهم نفسياً.

بالرغم من أنّ يوسف العييري، أحد أبرز قادة القاعدة، والمتزوج من شقيقة زوجة سليمان العلوان، أحد منظري القاعدة في السعودية، قد كتب رسالة بعنوان "دور النساء في جهاد الأعداء"، حاثّاً النساء على دور أكبر في دعم "الحركة الجهادية" في السعودية، إلاّ أنّ دور النساء بقي ثانوياً، وغير معروف بالمجمل، ولم تظهر قياديات معروفات في صفوف القاعدة، حتى الأعوام الأخيرة، عندما بدأت الحال تتغيّر جذرياً[٣٧٧].

يعود السبب في ذلك إلى طبيعة الرؤية التي غلبت على القاعدة الأمّ، والفتاوى التي كانت تهيمن على أوساطها، فقد كانت النظرة إلى دور المرأة تتمثل بمرافقتها لزوجها إلى مناطق القتال وتحمّل أعباء الحياة معه، في بعض الأحيان، ثم تطوّرت إلى مرحلة"الجهاد الإلكتروني"، كما ذكرنا سابقاً، فظهرت مجلة "الخنساء" الإلكترونية، في السعودية، التي تصدر عن القسم النسائي في قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، وتحررها أم أسامة المصري، التي تمّ اعتقالها لاحقاً، وأدلت باعترافات أمام التلفزيون السعودي

---

https://justpaste.it/iiffx ، وكذلك تقرير "صالح العوفي مقتله يوجّه ضربة موجعة لتنظيم القاعدة في السعودية"، العربية نت، ١٨ اغسطس ٢٠٠٥، على الرابط التالي:
https://www.alarabiya.net/articles/2005/08/18/15997.html

(٣٧٧) انظر: سيرة مختصرة للشيخ المجاهد يوسف العييري رحمه الله، على موقع شبكة الأمة اليوم، ٢٠١١/٧/١٥، على الرابط التالي:
http://www.umahtoday.net/arabic/?Action=Details&ID=6785

الرسمي[٣٧٨].

ثم انتقلت النساء إلى مراحل متقدمة مختلفة، وبدأت ظاهرة "نفير المرأة"، أي انتقالها إلى مناطق القتال؛ بخاصة تلك التي يمتلك تنظيم القاعدة فيها وجوداً قوياً، أو تلك التي أصبح يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا.

٢) وفاء اليحيى.. "النفير السرّي"!

النموذج الأول الذي كسر تلك القاعدة، يتمثل في وفاء اليحيى، من مواليد ١٩٦٨م، تحمل بكالوريوس في الدراسات الإسلامية، ودرجة الماجستير في الفقه الإسلامي، وكانت تعمل محاضرة في جامعة الملك سعود. وهي مطلقة من سعودي، كان أحد المقاتلين السابقين في أفغانستان، ثم عاد إلى السعودية، وانخرط في السلك العسكري، ولها منه ثلاثة أبناء؛ بنتان وصبي.[٣٧٩]

أثار موضوع وفاء اليحيي جدلاً واسعاً في السعودية، خلال الأعوام الماضية، فالرواية التي تمسكّت بها عائلتها هي أنّها اعتقلت في أغسطس/آب ٢٠٠٥، هي وأبناؤها، ولم تخرج إلى الآن من السجن، وتطالب عائلتها بمعرفة مصيرها.

أمّا الرواية الرسمية، التي ظهرت من خلال التسريبات الإعلامية، وبدت أكثر قوة وصلابة لاعتمادها على وقائع مثبتة؛ بالرغم من تأخر صدورها، فتقول بأنّ اهتمام وفاء اليحيي بدأ مبكّراً بمسألة الجهاد في أفغانستان، فكان جميع أسرتها يعلمون بذلك

---

(٣٧٨) انظر: بينهم أم أسامة، التلفزيون السعودي يبث اعترافات المتراجعين عن التوجهات التكفيرية، موقع عاجل، ٢٨ يونيو ٢٠٠٨، على الرابط التالي:
http://www.ajel.sa/local/1057096

(٣٧٩) انظر: موقع السكينة، نساء القاعدة في السعودية ومهمتهم التنظيمية، ١١ مايو ٢٠١٣، على الرابط التالي: http://www.assakina.com/center/parties/24637.html#ixzz4OHqeQxpS

لتصريحها الدائم وإعلانها لمحبتها "للمجاهدين"[٣٨٠].

وفي العام (٢٠٠٥م) أخذت وفاء تتعامل مع شبكة الإنترنت بشكل متزايد. بدأت بالمشاركة من خلال الردود والتعليقات على المواضيع التي تُطرح في بعض المنتديات المتخصصة بمواضيع الجهاد وأخبار المجاهدين، وما لبث أن تطور الأمر حتى أصبحت تشارك في بعض المنتديات المتطرفة بكنى مجهولة منها: "المدوّية"، و"البارقة"، و"بارقة السيوف"، وفي بعض المواقع الجهادية والإسلامية مثل: "الفوائد الإسلامية"، و"التجديد"، "القلعة"، و"الأنصار"، و"الإصلاح".

بدأت السلطات السعودية بملاحظتها، والانتباه إلى مشاركاتها التي تركزت على ما حصل من تغيير في مواقف الدول تجاه "المجاهدين"، وكانت تكتب عن مناصرة المجاهدين في العراق وأفغانستان. ووصل الأمر إلى مناصرة أعمال "القاعدة" وعملياتهم في الأراضي السعودية والإشادة بها.

المهم، أنّ اليحيى تعرفت من خلال هذه المواقع على من يكني نفسه "أبو طلحة البيحاني"، وعرض عليها في رسالة لها فكرة الالتحاق بالمقاتلين في العراق للعمل في اللجان الشرعية لوجود الحاجة لها بحجة تخصصها العلمي (الفقه)، وقد طلبت منه وفاء مهلة للتفكير.

اقتنعت وفاء بفكرة الالتحاق بالمقاتلين في العراق، وبدأت التخطيط لهذا الأمر، حيث حصلت على إجازة من عملها بجامعة الملك سعود، وسعت لاستخراج جوازات سفر لها ولأبنائها. وفي هذه الأثناء استمر التواصل مع أبو طلحة من خلال الرسائل الإلكترونية، فأخبرها في رسالة من هذه الرسائل بأنه ربما يتعرض لمكروه، ويرجو أن لا يؤثر ذلك في قرار ذهابها للعراق، وأنه سيتم التواصل معها برسائل مذيلة بكنية

---

(٣٨٠) ظهرت الرواية الرسمية بصورة واضحة، ومفصلة من خلال تسريب لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية " وفاء.. أكاديمية وناشطة سعودية تحمست للتيار الجهادي وكانت تريد أن تصبح "فقيهة" لـ"القاعدة"، صحيفة الشرق الأوسط، ١١ مايو ٢٠١٣.

"الأستاذ" تشرح لها ترتيبات رحلة السفر إلى العراق وموعدها.

سمعت وفاء بعد فترة تسجيلاً صوتياً لأبو مصعب الزرقاوي على شبكة الإنترنت ينعى فيه عدداً من الأشخاص الذين قتلوا بالعراق، وكان من بينهم (أبو طلحة البيحاني)، عندئذ ربطت وفاء بين هذا الاسم ومن كان يراسلها، فتأكدت أن أبو طلحة قريب من المقاتلين في العراق حقاً.

بعد تواصلها مع البيحاني، تواصل معها شخص بكنية "الأستاذ"، يعتقد المعنيون والخبراء أنه هو نفسه زعيم "القاعدة في العراق"، أبو مصعب الزرقاوي، الذي كانت وفاء معجبة به وبشخصيته "الجهادية".

منذ تلك اللحظة بدأت وفاء تفكر بالهجرة إلى العراق، عبر تتبّع التعليمات التي تأتيها من قبل من كان يتواصل معها على شبكة التواصل الاجتماعي. فقامت وفاء بالاستعداد للسفر إلى العراق عن طريق سوريا، إلا أن المشكلة لدى وفاء كانت تكمن في أنّ جوازات سفر أبنائها في حوزة طليقها (والد الأبناء) الذي لم يرغب في تزويدهم بها، فحاولت استخراج جوازات لهم من خلال تكليف قريب لها، بمراجعة مديرية جوازات منطقة الرياض للقيام بذلك، وزودته بالأوراق والصور المطلوبة لاستصدار جوازات سفر لأطفالها وتم ذلك بالفعل.

كانت وفاء في هذه الأثناء تخضع للمراقبة الأمنية بسبب اتصالاتها مع قيادات "القاعدة في العراق"، ونشطائها. فقد أُدرجت وفاء في هذه المرحلة احترازيًا على قائمة المنع من السفر.

حجزت وفاء لها ولأبنائها للسفر، إلا أنها ألغت حجوزات أبنائها خوفاً من انكشاف أمرها وأبقت على حجزها فقط، وبدأت بالاستعداد فعلياً للسفر إلى سوريا بذريعة البحث العلمي، وعند ذهابها إلى مطار الملك عبد العزيز بجدة تم منعها من السفر كون اسمها مدرجاً على قائمة المنع من السفر.

في ٩ مارس/ آذار ٢٠٠٥ جرى استدعاؤها من قبل السلطات السعودية، واعتقالها، ثم تمّ تسليمها لذويها، بعد قرابة شهر قضته في المعتقل، حيث سُلِّمت لوالدها وشقيقيها، بعد أخذ "التعهدات اللازمة" عليها.

في ١أغسطس/ آب ٢٠٠٥، اختفت وفاء اليحيى وأبناؤها (كانوا حينها كما يلي: فتاة تبلغ من العمر ١٣ سنة، وصبي يبلغ ١٢ سنة، وطفلة تبلغ ٥ سنوات) من منزلهم وبدأت جهود البحث عنهم، على الرغم من عدم وجود معلومات تساعد في البحث.

اتّهم أهلها السلطات السعودية باعتقالها، بينما كانت السلطات السعودية تعتقد بأنّها هاربة، حتى بدأت المؤشرات تظهر بوضوح أنّها غادرت السعودية، عبر التهريب عن طريق اليمن، من خلال مهربين سعوديين ويمنيين. ومن اليمن انتقلت إلى سوريا جواً بجوازات سفر مزورة. ثم في سوريا تولت القاعدة عملية تهريبها إلى العراق، عبر الحدود السورية– العراقية.

وصلت وفاء، وفق هذه الرواية، إلى العراق في أواخر العام ٢٠٠٥، وتزوجت من أبي مصعب الزرقاوي، الذي كان يمثّل النجم اللامع في القاعدة، لكنه قُتل في شهر يونيو/ حزيران من العام ٢٠٠٦، وقُتلت بعده وفاء في الأنبار، وفق شهود سعوديين كانوا يقاتلون في العراق، واستجوبتهم السلطات السعودية.

لم تقف فصول هذه الرواية التراجيدية عند هذا الحدّ، فقد زوّجت وفاء ابنتها الكبرى سارة من مقاتل في القاعدة، وأنجبت من الزرقاوي طفلاً، قبل أن تتزوج من جهادي سعودي (أطلقت عليه السلطات السعودية اسم :م.ث) وأنجبت منه ابنة أيضاً، قبل أن يغادر هو إلى أفغانستان، بعد أن قُتلت اليحيى في العراق، كما ذكرنا.

أما مصير أبناء اليحيى، بعد وفاة والدتهم، فقد تزوّجت ابنتها سارة من مقاتل، ولا يعرف عنها حالياً شيء، والأمر نفسه ينطبق على ابنيها محمد ونجلاء.لاحقاً، أُحضر المطلوب صالح القرعاوي إلى السعودية، وهو أحد أبرز قادة القاعدة، ومن مؤسسي كتائب عبدالله عزام، استهدفته طائرة أميركية من دون طيار بقذيفة، في وزيرستان على الحدود بين باكستان وأفغانستان، ولحقته إصابة بليغة نجم عنها بتر ساقيه، ويده، وفقد عينه اليسرى، وتهشم فكه، واستعادته السعودية من باكستان، على طائرة إخلاء طبي، وأدخل مستشفى قوى الأمن للكشف عنه وقدم له العلاج اللازم، وحضرت معه أسرته.

اكتشفت السلطات السعودية، حينها، أنّ أحد القادمين معه، وهو طفل صغير؛ ليس ابنه، بل ابن الزرقاوي ووفاء اليحيى، وفقاً لتحليلات الحمض النووي، وكما اكتشفت السلطات بأنّ البنت الصغيرة هي بنت وفاء من الرجل الذي تزوجته بعد مقتل الزرقاوي[٣٨١].

بالرغم من أنّ أهل وفاء ما يزالون يتمسكون برواية اعتقالها، إلاّ أنّ وجود الطفل المشترك من الزرقاوي، وتأكيد مصادر من التيار السلفي الجهادي الأردني صحّة ذلك لمؤلفي هذا الكتاب، يجعل من رواية السلطات السعودية أقرب إلى الدقة حول التجربة التي مرّت بها وفاء اليحيى، ورحلتها الغريبة إلى العراق وزواجها من أبي مصعب الزرقاوي.

وفقاً للمعطيات المتوافرة عن قصة وفاء اليحيى، فمن الواضح أنّ العامل الرئيس في تجنيدها وتجربتها الجهادية لم يأتِ من العائلة، بل من خلال دراستها الأكاديمية أولاً، وعبر تواصلها على شبكة الإنترنت، وتفاعلها مع المنتديات الجهادية التي نشطت خلال تلك الفترة، ثانياً. بالإضافة إلى تأثرها بنموذج الزرقاوي، وقناعاتها الدينية والإيديولوجية التي تشكّلت خلال تلك الفترة، إلى أن بدأت التواصل مع الزرقاوي ومجموعته في العراق، وقررت خوض غمار تلك المغامرة مع أبنائها.

مع ذلك لا يمكن أن نفصل المسافة الكبيرة التي قطعتها "المرأة الجهادية" السعودية عبر نموذج وفاء اليحيى عن الظروف التي كانت تمرّ بها السعودية والتيار الجهادي فيها خلال تلك الفترة، بخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التي أعلنت القاعدة مسؤوليتها عنها وشارك فيها ١٥ منفذاً سعودياً، مروراً بالحرب الأفغانية، والإعلان عن تنظيم القاعدة في ٢٠٠٢ في السعودية، وتحرّك خلاياه لتنفيذ العديد من العمليات، ثمّ احتلال العراق، وبروز شخصية الزرقاوي، الذي استقطب بدوره أعداداً كبيرة من السعوديين إلى العراق.

---

(٣٨١) التفاصيل كاملة موجودة في المرجع السابق، وانظر كذلك: منى سعود، "معلومات جديدة عن وفاء اليحيى وأبنائها .. توفيت في العراق ولازال البحث جاري عن أبنائها"، الأحساء الآن، على الرابط التالي: http://now.ahsaweb.net/6906

٣) هيلة القصير (أم الرباب).. "أيقونة الجهاديات"

تعتبر هيلة القصير إحدى أبرز النساء الجهاديات السعوديات المعروفات، وتُكنّى بأم الرباب (نسبة لابنتها رباب)، وكانت قد اعتُقلت في ٢٤ مارس/آذار ٢٠١٠، خلال مداهمة إحدى الشقق والقبض على مطلوبين، وحكم عليها بالسجن لـ١٥ عاماً ، وأصبحت تمثّل حالة "رمزية" لدى أنصار تنظيم الدولة الإسلامية. وقام التنظيم مؤخراً بتسمية مدرسة في الرقّة بـ"دار أم الرباب هيلة القصير للعلوم الشرعية"، كناية عن المكانة التي أصبحت تحتلها في أوساط النساء الجهاديات[٣٨٢].

وُلدت هيلة محمد القصير، في مدينة بريدة في منطقة القصيم، يتيمة الأب، وعاشت في منزل أخيها غير الشقيق، وتميّزت خلال فترة الدراسة بصورة واضحة، إذ تتحدث هي عن نفسها " **كنت متفوقة دراسياً، ولا أقبل بأقل من المركز الأول في سنوات دراستي، بل إنني كنت أشفق على من تحصل على المركز الثاني وأتعجب من كونها تستطيع أن تبتسم رغم إخفاقها في نظري، فأنا امرأة لا أقبل إلا بالمركز الأول منذ بداية تعليمي وحتى التحاقي بالجامعة**"[٣٨٣].

حصلت هيلة على إعجاب معلماتها في المدرسة، ووصلت إلى كلية التربية، وتخصصت في دراسة الجغرافيا، وفي أثناء ذلك أخذت تنحو أكثر نحو خطّ التديّن، مع المطالعة والتنويع في القراءات، إلى أن بدأت تسمع عن شخصية مثيرة للجدل في الأوساط المتدينة في بريدة، وهو عبدالكريم الحميّد، الذي ترك حياة الترف وعمله في شركة أرامكو، وتخلّى عن ذلك كله، وسكن منزلاً بدائياً من الطين، في حيّ الخبيبة في بريدة، وأصبح يعطي دروساً دينية يحضرها عدد كبير من الشباب، الذين تأثروا

---

(٣٨٢) انظر عن مدرسة دار أم الرباب للعلوم الشرعية، الرابط التالي:
goo.gl/T6aZgf

(٣٨٣) انظر: تقرير بعنوان "السعودية الأرملة اليتيمة أم الرباب هيلة القصير"، موقع أحوال المسلمين، ٢ مايو، ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/A74DLt
وكذلك مقابلتها مع صحيفة الرياض بعنوان "هيلة القصير تتراجع عن تأييد التنظيم وترفض الفكر الداعشي"؟، ٨ نوفمبر ٢٠١٥، الرابط التالي: http://www.alriyadh.com/1098304

به[٣٨٤].

كانت شخصية الحميد تجمع بين أكثر من بعد، فهو أقرب إلى القاعدة والجهاديين والسلفيين الراديكاليين، وله عشرات المنشورات في تأييد طالبان وفي مناصرة الفكر السلفي الجهادي، وهو من زاويةٍ أخرى- زاهد، يقاطع الكهرباء والسيارات ويرفض التعامل مع النقود وأشكال الحياة الحديثة، ويعتمد على الخيل في تنقلاته[٣٨٥].

تأثرت هيلة خلال دراستها الجامعية بما كان يكتبه الحميد، وقرأت جميع كتبه ومنشوراته، واستمعت إلى خطبه ومواعظه، وتشكل جزءٌ كبير من شخصيتها اللاحقة بناءً على هذا التأثر. ونجد في سيرتها، التي نشرتها مواقع سلفية جهادية، إشارات مهمة على "نقطة التحول" التي حدثت عندها بهذه القراءة، حيث انتقلت من فكر الإخوان المسلمين إلى الفكر السلفي **"حتى أنهت (أي هيلة) جميع ما كتبه الشيخ (أي عبدالكريم الحميد) في فترة وجيزة، مما ساعد على حرف مسار تفكيرها من منهج الإخوان المسلمين إلى منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح. حين تخرجت من الجامعة كانت قد فصَّلت شخصيتها وسمت طريقها ومنهجها في الحياة على ما استفادته من كتب ورسائل الشيخ عبد الكريم الحميد"**[٣٨٦].

---

(٣٨٤) انظر: السعودية الأرملة اليتيمة، مرجع سابق، ويتضمن التقرير صور عن شهادات معلمات درسن هيلة بتفوقها وبأخلاقها، وانظر كذلك السيرة التي كتبت عنها من قبل المواقع السلفية الجهادية بعنوان "الشهد المذاب في سيرة أم الرباب"، على الرابط:
٢e٣htp/goo.gl

(٣٨٥) انظر: تقرير صحيفة الوطن السعودية "هيلة وحميد الزواج بريال والهدف ضخ الملايين"، ٩ يونيو ٢٠١٠، يمكن الوصول إلى التقرير عبر الرابط التالي:
http://www.alwatan.com.sa/Local/News_Detail.aspx?ArticleI
وكذلك سيرته على موقع ويكيبيديا، الرابط التالي:
goo.gl/wir11K
وكذلك: منصور النقيدان، عبدالكريم الحميد من مترجم في أرامكو إلى زاهد يسكن الطين ولا يركب السيارة، صحيفة الوطن، ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٢.

(٣٨٦) انظر سيرتها في مقالة:"الشهد المذاب في سيرة الداعية أم الرباب فرج الله كربتها"، من قبل المتعاطفين معها من الجهاديين، على الرابط التالي:

تخرجت من الكلية بامتياز وتفوق، وبدأت تعدّ لدراسة الماجستير، وتوظّفت مشرفة على المصلى في إحدى مدارس بريدة، وكانت تعطي دروساً دينية ومواعظ في المصليات والجمعيات والملتقيات النسائية. ازداد تعلّق هيلة بأفكار عبدالكريم، وعدلت عن فكرة إكمال الماجستير، ومزّقت شهادتها الجامعية، لاعتبارها أنّ ذلك أمر دنيوي[٣٨٧].

لم تقبل هيلة كلّ من تقدموا لخطبتها، وكانت تقول لأهلها أنّها تريد الزواج من الشيخ عبدالكريم الحميد، الأمر الذي سمع به أحد طلابه، فساهم في عملية التواصل بينهما وإتمام الزواج. رفض أهلها زواجها من الحميد، لفرق العمر بينهما (٢٢ عاماً)، هو من مواليد ١٩٤٣، ولأنّه متزوج وله أربعة من الأبناء والبنات، بالإضافة إلى أنّ عائلتها ذات مكانة مرموقة، وأشقاؤها على درجات عالية من التحصيل الأكاديمي. إلّا أنّها أصرّت على قرارها وتزوجته بالفعل في العام ٢٠٠٣ (كان عمرها ٣٨ عاماً)، وعاشت في بيته الطيني معه في حياةٍ بدائية قرابة ٨ شهور، إلى أن طلّقها بعد ذلك[٣٨٨].

يعكس إصرار هيلة على الزواج من الحميد، وهو في هذه الحالة من الزهد والتقشف والراديكالية، طبيعة التحول الروحي والنفسي الذي حدث لها، خاصة وأنّها من عائلة ميسورة الحال. كما إنّ إصرارها على هذا الزواج الصعب ينمّ عن قناعات دينية وفكرية راديكالية لديها، على الرغم من أنّها ليست في سنّ صغيرة، بل في نهاية الثلاثينات من العمر، وكانت داعية ولها مواعظ ودروس دينية، أي أنّها دخلت في طور التأثر بالراديكالية الإسلامية قبل زواجها الثاني، من أحد أفراد القاعدة، كما

---

goo.gl/frUs19

(٣٨٧) المرجع السابق.

(٣٨٨) هيلة القصير مزقت وثيقة تخرجها وحاولت الإيقاع بطالبات بريدة تزوجت ممن يرفض الحياة ثم من مطلوب أمني، موقع الوطن أون لاين، ٥ يونيو ٢٠١٠، على الرابط التالي:
http://www.alwatan.com.sa/Local/News_Detail.aspx?ArticleID=5367

سنذكر لاحقاً.

لم تتذوق هيلة طعم الحياة الزوجية في تجربتها القصيرة مع الحميد، كما تعترف هي نفسها، وتولّى هو تزويجها من أحد طلابه، محمد الوكيل، في نهاية العام ٢٠٠٤. وكان ذلك عامَ المواجهات الساخنة بين السلطات السعودية وأعضاء القاعدة الناشطين هناك. ولم يمكث زوجها الجديد معها أكثر من ٦ شهور، حتى اضطر إلى الاختباء والتواري لشهرين، هرباً من الأمن، إلى أن تمكنوا من قتله بعد ذلك في حيّ التعاون في مدينة الرياض، خلال مواجهة مسلّحة، ليترك رباب اليتيمة (التي وُلدت دون أن تعرف أباها)، ولتصبح أمّ الرباب يتيمة وأرملة[٣٨٩].

بالرغم من قصر المدّة التي قضتها هيلة مع زوجها الثاني، إلاّ أنّها تعلّقت به كثيراً، وأحبته، لذلك صُدمت وتأثرت كثيراً بمقتله. ويبدو أنّ ما حدث معه قد دفعها أكثر إلى "النادي الاجتماعي" للجهاديين، لتصبح فاعلة أكثر في أوساط القاعدة، التي ينتمي إليها زوجها. ونقرأ ما بين سطور التسريبات الإعلامية للأجهزة الأمنية السعودية، قناعتهم بأنّ تجنيدها في القاعدة قد تمّ على يدّ زوجها، قبل مقتله.

نشطت هيلة بعد ذلك في أوساط السلفية الجهادية؛ وكانت فترة مواجهات واعتقالات وتفجيرات وقتل مشهودة في السعودية، منذ العام ٢٠٠٤-٢٠٠٩. وكانت تزور العائلات التي قتل أبناؤها في الداخل أو الخارج وتواسيهم، وتشاركهم تلك المناسبات. وتوترت علاقتها بالسلطات السعودية، بخاصة بعد سفر صديقتها إيمان الشهري، إلى اليمن، واقتناع السلطات السعودية بوجود علاقة لهيلة القصيرة بعملية التهريب.

اختفت هيلة مع ابنتها رباب (منذ العام ٢٠٠٨) تخفياً عن عيون الأجهزة الأمنية، إلى أن تم إلقاء القبض عليها في ٢٤ آذار/ مارس ٢٠١٠، حيث قامت قوات الأمن بمحاصرة منزل محمد المعتق، في حيّ الخبيبة في مدينة بريدة، واعتقلت، في

(٣٨٩) انظر: السعودية الأرملة اليتيمة أم الرباب هيلة القصير، موقع الصفوة، ٢ مايو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/H13Vij

منتصف الليل، كل من فيه من نساء ورجال، وقامت بترحيل هيلة القصير مع ابنتها الصغيرة رباب (قرابة ٥ أعوام)، في طائرة ليلاً إلى الرياض، وجرى التحقيق معها هناك. وأُطلق سراح طفلتها بعد مدّة من إبقائها معها في السجن، ثم أعلنت السلطات السعودية عن اعتقال القصير ضمن مجموعة إرهابية تضم ١٠١ شخصاً.

بعد عامين قامت المحكمة الجزائية المتخصصة، التي أسستها السعودية للنظر في قضايا الإرهاب، بالحكم على هيلة القصير بالسجن ١٥ عاماً تعزيراً (أي ضمن عقوبة التعزير في التشريع الإسلامي، الذي يستند إليه القضاء السعودي). ووُجهت لها ١٨ تهمة، من بينها الانتماء إلى تنظيم القاعدة، وتبني فكر الخوارج، ومساعدة القاعدة بتقديم خدمات لوجستية، والقيام بعملية غسيل أموال عبر جمع التبرعات وإرسالها إلى القاعدة في اليمن.

لقي اعتقال هيلة القصير صدىً واسعاً لدى أنصار تنظيم القاعدة في حينها، وكتبت رفيقتها (التي سنتحدث عنها تالياً) وفاء الشهري في مجلة "صدى الملاحم" (التي يصدرها تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية- اليمن والسعودية، العدد ١٣) بعنوان " أحقّاً أُسرت يا أم الرباب؟"[٣٩٠]. وقد بثت قناة العربية تسجيلًا صوتياً للرجل الثاني في تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية، سعيد الشهري، بعد ثلاثة أشهر من اعتقال القصير، يتوعد فيه السعودية بقتل شخصيات مهمة انتقاماً لاعتقالها[٣٩١].

٤) وفاء الشهري: البيان رقم (١)

كانت وفاء الشهري أول امرأة سعودية تهاجر إلى خارج السعودية، من السعوديات الجهاديات المعروفات، ويُمثّل "نفيرها" البيان رقم (١) لظاهرة المهاجرات

(٣٩٠) انظر: القاعدة في جزيرة العرب تتبنى قضية المعتقلة السعودية أم رباب، موقع العربية نت، ٢٠ مايو ٢٠١٠، على الرابط التالي:
https://www.alarabiya.net/articles/2010/05/20/109086.html

(٣٩١) انظر: تقرير لصحيفة الرياض السعودية بعنوان "هيلة القصير أخطر إرهابية بيد الأمن"، ٤ يونيو ٢٠١٠، على الرابط التالي:
http://www.alriyadh.com/531976

السعوديات.إذ لم تُعلن وفاء اليحيي عن سفرها ("نفيرها" بحسب الأدبيات الجهادية) وزواجها من الزرقاوي، بخلاف وفاء الشهري التي أعلن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب رسمياً عن انضمامها إلى زوجها، سعيد الشهري، الذي تولى ترتيب عملية انتقالها من السعودية إلى اليمن، عبر خلية تابعة للقاعدة. إلى أنّ أعلنت السلطات السعودية القبض عليها ومحاكمتها بالسجن لاحقاً[٣٩٢].

لا توجد معلومات موثقة تفصيلية عن حياة وفاء الشهري، قبل زواجها من الرجل الثاني في قاعدة جزيرة العرب، سعيد الشهري، وانتقالها إلى اليمن في العام ٢٠٠٩. ولا نعرف حتى عمرها على وجه الدقّة، وإن كان الترجيح بأن تكون الآن في الثلاثينيات من العمر. وهي لم تكمل دراستها، إذ تركت المدرسة في المرحلة المتوسطة، لتتزوج من سعيد القحطاني، الذي طلّقها بعدما أنجبت منه طفلها يوسف، ثم تزوجت من عبدالرحمن الغامدي، الذي قُتل في مطاردة من قبل قوات الأمن، في حي الهدى في الطائف، وكان مطلوباً لانتمائه لخلايا القاعدة، وكانت قد أنجبت منه ابنتها "وصايف".

عادت بعد ذلك إلى منزل والدها في مدينة الرياض في حيّ النسيم، حيث عاشت طفولتها، إلى أن استعادت السلطات السعودية شقيقها يوسف، ضمن دفعة من السعوديين الذين تمّ استلامهم من غونتانامو ، وتضم إلى جانب يوسف، سعيد الشهري، الذي سيخرج من السجن عبر برنامج المناصحة، ويتزوج من وفاء اليحيي، ثم يغادر إلى اليمن ليساهم في الإعلان عن تأسيس تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؛ الذي يضم السعودية واليمن، ويصبح الرجل الثاني في التنظيم، بعد اليمني ناصر الوحيشي.

عندما غادر سعيد الشهري إلى اليمن، عمل على ترتيب الأمور لاستقدام زوجته إليه، وهو ما حدث في ١٢ مارس/آذار ٢٠٠٩،حيث تحايلت وفاء على أهلها، واستغلت خروجهم من المنزل، وتسللت هي وأطفالها الثلاثة (يوسف القحطاني

---

(٣٩٢) انظر تقرير" والدة وفاء الشهري: ابنتي استغلت غيابي ولن أسامحها، موقع عاجل الإلكتروني، ٨ سبتمبر ٢٠٠٩، على الرابط التالي:
http://www.ajel.sa/local/1083981

كان ٩ أعوام، وصايف الغامدي ٤ أعوام، وابن رضيع لها، مع ابن شقيقها عبد الإله الشهري، وكان عمره في حينها قرابة ١٨ عاماً، بعد أن سبقها شقيقها يوسف إلى اليمن مع زوجها سعيد الشهري.

بعد أن وصلت إلى اليمن، أعلنت القاعدة عن إجراء مقابلة معها، ثم نشرت مقالة لها في مجلة "صدى الملاحم"، بعد الإعلان عن اعتقال صديقتها هيلة القصير، بعنوان "أحقاً أسرت يا أم الرباب". وهي المقالة التي اعتبرتها التسريبات الإعلامية القريبة من السلطات السعودية الرسمية بمثابة إعلان رسمي عن انتماء وفاء الشهري لتنظيم القاعدة في الجزيرة العربية.

قُتل شقيقها يوسف، في أثناء محاولته التسلل من الحدود اليمينة إلى السعودية، في منطقة جازان، بعد اشتباك مع قوات الأمن، في أكتوبر/ تشرين الأوّل [٣٩٣] ٢٠١٠. فيما قُتل ابن شقيقها عبدالإله في شهر مايو/ أيار ٢٠١٢، في منطقة مأرب في اليمن، بغارة جوية[٣٩٤]. أمّا ابن شقيقها الآخر، عبدالمجيد فيصل الشهري، الذي لحق بهم بعد عامين من ذهابهم إلى اليمن، فقد قُتل هو الآخر في يناير/كانون الثاني ٢٠١٤، وكان زوجها سعيد الشهري، قد قُتل في بداية العام [٣٩٥] ٢٠١٣.

لا توجد معلومات دقيقة عن وفاء الشهري وأبنائها، بقدر ما توجد روايات متضاربة يمنية وسعودية، بعضها يتحدث عن اعتقالها وتسليمها إلى السعودية، فيما تتحدث روايات أخرى عن إصابتها في قصف جوي، في حين يؤكّد بعض الشهود التحاق ابنها يوسف بمعسكرات المقاتلين في القاعدة في اليمن.

---

(٣٩٣) انظر تقرير "الشهري من عضو في فرقة اغتيالات إلى جثة هادمة بجازان"، موقع العربية نت، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٠، على الرابط التالي:
https://www.alarabiya.net/articles/2009/10/20/88697.html

(٣٩٤) انظر: ناصر الحقباني، مقتل أصغر مطلوب أمني في قائمة الـ٨٥، عبد الإله الشهري، صحيفة الحياة اللندنية، السبت، ١٩ مايو ٢٠١٢، يمكن قراءة الخبر على الرابط التالي:
http://www.alhayat.com/Details/403703

(٣٩٥) انظر: ناصر الحقباني، مقتل المطلوب عبدالمجيد الشهري، صحيفة الحياة اللندنية، ١٧ كانون الثاني ٢٠١٤، يمكن قراءة الخبر على الرابط التالي:http://www.alhayat.

بعدما غادرت إلى اليمن، استقبلت وفاء الشهري ريما الجريش وأروى البغدادي، اللتين سنتحدث عنهما لاحقاً، بعدما قررتا السير على خطاها في "النفير".

لكن دعونا الآن نحلل نموذج وفاء الشهري، ونقطة التحول التي أدت إلى انتمائها إلى السلفية الجهادية، ثمّ تحوّلها إلى مطلوبة وهجرتها إلى اليمن.

تتحدث السلطات السعودية عن تأثير زواجها من كل من عبدالرحمن الغامدي، وسعيد الشهري على فكرها واعتناقها لإيديولوجيا القاعدة، فيما تتحدث مصادر أخرى عن دور شقيقها يوسف، الذي ساهم في تزويجها من سعيد الشهري. لكن زوجها الأول، سعود القحطاني، الذي طلّقها، يمسك بخيط أدقّ من تلك المصادر عندما يتحدث عن تأثّرها الشديد بشقيقها سعد، الذي كان متواجداً في أفغانستان، في تلك الفترة (٢٠٠٤). ويعدّ سعد شخصية بارزة في القاعدة؛ فقد كان حارساً لأسامة بن لادن، ومرافقاً لحكمتيار، وعنصراً فاعلاً في القاعدة، ويعتقد أنّه قُتل بغارة جوية على منطقة وزيرستان في العام ٢٠١٠[٣٩٦].

يبدو من مراجعة ملف العائلة كاملاً أنّ القصة تتعدى فقط شقيقها سعد، الذي سافر وهو فتىً صغيراً إلى أفغانستان، في أواخر حقبة الاحتلال السوفيتي، ثم عاد إلى السعودية ليتزوج، قبل أن يعود إلى أفغانستان مرّة أخرى. فلشقيقها الآخر تجربة مماثلة تماماً لسعد، بالسفر إلى أفغانستان، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وقد اعتُقل في أفغانستان (وكان عمره ١٥ عاماً)، وأمضى ٦ سنوات في سجن غوانتنامو، وكان أصغر معتقل هناك، قبل أن تستعيده السلطات السعودية في العام ٢٠٠٧[٣٩٧]، وتطلق سراحه لاحقاً، ليؤسس لاحقاً مع صديقه سعيد الشهري

---

(٣٩٦) انظر حول رواية مقتل شقيقها سعد، وعن حياته الرابط التالي:
goo.gl/04YUer

(٣٩٧) انظر تقرير العربية نت، على الرابط التالي:
https://www.alarabiya.net/articles/2006/04/24/23130.html ،
وكذلك: تقرير "الشهري أصغر المعتقلين في غوانتنامو.. عاد ضمن الدفعة العاشرة وخضع للمناصحة في برنامج الأمير محمد بن نايف"، موقع السكينة، ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٩، على الرابط التالي:
http://www.assakina.com/news/4518.html

وآخرين تنظيم القاعدة في جزيرة العرب.

وتمتدّ القضية، أيضاً، إلى أبناء أشقائها عبدالإله وعبدالمجيد، اللذين قُتلا، كما ذكرنا في اليمن، بعدما التحقا بعمّتهما هناك. لوفاء ثلاثة أشقاء ما يزالون في السجن، (فيصل، مصطفى ورياض)، منذ العام ٢٠٠٣ تقريباً، على خلفية تهمة الانتماء لهذا التيار، ومعهم ابن مصطفى (ريّان) الذي اعتقل في ٢٠٠٩، بتهمة محاولة الخروج من السعودية والالتحاق بالجماعات المتطرفة، وكان عمره حينها ١٥ عاماً.

تتمثّل المفارقة في أنّ والدهم محمد مبارك الشهري دكتور عقيد متقاعد من القوات المسلحة، إلا أنّ أبناءه الذكور (الخمسة) جميعاً مرتبطون بالفكر السلفي الجهادي بحسب الرواية الرسمية، ومعهم خالهم فرحان عامر فرحان (المعتقل منذ العام ٢٠٠٠ تقريباً)، ومعه ابنه عامر فرحان عامر، المعتقل في العام ٢٠٠٣، وزوج شقيقتها إيمان، عبد الغني سعد محمد الشهري، المعتقل منذ العام ٢٠٠٣، وسامي حمود غرمان الشهري (ابن ابنة خالتهم عائشة عامر فرحان الشهري)، وعمر ومحمد محسن مريف الشهري، (ابنا ابنة خالتهم الأخرى نورة عامر فرحان الشهري)، وزوج ابنة خالتهم موسى علي سعيد العمري (زوج أشواق فرحان عامر الشهري).

إذاً، نحن أمام شبكة من العلاقات الاجتماعية القرابية من الدرجة الأولى والثانية، وأمام محيط اجتماعي كامل تشكّل حول وفاء الشهري، منذ البداية. يمكن أن نفهم من خلال هذا المحيط الاجتماعي تحوّلها إلى السلفية الجهادية، في سنّ مبكّرة، بالرغم من مستواها التعليمي المتدني، فلم يكن زواجها من عبدالرحمن الغامدي، عضو القاعدة، ثم سعيد الشهري، بدايةَ التجنيد، إذ كان هنالك تأثير واضح وملموس لعائلتها وأشقائها قبل ذلك، وإن كان ارتباطها بأعضاء قاعديين قد جذّر وعمّق علاقتها بهذا الاتجاه.

مما يعزز هذا التفسير أنّ أبناء أشقائها، ريان (المعتقل)، وعبدالمجيد وعبدالإله (قتلا في اليمن)، وهم من الجيل الجديد في العائلة قد ساروا على الدرب نفسها. بالرغم من ذلك وإذا كنّا نعرف من خلال مصادر متنوعة (قريبة من الرواية الرسمية والجهادية على السواء) أنّ كلاً من سعد ويوسف (أشقاؤها)، وعبدالإله وعبدالمجيد

(أبناء أشقائها) هم منخرطون فعلاً في أنشطة القاعدة، فإنّ رواية العائلة تقول بأنّ الأمن برّأ أفراد العائلة الآخرين في السجون، إلا أنّ السلطات ترفض الإفراج عنهم، وتعاملهم بصورة سيئة، مما دفع العائلة إلى المشاركة في عملية تصدير قضيتهم إلى الإعلام، ومحاولة التعريف بها من خلال النشاط مع حملات نساء المعتقلين وأهاليهم التي بدأت في العام ٢٠٠٧، ووصلت مع الربيع العربي إلى مرحلة متقدمة، حتى أنّهم علّقوا على منزل العائلة في الرياض يافطة كبيرة تطالب بإخراج أفراد العائلة من الاعتقال، قبل أن تتدخل السلطات السعودية بالقوة لإزالة تلك اليافطة.

٥) "تحطيم الجدار": ندى القحطاني، أروى البغدادي، حنان السمكري، نجلاء الرومي وبنت نجد.

بعد أن كسرت وفاء اليحيى ووفاء الشهري "تابو"الهجرة، بدأت مكونات "الجدار النفسي"، الإيديولوجية والاجتماعية والفقهية، تذوي وتنهار. فقد تشجّعت سعوديات أخريات على سلوك المسار نفسه؛ أي الهجرة إلى الخارج، والنفير إلى أراضٍ تسيطر عليها الجماعات المرتبطة بالقاعدة، سواء في اليمن أو سوريا. كما شكّل إعلان تنظيم الدولة الإسلامية عن تأسيس دولته عامل جذب كبير، لأنّه وفّر مسوّغات ومحفّزات أخرى عديدة للجهاديات للسفر إلى هناك، بوصفها أرض الإسلام التي تطبق القانون الإسلامي، بعدما انتقل تعريف النظام السعودي من قبل القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية لاحقاً، من خانة الإسلام (كما كانت عليه الحال في مراحل مبكّرة من الثمانينيات وبداية التسعينيات) إلى تعريفه بالكفر لعدم التزامه الصحيح بالأحكام الإسلامية، ولنقضه مبدأ الولاء والبراء، أي مواجهته القاعدة والإسلاميين الراديكاليين وعلاقته الودية بالأميركيين.

لا توجد معلومات وافية عن ندى معيض القحطاني، التي أطلقت على نفسها لقب "أخت جليبيب" (نسبة إلى أخيها جليبيب، عبدالهادي القحطاني، الذي هاجر قبلها إلى سوريا والتحق بتنظيم الدولة الإسلامية هناك)، ولحقته هي في أواخر العام

٢٠١٣[٣٩٨]، وأعلنت عن وصولها إلى أراضي الدولة الإسلامية. ثم لحقها زوجها الملقب بأبي محمد الأزدي (لا توجد معلومات متوافرة عن اسمه الحقيقي)، ويعتبر من الفقهاء، الذين كتبوا وألفوا دعماً لتنظيم الدولة، وله كتاب معروف بعنوان "أحوال المعارضين لدولة المسلمين"[٣٩٩]، (وكان مسجوناً في السعودية سابقاً). كما لحق بهم والدها أيضاً، وكان مسجوناً هو الآخر، على خلفية قضايا أمنية لها علاقة بالقاعدة. لذلك كانت ندى تضيف إلى وصف نفسها بأخت جليبيب بأنّها "ابنة رجلٍ عظيم وزوجة شيخ فاضل من خريجات جامعة يوسف عليه السلام، وشقيقة مُجاهدٍ دولاوي (نسبة إلى تنظيم الدولة الإسلامية)". لا تتوافر معلومات تفصيلية عن والدها، إلاّ أنّ بعض ما هو متاح يشير إلى أنّ اسمه معيض القحطاني، وأنّه كان أحد قادة تنظيم القاعدة في السعودية قبل أن يتم إلقاء القبض عليه[٤٠٠].

أثار "نفير/ هجرة" ندى القحطاني جدلاً واسعاً في الأوساط السعودية، وحتى الجهادية، فهي من أوائل النساء اللواتي يعلنّ هجرتهن إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وقد سافرت من دون وجود محرم، وتركت ابنين اثنين لها في السعودية، وقد قالت (في تغريدة لها على تويتر) " اجتمع شملي بشقيقي ثم زوجي ثم والدي، وأما أنتم يا قطعة من قلبي فسيكون موعدنا جنة عرضها السماوات والأرض"[٤٠١].

---

(٣٩٨) انظر: ندى القحطاني مجاهدة سعودية تنضم إلى داعش بلا محرم، صحيفة حدث الإلكترونية، http://www.hadth.org/39240.html

(٣٩٩) ورد اسمه ضمن قائمة من الأسماء الفقهية المؤيدة لتنظيم الدولة، على موقع مقرب من التنظيم، على الرابط التالي:
http://www.muslm.org/vb/archive/index.php/t-544950-p-2.html

(٤٠٠) انظر: تقرير "قوائم المطلوبين.. سلاح سعودي لضرب الإرهاب"، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، ١٠ يونيو ٢٠١٥.

(٤٠١) الداخلية للعربية نت: القحطاني شقيق أخت جليبيب، العربية نت، ٤ يونيو ٢٠١٥، يمكن العودة إلى الخبر عبر الرابط التالي:
ptth://ara.tv/au٧٥٦ ، وكذلك: ريما شري، أول انتحارية سعودية تنضم إلى داعش في

كل ما يتوفر عنها معلومات هو أنّ أباها وشقيقها جليبيب وزوجها من المنضوين تحت لواء القاعدة، وقد اعتقل والدها وزوجها على هذا الأساس، ثم انتقلوا إلى تنظيم الدولة الإسلامية، من دون أن تكون لدينا معلومات حول طريقة عبورهم فكرياً ومكانيّاً من القاعدة إلى تنظيم الدولة، وهي طريق ليست سهلة في بعض المناطق، وغالباً ما تتضمّن انشقاقات ومخاضات نفسية وفكرية.إلا أنّ مقارنة موضوع ندى بباقي السعوديات الجهاديات يدفعنا للوصول إلى استنتاج (كما سنفصّل لاحقاً) بأنّ المسافة الفاصلة بين القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية ليست كبيرة لدى السعوديات، فمن السهولة بمكان انتقالهن إلى تنظيم الدولة من "أحضان القاعدة".

لا نعرف أيّة تفاصيل وافية عن المستوى التعليمي أو الاجتماعي لندى القحطاني أو مدينتها، إلا أنّ بعض التقارير الإعلامية تصفها بأنّها طالبة جامعية (أو فتاة) ما يعني أنّها تقريباً في بداية العشرينيات، فيما تصف هي حياتها قبل الرحيل إلى سوريا بأنّها كانت "حياة راقية"[٤٠٢].

فيما تتحدث تقارير أخرى بأنّها كانت موقوفة أمنياً، وأنّ شقيقها جليبيب (الذي يبلغ حالياً من العمر قرابة ٢١ عاماً) كان هو الآخر موضوعاً على قائمة المطلوبين الأمنيين، قبل هجرتهما من السعودية[٤٠٣].

لا توجد معلومات موثوقة عن وضع ندى القحطاني، التي تمنّت أن تنفّذ عملية

سوريا وتثير الجدل، صحيفة القدس العربي، ٤ ديسمبر ٢٠١٣، على الرابط التالي: http://www.alquds.co.uk/?p=110069

(٤٠٢) انظر: "أخت جليبيب فتاة جامعية سعودية تنجح بالانضمام مع أخيها للقتال في سوريا"، موقع إخبارية رفحاء، ٧ ديسمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي: http://www.rafha-news.com/news-action-show-id-17731.mth

(٤٠٣) انظر: هدى الصالح، "أخت جليبيب تهدد قناة العربية عبر تغريداتها"، موقع العربية نت، ٥ يونيو ٢٠١٥، الرابط التالي:

goo.gl/Fh3CbV

"استشهادية"، فور وصولها الرقة، وإن كانت مصادر إعلامية وسياسية تعتبرها من أشهر نساء تنظيم الدولة، وتتحدث بعض التقارير غير الموثوقة عن دورها في قيادة كتيبة الخنساء الميدانية، وعن مكانة خاصة لها في تنظيم الدولة، وتختلط الحقائق في هذه القصص بالدعايات والتهويل من دورها، أوشيطنتها[٤٠٤].

لاحقاً، اتهمت السلطات السعودية شقيقها عبدالهادي بأنّ له دوراً في التدبير لعدد من العمليات التي شهدتها السعودية في العام ٢٠١٥، وأبرزها تفجيرا بلدة القديح ومسجد العنود في الدمام اللذان راح ضحيتها عدد من المواطنين، ووضعته السعودية ضمن ١٥ آخرين على قائمة المطلوبين.

وعلى أثر ذلك هددت ندى (في تغريدة لها عبر حسابها في تويتر) قناة "العربية"، وتوعدت "أختُ جليبيب" في تغريدات متتابعة لها القناة "ابشروا بما يسوء وجوهكم.. فإن غداً لناظره قريب"، و"أتمنى أن لا تنبحوا الآن وتدلسون وتقولون أخت جليبيب تتوعد عوام المسلمين بالتفجير".

واختتمت تهديداتها بالتهديد بتنفيذ عملية انتحارية برفقة شقيقها ضد المواطنين السعوديين الشيعة إلى جانب قناة "العربية" بقولها "أسأل الله أن يرزقني أنا وشقيقي جليبيب بعملية استشهادية نثخن برافضتكم ثم طواغيتكم ثم أنتم يا من دلستم على المسلمين بإعلامكم".[٤٠٥]

من خلال ما سبق، فإنّ أبرز سمات هذا النموذج هو قوة الشخصية، التي تتضح من خلال جرأتها على إعلان نفيرها، وخطابها الإيديولوجي الواضح المعادي للشيعة وخصوم الدولة الإسلاميّة، الأمر الذي يؤكّد على أنّها من عائلة تنتمي إلى "الشجرة الفكرية نفسها"، وبالتالي تظهر تأثيرات القرابة في التجنيد والتنشئة بوضوح،

---

(٤٠٤) انظر: المرأة القوية في داعش للداعشيات: حرضن أزواجكن، تقرير العربية نت، ٢٨ فبراير ٢٠١٦.

(٤٠٥) هدى الصالح، أخت جليبيب تهدد قناة العربية في آخر تغريداتها، العربية نت، ٨ يونيو ٢٠١٥، على الرابط:
goo.gl/CEAq2Q

وعلى الأغلب فإنّ هذه البيئة الاجتماعيّة قد لعبت دوراً رئيساً في انضمامها إلى داعش وتبنّيها هذا الخط.

النموذج الثاني هي أروى عصام طاهر البغدادي، وهي جامعية، هاجرت إلى اليمن في بداية العام ٢٠١٣، وأعلنت عن وصولها إلى هناك (بعد قرابة ٤ أشهر، أي في أبريل/نيسان ٢٠١٣) برفقة شقيقها أنس، وابنيها أسامة (عامان وأربعة أشهر تقريباً)، وخديجة (قرابة ٩ أشهر) وابنة شقيقها القتيل محمد البغدادي، وهدى (عمرها عامان وقرابة ٦أشهر).

لا نعرف تحديداً عمر أروى ولا تخصصها الجامعي، لكن المعلومات الأخرى عن عائلتها متوفرة؛ فوالدها ياسين طاهر البغدادي، هو مهندس في الخطوط الجوية السعودية، ووالده (أي جدّها طاهر عصام البغدادي؛ الذي توفي شهر يونيو/حزيران ٢٠١٥) هو من عائلة أرستقراطية معروفة في مكة، وهو شيخ طائفة دلّالي العقار في مكة، وعمدة في أحد أحيائها المعروفة (حيّ أجياد)، وأشقاءُ والدها (هشام وأحمد) من رجال الأعمال أيضاً.

أمّا والدتها فهي هدى محمد الأهدل، وتعمل مشرفة تربوية، وتعتبر عائلة الأهدل نفسها من الأشراف. ولأروى أربعة أشقاء، أبرزهم محمد طاهر البغدادي، الذي قتلته السلطات السعودية في ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠١٠، عندما كان مطلوباً وهارباً منهم، وزعمت الرواية الرسمية بأنّه كان متخفياً في زي امرأة.

وشخصية شقيقها محمد (وهو الشقيق الأكبر للعائلة) قد تمثّل مفتاحاً مهماً في فهم نموذج أروى، فهو من مواليد مدينة ينبع في السعودية (ولد منتصف الثمانينيات من القرن الماضي)، ودرس في جدة، حيث كانت تعيش عائلته نظراً لطبيعة عمل والدته ووالدته، وبدأ الدراسة في جامعة أم القرى، ولكن اعتقل في العام الثاني من دراسته (قرابة العام ٢٠٠٤)، بعد مداهمة منزل عائلته. ووفقاً لرواية زوجته وعائلته فإنّ السبب كان مجرد شبهة لوجود رقم هاتف أحد المطلوبين في هاتفه، لكن عمه هشام البغدادي يعترف في لقاء صحافي لاحق بأنّ محمداً كان متشدداً منذ الصغر، وأنّ العائلة كانت تلاحظ ذلك، حتى ان عمه اضطر في إحدى المرات إلى طرده من منزله، نظراً لانتقاده وجود صور جمعت عمه مع نائب الرئيس الأميركي حينها.

سُجن محمد لمدة أربعة أعوام، وكان عمره قرابة ٢٠ عاماً، وخرج من السجن وعمره ٢٤ عاماً، ثم مكث سنة في استراحة مخصصة لتأهيل المعتقلين الإرهابيين السابقين من قبل وزارة الداخلية، وتزوّج خلال تلك السنة من أفنان (وهي فتاة مصرية). قامت السلطات بترحيل عائلتها خلال فترة الخطبة، لوجود قضية أمنية (متعلقة بقضايا الإرهاب على شقيقتها)، لكنّها أي السلطات الأمنية السعودية- أعادت العائلة، وتم زواج محمد من أفنان، وأمضوا فقط ٦ أشهر معاً، قبل أن تطلب المباحث محمداً، ويهرب منهم خشية الاعتقال، ويوضع على قائمة المطلوبين.ثمّ تمّ اعتقال والده للضغط عليه لتسليم نفسه، قبل أن يتم قتله في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠، بعد يومٍ واحد على ولادة ابنته هدى البغدادي.

مثّل مقتل محمد"نقطة تحول" كبيرة في مسار العائلة بأسرها. لكن قبل ذلك، كانت أروى نفسها قد مرّت بـ"طقوس العبور" إلى السلفية الجهادية، فقد اعتقلت في المرّة الأولى في شهر رمضان، أي بعد أيام من اعتقال شقيقها محمد (قرابة العام ٢٠٠٤)، وكانت في منزل جدها لوالدتها السيد محمد الأهدل، وفقاً لرواية المتعاطفين مع العائلة. وكانت حينها صغيرة في العمر (غير معروف عمرها)، ومكثت في الاعتقال أقل من شهر، ثم تمّ الإفراج عنها. وكان سبب الاعتقال هو تأثرها بالأفكار الجهادية (أو الفئة الضالة كما تطلق عليها السلطات السعودية)[٤٠٦].

وفقاً لهذه الرواية، فإنّ أروى البغدادي قد بدأت منذ مرحلة مبكّرة بالتأثر بهذا الفكر (وقد يكون ثمة دور لشقيقها محمد، إذ ما تزال تضع صورته على حسابها الشخصي على موقع التويتر، بوصفها شقيقة الشهيد). وغداة خروج شقيقها محمد، أقنعها بالاقتران بمعتقل سعودي كان معه خلال فترة السجن، وهو ياسين عبيد العمري؛ وهو أحد المقاتلين السعوديين،ذهب صغيراً إلى أفغانستان، وقاتل إلى جوار "المجاهدين" هناك، ضد القوات السوفيتية، ثم انتقل إلى البوسنة والهرسك، وبعد أن عاد إلى السعودية تم اقتياده من المطار إلى السجن في قرابة العام ٢٠٠١. وبقي إلى الآن في السجن بالرغم من مضي ١٦ عاماً، وتقول مصادر العائلة أنّه أمضى العقوبة

(٤٠٦) انظر حول اعتقالها للمرة الأولى وتفاصيل اعتقال العائلة، الرابط التالي لفيلم قصير متعاطف معهم- https://www.youtube.com/watch?v=LbKUW0

المقررة (١٠ أعوام)، لكن السلطات ترفض الإفراج عنه[٤٠٧]. وكانت أروى قد تكفلت بثلاثة أيتام، يعيشون معهم في المنزل، مصطفى، ياسين ووليد.

لماذا اعتبرنا مقتل محمد في محافظة الدواسر (على بعد ٣٠٠ كيلو متر جنوب الرياض) نقطة تحول في مسار العائلة بأسرها، وأروى البغدادي تحديداً؟

لأنّ العائلة كلها اعتقلت خلال مرحلة هروبه، وبعد مقتله. فوالده اعتُقل بعد هروبه مباشرة، وبقي في السجن إلى ما بعد مقتله بستة أشهر، فيما اعتُقلت زوجة القتيل بعد أن أنجبت مباشرة، مع والدها ووالدتها، واقتيدت إلى السجن، ومكثت فيه شهوراً عديدة. وكذلك الأمر مع عائلة عصام البغدادي التي تمّ اعتقال جميع أفرادها؛ حتى الخادمات المغربيات اللواتي يعملن لدى العائلة، اعتقلوا، وفقاً لهذه الرواية، وتم تسفيرهن بعد تدخل السفارة المغربية بشهور[٤٠٨].

أمّا أروى فتم اعتقالها يوم مقتل شقيقها، وهي حامل في الشهر الثامن، من زوجها المعتقل ياسين العمري، وأنجبت ابنها أسامة في السجن، وحملت بخديجة وهي في السجن. وبعد مدّة تمّ أخذ رضيعها منها وتسليمه لوالدتها. وبقي شقيقها أنس معتقلاً، خلال تلك الفترة، بتهمة محاولة الالتحاق بتنظيم القاعدة في العراق، وبقي جثمان شقيقها في ثلاجة في وزارة الداخلية، ترفض السلطات تسليمه لأهله، حتى منتصف العام ٢٠١٣! كما تمّ إعادة الأيتام الذين تكفّلت بهم إلى ملجأ الأيتام واتُّهمت بمحاولة تجنيدهم، بالرغم من أنّهم صغار في العمر.

الرواية التراجيدية لأروى تزعم بأنّها تعرّضت لإيذاء نفسي خلال فترة السجن، منذ ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠١٠ إلى يونيو/حزيران ٢٠١٢؛ أي إنّها سُجنت قرابة العامين والنصف. واتُّهمت من قبل السجّانات بأنّها تطاولت عليهن بشتائم، أي إنّ فترة السجن كانت قاسية جداً على هذه الفتاة، فرضيعها أُخذ منها، وشقيقها

(٤٠٧) المرجع السابق.

(٤٠٨) انظر رواية والدتها على موقع كشكول الخليج، ٨ أبريل ٢٠١٣، الرابط التالي:
goo.gl/IG1lRG

مقتول، والآخر مسجون، وكانت حاملاً بابنتها خديجة[٤٠٩].

نجحت الحملة الكبيرة على مواقع التواصل الاجتماعي، والاعتصامات التي انطلقت تحت شعار "فكوا العاني"؛ أي أطلقوا المعتقلين، في الضغط على السلطات السعودية للإفراج عن أروى البغدادي بكفالة والدها وشقيقها جميل (الذي كان يدرس التربية في الأردن، وتخرج من جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الأميرة رحمة، في مدينة السلط)[٤١٠]، لكن شريطة أن تخضع للمحاكمة في المحكمة الجزائية المتخصصة بقضايا الإرهاب، واتّهمت بالانتماء إلى الفئة الضالة وبتجنيد الصغار للالتحاق بتلك الجماعات، وبتكفير الحكام، وبالتستر على معرفتها بسفر أبناء صديقتها حنان سمكري إلى الخارج للقتال مع القاعدة[٤١١].

استمرّت هذه المرحلة ستة أشهر، نشطت خلالها أروى على مواقع التواصل الاجتماعي (التويتر)، وكان بادياً بوضوح تأثرها الشديد بالمعاناة التي لحقت بها، وبمدى الغضب على الدولة، وبوجود مشكلة مستمرة في جلسات المحاكمة التي كان يفترض أن تحضرها.

تناولت أروى في تغريداتها المكثفة خلال شهر أغسطس/ آب، على موقع تويتر، تجربتها المريرة في السجن، وكيفية اعتقالها، ومعاناتها في سجن الذهبان في جدة، ونقلها بالطائرة وهي حامل إلى سجن الحائل في الرياض للمحاكمة مع حنان السمكري، وكيف أنّها تعرّضت للضرب خلال فترة الاعتقال، وامتنعت عن الطعام، ثم كيف تم تفريقها عن ابنها الرضيع، بإعطائه لوالدتها التي تم الإفراج عنها. وعدم التزام المسؤولين بتعهدهم بالسماح لها برؤيته مرتين أسبوعياً.

(٤٠٩) انظر: أروى بغدادي من هي وما قصتها؟ على الرابط التالي:
goo.gl/iE3lL6

(٤١٠) انظر حول شقيقها جميل، الرابط التالي:
/http://www.bau.edu.jo/UserPortal

(٤١١) تتحدث أروى البغدادي على صفحتها على التويتر عن هذه التهم
https://twitter.com/arwa_baghdadi?lang=ar

شرحت أروى، في عشرات التغريدات، تفاصيل مرحلة السجن، التي تركت، كما هو واضح، ندوباً نفسية كبيرة عليها، وخلقت عداءً في داخلها للسلطة، أو عززته على الأقل مقارنة بالمرحلة السابقة. ثم نجد بتحليل حسابها على التويتر أنّها انقطعت ثلاثة أشهر حتى شهر يناير/كانون الثاني ٢٠١٣ عن التغريد، وعندما عادت أوحت بتغريداتها بأنّ الانقطاع كان تحت الضغوط عليها وعلى عائلتها بعدم التغريد والحديث عن تجربتهم، من قبل السلطات السعودية[٤١٢].

ثم انقطعت عن التغريد، مرّة أخرى، منذ شهر يناير/كانون الثاني إلى ١ أبريل/نيسان ٢٠١٣، عندما أعلنت بأنّها وصلت إلى أرض اليمن، بتغريدة رسالة إلى وزير الداخلية حينذاك، محمد بن نايف تستبطن أي الرسالة- حجم الغضب والشعور بالعداء تجاه الدولة، إذ تقول فيها "رسالة إلى الطاغية الهالك ابن الهالك محمد بن نايف أبشرك أني نفرت إلى أرض اليمن وقبائلها المجاهده الحرة رغم أنفك وأنف أسيادك"![٤١٣]

وفي اليوم نفسه، غرّدت أروى بمجموعة من التغريدات التي تتحدث فيها عن الشعور بالحرية والكرامة عندما خرجت إلى أرض اليمن، وإلى وجود ما أسمتهم بـ"الأنصار" والقبائل التي لا تسلّم الناس، ثم فسّرت نفيرها بأنّها لا تريد "الجهاد خلف شاشات الكمبيوتر"، وتحدثت عن دور المرأة مخاطبة الرجال بالقول " وأبلغ شباب أمتي الذين تركوا ساحات الجهاد وأفرغوها أنكم تركتموها لنا نكمل فراغكم" .

ثم تكشف عن رغبتها المكبوتة بالثأر، بقولها " سنثأر لدمك يا أخي محمد وسنخرج جثتك من بين أيديهم وتخرج عزيزاً حياً وشهيداً بإذن الله. ونشرت تغريدة "رسالة إلى المعتقلات السعوديات" تقول فيها: "إلى أخواتي في سجون الجزيرة سنثأر لكم وسنحرركم بأناس الموت أحب إليهم من الحياة فاستبشروا بالخير".

وتوجّه رسائل إلى والدها ووالدتها، ثم إلى زوجها بالقول " إلى زوجي العزيز دفنت شوقي ويممت نحو الجهاد؛ قدوتي نسيبة حينما ذادت عن النبي حتى أدميت

(٤١٢) المرجع السابق.

(٤١٣) المرجع السابق.

عندما هرب الرجال". و" زوجي العزيز أضحت جراح المسلمين تدميني فأصبحت بين خيارين إما فراقك والنفير،أوالخذلان والنعيق مع القاعدين"[٤١٤].

وتحدثت مع والدتها هاتفياً في أبريل/ نيسان ٢٠١٣، كما نقلت ذلك والدتها، وأكدّت لها أنّها مع شقيقها أنس وأبنائه وزوجته في اليمن، ومع ابنة شقيقها القتيل محمد، ولكن والدتها بقيت مصرّة على أنّها معتقلة لدى الأمن السعودي وأن الأمن قد طلب منها إجراء ذلك الاتصال.

انقطعت بعد ذلك عن التغريد من ١ أبريل/نيسان ٢٠١٣ إلى ١٦ يناير/كانون الثاني ٢٠١٤، أي قرابة ٨ أشهر لتغرد، بعد ذلك، ثلاث تغريدات فقط، وكانت آخر تغريدة لها تقول فيها " وأسأل الله أن ينصر إخواننا في الشام ويجمع كلمتهم ويقاتلوا اليهود؛ عجمهم وعربهم آل سعود".

منذ تلك الفترة (قرابة ثلاثة أعوام حتى صدور هذا الكتاب)، لا توجد أي أخبار موثوقة عن أروى البغدادي وشقيقها أنس، ولا نعرف على وجه التأكيد فيما إذا كانت قد هاجرت إلى سوريا، كما ستفعل صديقتها ريما الجريش، أم أنّها بقيت عند وفاء الشهري، أم أنّ الأخيرة قد هاجرت، هي الأخرى، إلى سوريا بعد مقتل زوجها سعيد الشهري!

دعونا نحاول تحديد أبرز معالم نموذج أروى البغدادي؛ فهي ابنة عائلة ثرية، أرستقراطية، جدها وأعمامها من جهة الأب أغنياء ومن تجار مكة الكبار، ويدينون بالولاء للعائلة المالكة، كما كشفت تصريحات أعمامها[٤١٥]. وأخوالها من الأشراف، ومن العائلات المعروفة، كما أنّنا نفهم من تفاصيل القضية أنّ العائلة نفسها ذات وضع اقتصادي جيد، فلديهم خادمات، وعندهم أيتام يتولون رعايتهم وتربيتهم، وأروى نفسها تحمل الجنسية الأميركية، فهي من مواليد مدينة ورسستر Worcester،

---

٤١٤ المرجع السابق.

٤١٥ انظر: تقرير "المطلوب البغدادي التحق بقسم الشريعة بجامعة أم القرى والعائلة تبرأت منه"، جريدة المدينة، ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠، على الرابط التالي:
http://www.al-madina.com/node/280743)

في ولاية ماساتشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية[٤١٦].

والداها على درجة من العلم والثقافة، وهم متعلمون، وهي جامعية، لكن قضية شقيقها محمد كانت الأكثر تأثيراً على مسارها ومصير العائلة بأسرها، فقد شعرت العائلة بالظلم نتيجة التعامل القاسي من قبل السلطات مع أفراد العائلة جميعاً، ومن الواضح أنّ الثلاثة الأكثر ارتباطاً بهذا التيار هم محمد وأروى وأنس، فيما سنجد لاحقاً تأثّر زوجة محمد، أفنان، التي تلقب نفسها بأم هدى البغدادية، والتي غيّرت صورة حسابها على موقع الفيس بوك، ووضعت علم القاعدة، بعد مقتل زوجها، وهي مختفية عن الأنظار، منذ بداية ٢٠١٤، ولا يعرف فيما إذا كانت قد سافرت مع أروى وشقيقها أم لا؟!

لا نعرف إذا كانت هنالك مؤثرات أخرى، غير شقيقها محمد، على أروى، لكن كما ذكرنا سابقاً- فإنّ مقتل أخيها كانت "نقطة تحول" خطيرة. ولتوضيح ذلك، لو فرضنا أن السلطات عاملتهم بصورة مختلفة، في السجن والاعتقال، وأنّ المحاكمات كانت علنيّة، واختلفت المعاملة في السجن، ولو كانت هنالك تقاليد قانونية واضحة والتزام بمعايير حقوق الإنسان، فهل كان من الممكن أن يتغير المسار، وألا تذهب أروى وشقيقها أنس باتجاه الهجرة والالتحاق بالقاعدة؟ نعتقد بأن الإجابة بنعم محتملة جداً، في ضوء ما قرأناه من "تصريحات" لها ولعائلتها مسكونة بالمرارة من تلك التجربة ومعاناتهم خلالها وبعدها!

المثال الثالث هي حنان عبد الرحمن محمد جميل سمكري (أم تركي)، اعتُقلت في يوم الجمعة ٢٤ ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠١٠، من منزلها في حيّ زاهر في مكة، مع أبنائها الثلاثة؛ نمور (عمرها حينها ١٣ عاماً، وجنى ٨ أعوام، وعبدالرحمن ٥ أعوام)،

(٤١٦) https://www.youtube.com/watch?v=LbKUW0-KyiQ
وكذلك تقرير "أهم خمس برقيات مسربة من ويكيليكس عن السياسة الخارجية السعودية، إذ يتحدث التقرير عن طلب من وزارة الخارجية الأميركية لزيارة أروى البغدادي في السجون بوصفها معتقلة أميركية، يمكن العودة إلى المادة على الرابط التالي:
goo.gl/MY86pL

وزوجها محمد فاروقي الجزائري (معتقل منذ العام ٢٠٠٤).

مكثت في سجن ذهبان قرابة عام ونصف، مع أبنائها الصغار، ووُجِّهت لها تهم متعددة، منها إرسال أبنائها تركي ونوّاف إلى أماكن الصراع، وتجهيز ابنها اليزن (الذي اعتقل في نقطة تفتيش الدواسر ٢٠١٠) لعملية انتحارية، دعم المجاهدين الأفغان، ورعاية أسر القتلى من القاعدة في السعودية، واعتناق فكر الجهاديين، ومنع أولادها من التعليم في المدارس الحكومية[٤١٧].

ومن التهم الموجّهة إليها تزويج عدد من الفتيات المغرر بهن بمساجين في قضايا إرهابية ومن ضمن الفتيات إحدى بناتها، وهي حنين، من السجين حاتم محمد اللهيبي؛ المعتقل في سجن ذهبان من بداية العام ٢٠١١.

كما اتهمت بنيتها للهجرة إلى أرض القتال في أفغانستان مع أبنائها ورغبتها في تزويج ابنتها نمور من قائد عسكري عربي هناك، وفتح محلات تجارية مشبوهة وتخصيص ربحها لتمويل العمليات الإرهابية، وفتح ودخول مواقع مشبوهة على شبكة الأنترنت والمحادثة فيها، وتحريض نساء المساجين على الاعتصامات أمام مقرات الداخلية؛ كلّ في منطقته[٤١٨].

حكم عليها في العام ٢٠١٤ من قبل المحكمة الجزائية المتخصصة بالسجن عشرة أعوام، ومنع من السفر عشرة أعوام أخرى، وكان قد حكم على ابنها اليزن بالسجن لـ٢٢ عاماً.

وكان أبناؤها الكبار قد غادروا إلى مناطق النزاع في الخارج، فقام ابنها البكر تركي بعملية انتحارية في سوق للشيعة في بغداد (في العام ٢٠٠٧)، أدت إلى قتل العشرات، فيما قُتل ابنها نوّاف، الملقب بـ"الفاروق" و"أبو مصعب" بمدينة بكتيكا في أفغانستان (في العام ٢٠١٠).

---

(٤١٧) انظر: عبدالله البارقي، حنان سمكري .. العضو الحركي النشيط التي لعبت دورا مفصلياً في دعم القاعدة، صحيفة الشرق اليومية السعودية، ١٨ أبريل ٢٠١٢، على الرابط التالي: http://www.alsharq.net.sa/2012/04/18/227090

(٤١٨) مرجع سابق.

لا توجد معلومات مفصّلة عن حنان، عمرها ومستواها الدراسي. لكن وفقاً للاتهامات الحكومية فإنّها أخرجت أبناءها من المدارس الحكومية، وأرسلت أبناءها الأكبر سنّاً (تركي ونواف) إلى أفغانستان والعراق، فقُتلا هناك، وأنّها منخرطة في "المجتمع الجهادي"، إذ تزوج النساء من الجهاديين، كما فعلت مع ابنتها حنين التي زوجتها من حاتم اللهيبي. لذلك فقد وُصفت في الرواية الإعلامية الرسمية السعودية بأنّها "العضو النشيط" في الحركة النسائية الجهادية السعودية[٤١٩].

وهي، كذلك، رفيقة لأروى البغدادي (التي هاجرت إلى اليمن في العام ٢٠١٤)، فقد مكثتا معاً في زنزانةٍ واحدة، لفترة من الوقت في السجن، بطلب من أروى البغدادي. وكانت إحدى تهم الأخيرة أنّها كانت تعلم بسفر أبناء الأولى إلى الخارج للقتال، وتسترت على الموضوع، ولم تُعلِم الجهات المختصة. كما أنّ ابنحنان اليزن قد أصيب واعتُقل في المواجهة التي وقعت في شهر أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠١٠ عند نقطة تفتيش وادي الدواسر، التي قُتل فيها شقيق أروى محمد البغدادي[٤٢٠].

المثال الرابع هي نجلاء الرومي، التي تلقب بأم الزبير، من سكان حي الخالدية في مكة، اعتقلت في العام ٢٠١١، وعمرها ٢٤ عاماً، زوجها ليس معروفاً باسمه الصريح، ولكن، ما هو معلوم، هو أنّه من الذين قاتلوا في أفغانستان، وكانت هي برفقته هناك، ولقبه "أبو حيدرة"، وأنّه معتقل في السعودية. وتذكر المعتقلات بأنّ الرومي قد عُزلت في سجن انفرادي خلال الأشهر الستة الأولى من السجن، وانهارت عصبياً من الضغوط، فيما تؤكّد رواية المتعاطفين معها بأنّ اعتقالها جاء على خلفية علاقتها بكل من أروى البغدادي وحنان سمكري[٤٢١].

---

(٤١٩) المرجع السابق.

(٤٢٠) انظر: السلطات السعودية تحاكم قاصراً بتهمة الإرهاب، نون بوست، ١ نوفمبر ٢٠١٣، على الرابط التالي:
http://www.noonpost.net/content/839

(٤٢١) انظر: سيرة السجينة نجلاء الرومي، أم الزبير، على الرابط التالي:
http://archive.omaniaa.co/showthread.php?t=468674 ،
وانظر كذلك: قمع السعودية يصل إلى مستوى غير مسبوق باعتقال النساء، موقع نون بوست، ١٣ أكتوبر ٢٠١٤، على الرابط التالي: https://www.noonpost.net/con

أمّا الرواية الرسمية فتتهمها بتبني الفكر الجهادي، مثل زوجها المعتقل، وتدرّبها على السلاح، والتستر على لقاءات زوجها بأشخاص في منزلهم في حيّ الخالدية في مكة، وامتلاكهم للأسلحة. وقد تم الإفراج عنها في العام ٢٠١٢، ثم جرت محاكمتها أمام المحكمة المتخصصة في العام ٢٠١٤ وحكم عليها بـ٩ أعوام سجن[٤٢٢].

في نهاية نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٠، أعلنت السلطات السعودية عن تفكيك ١٩ "خلية إرهابية" ضمت قرابة ١٣ سيدة، تم القبض عليهن، من أصل ١٤٩ معتقلاً. وإذا كان وجود هذا العدد من النساء المعتقلات أمراً لافتاً، فإنّ السلطات السعودية اهتمت بامرأة واحدة منهن، على وجه مخصوص، واعتبرت دورها مزعجاً ومؤثراً، بخاصة على الشبكة العنكبوتية. وكانت تستخدم ثلاثة أسماء إلكترونية (بنت نجد الحبيبة، الأسد المهاجر، والنجم الساطع). واعتُبر القبض عليها إنجازاً أمنياً، بالرغم من أنّ السلطات لم تكشف عن اسمها. وتشير التسريبات الإعلامية إلى أنّه جرى تسليمها لأهلها، من دون تفاصيل واضحة[٤٢٣].

المهم في الأمر أنّ "بنت نجد"، كما أصبح يطلق عليها إعلامياً، هي وفقاً للرواية الرسمية الوحيدة المتوافرة- امرأة في منتصف العقد الثالث من عمرها (حين القبض عليها)، تمتلك مهارة فائقة ومتقدمة في عالم الإنترنت، وقد تحصّلت على مستوى تعليمي متقدم، وقد حاولت السلطات محاورتها سابقاً، عندما كانت مجهولة (قبل القبض عليها) من خلال الأسماء الوهمية التي تستخدمها، لكنّها رفضت ذلك[٤٢٤].

---

(٤٢٢) انظر: مريم الصغير وسعاد الشمراني، نجلاء الرومي صلتها وثيقة بأروى البغدادي، جريدة عكاظ، ١٨ أبريل ٢٠١٢، يمكن الوصول إلى المادة عبر الرابط التالي:
http://www.okaz.com.sa/article/471125/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A3%D9%8A

(٤٢٣) انظر: هدى الصالح، مسؤول سعودي يكشف عن تورط ١٣ سيدة خلال تفكيك خلايا إرهابية، الشرق الأوسط اللندنية، ٢٩ نوفمبر ٢٠١٠.

(٤٢٤) انظر: المرجع السابق، وكذلك: السعودية تعتقل ١٤٩ عنصرًا من القاعدة وتحبط ١٠ مخططات إرهابية، جريدة الأيام، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٠، على الرابط التالي:
http://www.alayam.com/alayam/first/432809/News.html

أما النساء الثلاثة عشر، اللواتي ألقي القبض عليهن، فأعمارهن بين الـ٢٨-٣٧ عاماً، كما ذكرت المصادر الرسمية السعودية.

٦) "نساء بريدة": ريما الجريش، مي الطلق وأمينة الراشد

مثّلت ظاهرة الاعتصامات والمظاهرات التي قادتها نساء المعتقلين أحد أهم العوامل في تطوّر "ظاهرة الجهاديات" السعوديات. انطلقت هذه الاعتصامات في العام ٢٠٠٧، ثم شهدت كثافة كبيرة منذ بداية الربيع العربي، وتحديداً في العام ٢٠١٢، وصولاً إلى بداية ٢٠١٣. وقد أدت إلى اعتقال النساء والأطفال المشاركين في الاعتصامات، الذين يطالبون بالإفراج عن أزواجهنّ، مما ضاعف من حجم الأزمة التي تعيشها هذه النساء، وخلق حالة إعلامية وشعبية واسعة متعاطفة مع قضيتهم داخل السعودية.

نمت وانتشرت ظاهرة الاعتصامات لاحقاً، بسبب جهود ميّ الجريش وزميلاتها مي الطلق وأمينة الراشد، وتشكّلت شبكة اجتماعية واسعة من زوجات المعتقلين وذويهم تطالب بالإفراج عن المعتقلين، وتجرّأت مئات النساء السعوديات على التظاهر وتوقيع العرائض وتشكيل تجمعات إلكترونية أيضاً في سبيل تحقيق مطالبهنّ بوجود محاكمات قانونية واضحة، وإطلاق سراح المعتقلين الذين انتهت مدة محكوميتهم، وتحسين ظروف المعتقلين داخل السجون[٤٢٥].

قابلت السلطات السعودية هذه الاعتصامات بمحاولة تخويف وردع القائمين والقائمات عليها من الاستمرار فيها، وأخذ تعهدات من أهلهم، واعتقالهم وتوجيه تهم لهم. لكن الظاهرة لم تتوقّف، وأصبحت بمثابة "تحدٍّ" بين الدولة وأهالي المعتقلين، وعزّز من تأثير هذه الاعتصامات في مجتمع محافظ مغلق ثلاثة عوامل رئيسة:

---

(٤٢٥) انظر تقرير خاص مطوّل عن الاعتصامات التي قامت بها نساء المعتقلين وتفاصيلها، موقع وعي، أرشيف اعتصامات أهالي المعتقلين في السعودية، ٧ مايو ٢٠١٣، على الرابط التالي:
https://w3iteam.wordpress.com/2013/05/07/setinhistor/

العامل الأول: هو عدم وجود مؤسسات إعلامية محايدة مستقلة، فكان الجميع بين روايتين، رواية السلطات التي تمسك بالأدوات الإعلامية الفضائية والمكتوبة، عموماً، ولا يفلت منها إلاّ القليل، حتى عربياً، وبين رواية الجهاديين ومناصري جمعيات حقوق الإنسان الجديدة التي تأسست في السعودية، والذين يعتمدون على التواصل عبر شبكة التواصل الاجتماعي. وكان "التويتر"، الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشاراً وتفاعلاً بين السعوديين، أحد منصّات الحرب الإعلامية المشتعلة، ونجحت نساء المعتقلين، والمعتقلات في استخدامها بكفاءة عالية، وبنشر رسائل عبر اليوتيوب تتحدث عن معاناتهن وقضيتهن.

العامل الثاني: التفاعل الخاص مع قضايا النساء من قبل المجتمع السعودي، فخروج النساء في تظاهرات واعتصامات هو أمر غير معهود في السعودية، لكّنه في الوقت نفسه مثّل تحدّياً للرجال، وأثار تعاطفاً واسع النطاق، وهو ما أدركته النساء الناشطات فاستخدمن لغة عاطفية وشعارات تثويرية، مثل "إلاّ الحرائر"، و"فكّوا العاني"، ما دفع برموز من القيادات الدينية والناشطين السياسيين إلى التعاطف معهن ومع قضيتهن، وشكّل ضغوطاً، في البداية، على الحكومة السعودية.

العامل الثالث: تشكّل شبكة اجتماعية قوية بين نساء المعتقلين وتطوير قدراتهن على الحشد والتعبئة والتجنيد لهذه الاعتصامات، الأمر الذي ظهر جلياً من خلال ارتفاع معدل المشاركين مع مرور الوقت، وكسر حاجز الخوف لديهم، بالرغم من الإجراءات المشددة والعقوبات المختلفة التي كانت تتخذها السلطات السعودية لوقف هذه الظاهرة.

أبرز هذه الاعتصامات كانت في مدينة بريدة، وضمن هذا السياق من الضروري أن نقرأ نماذج كلّ من ريما الجريش ومي الطلق وأمينة الراشد (ورفيقاتهن)، بخاصة في مدينة البريدة؛ فالاشتباك الأول مع الأمن في العام ٢٠٠٧ لم يثنيهن عن المضي قدماً في التصعيد الإعلامي والاحتجاجي، والعودة إلى النشاط والمشاركة في الاعتصامات وتنظيمها.

كانت ريما الجريش (من مواليد ١٩٧٨) يتيمة، منذ الطفولة المبكّرة (فلم تعرف والدها)، تزوجت من ممرض يعمل في أحد المراكز الصحية في مدينة البريدة، اسمه

محمد صالح الهاملي، لمدة ٩ أعوام، منذ كان عمرها ١٦ عاماً في العام ١٩٩٤، بسبب عدم رغبتها في الدراسة، كما تذكر والدتها. وبعد تسعة أعوام في العام ٢٠٠٤، تم اعتقال زوجها بتهمة إيواء هاربين وتسهيل مهماتهم[٤٢٦].

وبالرغم من محاولة إخوانها وأمّها إقناعها بطلب الطلاق، إلاّ أنّها استمرت بزيارة زوجها في السجن، وبقيت متعلّقة به[٤٢٧]. وقررت بعد ثلاثة أعوام كسر حاجز الصمت، والمطالبة بالإفراج عنه. فبدأت اعتصاماً في بريدة أمام مبنى المباحث العامة في القصيم (يونيو/حزيران ٢٠٠٧) أدى إلى اعتقالها مع النساء اللواتي شاركن في الاعتصام، ومع الحقوقيين الذين آزروا اعتصامهن.مكثت في السجن أربعة أيام فقط، ثم خرجت منه، لتعتقل مرّة أخرى في العام ٢٠١١، في صباح يوم العيد، عندما كانت تنوي توزيع منشورات توضح قضايا المعتقلين في السجون السعودية.

برز اسم ريما الجريش منذ العام ٢٠٠٧، وتحدّثت عن قضيتها على فضائية الحرّة، بعد اعتصام سجن الطرفية في شهر سبتمبر/ أيلول ٢٠١٢، وأكّدت بأنّها اتصلت بالأمير محمد بن نايف، وزير الداخلية، بعد اعتقال زوجها في العام ٢٠٠٤، وأخبرها بأنّه لا يوجد شيء عليه، وأنّه سيخرج لاحقاً، وهو الأمر الذي لم يحدث، وبقي ٨ أعوام (حتى العام ٢٠١٢)؛ وما يزال، حتى الآن في السجن[٤٢٨].

تعرّضت الجريش خلال هذه الاعتصامات والاعتقالات إلى ضغوط شديدة، واعتُقلت مع أبنائها، وسُجن ابنها معاذ الهاملي، في بداية العام ٢٠١٣. كان الاعتقال الأكثر قسوة للجريش بعد أحد الاعتصامات في شهر آذار ٢٠١٣، عندما اعتقلت مع أطفالها، وأغمي عليها، بشهادة المعتقلات الأخريات، وتعرّضت كما تزعم

(٤٢٦) انظر: في حوار مع والدتها لصالح صحيفة الرياض السعودية، أجرته معها أسمهان الغامدي، والدة ريما الجريش ل "الرياض": ابنتي حية ترزق.. وأنا بريئة منها ومن فكرها الضال، صحيفة الرياض، ٢٤ فبراير ٢٠١٦، على الرابط التالي: http://www.alriyadh.com/1131545

(٤٢٧) المرجع السابق.

(٤٢٨) انظر الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=--83cFrAZ84

الشهادات– إلى التعذيب والإهانة على يد السجّانات، وخرجت من السجن بعد قرابة شهر[٤٢٩].

وتحدث مراقبون أنّ الضغوط الكبيرة عليها وعلى أسرتها وأسرة زوجها كانت هي الدافع وراء حالة الإحباط التي أصيبت فيها وقرارها بالهجرة، بعد أن سبقها ابنها معاذ إلى سوريا، وانضم إلى تنظيم الدولة الإسلامية، في بداية العام ٢٠١٣.

قرّرت ريما الجريش اللحاق بوفاء الشهري والسفر إلى اليمن، حينما وصلت الضغوط عليها إلى مرحلة كبيرة، وبعدما غادر ابنها الأكبر معاذ (١٥) عاماً حينها إلى سوريا، وانضم إلى تنظيم الدولة الإسلامية.تمّ ذلك في بداية العام ٢٠١٤، اذا اصطحبت ريما معها أبناءها (مارية ١٤ عاماً، عبدالعزيز ١٣ عاماً، سارة ٨ أعوام، وعمار ٦ أعوام)، وبقيت في اليمن ٩ شهور، في ضيافة وفاء الشهري، وبرعاية من زعيم القاعدة هناك، حينها، ناصر الوحيشي. وعندما أُعلنت "الخلافة" من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، قررت المغادرة إلى هناك، ووصلت بالفعل، كما ذكرت هي في تغريداتها والحسابات المقربة من تنظيم الدولة في نهاية العام ٢٠١٤[٤٣٠].

تفسّر هي قرارها بالهجرة، في إحدى تغريداتها بالقول " **حينما حاربني القريب قبل البعيد. وحينما كثرت اعتقالاتي بسبب مطالبتي المشروعة لفكاك العاني من العلماء والصالحين والمطالبة بزوجي في المعتقلات. حينما رأيت الكثير تخاذل عن نصرة الصالحين والعلماء الصادقين في السجون قررت الهجرة وعزمت عليها بإصرار، وبما أنه لم يكن هناك طريق، وكوني ممنوعة من السفر ولا أحمل جواز سفر أساساً، قررت الذهاب إلى مكة لأخذ عمرة أنا وصغاري**".

تتابع الجريش " **عشت أياماً لن أنسى مرارتها وحلاوتها في آن واحد ما**

(٤٢٩) انظر شهادة إحدى المعتقلات عن تعذيب الجريش في الاعتقال https://www.youtube.com/watch?v=dc3YWO7NxG8، وشهادة أخرى على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=ThZk5keYxfA

(٤٣٠) انظر: منيرة الهديب، ريما الجريش تختصر رحلة فرارها من المملكة في ٢٧ تغريدة، صحيفة الحياة اللندنية، ١٩ نوفمبر ٢٠١٤.

حييت. كنت أنتظر ساعة النفير، وكنت بشوق شديد للهجرة في سبيل الله، لم يكن هناك طريق لي واستصعب الأمر عليّ، وجاء الفرج بعد طول انتظار، إلا أن المنسق أخبرني أن رحلة الانتظار ستطول وأن طريقي لليمن ومنه إلى الشام".

"لا أخفيكم مدى حزني إلا أنني أسلمت أمري لله؛ والمهم أن أنجو. وصلنا إلى أرض اليمن واستقبلنا إخواننا المجاهدون". و"التقيت بحبيبة القلب وفاء الشهري وسعدت بلقياها، قضيت معها أجمل أيام حياتي وسعدت كثيراً بالجلوس معها وتعلمت منها دروس العزة، ولم أنسَ كرم الشيخ بصير معنا؛ أسال الله أن يشرح صدره للبيعة لكي تتوحد الصفوف.ومع كوني سعيدة لخدمة المجاهدين هناك في أرض اليمن ألا أني ظللت أترقب الهجرة لأرض الشام وأنتظر الطريق بفارغ الصبر. وفي رمضان وبعد إعلان الخلافة في أرض الشام زاد إصراري على الالتحاق بركب الخلافة مهما كلفني الثمن. ومن ذلك اليوم بدأت في ترتيب أموري، مع أن الطريق كان شبه مستحيل إلا أنني لم أيئس، فبعد رحلة انتظار دامت تسعة أشهر أكرمني الله بالهجرة لأرض الخلافة واللحاق بركب المجاهدين في أرض الشام"[٤٣١].

كتبت لزوجها محمد الهاملي رسالة بعد إعلانها مغادرة السعودية تقول فيها " **زوجي العزيز دفنت شوقي إليك وأبيت أن أعيش حياة الذل ورحلت حيث العزة .. حيث الكرامة.. ويقيناً بالله أننا سوف نلتقي قريباً في ربوع الدولة الإسلامية"**. وعندما وصلت إلى سوريا في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٤، نشرت الجريش صوراً لأبنائها وهم يحملون الأسلحة، ورحّب فيها ابنه معاذ، الذي كان قد سبقهابالهجرة قبل عام، على حسابه (على موقع التويتر).

كالعادة، سنلاحظ مثلما هي الحال مع البقية، أنّه لا توجد معلومات وأخبار مؤكّدة عن دور ريما الجريش وعن مصيرها ومصير أبنائها، بعد أن التحقت بالتنظيم. فأغلب التحليلات تتحدث عن دور إعلامي لها، وعن توليها مسؤولية القيادة الإلكترونية لكتيبة الخنساء النسائيّة، فيما تتحدث أخبار أخرى عن مقتلها في نهاية العام ٢٠١٥ بقصف أميركي، خلال اجتماع للقيادات على مستوى التنظيم، وعن

(٤٣١) المرجع السابق نفسه.

دفنها في سوريا، بينما نفت والدتها تلك الأخبار[٤٣٢].

ثمّة، إذاً، عاملان رئيسان شكّلا نقطة تحوّل في مسار ريما الجريش، التي تزوجت مبكّراً؛ **الأول**: زواجها من شخص يحمل الفكر السلفي الجهادي، حتى لو لم تكن التهم صحيحة؛ فاعتقاله جاء على خلفية وجود "معلومات" عن تبنيه لهذه الأفكار. و**الثاني**: مرحلة الصراع الذي مرّت به مع السلطات السعودية طيلة ١٤ عاماً، منذ بدأت مطالباتها بالإفراج عن زوجها (غداة اعتقاله ٢٠٠٤)، مروراً ببدء الاعتصامات (٢٠٠٧)، وصولًا إلى الاعتصامات الأخيرة في العام ٢٠١٣، التي تعرضت فيها كما تزعم هي وشهادات المعتقلات الأخريات- إلى الضرب والاضطهاد، ثم الضغوط التي تعرّض لها أهلها وأهل زوجها، ما دفعها بحسب روايتها إلى قرار الهجرة.

لكن بخلاف حالات سابقة، فإنّ والدتها وأخوتها، وأعمامها وأخوالها، كما تذكر الوالدة كانوا على خطّ مغاير تماماً لريم وزوجها، وحاولوا ممارسة الضغط عليها، وأعادوها إلى منزلهم العائلي، هي وأولادها، بعد تكرار اعتقالها، في محاولة للسيطرة عليها، وساهموا في تعهدها بعدم المشاركة في اعتصامات. وقامت بالهرب عن طريق "التحايل" على العائلة، وإيهامهم بتغيّرها، واختفائها قبل أن يعرفوا بأنّها في اليمن[٤٣٣].

ومن الواضح أنّ هنالك شبكة علاقات فاعلة كانت مؤثّرة عليها، بخاصة مع صديقتيها، ميّ الطلق وأمينة الراشد، اللواتي كنا يشتركن معها في تنظيم اعتصامات بريدة، كما تذكر والدتها أيضاً[٤٣٤].

أمّا ميّ عبد الرحمن الطلق، فهي من مواليد مدينة بريدة. والدها عبدالرحمن

(٤٣٢) انظر: هدى الصالح، العربية نت تكشف تفاصيل مقتل الداعشية ريما الجريش، ١٣ نوفمبر ٢٠١٥. على الرابط التالي: http://ara.tv/4krk8. وانظر نفي ذلك على لسان والدتها: في حوار لصالح صحيفة الرياض السعودية، أجرته معها أسمهان الغامدي، والدة ريما الجريش ل "الرياض": ابنتي حية ترزق.. وأنا بريئة منها ومن فكرها الضال، مرجع سابق.

(٤٣٣) ، والدة ريما الجريش ل "الرياض": ابنتي حية ترزق.. وأنا بريئة منها ومن فكرها الضال، مرجع سابق.

(٤٣٤) المرجع السابق.

الطلق، ولا توجد معلومات وفيرة عن العائلة، وعن مستواها الاقتصادي، ولا حتى عن والدتها.

تروي ميّ نفسها قصة زواجها من عبدالملك المقبل، المسجون في السعودية منذ قرابة ١٥ عاماً، على خلفية اتهامه بعلاقته بالقاعدة، فتذكر بأنّ والدها كان صديق والده، وكان يتحدث عنه باستمرار، ما جعلها معلّقة به منذ صغرها. وتم الاتفاق بين العائلتين (وهي في المدرسة) على قرار الخطبة والارتباط، وكان الموعد المقرر لذلك رسمياً بعد أن تنهي الثانوية العامة. لكنّها تفاجأت بعدما تفوقت في الفصل الأول، بأنّ خطيبها الموعود، الذي تعلّقت به في خيالها، تم القبض عليه بعد شهر من عودته من السفر من أفغانستان، بعد أحداث ١١ سبتمبر، بتهمة الانتماء إلى القاعدة، بالرغم من أنّه، وفقاً لروايتها، كان يذهب بقصد الدعوة وهو حافظ للقرآن، ومتديّن، ويتطوع في المشروعات الإسلامية.

صُدمت الفتاة بهذا الخبر، و" **تحطم أكبر حلم بداخلي، كنا قد قررنا الزواج، ولكن إرادة الله أن يكون خلف القضبان؟ أصبحت أحمل همّاً بداخلي لا يشعر به إلا من اكتوى بناره، لم أعد أفكر بإكمال دراستي، ولكن إلحاح أبي أجبرني أن أدخل الجامعة ودخلت الجامعة وفي كل يوم وأنا ألبس استعداد للجامعة أقول في نفسي لعلي أعود آخر الدوام وأبي يحمل البشرى لي ولكن هيهات هيهات فالخطب أشد وأعظم..**

وفي تلك المرحلة تقدم لي الكثير والكثير لخطبتي وأبي يحتار ويسألني، وأقول لم ولن أفكر بغيره مهما طالت بنا الأيام فأصبح أبي يرد على من يخطبني بأني لا أفكر بالزواج إلى أن انتهي من الجامعة. وبعضهم يقول ننتظرها ولكن أبي يرفض ويتعلل بأعذار..

"أنهيت مرحلتي الجامعيةفي أربع سنوات وأنا أدخل الجامعة جسداً بلا قلب؛ قلبي خلف القضبان وجسدي يدخل الجامعة ويخرج.. وقد تخلل هذه المرحلة بعض الذكريات الجميلة والأحداث الرائعة معه..

بعد تخرجي لم أقدم على وظيفه إنما أردت التفرغ لحل مشكلتي. فكرت كثيراً

كثيراً. وانتظرت وطال الانتظار، وقد كان أبي وأبوه يتناقشون كثيراً في حل المشكلة فتوصلوا أخيراً، بدل الانتظار الذي دام خمس سنوات، أن يتم الزواج خلف القضبان وقد قبلت ذلك بلا تردد.. فهو الحل الوحيد الذي أمامي وفضلته على جمره الانتظار. زميل أبي كان يزور ابنه كثيراً وتناقشا مع بعضهما فقد كان الحل من ابنه (الزواج داخل السجن) ولكن أباه لم يشجعه باعتبار أن من سابع المستحيلات أن توافق البنت، وهي على قدر من الجمال والأخلاق وفتاة من عائلة محترمة، ولكنه أصر على أبيه وبدوره أخبر أبي الذي أخبرني. استخرت ووافقت بلا تتردد..

أبي أخبر أباه بموافقتي وهو أخبر ابنه الذي يقول ما إن سمعت خبر موافقتك سجدت شكراً لله وبكيت بكاء لم أبكيه طوال حياتي".

ثم تروي لنا ميّ تفاصيل زواجهما، وهو في السجن، وكيف أتاحت لهما السلطات مدة أسبوعين ومكاناً خاصاً، في داخل السجون، ثم أعادته إلى السجن، بعد ذلك، مع إتاحة الفرصة لهما للاختلاء في كل مدّة، وهي سياسة السلطات السعودية مع المساجين عموماً[٤٣٥].

على الأغلب أنّ ميّ، وفقاً لتقدير تخرجها من المدرسة، من مواليد نهاية الثمانينيات أو بداية التسعينيات، وهي جامعية، كانت متفوقة في مدرستها، ومن أسرة متدينة عموماً، لذلك تمّت الموافقة على زواجها من متهم بعلاقته مع القاعدة؛ وكان والدها هو من عرّفها على أهله كما ذكرنا. ومن الواضح أيضاً بأنّ الفتاة تعلّقت منذ الصغر (أي أثناء سنوات المدرسة والمراهقة بالعريس المنتظر، وهو معروف بتدينه وحفظه للقرآن وأسفاره في الدعوة الإسلامية).

بالإضافة لهذه المكوّنات (الدينية) في شخصية ميّ، والأسرة المتدينة حولها، وخطيبها المتدين، والأقرب إلى فكر القاعدة وفقاً لاتهام السلطات السعودية-فإنّ عاملاً آخر ساهم في اقترابها من الخط الجهادي، وهو شقيقها سليمان (٢١) عاماً،

(٤٣٥) انظر: حول روايتها لقصة زواجها من المقبل، على مدونة Just past. it، الرابط التالي https://justpaste.it/f6mb

الذي قُتل في مواجهات مع قوات الأمن (في فبراير/شباط ٢٠٠٦) في حيّ اليرموك شرق الرياض، وكان متوارياً عن الأنظار، واتهمته السلطات السعودية بأنّه كان ناشطاً على الإنترنت بتبني "الفكر التكفيري"، وأنّه شارك المجموعة التي قُتل معها (خمسة أفراد) بالهجوم على معمل البقيق في الرياض[٤٣٦].

تؤكّد ميّ أن زوجها قد تمت تبرئته من قبل المحكمة مرتين، من تفجير الرياض (الذي حدث وهو معتقل)، لكنّ السلطات ترفض الإفراج عنه. لذلك بدأت ميّ بالمشاركة مع ريما الجريش بالمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين في الاعتصام الأول في القصيم في العام ٢٠٠٧، الذي تحدثنا عنه سابقاً. وأخذت علاقتها بنساء المعتقلين من التيار السلفي الجهادي بالتطوّر، ثم أصبحت من أبرز الشخصيات النسائية اللواتي تحدّين النظام في تنظيم الاعتصامات في بريدة منذ العام ٢٠١١- ٢٠١٣، للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين والموقوفين. ونشطت في مواقع التواصل الاجتماعي، بالتعريف بهذه القضية (التي أُطلق عليها فكّوا العاني)، وتعرّضت للاعتقال أكثر من مرّة بسبب هذه النشاطات التي كانت تستفز السلطات السعودية، وتخلق ضغوطاً كبيرة عليها.

أنجبت ميّ من زوجها (وهو في السجن) طفلين، الأول هو عبدالله الطلق، والثاني هو عبدالرحمن، الذين كانوا يشاركون في الاعتصامات والحملة الإعلامية الإلكترونية التي أطلقتها نساء المعتقلين للمطالبة بالإفراج عنهم أو محاكمتهم بصورة قانونية واضحة.

شاركت في اعتصام سجن الطرفية في ٢٢ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٢، مع مجموعة من النساء وأهالي المعتقلين، وتم احتجازها معهم لساعات وأطلق سراحها بعد كفالة وتحذير من العودة إلى المشاركة في الاعتصامات. لكنها لم تستجب لذلك؛ فبعد أسابيع قليلة نظمت اعتصاماً آخر أمام هيئة التحقيق في بريدة[٤٣٧].

(٤٣٦) انظر تقرير " السعودية: الكشف عن هويات قتلى مواجهة حي اليرموك بالرياض"، جريدة الشرق الأوسط، ١ مارس، ٢٠٠٦، على الرابط التالي:
http://archive.aawsat.com/details.asp?article=350717&issueno=9955#.WDLzK8lquVs

(٤٣٧) انظر: أرشيف اعتصامات أهالي المعتقلين في السعودية، مرجع سابق.

وفي تلك الاعتصامات كان شقيقها الأصغر محمد يعمل على نقل النساء تجنباً لاعتقالهن، ما أدى إلى اعتقاله هو نفسه، وكان طالب الحقوق في سنة ثانية، وسجن لمدة ١٠ أيام، وحُكم عليه بالسجن لتلك المدة مع ٩٠ جلدة (حكم مستأنف)، لكنه قرر الهجرة والذهاب إلى سوريا، فالتحق بجبهة النصرة هناك، وقُتل. وكانت ميّ أوّل من تم إبلاغها من عائلته، وتقول "بأنّها سجدت لله فرحاً" بأنّ أخاها استشهد في سوريا، وقد ذكر فيلم مصوّر عنه (أُصدر لاحقاً) بأنّه كان غير متدين قبل أن يدعم النساء في الاعتصامات ويُعتقل، فأطلق لحيته وترك التدخين بعد اعتقاله، وغادر إلى "القتال" في سوريا[٤٣٨]. ويزعم تقرير صحفي بأنّه قُتل بعد أيام من وصوله إلى الأراضي السورية نتيجة عدم خبرته القتالية![٤٣٩]

اعتُقلت ميّ الطلق، أيضاً، بعد اعتصام ديوان المظالم في ٥ يناير/كانون الثاني ٢٠١٣، في بريدة، ونُقلت إلى سجن الحائر، لأيامٍ عدة. وتقول هي والأخريات المعتقلات أنّهن تعرضن لسوء المعاملة، وأصدرن بياناً يروين فيه تفاصيل ما حدث لهن[٤٤٠].

واعتُقلت لاحقاً، مرّة أخرى، خلال مشاركتها في اعتصامات، في الوقت الذي كانت الضغوط تزداد على أهالي المعتقلين والنساء لوقف هذه الظاهرة، ومحاصرتها من قبل السلطات السعودية.

وفي أواخر شهر نيسان/ أبريل قرّرت ميّ الطلق مع صديقتها ورفيقتها، أمينة الراشد، المغادرة إلى اليمن، والالتحاق بالقاعدة هناك، بترتيب مع مهرّبين يمنيين. فأخذت ميّ معها شقيقها الصغير ١٤ عاماً، وابنيها عبدالله وعبدالرحمن (وهما ٦ و ٤

(٤٣٨) انظر فيلم عن شقيقها المقتول محمد الطلق، الرابط التالي https://www.youtube.com/watch?v=eQPXBV4Czm.

(٤٣٩) انظر: عبدالله سليمان علي، المقاتلون السعوديون في سورية من الخلايا الأولى إلى النفير، جريدة السفير، ٣ ديسمبر ٢٠١٣.

(٤٤٠) انظر: أرشيف اعتصامات أهالي المعتقلين في السعودية، مرجع سابق، وكذلك: فيديو تتحدث فيه مع معتقلات أخريات عما حدث معهن في الاعتقال، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Z5-G1HylU0Q

أعوام)، فيما أخذت أمينة الراشد معها ابنها الصغير من طليقها وابن شقيقها ١٤ عاماً، وانتقلتا إلى منطقة حدودية وعرة فالتقوا بالمهرّبين، لكن السلطات السعودية ألقت القبض عليهم جميعاً، ومعهم مي وأمينة، وتم اعتقالهما وتسفيرهما بطائرة خاصة إلى الرياض مع أبنائهن، وتصويرهن ونشر الصور في الإعلام، ثم محاكمتهن والحكم عليهن بالسجن لمدة ١٣ عاماً لكل منهما وبمدد إجمالية تصل إلى ٢٤ عاماً لمحاولتهما الهرب بالأطفال إلى اليمن، وبتهمة محاولة تهريب أموال وذهب إلى تنظيم القاعدة هناك[٤٤١].

وفي شهر مايو/ أيار ٢٠١٥ تم الإعلان عن القبض على شقيقها الآخر، عبدالله الطلق، ضمن خلية مرتبطة بتنظيم داعش، وهو ابن الـ١٥ عاماً، فكان يعدّ من أصغر المعتقلين الداعشيين في السعودية[٤٤٢].

لا يختلف نموذج أمينة الراشد كثيراً عن ميّ الطلق، فزوجها هو عدنان العطوي (الملقب بأبي سليم التبوكي)، وهو من أوائل المقاتلين السعوديين مع تنظيم "القاعدة" في أفغانستان، وقد أوقف في الإمارات، في طريقه إلى العراق من أفغانستان، وسلّم إلى السعودية وقضى في السجن سبعة أعوام، قبل أن يطلق سراحه مطلع العام ٢٠١٢. إلا أنه لم يمكث طويلاً حتى تمكن من السفر إلى سوريا بجواز سفر مزور، ليلتحق

---

(٤٤١) هاني الصفيان، بالصور: مي الطلق وأمينة الراشد في ضيافة الداخلية، العربية نت، ٢٣ أبريل ٢٠١٤، على الرابط التالي:
http://www.alarabiya.net/ar/saudi-today/2014/04/23/قصة-سعوديتان-حاولتا-الهروب-للإنضمام-إلى-القاعدة-.html

وانظر كذلك: عيسى الشاماني، مي الطلق وأمينة الراشد من نزهة القصيم إلى الحدود اليمنية، الحياة اللندنية، ٧ مايو ٢٠١٤.

(٤٤٢) انظر: شقيق ميّ الطلق .. أصغر متهم بالإرهاب، موقع السكينة، ٢٥ مايو ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://www.assakina.com/news/news2/70605.html#ixzz4OHsW10cM

بتنظيم داعش[٤٤٣].

وأحد أشقائها كان من أبرز وجوه القاعدة في اليمن، وهو محمد عبد الرحمن سليمان الراشد (٣٨ عاماً)، الذي يكنى بـ"أبو سلمان أو أبو عبد الله"، من مواليد مدينة بريدة عام ١٩٨٣، كان قد غادر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة (في ٢٥ ديسمبر /كانون الأول ٢٠٠٤) بجواز سفر حصل عليه بموجب بطاقة أحوال مزورة تحمل صورته واسم شقيقه، وتوجه للقتال مع تنظيم القاعدة في العراق، ثم انتقل إلى اليمن في مرحلة لاحقة، وقد قُتل في انفجار وقع في العاصمة اليمنية صنعاء، مع عدد من المطلوبين السعوديين في شهر سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٩.

وكان الراشد مُلاحقاً أمنياً من قبل السلطات الأمنية السعودية، بسبب ارتباطه بعناصر تنظيم القاعدة في الداخل والخارج، وتخطيطه مع مجموعه من عناصر التنظيم للقيام بعمليات إرهابية داخل السعودية، تستهدف آبار ومنشآت النفط، إضافة إلى تزوير وثائق للحصول على جوازات سفر، وكذلك مغادرته إلى العراق للقتال، وتقديمه الدعم المالي، وارتباطه بمنسقين لمغادرة عناصر التنظيم للخارج، بحسب الرواية الإعلامية المقربة من السلطات السعودية[٤٤٤].

ولأمينة الراشد ثلاثة أشقاء معتقلون منذ ثمانية أعوام تقريباً، وهم خالد وياسر وصالح. فيما قُتل شقيقاها سليمان وعبدالله في العراق، خلال قتالهما إلى جانب تنظيم القاعدة هناك.

نشطت أمينة بالاعتصامات مع كل من ريما الجريش ومي الطلق وأخريات في

---

(٤٤٣) عيسى الشاماني، قناص حكومي يقتل السعودي العطوي زوج أمينة الراشد، الحياة اللندنية، ٤ نوفمبر ٢٠١٥.

(٤٤٤) انظر تقرير "السعودية تعلن عن مقتل ٣ من قائمة الـ٨٥ والقائمة تتقلص إلى ٧٥ مطلوبا"، الشرق الأوسط اللندنية، ١٩ يناير ٢٠١٠. وكذلك تقرير "الراشد والجطيلي والدلبحي والهديان.... القاعدة تعترف بمقتل ٤ سعوديين بينهم "مهندس" قنابلها، الذي أشار إلى أن شقيقها محمد كان يعتبر من أبرز الأسماء في قاعدة اليمن، يمكن قراءة المادة على موقع عاجل على الرابط التالي:
http://www.ajel.sa/local/1101326

بريدة للمطالبة بإطلاق سراح الأسرى والمعتقلين، وكان من بينهم في البداية زوجها (الذي أفرج عنه وغادر إلى سوريا)، وأشقاؤها الذين ترى العائلة بأنّهم اعتُقلوا دون وجود تهم ثابتة عليهم.

وقد تعرّضت أمينة خلال الاعتقالات إلى ضغوط شديدة هي وأهلها، وحاولت السلطات السعودية منعها من القيام بذلك مراراً وتكراراً، إلاّ أنّها أصرت على موقفها، حتى كان آخر اعتقال في منتصف العام ٢٠١٣، ونُقلت بطائرة إلى السجن مع المعتقلات الأخريات[٤٤٥].

لا توجد معلومات أخرى متوافرة عن عمرها أو دراستها، وما هو معروف أنّها مطلقة من شخص آخر، قبل زواجها بالعطوي، ولها منه ابن، حاولت الذهاب به معها إلى اليمن، حيث تمّ إلقاء القبض عليها وعلى رفيقتها ميّ الطلق عند المناطق الجبلية المتاخمة للحدود اليمنية.

ما يزال أهالي كل من ميّ وأمينة متمسكين برواية تقول بأنّ ما حدث هو مسرحية، وأنّهما اعتُقلتا، وتمّت فبركة هذه الحادثة لشيطنتهما وتشويه صورتهما أمام الرأي العام[٤٤٦].

في الخلاصة، وفي حالة كلّ من ميّ الطلق وأمينة الراشد نجد عوامل مشتركة صلبة؛ فهما من مدينة بريدة، وأشقاؤهما وأزواجهما ينتمون إلى التيار الجهادي السعودي، وينقسمون بين موالٍ للقاعدة أو تنظيم داعش، وهما ناشطتان عنيدتان في موضوع المطالبة بالإفراج عن المعتقلين. وقد تحولت المظاهرات والاعتصامات لديهنّإلى تحدٍّ ومواجهة بينهنّ وبين الدولة. وتعرّضتا للاعتقال والتعنيف والضغوط الشديدة، بخاصة بعد الإفراج الأخير في منتصف ٢٠١٣، إذ يقول أهلهما أنّهما كانتا تحت الرقابة، وتُستدعيان بصورة دائمة إلى المباحث.

---

(٤٤٥) لقاء مع والدها بتاريخ ٧ مارس ٢٠١٣، على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=sf74WAyhWGE

(٤٤٦) انظر حساب شقيقة أمينة على تويتر، مواهب بنت عبدالرحمن، الرابط التالي:
https://twitter.com/mawahebabdurhmn

٧) الشبكة الأسرية المركّبة: هيفاء الأحمدى ونجوى الصاعدي

هيفاء ذياب الأحمدي، أم صهيب، حصلت على البكالوريوس في قسم العقيدة، ولم تكمل دراسة الماجستير في الشريعة.في مرحلة مبكّرة من حياتها، عندما كان عمرها ١٤ عاماً، تأثرت بالمجلات التي تتحدث عن الجهاد الأفغاني، وبدأت تلقي المحاضرات وعمرها ١٦ عاماً في المدرسة. ثم تزوجت من ساعد سعد الحازمي وسافرت إلى باكستان وعمرها ١٧ عاماً، إذ كان زوجها من المقاتلين في أفغانستان، وأسكنها في دار اليتيمات. وكان يزورها من الجبهة يوم أو يومين بين فترة وأخرى، فأمضت حياتها هناك بين باكستانيات وجنسيات مختلفة، وهي صغيرة في العمر.

عندما عادت من باكستان مع زوجها، بعد انتهاء الحرب الأفغانية الأولى، أكملت دراستها الجامعية، وهي حافظة للقرآن، وبدأت بالتحضير لدرجة الماجستير، لكنها لم تناقش الرسالة، لشعورها بأنّها لم تكن "خالصة لله"، كما تقول ابنتها[٤٤٧].

اعتُقل زوجها في العام ٢٠٠١، لمدة ثلاثة أشهر، وأفرج عنه ليعتقل في العام التالي ٢٠٠٢، حيث تم نقله بين العديد من السجون السعودية قبل أن ينتهي به المطاف في سجن الذهبان بجدة[٤٤٨]. واعتقل زوج ابنتها ياسر حميد الصاعدي في العام ٢٠٠٤. وكانت هيفاء تقوم بنشاطات دعوية في دور القرآن في مكة، إلى أن بدأت تنشط في المطالبة بالإفراج عن المعتقلين، زوجها وزوج ابنتها خولة الساعدي، فتم اعتقالها في يونيو/ حزيران ٢٠١١، بتهمة الإخلال بأمن البلاد ودعم الخلايا الإرهابية[٤٤٩].

---

(٤٤٧) المرجع السابق.

(٤٤٨) انظر: خولة الحازمي أطالب محمد بن نايف بإطلاق سراح والدي ووالدتي، موقع آفاق، ٢ سبتمبر ٢٠١١، على الرابط التالي:
http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=8777

(٤٤٩) انظر عنها: هدى الصالح، نساء الإرهاب عشر سنوات بين دهاليز الإنترنت وسراديب اليمن، صحيفة الشرق الأوسط، ١٦ مايو ٢٠١٣.

حكم عليها بالسجن لـ٨ أعوام، ومنعها من السفر مدة مماثلة بعد إدانتها بانتهاج المنهج التكفيري المخالف للكتاب والسنة من خلال تكفير بعض الحكومات العربية، واعتقادها بوجوب القتال في أماكن الصراع وأنه فرض عين، وقيامها بربط شخص بشخص أفغاني يقوم بتنسيق سفر الشباب إلى أماكن الصراع، وتسليم أحد الأشخاص مبالغ مالية تقارب ثمانين ألف ريا ل على دفعات لتجهيز نفسه وتجهيز آخرين للخروج للمشاركة في القتال بأماكن الصراع. كما تمّ اتهامها بالحصول على بعض الأموال من بعض المتهمات، وتحميل بعض المواد الصوتية والمرئية والمقروءة التي تتعلق بالقتال من بعض مواقع الإنترنت منها منتدى أنا المسلم ومنتدى الفتن والملاحم.[٤٥٠]

أمّا نجوى حميد الصاعدي؛ أم سليمان، فهي تحمل الماجستير في الفقه الإسلامي، ومحاضرة في جامعة الملك عبدالعزيز، من سكان حي العتيبية في مكة، وعُرفت في الأوساط الاجتماعية في مكّة، بأنّها كاتبة ومثقفة وداعية[٤٥١].

بدأت القصة في العام ٢٠٠١، إذ اعتُقل زوجها خالد وافي الحربي، ثم اعتقل بعده شقيقه سمير عبد المعين الوافي الحربي بعد قرابة أسبوعين، ولحقة محمد الصاعدي، شقيقها، فيما اعتُقل شقيقها الآخر حمد الصاعدي بعد وقت قريب في العام ٢٠٠٣. وعلى التوالي اعتُقل أشقاؤها عماد وياسر، وزوج شقيقتها (مرام) حسن باوزير[٤٥٢].

وكانت قد اعتقلت في العام ٢٠٠٣لمدّة يومين، للضغط على شقيقها، المتهم بأعمال إرهابية، لتسليم نفسه. ثم تكرر اعتقالها على خلفية مطالباتها بالإفراج عن المعتقلين في يونيو/ حزيران ٢٠١١ مع شقيقتها مرام من منزلهم في حيّ العتيبية في

(٤٥٠) انظر: مريم الصغير وسعاد الشمراني، نجلاء الرومي علاقتها وثيقة بأروى البغدادي، مرجع سابق، وكذلك: قمع السعودية يصل إلى مستوى غير مسبوق باعتقال النساء، مرجع سابق.

(٤٥١) انظر: تقرير "نساء القاعدة ومهماتهن التنظيمية"، موقع السكينة الحكومي، ١١ مايو ٢٠١٣، على الرابط التالي:
http://www.assakina.com/center/parties/24637.html

(٤٥٢) انظر الرابط التالي عن معتقلي العائلة:
https://www.youtube.com/watch?v=txtvWCEOCPA

مكة.[٤٥٣]

لا توجد تهم واضحة ومحددة، في التسريبات الإعلامية، أو أسباب معلنة لاعتقالها، سوى الحديث عن ارتباطها بالفكر التكفيري، لكنها حوكمت، من قبل المحكمة الجنائية المتخصصة، في العام ٢٠١٤ بستة أعوام في السجن. وصدر حكم على زوجها خالد الوافي بالمدة التي قضاها في السجن، لكن لم يفرج عنه بالرغم قرار المحكمة. أما شقيقها حامد فحكم عليه بالسجن ٢٣ سنة ، وحكم على شقيقها ياسر بستة أعوام، بالرغم من أنّ قد قضى ١٠ أعوام في السجون.

تشترك نجوى مع هيفاء في سمات عدة؛ فهما مهتمتان بالثقافة والعلم، فبينما أنهت نجوى الماجستير وتعمل محاضرة، لم تكمل هيفاء الرسالة، وتقوم بإلقاء مواعظ دعوية في دور القرآن في مكة. وكلتاهما تسكنان الحيّ نفسه، رفيقتان، زوجاهما معتقلان منذ قرابة ١٥ عاماً، وأشقاء نجوى معتقلون، وابنة هيفاء متزوجة من شقيق نجوى المعتقل في السجن.

من الواضح أنّ هنالك علاقة وثيقة بينهما، وتشابكاً بين العائلتين، لكنّ النموذج الذي تقدّمانه لم يصل إلى حدود النفير والهجرة، كما هي حال نساء بريدة، ولهما دور دعوي داخلي. لكن من الواضح أنّ الظروف العائلية والتجربة الشخصية لعبتا الدور الأكبر في وضعهما في سياق قريب من التيار السلفي الجهادي، والحكم عليهما لاحقاً.

٨) "الجهاديات الجديدات": من القاعدة إلى تنظيم الدولة

حتى العام ٢٠١٤، كانت أغلب التهم التي تُوجّه إلى النساء الجهاديات هي الانتماء للقاعدة، وهنالك أسباب واضحة ترتبط بانتماء أزواجهن أو أشقائهن أو

(٤٥٣) انظر: السلطات السعودية تعتقل إمرأة للضغط على أخيها المطلوب، صحيفة القدس العربي، ٢٦ مايو ٢٠٠٣، وكذلك: تقرير "سيدات قادهن فكرهن الضال إلى الإرهاب"، صحيفة الأربعاء الإلكترونية، ١٩ أبريل٢٠١٢، على الرابط التالي:
http://www.assakina.com/center/parties/24637.html

حتى أقربائهن إلى القاعدة، وذلك قبل بروز داعش بصيغتها الجديدة كـ"دولة خلافة" وانفصالها عن القاعدة، في العام ٢٠١٣.منذ ذلك الوقت، بدأ اسم تنظيم الدولة الإسلامية، أو داعش، يبرز بصورة واضحة في التهم الجديدة الموجّهة إلى السعوديين والسعوديات. وتزامن ذلك، أيضاً، مع قيام التنظيم بالعديد من العمليات التي استهدفت السعودية مثل تفجير المساجد الشيعية والهجوم على مسجد للجيش ومركز للطوارئ في المدينة المنورة.

تنوعت القضايا والصيغ التي شاركت من خلالها هذه الموجة، من نساء الحركات الجهادية والفكر الجهادي، ما بين العمل الإعلامي والتعبوي إلى السفر أو محاولة السفر إلى ساحات القتال والالتحاق بالقاعدة أو داعش، أو حتى المشاركة في العمليات بصورة مباشرة بالقتال، أو غير مباشرة من خلال الدعم اللوجستي.

النموذج الأول: الإعلامي والتعبوي

أم أويس هي أول امرأة حوكمت في السعودية بتهمة مبايعتها للبغدادي. اسمها غير معروف، وهي وفقاً للرواية الإعلامية الرسمية، طالبة دراسات عليا، من محافظة عنيزة، عمرها ٢٧ عاماً، تأثرت بخالها الذي تزوره في السجن، والمتهم بعلاقته في القاعدة، إذ كانت تقوم بنقل قصاصات منه إلى الخارج.

بعدما بدأ التأثر بخالها، ازداد تواصلها مع حسابات الجهاديين والمناصرين لهم، والمدافعين عن المعتقلين على شبكة الإنترنت، وبدأت تعلّق منشورات في محافظة عنيزة، تدعو إلى مؤازرة المعتقلين (في حملة فكوا العاني)، وتواصلت مع حسابات بهذا الخصوص؛ من أبرزها حساب مناصرون، الذي تتهمه السلطات السعودية بالتحريض على التظاهر والاعتصامات.

التحول النوعي، الذي تتحدث عنه الرواية نفسها، هو انتقال أم أويس من تأييد القاعدة إلى مبايعة البغدادي، ومباركة عمليات التنظيم في السعودية، بعدما تواصلت مع أفراد منه، وسألتهم عن مبايعة البغدادي وكيفية ذلك، ما أدى إلى انتقال ولائها من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية.

ووفقاً لهذه الرواية، كانت أم أويس ناشطة وخبيرة في مجال الكمبيوتر، وأنتجت أفلاماً بطلب من تنظيم الدولة الإسلامية لمناظرات بين التنظيم وتنظيم أحرار الشام، ثم قام التنظيم بعد ذلك بنشرها على الإنترنت،كما تكفّلت بإنتاج أفلام عن المعتقلين الجهاديين في السعودية[٤٥٤].

أما "المهاجرة" فهي شابّة (٢٥ عاماً).تبدو قصتها شبيهة جداً بنموذج "أم أويس"، وإن كان الفرق هو في مستوى التعليم (وفقاً للرواية السعودية)، فالمهاجرة أتمت فقط الشهادة الثانوية، وتأثرت كذلك بخالها، الذي يقضي عقوبة ٩ أعوام سجن، ورحّبت بانتقال شقيقها إلى اليمن، لينضم إلى القاعدة. وكانت قد تواصلت مع عبدالمجيد الشهري (ابن شقيق وفاء الشهري في قاعدة اليمن)، والذي أبلغها بدوره بوجود أروى البغدادي هناك وانضمامها إلى القاعدة.

لُقبت بالمهاجرة لأنّها كانت مختفية عن أعين العائلة، منذ قرابة عام، لخلافها مع أبيها، الذي كان يرفض أفكارها، وتمّ إلقاء القبض عليها، وحكمت عليها المحكمة الجزائية المتخصصة في بداية العام ٢٠١٦ بحكم ابتدائي بـ٦ أعوام، لعملها كذراع إعلامية للقاعدة[٤٥٥].

النموذج الثاني: الهجرة والنفير

النموذج الآخر هو الذي أُطلق عليه إعلامياً "مطلّقة ساجر"، وهي امرأة مطلقة تبلغ من العمر ٤٠ عاماً، تعمل معلمة في منطقة قريبة من الرياض، وصلت إلى الرقة مع أبنائها الثلاثة، الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٦-١٢ عاماً (بنت ١٥ عاماً،

(٤٥٤) انظر: من هي الداعشية السعودية أم أويس وريثة أم الرباب؟، ١٠ أكتوبر، ٢٠١٥، دار الأخبار، على الرابط التالي:
goo.gl/Eiyp5u

(٤٥٥) انظر: السعودية تسجن مواطنة استبشرت بخروج شقيقها لصراع اليمن، موقع إرم، ٢٦ يناير ٢٠١٦، على الرابط التالي:
http://www.eremnews.com/news/422456

وولدان ١٢و١٣) في شهر يونيو/ حزيران[٤٥٦].

ووفقاً لهذه الرواية، فإنّ المرأة - التي تسكن محافظة ساجر (شمال غربي الرياض تبعد ٢٧٠ كيلو متر)- وعدت نفسها بأن تشهد رمضان (ذلك العام) في الرقة (أرض الخلافة)، ثم أعلنت غداة وصولها إلى هناك بأنّها ستقوم بعملية انتحارية.

ووفقاً للمصادر الأمنية السعودية، فإنّ المرأة معروفة بالتشدد، وكانت قد اعتقلت عامين في سجن الحائر في جدة، نظراً لتأييدها العلني لمن تسميهم بـ"المجاهدين"، وتعززت علاقتها بنساء القصيم الجهاديات هناك.

في العام ٢٠١٥، ذهبت مع أولادها وعائلتها (والدتها وأشقائها) إلى مكة لأداء العمرة، لكنها غادرت مع أبنائها. ولما تأخرت حاولت والدتها الاتصال بها، ولكنّها لم تجب، إلا بعد ساعات، فأخبرتها بأنّها في مطار الملك عبدالعزيز في جدة، وبأنّها في طريقها إلى الرقة السورية[٤٥٧].

أما هند علي عبدالله القرشي، من سكان الطائف، حيّ المثناة، فهي طالبة في جامعة الطائف تركت دراستها الجامعية، ولم يتعد عمرها ٢٤ عاماً، وغادرت إلى اليمن في بداية العام ٢٠١٤. وهي زوجة الموقوف أحمد عوض القرشي (٣١) عاماً، الذي تم توقيفه منذ عامين ولم يحاكم بعد، وهو من سكان الطائف[٤٥٨].

وفقاً للمعلومات الشحيحة المتوفرة عنها، فقد كان زوجها في الخارج، مطلوباً للسلطات، وكان يجري التحقيق حينها مع هند، إلى أن عاد وتم إلقاء القبض عليه، في حدود العام ٢٠١٢، وكانت هند تُستدعى للتحقيق باستمرار، إلى أن تم إعلان

---

(٤٥٦) رابط الموضوع http://www.assakina.com/news/news1/78951.html#ixzz4PbwKxVdz

(٤٥٧) انظر: عيسى الشاماني، تقرير "معلمة سعودية مطلقة تهرب بأطفالها من مكة إلى داعش"، جريدة الحياة اللندنية، ٢ يوليو ٢٠١٥.

(٤٥٨) انظر بعض التفاصيل عن قضيتها في تقرير "السويد.. حكاية انتحاري سعودي اختارته القرعة لتفجير نفسه"، صحيفة الحياة، ٢ أغسطس ٢٠١٤.

القبض عليها في أغسطس/ آب ٢٠١٤[٤٥٩].

المثال الثالث هو لطالبة فنون تشكيلية، ترفض السلطات السعودية الكشف عن اسمها (كما هي حال أخريات)، تبلغ من العمر (٢٨) عاماً، تحمل شهادة البكالوريوس في التربية الفنية، وسبق وأن شاركت في المعارض المرافقة لمعرض الكتاب في الرياض، ومعرض "ألوان"، وكانت، بحسب والدها، منفتحة وتحب الرسم والفن، ثم تزوجت قبل عامين، وحدثت مشكلات بينها وبين زوجها وأصرت على الطلاق، فعادت إلى منزل ذويها.

والدها (٥٨ عاماً) يعمل موظفاً حكومياً في البلدية. ولكنه استقال منذ مدة، وهو حاصل على مؤهل الثانوية العامة، ومتزوج منذ ٣٠ عاماً، ولديه ٤ أولاد: بنتان وولدان.

بدأ والدها يلاحظ منذ عودتها إلى منزله (في الرياض) علامات التشدد الديني التي تظهر عليها، وأخذت تحاول فرض هذا النمط من التدين على الأسرة والمنزل. فوفقاً لوصف والدها (أبو فهد) أنها "ظلت ملازمة للوحدة وتتجنب مجالسة الآخرين، وتقضي وقتاً طويلاً في تصفح مواقع الإنترنت، قبل أن تبدأ التحرك شيئاً فشيئاً، إلى أن أصبحت تملك زمام المبادرة في المنزل، وتفرض تشددها، وحذفت القنوات الإخبارية والفنية كافة، واكتفت بقنوات دينية، ما جعله في حيرة من أمره".

يضيف والدها أنه فوجئ ذات يوم، بعد أن تمكن من التجسس على هاتفها المحمول، بأنها كانت تحتفظ بملفات صوتية ومصورة لبعض المعارك التي تخوضها جماعات إرهابية، وعند مواجهتها أقرت بأنها كانت تشاهدها صدفة، وأنها لا تؤمن بما تحويه من مشاهد فظيعة.

كان الأب يعتقد أن ابنته تخفي شيئاً في نفسها، خوفاً من أن يقوم بالتبليغ عنها أو تهديدها بالحبس، كما حصل في عدّة حالات. ثمّ استأذنته للذهاب إلى "العمرة" في منتصف ٢٠١٥، مع بعض النسوة، اللاتي كانت تجتمع برفقتهن في إحدى

(٤٥٩) انظر الرابط التالي:
https://justpaste.it/jkkah

حلقات تحفيظ القرآن، ثم أصبحنّ رفيقاتها في رحلتها من مكان إقامتها في الرياض إلى محافظة جدة الساحلية غرب السعودية إلى تركيا، إذ أرسلت "رسالة نصية" من هناك تفيد بأنها وصلت إلى مواقع تنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا[٤٦٠].

النموذج الثالث: المشاركة في العمليات

وَرَد اسم عبير محمد عبدالله الحربي في سياق كشف السلطات السعودية عن نتائج التحقيقات في حادثة الاعتداء على مسجد الطوارئ في محافظة عسير، جنوب المملكة، في ٦ أغسطس/آب ٢٠١٤، والذي أدى إلى مقتل ١٥ عسكرياً سعودياً مع آخرين وإصابة ٣٣، وتبنى تنظيم الدولة الإسلامية العمليّة.

فوفقاً للرواية الأمنية، فإنّ عبير هي زوجة فهد فلاح الحربي، الذي كان مخططاً ومشرفاً على العملية الانتحارية مع خلية تابعة لداعش. وقد قام باستغلال زوجته من خلال وضع الحزام الناسف تحت قدميها، لنقله من الرياض إلى عسير في سيارته، وهو ما اعتبرته السلطات دعماً لوجتسياً منها لزوجها المعتقل[٤٦١].

لا يوجد توضيح وتفاصيل أكثر عن عبير الحربي، فيما إذا كانت تشارك زوجها الفكر الجهادي، أو فيما إذا كان لها سجل أمني سابق، وفيما إذا كانت تعلم عن الحزام الناسف بصورة دقيقة أم لا.

أمّا بنان عيسى هلال، فهي سعودية لقيت مصرعها عندما داهمت قوات الأمن السعودية شقة كان يختبئفيها عدد من المطلوبون، منهم سويلم الرويلي، في منطقة الجوف (١٣ مارس/ آذار ٢٠١٦)، فبادرت هي إلى إطلاق النار عليهم من رشاش

---

(٤٦٠) انظر: عيسى الشاماني، سعودية تترك الفن التجميلي لتنضم إلى التنظيم، صحيفة الحياة اللندنية، ١٣ ديسمبر ٢٠١٥.

(٤٦١) الداخلية": تفجير مسجد "طوارئ أبها" بمساعدة جندي خائن باع وطنه، جريدة المدينة، ١ فيراير ٢٠١٦. وكذلك: عمر الضبيبان، "زوجان" وخيانة جندي... خلف إرهاب مسجد "طوارئ عسير"، صحيفة الحياة اللندنية، ١ فبراير ٢٠١٦.

كان بيدها، ما أدى إلى إصابتها، ثم مقتلها، وفقاً للرواية الرسمية.

لم تكن السلطات الأمنية تعلم بوجودها في تلك الشقة، إذ إنّها كانت متغيبة عن منزل ذويها لمدة عام ونصف (ولا نعرف سبب التغيب، فيما إذا كان بسبب أنّها مطلوبة للجهات الأمنية أم لشيء آخر!)، وهي متزوجة من رجل يقيم في مناطق الصراع (على الأغلب؛سوريا)، لكنها وُجدت في الشقة مع سالم الرويلي وصاحب الشقة الآخر، الذين تم القبض عليهما.

ويزعم الرويلي بأنّه كان متزوجاً بها، بشهادة ذلك الشخص الذي كانا يختبئان عنده، لبضعة أشهر، وتبين بأنّها ابنة لأحد الجهاديين السعوديين، عيسى هلال مزلوه الفرجي الرويلي (الملقب بأبي حمزة التبوكي)، وهو محكوم غيابياً في الأردن بقضية مرتبطة بخلية تابعة القاعدة (في العام ٢٠١٤)، لمدة ١٥ عاماً، لكنه متواجد حالياً في سوريا ويقاتل مع تنظيم الدولة الإسلامية هناك[٤٦٢].

الجديد في هذا النموذج – بالرغم من أنّ القصة غير واضحة التفاصيل، وما تزال مبهمة في كثير من حيثياتها– أنّ بنان هلال قامت بالمشاركة بالعملية بصورة مباشرة، في محاولة لإطلاق النار على الأمن، بالإضافة إلىأنّ قصة زواجها غير الموثق رسمياً من المطلوب الآخر غامضة؛ وهي حالة غير اعتيادية في السعودية، ولا توجد فتاوى سابقة تؤيدها، في حال كان زوجها حيّاً في الخارج، على فرض أنّه قام بتطليقها كي يعطيها حرية الحركة مثلاً– مع مطلوب آخر!

المثال الثالث هي خلود محمد منصور الركيبي، ولقبها أم محمد، في الأربعينيات من عمرها، لها أربعة أبناء وابنتان، وزوجها ضعيف الشخصية مهمل في أسرته، وفق

(٤٦٢) انظر: تقرير "بنان عيسى هلال"، موقع السكينة، ٣٠ نيسان ٢٠١٦، الرابط التالي: وكذلك: السعودية: القبض على الرويلي المتورط بإحداث الدالوة، موقع العربية نت، ١٣ مارس ٢٠١٦، على الرابط التالي:http://ara.tv/y57vu

وانظر كذلك: تقرير "معلومات جديدة عن بنان هلال.. سعودية وابنة مطلوب للأمن الأردني"، صحيفة الوئام الالكترونية، ١٦ مارس ٢٠١٦، الرابط التالي: goo.gl/mIkwcF

وانظر أيضاً: اللواء التركي للعربية نت: بنان هلال سعودية الجنسية، موقع العربية نت، ١٣ مارس ٢٠١٦، على الرابط التالي:http://ara.tv/p٥t٥f

تسريبات الرواية الرسمية السعودية.

ألقي القبض على الركيبي في شهر سبتمبر/ أيلول ٢٠١٦، واتهمت بالتحضير والإعداد للقيام بعمليات إرهابية في السعودية، تستهدف علماء ورجال أمن ومواقع أخرى في السعودية. والأغرب أنّ "الخلية الداعشية" المكونة من ١٧ فرداً تضم اثنين من أبنائها، هما حمد عبدالله محمد الموسى، ونصار عبدالله محمد الموسى، وشقيقها ناصر محمد منصور الركيبي[٤٦٣].

تتحدث الرواية الرسمية عن وجود دور مركزي ومحوري لخلود الركيبي يتمثل في دفع أبنائها وتشجيعهم على القيام بعمليات إرهابية والمشاركة بالترتيبات، وتجهيز أحد أبنائها للقيام بعملية انتحارية، بتوجيه من ابنها في الخارج، الذي يقاتل مع تنظيم الدولة الإسلامية[٤٦٤].

المثال الآخر هو لأم عاتكة، كما تُلقّب على مواقع التواصل الاجتماعي. اتهمتها السلطات السعودية بأنّها عضو في خلية، تتكون من ٩ سعوديين نشطوا عبر مواقع التواصل الاجتماعي في تأييد تنظيم الدولة الإسلامية، وتمّ إلقاء القبض عليها في شهر أبريل/ نيسان ٢٠١٥. إلاّ أنّ الجديد في موضوع هذه المرأة بأنّها اتُّهمت من قبل السلطات بمحاولة الاشتراك بعملية، ذات طبيعة قتالية، من خلال استدراج أحد العسكريين وقتله، لكن العملية فشلت، واعتقلت المرأة، دون أن تكون هنالك تفاصيل

(٤٦٣) انظر: "الداخلية القبض على شبكة إرهابية تضم ١٧ فرداً بينهم امرأة، المسار أون لاين، ١٩ سبتمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:
goo.gl/z6jWnO

(٤٦٤) انظر: من هي الداعشية خلود الركيبي، موقع السكينة، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٦، الرابط التالي:
http://www.assakina.com/news/news1/92772.html#ixzz4P-bru5DE9

وكذلك الأمر: الداخلية: ١٢ عملية فاشلة وسوري خطط لتفجير مدينة الأمن العام، موقع السكينة، ٢١ سبتمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:: http://www.assakina.com/news/news2/92724.html#ixzz4QjB1iZ00

ومعلومات إضافية أكثر مما تقدمه الرواية الرسمية[٤٦٥].

الخلاصات

صعود "النسائية الجهادية" السعودية: الشروط والأسباب

تكمن البنية الأساسيّة لفهم صعود النسائية الجهادية السعودية في مفهوم "النادي الاجتماعي"، الذي استخدمه الباحث الأميركي، سكوت أتران، أي شبكة العلاقات الاجتماعية الرئيسة، من أشقاء وأزواج وأباء وأبناء وأخوال، هذا أولاً، ثم العلاقات البينية التي تتركب على تلك العلاقات الأولية، مثل المصاهرة والصداقة والجوار والأنشطة الاجتماعية المشتركة بين هذه المجموعات[٤٦٦]. أي إنّ النسائية الجهادية السعودية أصبحت جزءاً أساسياً من مجتمع جهادي تشكّل في السعودية، من الرجال (الجهاديين)، وأمهاتهم وزوجاتهم وشقيقاتهم، وأطفالهم أيضاً.

يمكن ملاحظة هذه الشبكة من العلاقات من خلال عدّة مستويات؛ أولاً الأشقاء، فأغلب الحالات التي تعرّفنا عليها في هذا الفصل، كان الأشقّاء فيها عاملاً مهماً في التأثير على الجهاديات، مثل حالة كل من وفاء الشهري، وأروى البغدادي، والمهاجرة، أمينة الراشد، هيفاء الساعدي، ونجوى الصاعدي، حنان سمكري، أو الأزواج؛ فأغلب أزواج الحالات التي عرضناها هم من الموقوفين أو المقاتلين في الخارج، مثل أروى البغدادي، مي الطلق، ندى القحطاني، هيفاء الساعدي ونجوى الصاعدي، وريما الجريش، وفاء الشهري. وفي حال كان الزوج غير متوافق مع زوجته على أفكارها فقد يكون ذلك سبباً بالطلاق منه والزواج من رجل ثاني ينتمي إلى الفكر نفسه، مثلما هي حال مطلقة ساجر، وفاء اليحيى، وأمينة الراشد.

---

(٤٦٥) انظر: القبض على ٩٣ شخصاً بينهم امرأة ضمن خلايا تابعة لداعش، جريدة الرياض، ٢٨ أبريل ٢٠١٥.

(٤٦٦) لمزيد من التفصيل، انظر: سكوت أتران، الحديث إلى العدو: الدين والأخوة وصناعة الإرهابيين وتفكيكهم، ترجمة طاهر لباسي، جداول للنشر، بيروت، ومؤمنون بلا حدود، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

كما لعبت الأمهات دوراً مهمّاً يتمثّل في تحريض الأبناء أو تربيتهم على هذا الفكر، مثل: حنان سمكري، خلود الركيبي. وهناك من توجه أبناؤهن أو أشقاؤهن إلى القتال في الخارج، بعدما تعرضوا إلى السجن والاعتقال في الداخل على خلفية علاقاتهم الأسرية، ومنهم محمد الطلق (شقيق مي) ومعاذ الهاملي (ابن ريما الجريش) اللذين اعتقلا على خلفية مساعدة عائلاتهم في الاعتصامات من أجل المعتقلين.

وتتهم الرواية الرسمية السعودية النساء الجهاديات السعوديات بأنّهن يقفن أيضاً وراء بعض التفجيرات التي حدثت في السعودية، فميّ الطلق هي شقيقة عبدالله (١٥ عاماً)، الذي ورد اسمه في تفجير مسجد القديح في القطيف،كما ورد اسم شقيق ندى القحطاني (جليبيب) في تفجير آخر، بينما قام فهد سليمان القبّاع بتفجير مسجد الإمام الصادق في الكويت، ووالدته هي أم عبدالله القباع، التي كانت تنشط في الاعتصامات النسائية، للإفراج عن زوجها (أي والد الانتحاري). فيما ألقت قوات الأمن القبض على ولديها عبدالله وعبدالرحمن قبل فترة وجيزة من ذلك التفجير[٤٦٧].

تصل التشابكات والعلاقات البينية في "المجتمع الجهادي" السعودي، إلى حدّ المصاهرة، مثلما هي حالة كلّ من أمينة الراشد ونجوى الصاعدي (شقيق نجوى زوج ابنة أمينة)، بالإضافة إلى علاقات الجيرة والصداقة، إذ نجد من خلال الحالات السابقة أنّنا أمام مجموعتين رئيسيتين؛ الأولى هي مجموعة بريدة- القصيم، وتضم كل من هيلة القصير ومي الطلق وأمينة الراشد، ريما الجريش، ومجموعة مكة، وتضم كل من أروى البغدادي ونجوى الصاعدي وهيفاء الأحمدي وحنان سمكري ونجلاء الرومي، وهنالك حالات بالطبع في الرياض، مثل وفاء اليحيى، بالإضافة إلى حالات تنتمي إلى مناطق ومحافظات الشمال وجدة وغيرها من مناطق مختلفة.

أما المستوى التعليمي للحالات، فهو متباين، لكن من الملاحظ بأنّ الأغلبية متعلمات، وعلى مستوى عالٍ من التحصيل الأكاديمي. فعلى صعيد الدراسات العليا، نجد نماذج وفاء اليحيى ونجوى الصاعدي؛وكانتا تدرّسان في الجامعات،

---

(٤٦٧) هدى الصالح، شبح أمهات داعش خلف تفجيرات الكويت والسعودية، موقع العربية نت، ٢٩ يونيو ٢٠١٥، الرابط التالي:
http://ara.tv/4agwz

وحاصلات على الماجستير، بينما سجلت كلّ من هيلة القصير وهيفاء الساعدي للماجستير لكنهما لم تكملا، لعدم قناعتهما في الشهادة. و"أم أويس" هي طالبة دراسات عليا، و"ابنة نجد" وصف تعليمها بأنّه على "مستوى متقدم"، كما إنّ كلّاً من مي الطلق وندى القحطاني ومطلقة ساجر، وهند القرشي و"الفنانة التشكيلية"، هن جامعيات. فيما وقفتريما الجريش عند مرحلة التعليم الثانوي، وخلود الركيبي عندمرحلة التعليم الابتدائي، ووفاء الشهري عندمرحلة التعليم المتوسط.

على صعيد العمر، نجد أنّنا أمام أعمار متفاوتة نسبياً، وإن كان أغلب هؤلاء النساء في العشرينيات والثلاثينيات، وهناك من هنّ في الأربعينيات. أمّا على المستوى الاقتصادي، فثمّة تفاوت أيضاً. فمن خلال ما سبق، تبدو حالة كل من أروى البغدادي وندى القحطاني مريحة جداً اقتصاديّاً، وكذلك الحالعند أهل ريما الجريش، كما إنّ بعض المعطيات عن عائلة نجوى الصاعدي تؤشر إلى التقدير نفسه. ولا نجد، بالمجمل،أيّة حالة تنطبق عليها شروط الفقر أو الحرمان بالمعنى الظاهر، في كل ما درسناه. فنحن على الأغلب نتحدث عن أبناء الطبقة الوسطى العليا والدنيا، اقتصادياً (أي من حيث معدل الدخل).

لو أردنا تلخيص ما سبق، فإنّنا نتحدث عن غالبية كبرى من المتعلمات، وبنات الطبقة الوسطى، تأثرن بالفكر السلفي الجهادي، سواء كان قاعدياً أو أقرب إلى تنظيم الدولة الإسلامية، من خلال الأقارب، بالدرجة الأولى؛ الآباء والأشقاء والأمهات، وعلاقات الصداقة والجوار بالدرجة الثانية، وثالثاً بتشبيك العلاقة بين أفراد هذا "المجتمع الجهادي"، ليصبحوا أشبه بـ"النادي الاجتماعي"، يعرفون بعضهم البعض ويتواصلون لتنظيم الاحتجاجات والمظاهرات التي تطالب بالإفراج عن الموقوفين، وهنالك من يشتركون معاً في عمليات (مثل قضية نقطة تفتيش وادي الدواسر، التي قتل فيها محمد البغدادي- شقيق أروى البغدادي وأصيب اليزن الجزائري- ابن حنان سمكري)، أو يقررون المغادرة و"الهجرة"، مثلما حدث مع معاذ الهاملي- ابن ريما الجريش، محمد الطلق- شقيق ميّ الطلق، أو كما حاولت كل من مي الطلق وأمينة الراشد المغادرة معاً، فألقي القبض عليهما عند الحدود. أو أن تكون وفاء الشهري في استقبال القادمين من الخارج، كما فعلت مع كل من ريما الجريش وأروى البغدادي.

صحيح أنّ الحالة النسائية الجهادية السعودية تمثّل جزءاً من المجتمع الجهادي الجديد، وهي الجملة المفتاحية لفهم الظاهرة هناك، إلاّ أنّه من المهم أيضاً إدراك أنّ هذا المجتمع لم يتشكّل صدفة، أو بين ليلة وضحاها، فهو كما ذكرنا- في الحديث عن تطوّر الحالة السلفية الجهادية السعودية، مرّ بمراحل متعددة، وتطوّرت أيديولوجيته وصولاً إلى المرحلة الراهنة.

بدأت جذور هذا المجتمع في مرحلة الجهاد الأفغاني، الذي شارك فيه آلاف السعوديون، ثمّ عادت نسبة منهم واندمجت مع المجتمع، فيما فضّلت نسبة أخرىالبقاء في الخارج، والقتال في جبهات أخرى، في البوسنة والشيشان وكوسوفا، ثم العودة إلى أفغانستان مرّة أخرى، بعد سيطرة حركة طالبان، وعودة أسامة بن لادن إلى أفغانستان وتأسيسه تنظيم القاعدة.

ثم مع انفتاح الساحة العراقية ازداد عدد السعوديين هناك بصورة ملحوظة، وأصبحوا يشكلون الأغلبية من المهاجرين إلى هناك. ولاحقاً مع انفجار الأوضاع في كل من العراق وسوريا، وظهور تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة، أصبح السعوديون عنصراً رئيساً وفاعلاً في تلك الجماعات.

لا توجد أرقام مؤكدة وموثقة تماماً عن أعداد السعوديين الذين ذهبوا إلى ساحات القتال، أو أعداد من عادوا، ومن لا يزالون هناك، ومن قُتلوا. كما لا يوجد رقم رسمي موثق عن أعداد المعتقلين السعوديين على خلفية قضايا الانتماء للقاعدة وداعش والإرهاب. فالأوساط الحقوقية تتحدث عن رقم كبير يصل إلى ٥٠ ألف، فيما تتحدّث بعض التسريبات الرسمية عن خمسة ألاف معتقل! في المحصلة، فإننا نتحدث عن عشرات الآلاف من الجهاديين وعائلاتهم وأبنائهم والمحيطين بهم.

ساهمت السياسات السعودية بدرجة كبيرة في تشكّل هذا المجتمع الجهادي ونموه وصعوده، من أكثر من زاوية؛ فهي **أولاً** شجعت على الجهاد والنفير للرجال إلى أفغانستان، فغادر آلاف السعوديين، ضمن ما يسمى بـ"الجهاد التضامني"، لكن هؤلاء، وفي مقدمتهم ابن لادن، لم يكونوا يقولون بكفر الدولة السعودية، أو المواجهة معها، حتى تطوّرت الأمور، منذ عودة ابن لادن إلى السعودية في بداية التسعينيات، والاستعانة بالقوات الأميركية، مروراً باعتقال شيوخ الصحوة سفر الحوالي وسلمان

العودة ومن معهم، وازدياد وتيرة الاحتكاك بين الأجيال الإسلامية الجديدة والحكومة السعودية، مع انتشار كتاب جديد ساهم في إعادة قولبة رؤية الشباب للحكومة، وهو كتاب الجهادي الأردني، أبو محمد المقدسي بعنوان "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية"، الذي كان في تلك المرحلة أي بداية التسعينيات- بمثابة مفاجأة كبيرة، نظراً لتضاربه مع تصور أبناء التجربة السعودية- الأفغانية، الذين يرون في السعودية دولة إسلامية، تطبق الشريعة. لكن مع مرور الوقت، وبروز الصيغة الجديدة للقاعدة في العام ١٩٩٨، من خلال الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين، أصبح موقف المقدسي هو الموقف المعتمد للحركة الجهادية السعودية. ولاحقاً تأسست القاعدة على أساس الصدام مع الحكومة السعودية غير الصادقة في تبنيها للإسلام.

أخذت التحولات الإيديولوجية مداها مع الألفية الجديدة، وبعد تشكّل قاعدة السعودية في العام ٢٠٠٢، ثم من خلال الصدام الشديد بينها وبين السلطات الأمنية، وما أدت إليه من قتلى واعتقالات، وصلت إلى آلاف الأشخاص. وهنا بدأت تظهر وتتسع وتتمدد قضية المعتقلين هناك، في ظل غياب أصول واضحة للقضاء المدني السعودي، وعدم وجود مؤسسات رقابية وطنية وقوانين تضبط مدة الاعتقال وتكون مرجعاً للأحكام وتضمن تمثيل المتهمين من خلال محامين. وبالعودة إلى كثير من الأحكام، نجد بأنّها صدرت بداعي "التعزير"، وهو حكم إسلامي مرن فضفاض يتيح للقاضي تقدير المدة التي يريدها وإصدار الحكم الذي يريده من غير أي ضوابط حقيقية.

أصبح التيار السلفي الجهادي، الذي ينتمي إلى القاعدة، بمثابة "قنبلة موقوتة" في أحضان الحكومة السعودية، وأصبح التعامل معه أكثر صعوبة، وتراكم عدد المعتقلين؛ وكثير منهم من غير تهم محددة مضبوطة قانونياً، ولمدد طويلة جداً تصل إلى عشرات الأعوام أحياناً، دون وجود مرجعيات مؤسسية وقانونية يمكن الاحتكام إليها. كل ذلك ولّد وعزز ديناميكية الحركة النسائية الجهادية، التي يصعب فهم تطورها ونموها من دون ربطها بقضية المعتقلين الجهاديين هناك.

من زاوية أخرى، فإنّ تعامل السلطات السعودية مع نساء المعتقلين -والاحتجاجات والمظاهرات والنشاطفي الفضاء الافتراضي التي تولّد عنها- كان له

دور كبير في تأجيج الاحتقان بين الطرفين؛ العائلات والدولة، مما أدى إلى اعتقال النساء واحتجاز الأطفال في السجون، واتهامات متبادلة، سواء بالتعذيب والإهانة، من طرف النساء للسلطات، أو بالاشتراك بالعمليات الإرهابية من طرف السلطات للنساء، الأمر الذي وصل إلى حرب إعلامية افتراضية أخذت مساحة واسعة في أعوام سابقة من اهتمام السعوديين. فقد ارتفعت وتيرة مشاركات النساء الجهاديات عبر العالم الافتراضي، وذاعت أسماء ووسوم (هاشتاقات) عديدة تعبّر عن هذه الحالة، وأخذت المعركة بينهن وبين السلطات مدى واسعاً في هذا الفضاء، نظراً لحجم التأثير الكبير به، ونظراً للنسبة المرتفعة من مستخدميه السعوديين، بخاصة التويتر. ونجحت نساء المعتقلين، ثم المعتقلات، في الترويج لقضيتهم ونشر فيديوهات ومعلومات عن المعتقلين والمعتقلات، ما زاد من حجم الضغوط على الحكومة السعودية.

كان لهذه المعركة الإعلامية والمواجهات السياسية بين الطرفين (الدولة ونساء المعتقلين) دور فاعل في توليد ظاهرة الجهاديات السعوديات، اللواتي دخلن في تحدٍّ حقيقي مع السلطات. فقد بدأت الحكومة وأدواتها الإعلامية باتهام النساء بأنّهن داعشيات وإرهابيات ومن الفئة الضالة، وبدأت النساء باستخدام خطابرمزي عنيف ضد السلطة، مماثل لخطاب القاعدة تماماً، مع التركيز على شخصية وزير الداخلية، محمد بن نايف، الذي تمّت محاولة اغتياله في العام ٢٠٠٩، من خلال أحد الانتحاريين، ثمّ مفاوضته في العام ٢٠١٢ لإطلاق سراح جهاديين بينهم نساء معتقلات.

برزت للمرّة الأولى في مجتمع محافظ سعودي - لا يسمح فيه للمرأة بقيادة السيارة، ويفرض عليها محددات رئيسة في عملها وسلوكها وملابسها- أسماء نسائية جهادية لامعة، أصبحن معروفات للإعلام في العالم الافتراضي، وهي الأسماء التي تناولناها في هذا الفصل تحديداً. وهذا ربما يفسّر لنا خصوصية الحالة السعودية، مقارنة بالحالات الأخرى، مثل الحالة التونسية، التي لا نجد فيها أسماء جهاديات لامعة، بينما في السعودية المجتمع المحافظ- أصبحت الجهاديات نجوماً في سماء عالم السلفية الجهادية، ومعروفات إعلامياً، بين مشيطن لهنّ ومتعاطف معهن!

عزّز من الإشكالية السابقة عدم وجود مؤسسات مجتمع مدني مستقلة في

المجتمع السعودي. بل اعتبرت السلطات أنّ أي نشاط مؤيد للمعتقلات، ولو كان نشاطاً حقوقياً، هو بمثابة تحريض على الفتنة وعصيان ولي الأمر، والخروج على الدولة، لذلك تمّ اعتقال مؤسسي جمعية الحقوق المدنيّة والسياسيّة في السعوديّة (حزم)[٤٦٨]، من قبل السلطات السعودية، وإصدار قرار من قبل المحكمة المتخصصة في العام ٢٠١٣ بحل الجمعية -التي أعلن عن تأسيسها في العام ٢٠٠٩، ولم تحظى بموافقة رسميّة من السلطات- واعتبارها غير شرعية، ومصادرة ممتلكاتها![٤٦٩]

ولم يكن موقف السلطات السعودية مختلفاً من "الحملات الإلكترونية" التي تبنت قضايا المعتقلين، ثم المعتقلات الجهاديات، مثل موقع "اعتقال" و"مناصرون". إذ أصبح مجرّد التواصل مع "معرّفي" هذه الحسابات بمثابة تهمة بحدّ ذاتها، كما أصبح الاتصال مع القنوات السعودية المعارضة، التي يديرها المعارض السعودي المعروف، في لندن، سعد الفقيه، بمثابة دليل إدانة ضد النساء المناصرات للجهاديين، كما حدث مع أروى البغدادي.

لا يمكن الجزم بأنّ سلوك السلطات السعودية أولاً مع المعتقلين الجهاديين، وثانياً مع نسائهم، وحده، هو ما قاد نسبة من النساء (اللواتي تناولنا قصصهن وغيرهن) إلى الانتقال من مربع المطالبة السياسية بالإفراج عن أقربائهم المعتقلين أو المطالبة بمحاكمتهم بصورة شفافة إلى المرحلة التي أصبحن فيها جهاديات، بصورة واضحة، إما عبر الهجرة (النفير إلى الخارج)، أو الانتماء إلى جماعات جهادية أو المشاركة في

---

(٤٦٨) جمعية الحقوق المدنية والسياسية السعودية، وقد أسسها ١١ ناشطاً حقوقياً أغلبهم من الأكاديميين في العام ٢٠٠٩، بهدف الدفاع عن حقوق الإنسان في السعوديّة. تمّ حلّها ومصادرة ممتلكاتها بقرار المحكمة، وحُكم على بعض أعضائها بالسجن على خلفيّة تأسيس الجمعيّة.

(٤٦٩) انظر عن الجمعية، تقرير "المملكة العربية السعودية: استمرار الاستهداف الممنهج لأعضاء جمعية الحقوق المدنية والسياسية في السعودية"، موقع المنظمة السعودية للحقوق والحريات، ٣٠ يناير ٢٠١٦، على الرابط التالي:
http://www.saorf.org/?p=453 ، وانظر كذلك موقف مغاير من الجمعية، على موقع السكينة، التابع للسلطات السعودية، تقرير بعنوان "جمعية الحقوق المدنية والسياسية (حسم)"، ١٠ مارس ٢٠١٣، على الرابط التالي:
http://www.assakina.com/center/parties/22693.html

عمليات لاحقاً. لكن ما يمكن استنتاجه بسهولة عبر هذه القصص هو أنّ سلوك السلطات السعودية - وأسلوبها وسياساتها تجاه المعتقلين- قد ساهم في نمو ظاهرات الجهاديات السعوديات وصعودها، وبقرار عدد من النساء الهجرة إلى الخارج والالتحاق بالجماعات الجهادية في العراق أو سوريا أو حتى اليمن.

وتبدو المفارقة الأخرى، هنا، أنّ السلطات السعودية بالرغم من عدم وجود أصول قانونية واضحة للمحاكمات الجزائية لديها في موضوع الإرهاب، وعدم وجود شفافية ومعايير قانونية وحقوقية وإنسانية واضحة في التعامل مع ملف المعتقلين، إلاّ أنّها تسمح بما لا تسمح به دول وحكومات أخرى من خلوة الرجل بزوجته، وتمكينهم من اللقاء الخاص، مما خفّف بعض أبعاد المشكلة إنسانياً، لكنّه ضاعفها من زاوية أخرى- إذ أنّه أتاح المجال لكثير من المعتقلين بالزواج والارتباط مع نساء، وتكوين عائلات، تشعر منذ البداية بأنّها محرومة من الأب، وتتعاطف مع بعضها وصولاً إلى تكوين وتوسيع قاعدة المجتمع الجهادي السعودي.

لا يُمكن فصل "تشكّل المجتمع الجهادي" وبروز " النسائية الجهادية" عن السياسات الرسمية داخلياً وخارجياً؛ خارجياً من خلال تبنّي السعودية لقضايا الجهاد في أفغانستان، وفتحها المجال للشباب السعودي للذهاب إلى هناك بالآلاف، وسياسياً وديبلوماسياً عبر الدعم الكبير للمسلمين في البوسنة والشيشان، وفتح الباب للتبرعات الخيرية التي أصبحت بوابة لولوج الشباب السعودي إلى ساحات القتال، وتبني قضايا المسلمين السنّة في مواجهة المشروع الإيراني لاحقاً، عبر خطاب ديني رسمي تثويري، ما شجّع عدداً كبيراً من الشباب للهجرة إلى تلك المناطق، وبتحريض من شيوخ الدين سابقاً، قبل أن تعود السلطات السعودية وتجرّم الانضمام إلى تلك الجماعات لاحقاً.

أما داخلياً، فإنّ خصوصية الحالة السعودية تتبدّى من خلال نفوذ "المدرسة السلفية" الواسع هناك، وعلاقة التزاوج بينها وبين الحكم السعودي، وتبني الدولة لها في السياسات التعليمية والدينية والثقافية والتشريعية، ما جعل من عملية الانتقال من "السلفية التقليدية" - التي ترعاها الدولة وتتبنّاها، نظراً لالتزامها بعدم التدخل في السياسة وبطاعة الحكومات وتحريم العمل السياسي والمعارض- إلى "السلفية الجهادية"،

ليس بالانتقال العسير، بل السلس!

فالسلفيتان التقليدية والجهادية تتفقان في الأرضية العقائدية والفقهية والدينية نفسها، كما تشتركان في الموقف من الديمقراطية والتعددية السياسية، وتطبيق الشريعة الإسلامية (بالصيغة الوهابية)، وبالموقف من الشيعة (من حيث التضليل والتفسيق، وإن كانت هنالك خلافات في تكفيرهم) ومن إيران. ولو فكّرنا في مساحة الأرض المشتركة سنجد أنّها كبيرة وعريضة، بينما تكمن الفروقات في تفاصيل واقعية، مثل الموقف من الحكومة السعودية والولايات المتحدة الأميركية. لذلك تجد السلطات السياسية السعوديّة صعوبة كبيرة في بناء الرواية الدينية والسياسية المضادة لتنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة والسلفية الجهادية عموماً، لأنّ شرعية الحكم تقوم أصلاً على أصول المدرسة السلفية الوهابية نفسها،التي تأسس عليها تنظيم الدولة الإسلامية وتتبنّتها القاعدة.

يرى بعض الباحثين بأنّ موارد القاعدة وداعش الفكرية والفقهية لا تقف عند حدود "المدرسة السلفية"، إذ تمتد إلى المصادر التراثية والفقهية الإسلامية عموماً، وهذا صحيح بالجملة. لكن بالتدقيق، سنجد أنّ السلفية تحديداً هي المصدر الأكثر تأثيراً في إيديولوجية التنظيمين ومصادرهما الفقهية والفكرية والعقائدية والمعرفية، وربما نتناول ذلك بتوضيح أكثر عندما نحلل نموذج د. "إيمان البغا" التي كتبت رسالة بعنوان "أنا داعشية قبل أن توجد داعش".

لو تجاوزنا المولّدات والأسباب التي أدت إلى صعود النسائية الجهادية السعودية، وتناولنا سماتها، سنجد أنّنا أمام سمات متعددة، في مقدمتها السيولة الاستثنائية بالانتقال من القاعدة إلى داعش، وربما ينسجمذلك مع الحالة السلفية الجهادية عموماً (أي تشمل الرجال أيضاً)، الذين أصبحوا أكثر اقتراباً والتزاماً بنهج داعش بعد صعوده في العراق وسوريا منذ العام ٢٠١٣. فأصبحت قضايا النساء الداعشيات ظاهرة، بعد أن كانت القضايا سابقاً مرتبطة بالقاعديات. ونجد أنّ هنالك نساء ينتقلن من القاعدة إلى داعش، كما حدث مع ريما الجريش وغيرها، من دون وجود حدود فاصلة صلبة تفصل بين المرحلتين.

كما إنّ أغلب السعوديين المعتقلين سابقاً هم من المرتبطين، وفق التهم، بتنظيم

القاعدة، لكنّنا نجد من زوجاتهم وأبنائهم من ذهبوا إلى تنظيم الدولة الإسلامية، بالرغم مما بين التنظيمين من صراع واقتتال في كل من العراق وسوريا، كما هي حال ريما الجريش، التي تقاتل مع ابنها معاذ الهاملي في سوريا لصالح تنظيم الدولة، بينما والده معتقل على خلفية علاقته مع القاعدة، في حين أنّ صديقتها وفاء الشهري تنتمي لتنظيم القاعدة في اليمن، وزوجة زعيم الرجل الثاني سعيد الشهري، الذي قُتل في اليمن.

ومن السمات المُلاحظة أيضاً، تحوّل دور المرأة الجهادية، من مجرّد زوجة، في البداية، قد تغادر مع زوجها إلى أرض القتال، من دون أن تقوم بنشاط خاص، إلى فاعلة ونشيطة على الإنترنت، وفي الترويج للأنشطة الجهادية ودعمها؛ إذ تشير إحصائية رسمية سعودية إلى أنّ ٤٠٪ من المنتديات الجهاديّة السعوديّة كانت تديرها نساء، وصولاً إلى الدعم اللوجستي، والدخول في مواجهات مباشرة وقتال مع السلطات السعودية، وإلى النفير أو الهجرة لساحات القتال.

وتبدو المفارقة، مرّة أخرى، في هجرة بعض النساء السعوديات من دون "محرم" (أي رجل عاقل بالغ قريب من الدرجة الأولى)، في دولة تحرّم قيادة المرأة للسيارة. ومثل هذه المفارقة دفعت بالعديد ممن سافرن إلى أخذ أشقائهن القاصرين، ليكون "محارم" لهن، لأنّهم بلغوا سنّ المراهقة، الذي يعتبر لدى الجهاديين سنّ الرجولة.

الفصل الثالث

إيمان مصطفى البُغا؛ التنظير الإيديولوجي والفقهي

الفصل الثالث

إيمان مصطفى البُغا.. التنظير الإيديولوجي والفقهي

"الأمة الإسلامية بحاجة إلى علماء استشهاديين، يتركون الحياة الرغيدة ليقيموا الحجة على المسلمين، ومن فعل هذا هو مليكي الشيخ أسامة بن لادن، ترك بلايينه من أجل أن يحرضنا على الجهاد في سبيل الله وأقام في الكهوف"

إيمان البُغا

مقدمة

لم يكن اسم إيمان البغا معروفاً على نطاقٍ واسع قبل إعلان هجرتها إلى الموصل في أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠١٤، مروراً بالرقّة. لكن ما كان معروفاً، هو أنّ والدها أحد أبرز علماء الدين في دمشق، ممن أعلنوا تأييدهم مبكّراً لبشار الأسد، في خطبة جمعة شهيرة، وأنّ لها أشقاء وشقيقات معروفون بأنّهم حاصلون على شهادات الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتهم شقيقها محمد حسن البغا، الذي كان عميداً لكلية الشريعة، وهو الآخر من المؤيدين للرئيس الأسد.

كيف يمكن أن نقرأ هذا "النموذج"؛ أستاذة شريعة من بيت "أساتذة الشريعة"، وابنة عالم دين مشهور ومعروف في أوساط العلماء تختار الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية، والهجرة إلى الموصل، بينما تعلن العائلة بصورة غير رسمية التبرؤ منها، وعدم قبولها بما فعلت.

وكانت من يطلق عليها "شاعرة الجهاد"، في أوساط التنظيم ومؤيديه، أحلام النصر (١٥ عاماً) قد أعلنت بأنّها وصلت إلى "أرض الخلافة"، وتم عقد قرانها على أحد الجهاديين المعروفين هناك، وهو أبو أسامة الغريب، نمساوي من أصل مصري، ليتداول الإعلام لاحقاً أخباراً وتقارير تقول بأنّ هذه الفتاة الشاعرة هي ابنة الدكتورة إيمان البغا، ثمّ تواردت الأنباء عن زواج شقيقتها الأصغر منها من أحد المقاتلين في

تنظيم الدولة، لكننا لم نستطع في هذه الدراسة التأكد بصورة قطعية ومثبتة من أنّ "أحلام النصر" هي ابنة إيمان البغا[٤٧٠].

وفي شهر يونيو/ حزيران من العام ٢٠١٦، تم الإعلان عن مقتل ابن إيمان البغا، الذي كان يلقّب نفسه بـ"أبو الحسن الدمشقي" (قرابة ١٥ عاماً، وكان عمره ١٣ عاماً عندما هاجر إلى الموصل) في إحدى المواجهات التي خاضها تنظيم الدولة.

ثمّة مساحة مهمة لا بدّ من استكشافها هنا في حياة إيمان البغا وقرارها بالهجرة إلى الموصل، مع أبنائها، وأن نتفحّص ما إذا كان قرارها نتيجة لتحولات مفاجئة في آرائها الإيديولوجية أو نتيجة عوامل نفسية أو اجتماعية أم أنّه قرار نضج بهدوء وتراكم.

ولعلّ أهمية نموذج البغا لا يكمن في مستواها التعليمي فقط، ولا بخلفيتها الاجتماعية اللافتة، ولا حتى بموقعها المتقدم في الجهاز الشرعي والفقهي لتنظيم الدولة الإسلامية، وفق تقديرات إعلامية، بل في أنّها يمكن أن تُعدّ الوجه النسائي الأبرز في التنظيم؛ فلها نشاط هائل، واستثنائي على مواقع التواصل الاجتماعي، مقارنةً بالآخرين الممنوعين من استخدام تلك الشبكات الإلكترونية وفق قرارات التنظيم. وقد باتت إيمان البغا مشهورة بوصفها المحامي الإيديولوجي والفقهي البارز عن تنظيم الدولة ومواقفه السياسية. وفي الوقت نفسه، تقدّم صورة الحياة "المثالية" (وفق منظورها) من داخل الأراضي التي يسيطر عليها التنظيم، وتتصدى للرد على الانتقادات الموجهة له من الآخرين، فهي من أكثر الأصوات وضوحاً ونشاطاً من أبناء التنظيم، في المجال الإعلامي والثقافي العام.

من خلال هذا الفصل سنحاول الاقتراب أكثر من هذا النموذج، لتحليله، والبحث فيما وراء أسباب انضمامها إلى تنظيم الدولة، ومواقفها الفكرية والثقافية والسياسية، وتأثير عائلتها الكبرى (والدها وأشقائها) والصغرى (زوجها وأبنائها)

---

(٤٧٠) حاولت إيمان البغا في إحدى المرات تقديم نفي غير مباشر بأن تكون "أحلام النصر" هي ابنتها، لكنها لم تنفِ ذلك بصورة قطعية ومباشرة، وقد يكون نفيها في حال كانت أحلام ابنتها– لأسباب أمنية.

عليها.

العائلة والتنشئة الاجتماعية

الغريب في الأمر، أنّه بالرغم من أنّ عائلتها ووالدها مصطفى البُغا، معروفون في دمشق والشام، ومناطق أخرى من العالم العربي، إلاّ أنّ المعلومات المتاحة عن حياتهم الخاصة تكاد تكون شحيحة، وتزداد صعوبة البحث عندما نقترب من إيمان البُغا، وعائلتها الصغيرة، فيصبح الوصول إلى المعلومات الأساسية، أمراً صعب المنال، حتى لو تعلّق الأمر بمعرفة اسم زوجها، مثلاً![٤٧١]

لا يمنع ذلك من محاولة رسم صورة قريبة، بما توافر من معلومات ومصادر عن المحيط الاجتماعي وعن تنشئها، ثم عن تجربتها الروحية والفكرية، قبل انتقالها إلى أراضي تنظيم الدولة، إذ إنّها ستتكفّل، بعد تلك الهجرة، بالتعريف بأفكارها ومواقفها بصورة أكثر وضوحاً؛ من خلال منشوراتها على الفيس بوك والتويتر.

إيمان، كما تشير مصادر مقرّبة من العائلة، في النصف الثاني من الأربعينات من العمر، تقريباً[٤٧٢]. وُلدت وعاشت في كنف والدها، د. مصطفى البُغا، الذي تزوج أربع نساء، وأنجب العديد من الأبناء. عُرف منهم من أنهى الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، مثل د. محمد حسن البغا (الذي أصبح عميداً لكلية الشريعة في جامعة دمشق لاحقاً، وهو أكبر أبنائه، وقد أنهى دراسة الدكتوراه في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية)، ود. أنس البُغا، الذي ينشط في الخطابة والدعوة برفقة والده، داخل سورية وخارجها، ود. حنان البُغا (تقيم مع زوجها د. محمد خلدون المالكي في السعودية، وهما مدرّسان للشريعة الإسلامية)، ود. سمية البُغا (وزوجها الدكتور بسّام الشيخ، وهما مدرّسان للشريعة أيضاً في جامعة دمشق) ود. أسماء البُغا (وتقيم مع زوجها محمود

(٤٧١) حاولنا التواصل مع عائلتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، في سبيل الحصول على معلومات أولية، وكان هنالك تهرب من قبل العائلة والأقارب من الإجابة على الأسئلة، حتى عن أسئلة بسيطة مثل اسم زوجها، وعن علاقتها به، وهنالك إصرار من قبل أفراد العائلة على إخفاء أي معلومة ولو كانت صغيرة عن حياتها.

(٤٧٢) تشير صفحتها على الفيس بوك إلى أنها من مواليد العام ١٩٦٧، وإن كانت هي تتهرب من تحديد عمر لها، وتعتبر ذلك من "خوارم المروءة".

فلاحة - الذي أنهى دراسة الشريعة ولم يكمل الدراسات العليا- في تركيا حالياً). بالإضافة إلى الأبناء، فإنّأصهار العائلة وأنسباءها معروفون في الأوساط الدمشقة بأنّهم "أساتذة" شريعة إسلامية، كما أنّ معظم الأنسباء السابقين من طلاب والدهم، د. مصطفى البغا، ومن مريديه[٤٧٣].

والدها من مواليد (١٩٣٨)، في حيّ الميدان في دمشق، وهو الحيّ الذي ترعرع فيه وعاش فيها عمراً طويلاً. تخرّج (في العام ١٩٥٣) من معهد التوجيه الإسلامي، الذي أسسه أحد أشهر علماء الدين في دمشق، د. حسن حبنّكة الميداني، ثم درس البكالوريوس الشريعة في كلية الشريعة في جامعة دمشق، وأكمل دراسته للماجستير والدكتوراه في أصول الفقه من جامعة الأزهر، ليعود إلى التدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق منذ العام ١٩٧٨ وإلى العام ٢٠٠٠.

عُرف البغا باهتمامه بالفقه المذهبي القديم، وبتحقيق المخطوطات الفقهية والدينية، وهو أقرب إلى نموذج العلماء والمشايخ التقليديين، الذين لا يميلون إلى فكرة التجديد أو إلى المواءمة بين مستجدات العصر والتراث الإسلامي، فهو، كما يصفه بعض طلابه، مغرقٌ تماماً في العلوم الفقهية القديمة، ولا يهتم بالجوانب الفكرية ولا بقضايا التجديد الديني.

يعدّ البُغا من أبرز تلاميذ مشايخ الشام المعروفين، مثل حسن حبنكة الميداني، ومصطفى الخن، وكان من أساتذته في جامعة دمشق بعض العلماء المعروفين، مثل مصطفى السباعي، وعبدالفتاح أبو غدة، كما درس على يد الشيخ كريّم راجح (المعروف بشيخ قراء الشام للقرآن الكريم) وخيرو ياسين.

اشتهر كأحد الوعاظ والعلماء البارزين في دمشق، وكان خطيباً لمسجد الغواص في حي الميدان لفترة طويلة، ثم لجامع زين العابدين في الحيّ نفسه، ويملك"دار المصطفى" التي تطبع كتبه ومنشوراته التي يؤلفها ويحققها، ويقوم بتدريسها لطلابه في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

---

(٤٧٣) رفضت مصادر سورية، تعرف العائلة وقريبة من أوساط كلية الشريعة بجامعة دمشق، ذكر أسمائهم بدقة.

غادر في العام ٢٠٠٠ للتدريس في قطر، ثم إلى للتدريس في الأردن في جامعة اليرموك وجامعة العلوم الإسلامية، قبل أن ينتقل مؤخراً إلى داغستان، بناء على طلب رئيس الجمهورية هناك، للمساهمة في الدعوة والتعليم في الجمهورية، التي تواجه، هي الأخرى، نمواً للحركات الجهادية الناشطة في آسيا الوسطى[٤٧٤].

ومن المعروف عن د. مصطفى البغا بأنّه أقرب في أرائه ومعتقداته الدينية إلى المذهب الشافعي، والعقيدة الأشعرية، وأنه قريب من الطرق الصوفية المعتدلة، بخاصة الطريقة النقشبندية، وقد درّس سابقاً في معهد الشيخ الخزنوي، في قرية معروف، في محافظة الحسكة، مادة الثقافة الإسلامية للثانوية العامة، ودرّس كذلك في محافظة السويداء[٤٧٥].

تزوج أربع نساء، لكن لم تكن علاقاته الأسرية مستقرة تماماً، وقد تعرّض، في بعض الأحيان،إلى الإحراج من قبل إحدى نسائه في المسجد أمام المصلين أو في الكلية أمام الطلاب، وقد طلق إحداهن بسبب ذلك، وكان قد تزوج بعض طالباته. إلا أنّ علاقته غير المستقّرة بزوجاته لم تنعكس على علاقته بأبنائه المعروفين، فنجد أنّ بناته وأزواجهن (من أنهوا الشريعة) يفتخرون به، ويقدّرونه بصورة كبيرة على صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي[٤٧٦].

لم يحصل الدكتور مصطفى البغا على مكاسب سياسية أو اجتماعية من النظام السوري، كما حصل مع كلّ من أحمد كفتارو وأحمد حسون (المفتيين العامين السابق والحالي للجمهورية السورية) وغيرهم، وبقي بعيداً عن المواقع الدينية الرسمية. لكنّه في

---

(٤٧٤) انظر عن تفاصيل زيارته لداغستان وعمله هناك، صفحة ولده الدكتور أنس البغا على موقع الفيس بوك، على الرابط التالي:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100003327396129&fref=ts

(٤٧٥) انظر التعريف به على صفحته الرسمية على الفيس بوك، ويمكن الوصول إلى ذلك عبر الرابط التالي:

https://www.facebook.com/sh.prof.moustafaalbougha/about/

(٤٧٦) شهادات لطلاب درسوا في كلية الشريعة وعاصروا الدكتور البغا وأبناءه، رفضوا الكشف عن أسمائهم.

المقابل لم يأخذ مواقف معارضة للنظام، لا قبل الثورة ولا بعدها. ويذكر بعض من يعرفونه ويعرفون عائلته بأنّه تبرأ من تلاميذه الذين كانوا يدرسون على يديه في جامع الغوّاص، خلال المواجهات بين جماعة الإخوان المسلمين والنظام السوري، واختار حينها الابتعاد عن أي موقف علني، مما جعله مقبولاً من النظام، لكن دون أن يحظى امتيازات كبيرة، كما لم يؤدّ موقفه ذاك إلى معاداته من قبل المعارضة والإسلاميين، لأنه لم يدخل في مواجهة معهم، إلى أنه خَطَبَ في بداية الثورة خطبة يدعم فيها نظام الأسد ضد الثوّار، فتغير موقف المعارضة والإسلاميين المعارضين منه بصورة كبيرة[٤٧٧].

أمّا على صعيد التنشئة الدينية، فهو معروف بتشدده الديني، إذ يذكر تلاميذه بأنّه كان حريصاً على الفصل بين الطلاب والطالبات، حتى في المحاضرات، وهي الثقافة التي ورثتها إيمان عن أبيها؛ إذ نشأت في أسرةٍ محافظة دينياً، وأخذت مساراً موازياً لدراستها المدرسية في تلقي العلوم الدينية على يد والدها وعدد من المشايخ الآخرين في دمشق.

لا يتوافر بين أيدينا عن طفولة إيمان إلاّ ما كتبته هي عن طفولتها ونشأتها، إذ تقول "**في بيئة كمثل بيئاتكم نشأت، قد تتميز بشيء غير موجود لدى الآخرين وقد تفتقد لما هو موجود لديهم، إلا أنني لم أكن كثيرة اللعب؛ وأما التسلية فكانت متعذرة بسبب رفض والدي أن يشتري لنا تلفازاً لألا يكون صنماً نعكف عليه (وذلك عندما كنت صغيرة) ووضع بين أيدينا كل مفيد من القصص والكتب ..**

الجو الممل دفعني إلى القراءة. قرأت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته حتى تشربت قصصهم في كياني وعشت في جزيرة العرب وكأني أسير على حصبائها وألعب برمالها. ثم قرأت لنجيب الكيلاني وأول ما قرأت له (ليالي

---

(٤٧٧) انظر: مقطع من الخطبة بتاريخ ١٧ أبريل ٢٠١١، على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=XhARfOgQusU ، وكذلك:
إبراهيم الجبين، إيمان البغا أم داعش الفقهية في الموصل ووالدها يدعو لبشار الأسد، صحيفة العرب اللندنية، ٢٩ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://www.alarab.co.uk/?id=67407

تركستان) وسيطر علي شعور أنني أعيش في أمة مقهورة، وآلمني العزّ الذي يعيشه الكفرة على أشلائنا.

عدت إلى اللعب مع القراءة وأنا يافعة صغيرة، فكنت مغرمة بالسباحة ولعب التنس وتسلق الأشجار مع مواظبتي على القراءة وخاصة للرافعي والمودودي والندوي..

كنت وأنا ألعب أتناسى الذل وأذكر العز.. أتناسى الهزائم وأتغنى بالفتوحات ....

أحببت جميع الناس الذين أعرفهم (ضحكتي تصل إلى آذاني إذا رأيت أحداً ما).. ولكن قصص الصحابة جعلتني أهيم بكل من سار على درب الحق وعمل له.. فأرى فيه أكبر محبّ للإنسانية وإن وجده الكثيرون بغيضاً مبغضاً

أحببت أكثر العلوم النظرية : اللغة والتاريخ والشعر والفلسفة إلا أني عرفت أن العلم الحقيقي هو الفقه فأقبلت عليه بنهم شديد"[٤٧٨].

بقراءة "النص" السابق، نجد أنفسنا أمام "صناعة إيديولوجية ونفسية" مبكّرة، فقد نشأت إيمان بصورة إسلامية بحتة، بعيداً عن التلفزيون وعن منتجات الحداثة الغربية. أحبّت القراءة، بخاصة كتب الصحابة والسيرة النبوية والتابعين، والروايات الإسلامية، حتى أصبح "خيالها" معجوناً بتلك الثقافة، كما تقول "حتى تشرّبتُ قصصهم في كياني".

ثم تتحدث في موقع آخر في صفحتها على الفيس بوك عن تجاهلها لما كان يُدرس في المدارس،مما يخالف تلك الثقافة، وتقول أنّها كانت تنام خلال تلك الحصص[٤٧٩]. وإذا كانت هذه النشأة الدينية تفسر بحدّ ذاتها- كما تقول هي: **"هذه نشأتي ولعلها توضّح أنّه ليس من الغريب أن أتوجه إلى أرض الخلافة فتلك**

---

(٤٧٨) صفحتها على الفيس بوك الرابط التالي:
https://www.facebook.com/dremanelbogha?fref=ts

(٤٧٩) في صفحتها على الفيس بوك، بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠١٦.

أمنيتي" – توجهها الإسلامي الصلب، فإنّ مواقف والدها السياسية المهادنة للنظام لا تفسّر لنا التوجه الراديكالي لها المعاكس له تماماً! وهي الفجوة التي تحاول هي دوماً ردمها وعدم إظهارها، في مقابل إبراز دور والدها في تنشئتها التنشئة الدينية وتعليمها العلوم الشرعية.

ومن الواضح أنّها تعتز كثيراً بشخصيتها وبتلك التنشئة الدينية، وباهتمامها بكتب الفكر الإسلامي، لشخصيات مشهورة، مثل الندوي والمودودي ومصطفى الرافعي، ما انعكس لاحقاً على لغتها، كما نلاحظ في كتاباتها. وتشير هي إلى أنّها قرأت القرآن على يد شيخ القرّاء كريم راجح، وتتلمذت على يديه، وتنقل عنه أنّه قال فيها "**لقد اجتمع على تكوين عقل هذه الفتاة عدد كبير من العلماء، ورأيتُ عندها من عقولهم جميعهم**".

أنهت دراسة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة دمشق في الفقه وأصوله، بعد أن حصلت على الدبلوم العالي في التربية. وانتقلت إلى العمل في السعودية، في العام ٢٠٠١، (تقول بتغريدة لها بأنّها غادرت سورية قبل ١٥ عاماً)[٤٨٠]. وعملت هناك في جامعة الدمام مدرّسة لمادة الثقافة الإسلامية.

ويقول بعض تلاميذ والدها أنّهم كانوا معها في الدراسات العليا، في كلية الشريعة بجامعة دمشق، لكنّها كانت بعيدة – نوعاً ما– عن أجواء الطلاب، لذلك لم تكن شخصيتها واضحة أمامهم أو معروفة لديهم. وبخلاف شقيقاتها اللواتي أنهين الدكتوراه في الشريعة (حنان وسمية وأسماء) فإنّها لم تتزوج أحد طلاب والدها في كليات الشريعة، ممن أنهوا الدراسات العليا أو البكالوريوس، بل تزوّجت صيدلانياً، وإن كان معروفاً بتديّنه وبحفظه للقرآن الكريم، وبأنّه من تلاميذ الشيخ كريم راجح، شيخ القرّاء، الذي درست هي الأخرى عنده.وفيما عدا ذلك لا تتوافر أي معلومات (على الأقل إلى حين طباعة الكتاب) عن زوجها، سوى أنّه من عائلة حدّاد.

---

(٤٨٠) المرجع السابق ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

أين نقطة التحول؟

عاشت إيمان في السعودية ١٥ عاماً، للتدريس في جامعة الدمام. ومن المعروف بأنّ المدرسة السلفية الوهّابية هي المهيمنة على الوسط السعودي، في حين أنّ والدها، وعلماء الشام ينتمون إلى مدرسة تُطلق هي عليها اسم "مدرسة الشيخ حسن حبنكة"، في دمشق، (وتقول إيمان بأنّها تنتمي إليها) وهي مدرسة أشعرية، شافعية. في المقابل فإنّ تنظيم الدولة الإسلامية ينتمي إلى السلفية الوهابية الصريحة، وكانت إيمان قد درست الشريعة على يد والدها وفي جامعة دمشق، فهي في الأصل "أشعرية" في عقيدتها. لكن من الواضح أنّها تحوّلت إلى العقيدة السلفية خلال تواجدها في السعودية واحتكاكها بالأوساط الدينية والعلمية والوعظية هناك. فهي وإن لم تتحدث عن انتقالها أو تحولها من العقيدة الأشعرية إلى السلفية، لكنها في نقاشها للأشعرية، لاحقاً، بعدما انتقلت إلى الموصل، تُظهر فكرها السلفي، بخاصة في مسائل العقيدة والأسماء والصفات والتأويل، التي تمثل مفترقاً بين الصوفية والسلفية. يأتي ذلك من خلال ردّها على أحد السائلين " **قال لي أحدهم مرة: أريد الجهاد، ولكن الدولة ترفض الصوفية والأشعرية؟ فقلت له: وما هي المشكلة؟! اترك صوفيّتك وعدّ عن تلك المسألة تصير دولاوياً** (أي مع تنظيم الدولة). **المسألة بسيطة بالنسبة إليك.. قالها الأشعري وعاد عنها.. ليتركوها.. فلم يكن الصحابة متصوفة ولا أشاعرة، ولم يكن الأئمة كذلك.. فلم وجع الدماغ والاختلاف!؟**"[٤٨١].

بالنسبة لها، لا توجد أي نقطة تحول بانتقالها من الأشعرية إلى السلفية، فهي فقط أعادت النظر في موقفها من "تأويل الصفات" (في العقيدة)، أمّا الأحكام والقضايا الأخرى، والمسائل الفقهية عموماً، فلم تجد فرقاً بين انتمائها لمدرسة حسن حبنكة، كما تصر دوماً، في سورية والمدرسة السلفية في السعودية، إذ حافظت على رؤيتها الدينية المحافظة، وربما وجدت مساحة مشتركة في ذلك بين السلفية والتزامها السابق، من خلال رفض الحداثة الغربية ومحاولات التجديد الديني (التي تسمّيها تلميع الدين)، والتمسك بالتراث الفقهي الإسلامي، وبالتشدد في أحكام الدين، كما تقرّ هي، إذ ترى بأنّ التشدد في الدين أفضل من التراخي فيه، " **ما أجمل التشدد**

(٤٨١) المرجع السابق، ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

على الشرع الذي فيه إجابات رائعة عن كل معضلة"[٤٨٢].

ولكيّ تردم الفجوة تماماً بين المدرستين، اللتين تحاول التجسير بينهما؛ الصوفية الدمشقية المعتدلة والسلفية، تضع نفسها في مواجهة المتشددين من كلا المدرستين، وممثّلة للفكرة الجامعة، إذ تقول " **ابتلاني الله بعداوة المتصوفة والجهلة من متشددي السلفية، لم أجدهما يختلفان عن بعضهما في الغيرة على جهلهما.. تنظر إلي المتصوفة بغيظ وأنا أشرح مسألة فقهية وأذكر عللها وحكمتها وكيفية القياس عليها، وأشباهها ونظائرها في الفقه، لأنها تريدني أن أكتفي بالتسبيح والتهليل فهي لا تعرف غيرهما، وفاتها أن العلماء أجمعوا على أن ما يتعدى نفعه إلى الغير أكثر ثواباً وأجراً مما منفعته قاصرة على الشخص، ونفع العلم متعد إلى الآخرين، أما ثواب الذكر فهو لي فقط .**

وأما السلفية المتشددة فتتعامل معي بحنق وتتهمني بالفساد لأنني لا أكتفي بذكر الآيات والأحاديث، فهي لا تُحسن قراءة غيرهما؛ هذا إن كانت تعرف كيف تقرأ. ولا تقتنع بقوله تعالى: " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون". وعبثاً شرحت لها ولأمثالها أن ما أقوله هو من كتب العلم، وأن العلماء يكتبون الحديث في سطر ثم يستنبطون منه الصفحات تفقّهاً منهم لدلالاته ولبيان كيفية تطبيقه ومسائله.. ولكن شرحي هذا لا يزيدها إلا قناعة بأني أتفلسف.

آخ ثم آخ ..وعذراً منكم أن شرحت معاناتي منذ أن بدأت التدريس من جهلة لا يريدون للملتزم أن يتجاوز قدراتهم، ومشكلة الطرفين هو تقاعسهم عن طلب العلم بسبب ضعف همتهم، وبنفس الوقت يريدون التصدر، فيكبتهم طالب العلم، فيعادونه..

وعذراً مرة أخرى أن أشغلتكم إخوتي وأخواتي وقلت لكم ما لا يعنيكم في شيء من معاناة مضنية، ولكن تباً للجهل، فإن صاحبه تصوف كان مقززاً بشكل مضاعف، وإن صاحبه تشدد كان مرعباً بشكل مضاعف؛"إكسترا" مضاعف"[٤٨٣].

---

(٤٨٢) المرجع السابق، ٧ نوفمبر ٢٠١٦.

(٤٨٣) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

نشطت إيمان في السعودية، بالإضافة إلى عملها الجامعي في جامعة الدمام مشرفة على قسم الثقافة في الهيئة العالمية لإعجاز القرآن، بإلقاء المحاضرات وبالدعوة الإسلامية، وكانت (قبل انتقالها إلى الموصل) تختار كتاباً لمناقشته مع قرّائها، وتشير تقارير إعلامية بأنّها كانت متشددة دينياً، خلال تلك الفترة.

من يتابع مواقفها الفقهية والسياسية ونظرتها الاجتماعية، على صفحتها على الفيس بوك، لن يشعر بأنّه توجد، على الأغلب، نقطة "تحوّل فكرية" واضحة لديها، أو انعطافة معينة أدت إلى انتقالها من اتجاه إلى آخر، ويبدو أنّعبورها إلى السلفية قد تمّ بسلاسة من دون ضجّة، وأنّها انسجمت مع الأوساط السلفية السعودية بسهولة. لكن، ليس ثمّة شكّ بأنّ وجودها في السعودية، منذ العام ٢٠٠١، وانتقالها الناعم إلى السلفية، قد سهّل عليها قرار الهجرة إلى الموصل والانتماء إلى تنظيم الدولة الإسلامية هناك، الذي يستند في مواقفه على العقيدة السلفية أيضاً؛ومن ثمّ فإنّ القرار كان يتطلب دافعاً نفسياً، أكثر مما يعكس تحولاً فكرياً أو ثقافياً حدث لديها.

شكلت الثورة السورية وبروز الصراع في سورية بين التيار الإسلامي والحكومة السورية ، المدعومة من إيران، عاملاً محفّزاً آخر، ذا أبعاد فكرية ونفسية في وقت واحد. فإذا استحضرنا هنا أصولها الشامية من جهة، وفكرها السلفي من جهة ثانية، فسنرى بأنه من الطبيعي أن تنحاز إلى الثورة السورية، لكن المشكلة كانت في موقف والدها وأشقائها المؤيد لبشار الأسد، أو المهادن له؛الأمر الذي أحدث فجوة كبيرة بينها وبينهم. على أنّ موقفها كان هو الأقرب إلى قناعاتها وأفكارها الدينية والفكرية، أما موقف والدها وأشقاؤها فهو الذي يصعب تبريره في مجتمع سني سوري عموماً، لأنّ المناخ المجتمعي والسياسي العربي مشحون بالحرب الأهلية والطائفية، وبما يسمّى "الأزمة السنية".

ووفقاً لبعض المقربين من الأسرة، فإنّها، قبل مغادرتها إلى سوريا بفترة قصيرة، جاءت إلى الأردن لزيارة والدها، ويبدو أنّها تلك الزيارة كانت من المحاولات الأخيرة للتواصل بينهما لردم الفجوة. لكن من الواضح أنّ والدها، وفق هؤلاء المقربين، كان مصراً على موقفه، فقد كان دائماً يسعى إلى الابتعاد عن المواجهة والصدام مع نظام بشار، بخاصة أن أبناءه ما يزالون في سوريا، ويعملون في الجامعة، كما أنّ والدها بعيد

أصلاً عن المشهد السياسي بصورة مباشرة، ولا توجد له مواقف واضحة أخرى باستثناء تلك الخطبة التي اعتبرتها أوساط المعارضة مؤيدة للأسد؛ فهو يفضّل الابتعاد عن اتخاذ مواقف سياسية صريحة سواء مع النظام أم ضده[٤٨٤].

ومع هذا الفارق الكبير في المواقف السياسية بينها وبين والدها، وبالرغم من أنّ عائلتها تبرأت من انضمامها إلى داعش، وانقطع التواصل بينهم، إلاّ أنّها تحاول دوماً أن تلمّحإلى أنّها ما تزال على خطّ والدها، وبأنّها امتداد لمدرسته، وكأنّها تريد أن تقول بأنّها تُكمل ما لم يقم به هو؛ ففي جوابها على نقاش مع أحد من تسميّهم "أبناء العلماء"، المتحفظين على تنظيم الدولة الإسلامية، تصل في خلاصة ذلك النقاش، إلى القول " **ماذا يستفيد الناس منكم يا أولاد المشايخ إن لم يجدوكم وقت الجهاد في الصفوف الأولى؟ إن قامت دولة الخلافة ولم تكونوا أول من يناصرها؟ لقد لقيتُ أنا وأنت وهم من احترام الناس الكثير، وعشناً عزّاً بسبب مشيخة أبائنا، كل ذلك لأنّ الناس يرون في خطواتنا طريقاً نحو آخرتهم فيسيرون خلفنا.. فهل نتركهم يقولون اليوم: على شو احترمناهم ووقرناهم؟ أليفرحوا بأنفسهم؟ بينما هم في الحقيقة يعيشون مثلنا هم حياتهم ودنياهم"**؟ثم تضيف:"**الأمة اليوم لا تحتاج مواعظ والدك ووالدي، الأمة بحاجة للجهاد، حيث استبيحت حقوقها وحرماتها. الأمة بحاجة إلى بيان أهم حكم، وهو أن الجهاد صار فرضاً عينياً عليهم جميعاً. وإلاّ فإنّ الذل ينتظرهم في الدنيا وعذاب الله في الآخرة"**[٤٨٥].

لكن، لماذا اختارت إيمان تنظيم الدولة الإسلامية، وليس فصيلاً جهادياً آخر، أو حتى جبهة النصرة، مثلاً؟

ثمّة سببان يمكن أن يسهما في الإجابة عن هذا السؤال، الأول موضوعي، والثاني ذاتي.

أولاً: السبب الموضوعي؛ يبدو هذا السبب واضحاً من خلال إشاراتها المتعددة إلى توافقها الفكري مع ما يطرحه تنظيم الدولة، إذ تقول " **لقد أتيت إلى الدولة**

(٤٨٤) لقاء مع مصدر موثوق، في ١٠ ديسمبر ٢٠١٦، في الجامعة الأردنية.

(٤٨٥) المرجع نفسه ١ فبراير ٢٠١٦.

الإسلامية لأنّها وافقت كل ما آمنت به وتعلمته، ولم تغير لي الدولة شيئاً من أفكاري، وما تعلّمت جديداً عند الدولة لا أعرفه، أكرر لقد أتيت إليها لأنّها طبقت ما أعرفه وما تعلمته من الشرع. لقد اكتشفتُ أني داعشية قبل أن توجد داعش"[٤٨٦].

وفي موقع آخر تقول لإحدى السائلات " **لم أضطر لتغيير فكرة كنتُ أؤمن بها عندما دخلت الدولة وعرفت منهجها. فكل ما فيها يتوافق مع ما درسته جملةً وتفصيلاً**"[٤٨٧]. وتؤكّد أنّ اختيارها كان لهذا التنظيم وليس للتنظيمات الأخرى، بما فيها جبهة النصرة، لأنّها تعتقد بأنّ هذا التنظيم هو الأكثر صواباً، إذ تقول " **عندما أتيتُ إلى الدولة واخترتها، كنتُ أعرف العرعور والمحيسني والظواهري والجولاني، وأعرف أنّهم ضد الدولة، ولم أكن أعرف البغدادي ولا العدناني ولا أبي حمزة ولا عمر الشيشاني ولا غيرهم. ولكني اخترتهم من منهجهم الصحيح، مع أني لا أعرف أشخاصهم، وابتعدتُ عن الذين أعرفهم؛ لأنّهم على خطأ**"[٤٨٨].

ويمكن بوضوح إدراك تطابقها الفكري والفقهي مع إيديولوجية تنظيم الدولة الإسلامية، في آرائها الاجتماعية والفكرية والدينية، فهي تؤكّد على أنّها تختلف معزمرة من العلماء والمفكرين الإسلاميين، أمثال يوسف القرضاوي [٤٨٩] وعبد الكريم بكار[٤٩٠]، وأنّها لا تعتبرهم فقهاء حقيقيين، لأنّهم يسعون فقط إلى "تجميل الإسلام". وهي تؤيّد تطبيق تنظيم الدولة الإلزامي للأحكام الإسلامية في فرض النقاب (غطاء الوجه) على النساء (وهو مسألة فقهية مختلف عليها بين الفقهاء، حتى في الأوساط السلفية نفسها)، وتشجع على فرض إقامة الصلاة والعقوبات الإسلامية وتطبيق الشريعة وترد على خصوم هذه المواقف والسياسات التي تبناها تنظيم الدولة الإسلامية بصورة حادة، فتقول " **من أجمل ما في الدولة الإسلامية إلزام النساء بالنقاب؛ غطاء**

(٤٨٦) المرجع السابق، ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

(٤٨٧) المرجع السابق ٢٣ يناير ٢٠١٦.

(٤٨٨) في ردها على سؤال إحدى المعلقات، المرجع السابق، في ٦ نوفمبر ٢٠١٦.

(٤٨٩) المرجع السابق، ٣١ ديسمبر ٢٠١٦.

(٤٩٠) المرجع السابق، ٧ فبراير ٢٠١٦.

الشعر فقط لا يكفي بل قد يزيد فتنة. وغدت النساء بالنقاب محترمات مبجلات لا فرق بين واحدة وأخرى. يذهبن لأغراضهن دون أن يتعرض لهن فاسق بكلمة. سابقاً، ألزم الطواغيت الناس بالفسق ومنعوهم من دينهم وقلّ من اعترض. فلأن يأتي اليوم من يجبر الناس على كل ما أتى في الشرع فهو نعمة من الله. قالت لي واجدة وقد انزعجت من أمر المحتسب لها بالتغطية: "والله ديننا يُسْر". فرددت عليها: هل كنت تقولين لمن يمنع من الحجاب: ديننا يحرم ذلك. لقد عاش من عاش سابقاً في معاصٍ ومعاصٍ ورأوا شرع الله يُحارب وسكتوا، والآن أتاهم عباد أولو بأس شديد لا يخافون في الله لومة لائم يسوقونهم إلى الجنة"[٤٩١].

لا تختلف مواقفها من التلفزيون والمسلسلات والأغاني والثقافة الغربية والحداثة عموماً عمّا سبق.فهي تحرّم الاحتفال بأعياد المسيحيين الدينية وترى بأنّ الأعياد الأخرى، مثل عيد الأم وغيرها، غير مشروعة في الدين[٤٩٢].

لم يكن مستغرباً، من ناحية موضوعية، إذاً، أن تتقبل إيمان البغا فكر داعش وتعلن انتماءها له، وأن تكتب مقالها الشهير "أنا داعشية قبل أن توجد داعش" (الذي نشره التنظيم ككتيب صغير، رغم أنّه لا يتجاوز في حجمه أن يكون مقالاً قصيراً)، تعلن فيه ولاءها وانتماءها للتنظيم وتبرر ذلك بالقول " **منذ أن قرأتُ مآسي المسلمين.. وكنت قد قرأت سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحياة الصحابة والفتوحات: قرأتها عشرات المرات، وقرأت التاريخ بكل ثوراته، ودرستُ فقه الجهاد على يد كبار العلماء، منذ أن فعلتُ ذلك كنتُ داعشية التفكير والمنهج، أنا داعشية قبل أن توجد داعش، وأعرف من وقتها أنّه لا حل للمسلمين إلاّ بالجهاد**". وتضيف لاحقاً " **أعرف فكر الدولة الإسلامية ومنهجها من متابعتي لها، والله إنها على حق في كل ما تفعله**"[٤٩٣].

في الخلاصة، فإنّنا أمام امرأة تحمل قناعة كاملة، فكرياً وفقهياً، بفكر تنظيم

---

(٤٩١) المرجع نفسه ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

(٤٩٢) المرجع نفسه ٢٥ ديسمبر ٢٠١٥.

(٤٩٣) إيمان البغا، أنا داعشية قبل أن توجد داعش، دار الغرباء، تنظيم الدولة الإسلامية، ٢٠١٤.

الدولة، تنحدر من تنشئة دينية واتجاه ثقافي يُغذّي هذه القناعات.

ربما يبقى السؤال هنا، فيما إذا كان حرصها على ردم الفجوة بين مدرستي "حسن حبنكة" والسلفية هو مجرد محاولة نفسية للتحايل على اختلافها مع والدها، وتحولها نحو السلفية، ولتجنب إظهار الصدام بين موروثها الروحي والفقهي ومدرستها الجديدة، ولتقول بأنّها لم تتحول ولم تتغير أو تتأثر بالأوساط السلفية السعودية، أم أنّ ثمّة "أرضاً مشتركة"،بالفعل، تجمع الوهابية بمدرستها السابقة؟

يقول أحد تلاميذ والدها "**من درس في كلية الشريعة في جامعة دمشق، على يد علماء الشام المعروفين، لن يستغرب فعلاً أن تصبح إيمان البغا داعشية، وذلك ينطبق على نسبة كبيرة من الطلاب، الذين يتوافر لديهم الاستعداد الفكري. ففي الكلية تُدرّس العلوم الفقهية القديمة، ووالدها تحديداً معروف باهتمامه الكبير بتحقيق المخطوطات الفقهية القديمة، وبالتشدد في الأحكام الفقهية، عموماً. والفقه الذي يُدرّسه هو الفقه النصوصي ومنهجه يقوم على التفسير الظاهري للنص؛ ما يتوافق مع المنهجية السلفية، حتى وإن اختلفت الاثنتان (أي الأشعرية والسلفية) في بعض مسائل العقيدة، فالتشابه كبير في مسائل الفقه والأحكام الشرعية. وتزيد على ذلك المدرسة الأشعرية بدمشق بتقديس التراث الفقهي الإسلامي، وهو مرجعية تنظيم داعش، الذي لم يأتِ بأحكام فقهية جديدة، لكنّه التزم بالأحكام الفقهية التقليدية في التراث، وقام بإسقاطها على الأحوال الراهنة**"[٤٩٤].

يؤيد هذه الفرضية بقوة، الدكتور محمد حبش، وهو من علماء الشريعة السوريين المشهورين، وكان عضواً في مجلس الشعب السوري، ثم انتقل إلى صفوف المعارضة السورية في الخارج، ويتفق مع ما ذكرناه سابقاً من أنّ إيمان أكثر انسجاماً مع ثقافتها الدينية ومع ما تعلمته من أبيها وعائلتها، إذ يقول " **لا تمارس إيمان البغا التملق والتزلف للبغدادي، ولكنها تقدّمه، بلغة فقيهة مُحْكَمَة، رائداً في تطبيق شرع الله، وتقدم لكل سلوك من السلوكيات التي مارسها تنظيم الدولة الإسلامية سلسلة من الأدلة الفقهية المحكمة، وهي تقوم بإيراد الأدلة بلغة المحدّثين المتينة. وتؤكد**

(٤٩٤) فضّل عدم ذكر اسمه، لقاء في الجامعة الأردنية، ١٠ ديسمبر. وقارن ذلك بـ: محمد أبو رمان، هكذا تشكّلت أيديولوجيا التوحش، صحيفة العربي الجديد، ٦ أكتوبر ٢٠١٤.

بأن تطبيق الدولة الإسلامية لهذه الأحكام لا يعدو شرع الله وأمره قيد أنملة. شخصياً لا أعرف إيمان مصطفى البغا وإن كنت على معرفة تامة بعائلتها وأسرتها العلمية، ولكنني على يقين بأنها أكثر أهلها انسجاماً مع ما تعلمته وعلّمته، وهي فيما أعتقد لا تعاني أي عقدة نفسية أو اجتماعية فهي تمارس بالضبط ما تعلمته على مقاعد الدرس وما علمته لطلابها في الجامعة والمدرسة"[٤٩٥].

ويضيف حبش " **ليست إيمان البغا ظاهرة استثنائية، وهي ليست سيدة تائهة، إنها تطبق بأمانة ما تعلمته وعلّمته. وربما نحن التائهون الذين نستمر في تعليم هذه الفظائع، ونصر على تدريس "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة"، و"من بدل دينه فاقتلوه"، ونقول إنها شرع الله وسنة نبيه ثم نغضب حين يمارسها جيل الجنون تماماً كما رويناها وعلمناها. إنها ليست استثناء بل هي واحدة من مئات المتخصصين في الفقه الذين انضموا لداعش"**[٤٩٦].

باختصار، وفقاً لهذه الفرضية، فإنّ ما حصل مع إيمان البغا، هو أنّها انتقلت من النظرية إلى التطبيق، ونقلت قناعاتها الفكرية والفقهية والثقافية إلى المرحلة الأخرى؛ أي إلى التنفيذ العملي، وأخذت قرارها بالهجرة إلى تنظيم داعش. وهو قرار وإن كان منطقيّاً من الناحية النظرية، في ضوء ما سبق، إلاّ أنّ هنالك شروطاً نفسية وسوسيولوجية أخرى إما أن تساعد على اتخاذه أو تقف عائقاً ضده، وهذا ينقلنا من الأسباب الموضوعية إلى العوامل الذاتية، أي المرتبطة بشخصية إيمان البغا نفسها.

ثانياً: السبب الذاتي، المفارقة أنّه وفي مقابل هذا الحجم الكبير من نشر أرائها ومواقفها، فإنّ المعلومات المتوافرة عن حياتها الأسرية الخاصة، وحتى عن علاقتها بعائلتها الكبيرة، وبزوجها تكاد تكون شحيحة إن لم تكن معدومة تماماً!

---

(٤٩٥) د. محمد حبش، مصارحات في وجوب إصلاح المناهج الدينية، إيمان البغا نموذجاً، موقع شاهدون ٢٤ نوفمبر ٢٠١٥، يمكن الوصول إليه عبر الرابط التالي:
goo.gl/wgPYKG

(٤٩٦) المرجع السابق.

ومن مراقبة صفحات التواصل الاجتماعي لأشقائها وعائلاتهم وعلاقاتهم البينية، فإنّ النتيجة الرئيسة التي قد يخرج بها الباحث هو أنّ العلاقة غير واضحة، أو أنّهم متباعدون، ليس فقط جغرافياً- هناك من يعيش في السعودية، وداغستان وتركيا – بل حتى نفسياً، ولا تكاد تجد مشاركات متبادلة فيما بينهم، بالرغم من نشاطهم الملحوظ على شبكات التواصل الاجتماعي، سواء شقيقاتها وشقيقها أنس، أو حتى أزواج شقيقاتها[٤٩٧].

هنالك مؤشرات أخرى على هذا التباعد، فلم يتم الحديث علناً عن هجرة شقيقتهم إيمان وأطفالها إلى الموصل، إلاّ عبر شقيقتها د. حنان البغا، المقيمة في السعودية، وبتصريح مقتضب (على مواقع التواصل الاجتماعي) أشارت فيه إلى عدم رضا العائلة والوالد (د. مصطفى البغا) عن ما فعلته إيمان[٤٩٨]. ثم لا نجد أي أخبار عنها، ولا حتى تعليقاً أو تعقيباً من قبل العائلة على مقتل ابنها، مصطفى، في سوريا، في يوليو/ تموز ٢٠١٦، ولا أي إشارة من قريب أو بعيد لها، ولا حتى نجد لها اسماً في أغلب صفحاتهم على موقع الفيس بوك، ضمن قائمة الأصدقاء. ولا نعرف إن كان ذلك سابقاً لهجرتها، أم بعده. لكن المهم أنّنا أمام ما يبدو قراراً عائلياً اتُّخذ بالتزام الصمت، وبقطع العلاقة مع "الدكتورة المتمردة"، بل وربما نكون أمام شعور بخطورة ما قامت به على العائلة ومصالحها، سواء للمتواجدين في سوريا أو حتى في السعودية!

المؤشر الثاني هو ارتباك موقفهم (أي عائلة مصطفى البُغا ومحيطها) جميعاً من الثورة السورية، وهو ما يظهر بين سطور مواقفهم على صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي من جهة، ومواقفهم الأخرى المعلنة من جهةٍ أخرى. فمن يتابع صفحات كل من حنان وزوجها وأسماء سيلاحظ أنّهم أميل إلى تأييد الثورة، أو على الأقل عدم القبول بما يقوم به النظام، أمّا أنس فيتجنب عموماً الخوض في هذه الشؤون ويركز

(٤٩٧) توصّل الباحثان إلى هذه الملاحظة من خلال متابعة صفحات التواصل الاجتماعي للعائلة، بخاصة شقيقتها حنان وزوجها الدكتور خلدون المالكي، وشقيقتها سمية وزوجها بسام الشيخ، وصفحة شقيقتها أسماء، وصفحة شقيقها د. أنس البغا، وحتى صفحة والدها التي تنقل أنشطته ودروسه ومنشوراته.

(٤٩٨) انظر: رحمة ذياب، "أكاديمية جامعة الدمام تؤكد داعشيتها وأسرتها تتبرأ من موقفها"، صحيفة الحياة اللندنية، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٤.

على أدواره الدعوية في الداخل والخارج، في حين أنّ الحسن، الابن الأكبر، قد أعلن موقفه بوضوح بالانحياز إلى جانب النظام، و يفضّل والدهم الصمت؛ ولولا تلك الخطبة اليتيمة (التي أيّد فيها الأسد) لما كان موقفه معروفاً لأحد، وإن كانت الأوساط الدينية في سوريا تعرفه تأييده للنظام[٤٩٩].

قد يكون ابتعادها، جغرافياً، عن عائلتها وإقامتها في الدمام في السعودية، وتأقلمها مع تلك البيئة الجديدة، واندماجها في الأوساط السلفية السعودية، ووجود مجموعة من الطالبات والصديقات المتأثرات بها هناك، عاملاً ساعد إيمان على اتخاذ القرار النفسي، بحيث وضعها في أجواء بعيدة عن سطوة الأسرة ووالدها، وفيها مساحة أكبر من العلاقات مع المحيط السلفي.

ما تزال إحدى الحلقات المهمة المفقودة في هذا التحليل هو زوجها، فبالرغم من كل الجهود التي بذلناها، عبر عائلتها وأصدقاء العائلة لمعرفة شخصيته عن قرب، لم نجد ما يحدّد شخصيته ومواقفه، أو علاقته بها قبل الهجرة وبعدها، وكل ما تمّ التوصّل إليه هو أنّه صيدلاني، حافظ للقرآن، ملمّ بالقراءات العشر، كما ذكرنا سابقاً (والقراءات العشر هي مرحلة متقدمة في حفظ القرآن ومعرفة أحكامه). لكن لا توجد أي إشارة إليه في كل كلام إيمان البغا، ولا في كلام أحلام النصر؛ التي يُرجّح أن تكون ابنتها، ولا حتى في أوساط المقربين من العائلة، بينما تشير معلومات غير مؤكّدة (من أوساط قريبة من العائلة، وبعض المنتديات الإلكترونية) إلى أنّه تمّ الطلاق بينها وبينه، بعد أن اعتبرته مرتداً، ما يبدو أنّه مرتبط بتأثرها بفكر تنظيم الدولة الإسلامية بشكل أكبر لاحقاً. ولا يُذكر الرجل (زوجها ووالد الأبناء) في كل ما حدث إلاّ في وصية ابنها (مصطفى) التي نُشرت بعد مقتله، بأنّه قد ربّاه تربية حسنة وأنّه سُميّ بمصطفى تيمّناً بجده لعله يصبح عالماً مثله![٥٠٠].

كل ما هو معروف عنها في السعودية، قبل هجرتها، هو انخراطها في الأجواء السلفية السعودية، منذ فترة طويلة، وتشددها الديني (وفقاً لرواية طالباتها)، وبأنّ

(٤٩٩) مصادر سورية تعرف د. مصطفى البغا والعائلة، تفضل عدم ذكر أسمائها.

(٥٠٠) مصدر مقرب من العائلة، فضّل عدم ذكر الاسم. أما وصية ابنها فمنشورة على صفحتها على الفيس بوك.

ابنتها أحلام كانت تدرس في مدرسة خاصة في مدينة الخُبر، وبأنّها كانت ترفض الخوض في موضوع الثورة السورية، لقناعتها بأنّهم خرجوا يطلبون الحرية والديمقراطية، بينما هي تريد إقامة دولة إسلامية[٥٠١].

لكن هل ما سبق بحدّ ذاته دافع كافٍ لاتخاذ قرار الهجرة؟

إذا أعدنا تركيب الصورة فنحن نتحدث عن داعية وأستاذة سورية متدينة، تسلّفت، واندمجت منذ أعوام طويلة في أوساط دينية سلفية سعودية متعاطفة مع الثورة السورية، مع وجود آلاف السعوديين الذين هاجروا للقتال هناك، ومعهم سعوديات هاجرن إلى تنظيم الدولة الإسلامية وإلى القاعدة في اليمن، فمن المحتمل في مناخ مثل هذا أن نجد دافعاً كافياً إلى الانتقال إلى هناك والاندماج في تنظيم الدولة الإسلامية، الأقرب إلى السلفية وإلى "الأفكار المتشددة" (أو التي تتوافق مع أفكارها؛ كما قالت هي "داعشية قبل أن توجد داعش").

يضاف إلى ما سبق عاملان مهمّان؛

العامل الأول: أسرتها الصغيرة وتأثير أبنائها المحتمل عليها. فما لبثت إيمان أن غادرت إلى سوريا حتى لحق بها أبناؤها الثلاثة: ابنتها أحلام النصر، الشاعرة الصغيرة (كان عمرها ١٥ عاماً)[٥٠٢]، وابنتها الثانية (١٤) عاماً، وابنها مصطفى (١٣ عاماً) في حينها (أي في العام ٢٠١٤). وقد انخرط الثلاثة فوراً في التنظيم، فابنها أصبح مقاتلاً على الجبهات، إلى أن قُتل بعد عامين تقريباً من هجرتهم، وابنتها أحلام تزوجت من أبي أسامة الغريب[٥٠٣]، وهو شاب بلجيكي من أصل مصري، اسمه محمد

(٥٠١) انظر: رحمة ذياب، طالبات جامعة الدمام يطلقن مبادرة التبليغ عن أعضاء هيئة التدريس المتطرفين، صحيفة الحياة اللندنية، ٢٣ أكتوبر الأول ٢٠١٤.

(٥٠٢) (في حال ثبت أنّها ابنتها، لكن من كلام البغا نفسها من الواضح أن أبناءها على المسار نفسه).

(٥٠٣) كما ذكرنا، بالرغم من أنّه لم يثبت قطعياً أنّ أحلام ابنتها، فإنّ الشاعرة أحلام بالتأكيد تزوجت من أبي أسامة الغريب.

محمود،[٥٠٤] كان ناشطاً في بلجيكا، في مسجد ملّة إبراهيم، وحكم عليه بالسجن هناك لمدة أربعة أعوام، لتصريحه بميوله الداعشية، لكنه تمكن من مغادرة بلجيكا والالتحاق بالتنظيم، أما ابنتها الثانية فتزوجت فرداً آخر من التنظيم[٥٠٥].

ومن خلال متابعة نشاطات أبنائها (أحلام ومصطفى) نلاحظ إيمانهم بإيديولوجيا التنظيم، بصورة عميقة، وليست آنية، أو سطحية؛ بمعنى أنّنا أمام أطفال أيضاً "عُجنوا" بهذه الثقافة والفكر. ومن يقرأ أشعار أحلام ويتابع ما تنشره من مقالات وتعليقات عما يحدث في سوريا، سيلحظ إلماماً عميقاً وإيماناً صلباً بالتنظيم ومشروعه وإيديولوجيته، فهي تكتب قصيدة شعرية دفاعاً عن هيلة القصير (أم الرباب المعتقلة في السجون السعودية)، ولها قصائد كثيرة في الانتصار للتنظيم، وكلام في الرد على الظواهري وقيادات القاعدة دفاعاً عن التنظيم، وهجوم شديد على الجيش الحرّ والجبهة الإسلامية والفصائل الأخرى، وهي "نصوص" تُظهر لنا بوضوح فتاة منخرطة

(٥٠٤) محمد محمود تعلم في المدارس الإسلامية في العاصمة فيينا وأطلقت عليه الصحف النمساوية سابقا "الصبي الإرهابي" وحكم عليه بالسجن أربع سنوات. بعد أن قضاها ذهب إلى ألمانيا وانضم إلى السلفيين الألمان ثم هرب إلى الشرق الأوسط بعد أن كانت هناك أوامر بالقبض عليه في ألمانيا. في الشرق الأوسط قام بحرق جواز سفره النمساوي واختفى محمد محمود بعض الوقت ثم نشرت الصحف التركية انه تم القبض عليه وسجنه وبعد ذلك تم نشر صورته ووردت الأنباء بأنه قد تم استبداله بدبلوماسيين أتراك تم أخذهم كرهائن عند داعش وانتهى به المطاف في سوريا ليصبح من قادة داعش.

ونشر محمد محمود مقطع فيديو باسمه الجديد وهو أبو أسامة الغريب وهو في سوريا في بلدة "الرقة"؛ مقطع فيديو ممنتج به جثث قتلى مفصولة الرأس. انظر: محمد محمود ينشر فيديو مع جثث تمّ قطع رؤوسها، موقع أنباء يورو عرب برس، ٧ نوفمبر ٢٠١٤، على الرابط التالي: http://www.eapress.eu/eap/?p=852

(٥٠٥) انظر: شاعرة داعش السعودية أحلام تتزوج من أبو أسامة الغريب في الرقة السورية، صحيفة القدس العربي، ١٤ أكتوبر ٢٠١٤. وقارن ذلك بـ"شاعرة داعش السعودية تصل سورية وتتزوج بالغريب، عربي ٢١، ١٤ أكتوبر ٢٠١٤، الرابط التالي: goo.gl/Ixvhvo

انظر كذلك: محمود محمد أصبح زعيم داعشي وتزوج من شاعرة داعش، موقع أنباء يورو عرب برس، ١٥ أكتوبر ٢٠١٤، على الرابط: http://www.eapress.eu/eap/?p=307

إلى أبعد مدى في الإيمان بهذا الفكر عن وعي إيديولوجي، وليس فقط عن انفعال عاطفي، بالرغم من صغر سنّها وهو ما يفسّر لنا، بالإضافة إلى مهاراتها الأدبية، سبب شهرتها الكبير في الأوساط المؤيدة للتنظيم؛ حتى اعتُبرت شاعرة التنظيم، وتُنشر قصائدها ونصوصها من قبل المؤسسات التابعة له، ولها عشرات الآلاف من المعجبين بما تكتب، بالرغم من الحصار الالكتروني لحساباتها من قبل الشركات الكبرى![٥٠٦]

ما يعزز هذه الفرضية في التحليل ما روته إيمان البغا مؤخراً عن حلم رأته قبل سفرها إلى سوريا **" رأيت مطراً ينهمر بغزارة وبهدوء ولطف، قطراته رذاذ إلا أنها كثيرة ومتتابعة جداً، صرت أتأملها وإذا بتابوت بين الرذاذ الكثير الذي يكاد يحجبه، كان الرجال يحملونه فارتفع من بين أيديهم وبدأ يعلو، والمطر من حوله فقط أو كأن المطر هو الذي صار يحمله، وقبل أن يعلو أكثر استيقظت، لأجد ابنتي فوق رأسي تقول لي: لقد قتل قرين الكلاش ..تقبله الله !لم أستطع وقتها أن أكتب ذلك لأن ذلك كان قبل هجرتي .. ولكن الحلم بقي في مخيلتي لا أنساه"**[٥٠٧].

يمكن تحديد زمن الحلم بأنّه في يوم الثلاثاء ٢٤ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، أي اليوم الذي قُتل فيه قرين الكلاش، الشاب السعودي عبد المجيد العتيبي، الذي كان يقاتل في سورية، والمعروف في الأوساط المرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية[٥٠٨]. لكن المهم أنّ الحلم واهتمام ابنتها بقرين الكلاش، يظهران لنا أنّ العائلة كانت متابعة بشدة ومرتبطة بوضوح فكرياً ونفسياً بالتنظيم.

---

(٥٠٦) انظر عن أحلام النصر وهجرتها إلى سورية، في الرقة، وحديثها عن الأيام الأولى هناك، وعن زيارتها لمناطق في الرقة، وإطلاقها للمرة الأولى الرصاص من السلاح، في تقرير: شاعرة داعش السعودية تصل سورية وتتزوج الغريب، موقع عربي ٢١، مرجع سابق.

(٥٠٧) صفحتها الخاصة على الفيس بوك، مرجع سابق، بتاريخ ٢٦ أكتوبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:
https://www.facebook.com/dremanelbogha?fref=ts

(٥٠٨) انظر: "استشهاد عبد المجيد العتيبي "قرين الكلاش" من أوائل المهاجرين المجاهدين في الشام، وأصابع الاتهام تتوجه لجبهة "علوش"، وكالة أنباء حق، ٢٤ يونيو ٢٠١٤،
https://dawaalhaq.com/post/14276

من المهم الانتباه أيضاً إلى أنّ أبناءها وُلدوا في مرحلة "السعودية"، وكانوا متأثرين بتلك الأجواء، وأنّها ربتهم على المنهج الذي تؤمن به. ومن الواضح من خلال صفحتها اهتمامها بالتربية الدينية العقائدية، بالإضافة إلى تأثرهم بالمناخ السلفي الموجود، ثم جاءت الثورة السورية في باكورة وعيهم، كمراهقين صغار، لتشحن تلك الثقافة بديناميكيات عاطفية شديدة، انفجرت من خلال شعر ابنتها (أحلام) واهتماماتها؛ واللافت في الأمر، أنّ أغلب المراقبين كانوا يعتقدون بأنّ الشاعرة الصغيرة هي سعودية من شدّة اندماجها في البيئة هناك. فالمرحلة السعودية كانت عاملاً حاسماً ومؤثراً بدرجة كبيرة في قرار كل من إيمان البغا وأحلام النصر والابنان الآخران بالهجرة إلى سوريا.

أمّا **العامل الثاني**، فهو شخصيتها؛ فمن يرصد خطابها ولغتها، على صفحتها على موقع الفيس بوك[٥٠٩]،سيلاحظ مستوى الثقة الكبير بالنفس لديها، ما قد يُفسّره البعض بأنّه غرور وتعالٍ، فمن الواضح أنّها بالرغم من مخالفتها لوالدها في الموقف من النظام السوري ومن الثورة، فإنّها بقيت مصرّة على أنّها بنت الشيخ مصطفى، وتلميذة مدرسته ومدرسة حسن حبنكة، وأنّها حصلت على درجة عالية من الفقه والعلم في هذه المدرسة، ودرست على يد كبار الشيوخ في دمشق. وقد مدح علمها وعقليتها أحد أهم قرائها محمد كريم راجح، وتحاول أن تُجسّر بذكاء- كي لا تنقطع عن ذلك الإرث الروحي والعلمي المهم- بين تلك المدرسة العلمية، ومشيخة والدها من جهة وثقافتها السلفية السعودية وتوجهها إلى تنظيم الدولة من جهة أخرى، باعتبارهما مدرستين متكاملتين ممتدتين، وتوحي بأنّها استمرارية لتلك المدرسة وليست انقطاعاً عنها.

وقد سبق وذكرنا العوامل المشتركة بين المدرستين، الوهابية والمشيخية السورية

(٥٠٩) من الضروري الإشارة هنا إلى أنّ هنالك صفحتين لإيمان البغا على موقع الفيس بوك، الأولى التي اعتبرناها مصدرنا في هذا الكتاب، وهي الصفحة، الشخصية والتي كانت تستخدمها قبل هجرتها إلى الموصل، ورابطها هو :
https://www.facebook.com/dremanelbogha?fref=nf&pnref=story
أما الثانية فهي الصفحة الرسمية، التي تحتوي على الفتاوى والأحكام الشرعية.

الدمشقية (تسمى بمدرسة حسن حبنكة)، مثل الموقف المتشدد في تطبيق الأحكام الشرعية، والفهم الظاهري الحرفي للنصوص، وعدم الترحيب بالاتجاه الفقهي الذي يحاول تطوير الأحكام لتتلاءم مع العصر؛وهذه القواسم المشتركة خلقت منها إيمان البغا أساساً صلباً لثقافتها الفقهية.

يمكن ملاحظة "الأنا"، والثقة بالنفس، من خلال ردودها الساخرة على المخالفين والمعارضين، والحدّة في أحيانٍ أخرى معهم، وفي إشادتها الدائمة بعلمها ونفسها، وبتسخيف شخصيات فقهية وفكرية معروفة وشهيرة في العالم العربي والإسلامي، مثل د. يوسف القرضاوي وعبد الكريم بكّار، كما أشرنا سابقاً، بل وبمهاجمة الاتجاهات الصوفية والسلفية التي لا تتفق مع أفكارها، إذ تقول " **ابتلاني الله بعداوة المتصوفة والجهلة من متشددي السلفية , لم أجدهما يختلفان عن بعضهما في الغيرة على جهلهما**"[٥١٠].كما وتهاجم الشيخ أسامة الرفاعي، وهو أحد أبرز الشيوخ المعروفين في سورية، والمؤيدين للثورة، ومواقفه ضد نظام بشار الأسد، وضد تنظيم الدولة الإسلامية، فتقول " **من المؤكد أن الشيخ أسامة الرفاعي قرر إرسال أولاده لقتال الأسد فيما سماه سوريا، ولذلك يرى أن الجهاد في سوريا لا يحتاج لمهاجرين**"، ثم ترد عليه وتؤكد أهمية دور "المهاجرين" (المقاتلين من الخارج، وأغلبهم مع تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة فتح الشام) في القتال هناك[٥١١].

هذه السمات الشخصية كان لها دور فاعل، بالضرورة، بتعزيز قرار الهجرة والانتقال للحياة في الموصل، فكتبت غداة وصولها إلى الموصل "**تركت راتبي الضخم والتحقت بخدمة الأمة الإسلامية لمحاربة الطغاة، فكثيراً ما كنت أعظ طالباتي بألا يضيّعن أوقاتهن في رؤية المسلسلات**"[٥١٢]. ثم تخاطب طالباتها بالقول " **غبت عنكم لأنّي كنت أبحث عن كهف آوي إليه، للنطق بكلمة الحق، لذا تركت جامعتي الحبيبة**"[٥١٣].

---

(٥١٠) صفحتها الخاصة على الفيس بوك، ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

(٥١١) المرجع السابق، ٦ نوفمبر ٢٠١٦.

(٥١٢) انظر: إبراهيم الجبين، إيمان البغا أم داعش الفقهية، مرجع سابق.

(٥١٣) المرجع السابق.

وبالرغم من أنّه لا يوجد أي إثبات صارم بأنّ أحلام هي ابنة إيمان البُغا، فإنّ الروايات الإعلامية، المسرّبة من السلطات السعودية تؤكّد على هذه العلاقة، كما هي الحال بالنسبة لمصادر السلفية الجهادية، لكن بالعودة إلى تغريدات أحلام النصر، بخاصة التي تحدثت فيها عن مغادرتها إلى سوريا (الرقة) فإنّها تتحدث عن وجود والدتها خلال تلك الفترة في المنزل وبكائها، فيما كانت أحلام تُذكّرها بتربيتها لها على هذه الثقافة. وتذكر الرواية الإعلامية بأنّ أحلام غادرت مع شقيقها إلى تركيا، وعُقد قرانها على "أبو أسامة الغريب"، في ١١ أكتوبر/ تشرين الأول، فيما تمّ الإعلان عن استقالة د. إيمان البُغا من جامعتها والتحاقها بالتنظيم في ٢١ أكتوبر ٢٠١٦، ووصولها إلى الموصل، أي أنّ هجرة الأبناء قد سبقت والدتهم، وليس العكس، كما نقرأ في العديد من التقارير الإعلامية[٥١٤].

في "أرض الأحلام"

بالرغم من وجود أسماء نسائية بارزة في التنظيم، إلاّ أنّ الوجه الإعلامي الأكثر بروزاً ووضوحاً هي إيمان البغا، نظراً لنشاطها الكبير على صفحات التواصل الاجتماعي، وهي حالة استثنائية كما ذكرنا سابقاً– لأنّ التنظيم يمنع أفراده من التواصل عبر تلك المواقع عموماً[٥١٥]، إلّا بتصريح خاص. وفيما يبدو فإنّ أحد الأدوار المهمة لإيمان البغا هو السجال والنقاش والدفاع عن التنظيم وأفكاره وتأصيل فتاويه الفقهية على مواقع التواصل الاجتماعي.

الأهمية الأخرى لمكانة إيمان البغا في التنظيم، تتمثل في الجانب الفقهي، إذ تُعدّ

---

(٥١٤) قارن ذلك بتقرير: شاعرة داعش تصل سورية وتتزوج الغريب، موقع عربي ٢١، بتاريخ ١٤ أكتوبر ٢٠١٤، مرجع سابق. إذ يذكر التقرير بأنّ الحفل أقيم يوم السبت ١١ أكتوبر، وينقل تغريدات الحاضرين في الحفل. وقارن ذلك بتقرير "أكاديمية تركت جامعة الدمام وراتبها الضخم لتنضم لداعش"، الحياة اللندنية، ٢١ أكتوبر ٢٠١٤.

(٥١٥) أصدر التنظيم تعميماً بتاريخ ٢٦ يونيو ٢٠١٤، يؤكد فيه على قراره بمنع التواصل مع وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، إلاّ بحدود إذن التنظيم وللأشخاص الذين يسمح لهم بذلك؛ لدى الباحثين صورة عن هذا التعميم.

اليوم من أبرز فقهائه، فقد تصدّر اسمها قائمة لمجموعة من المتخصصين في الشريعة الإسلامية المؤيدين للتنظيم، والذين أصدروا بياناً بعنوان "المشاعل العلمية في نصرة الدولة الإسلامية" يدافعون فيه عن تنصيب أبي بكر البغدادي "خليفة" للمسلمين، ويطالبون المسلمين ببيعته " **إننا نستحث أبناء الأمة الإسلامية والجماعات التي تنشد تطبيق الشريعة إلى المبادرة إلى مبايعة الإمام على السمع والطاعة في المعروف، ومعاضدة هذه الدولة ونصرتها، وجهاد أعداء الدين، من خلف إمامها باللسان والنفس والمال، ونرى حرمة كل فعل أو قول من شأنه أن يؤخر اجتماع كلمة المسلمين تحت إمام واحد. ولا نستريب في عصيان من تخلف عن البيعة ممن هم تحت سلطان الإمام، ونحث كل مستطيع على الهجرة إلى ربوع دولة الإسلام أن يسارع إلى الهجرة، ليسهم في تشييد صرح الأمة، وجهاد أعداء الملة، ونوجه كلمة إلى كل من لم يقف في صف دولة الإسلام، بل خالفها وانتقدها، ولم يرَ انعقاد البيعة العامة لإمامها من الأفراد والجماعات الإسلامية، وفي مقدمتهم مشايخ وعلماء الجهاد؛ فنقول: ماذا تنقمون من إمام الدولة الإسلامية وبطانته وجنوده"**[٥١٦].

من الملاحظ أنّ هذا البيان جاء بعد فترة قصيرة من وصولها إلى الموصل، وقد تصدرت البغا، على الرغم من أنّها امرأة، أسماء المتخصصين الشرعيين، فتمّ وضعها في موقع فقهي مهم، والسماح لها لاحقاً بدور كبير على صعيد مواقع التواصل الاجتماعي، ما يكشف لنا أنّ لها مكانة رفيعة في التنظيم، على الصعيد الفقهي والدعائي الإعلامي.

انتقلت البغا إلى الجانب العملي، وغادرت فعلاً إلى أراضي تنظيم الدولة، فهل تفاجأت بأنّ الأحلام التي رسمتها ليست صحيحة، وأنّ الواقع مغاير تماماً للحلم والتنظير، أم العكس؟

سنجد من خلال الصورة التي تنقلها لنا محاولة لتقديم الأراضي التي تقع تحت حكم التنظيم، بوصفهما "المدينة الإسلامية الموعودة"، أو "اليوتوبيا" التي يحلم بها كلم

(٥١٦) انظر: داعش يهيء إيمان البغا لمنصب مهم في "الدولة الإسلامية"، صحيفة الحياة اللندنية، ١٥ نوفمبر ٢٠١٤.

مسلم، حيث يسود حكم القانون الإسلامي، ويلتزم الجميع بأخلاق الإسلام، وتُحل المشكلات الاقتصادية والمالية، ويكون الجهاد والقتال والقوّة هيالعنوان، وتقلّ حتى المشكلات الاجتماعية، بسبب الروح الإسلامية وتطبيق العقوبات الإسلامية.

منذ الأيام الأولى التي وصلت فيها إلى الموصل، كتبت تقول " **شوارع الموصل أنظف من شوارع الدمام، بسبب القوانين التي تطبقها الدولة**". ثم أشارت إلى أنّها طلبت من المسؤولين في الدولة إصدار قانون ينظّم عمل المرأة في الدولة الإسلامية، وأنّهم استجابوا لها وقالت بأنّ ذلك القانون الموعود سيصدر قريباً[٥١٧].

تدافع إيمان البغا أولاً عن فكرة إقامة الخلافة والدولة الإسلامية، وترى بأنّ المسلمين طالما انتظروا هذا الحلم، ولما جاء اسكتثروه على أنفسهم. وترى بأنّ الدولة جاءت لتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الحدود، وتطبيق الحياة الإسلامية بصورة عامة، وإعلان الجهاد لمواجهة الأعداء، ومن المعروف أنّ هذه المفاهيم تداعب "الخيال الفكري" والديني لكثير من الإسلاميين، ولدى شريحة اجتماعية واسعة من المسلمين، الذين يرون في هذا التوصيف جزءاً رئيساً من الإسلام[٥١٨].

تقدّم البغا صورة مثالية عن الحياة في أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، فتقول " **مهما حاول المسلم أن يجعل حياته كما يرضي الله فإن جهده يبقى قاصراً على بيته، وسيبقى يعاني فساد المجتمع خارجه، وعدم وجود القوة التي تحمي الحقوق وتأخذ على يد الظلمة.لذلك، كان لا بد للإسلام من حاكم يذود عن الدين ويسوس الدنيا به.أحمد الله أن أكرمني بالحياة في ظل حاكم يحكم بشرع الله.الحياة في الخلافة أروع حياة في ظل شرع الله رغم اعتداء الكفرة.النظام أحسن من أوروبا ..لا رشاوي.. لا واسطات.. القضاء نافذ على الجميع ..الضرائب شبه معدومة ..هناك مكاتب للتوظيف ولكنها ليس خيرية، تأخذ ما تحتاجه من الأيدي العاملة. مجالات العمل مفتوحة على مصراعيها بشرط واحد وهو أن يكون**

(٥١٧) انظر: د.إيمان البغا: شوارع (داعش) أنظف من شوارع الدمام بسبب تولية الكفاءات وتطبيق القوانين، صحيفة شؤون خليجية، ٣١ يناير ٢٠١٥، على الرابط التالي: http://alkhaleejaffairs.me/c-13211

(٥١٨) انظر: صفحتها على موقع الفيس بوك، مرجع سابق، بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠١٦.

ضمن حدود الشرع؛ فمن يفتح محلاً في بيته أو نافذته أو هنا أو هناك فهو حر مع المحافظة على مرافق الشارع العامة وعدم التضييق على المارة..ولا ضرائب على أي عمل سوى الزكاة التي تكون حسب مستوى العمل وعائداته، ثم توزع هذه الزكاة على الفقراء. ومن يدخل أية مدينة في الخلافة يجد هؤلاء الفقراء يأخذون رواتبهم من أماكن مخصصة لهم.أما نظرة الدولة إلى الفقر فتدفعني إلى الابتسام شماتة بأهل الدنيا. فمن كان لديه مكان يؤويه، وطعام يومه، ولحافه، وفراشه فإنهم يقولون له: احمد الله أنت في دنيا فانية، وما عند الله خير لك، وقد يكون من يحدثونه لا يتذكر الآخرة أصلاً رغم فقره وفشله الدنيوي. بينما هم يتكلمون من منطلق منهجهم وحياتهم، فبيوت الأمراء والمسؤولين لا تحتوي إلا على حاجياتهم اليومية فقط. أكثر ما يعجبني المحافظة على الأدب، فحتى الشكوى المكتوبة يجب أن تكون خالية من أية شتيمة؛ اكتب شكواك دون شتم أو دعاء على خصمك أو توصيف ونحن نقضي لك. تداركني الوقت ..ولكن بالمختصر المفيد: فإن الفاسد والبذيء والباغي مخنوق على الآخر"[٥١٩].

من الملاحظ من النص السابق أنّها حريصة على رسم صورة وردية دعائية (عن الحلول الاقتصادية، فرص العمل، عدم وجود الرشاوي، عدم وجود الضرائب- سوى الزكاة، رواتب مخصصة للفقراء، الأدب والأخلاق، بيوت الأمراء متواضعة وبسيطة شبيهة ببيوت الناس)، وهي صورة مقصودة لمداعبة خيال المسلمين وتذكيرهم بالنموذج التاريخي الانتقائي للدولة الإسلامية في مخيالهم، سواء من كتب التاريخ أو الخطاب الإسلامي السائد من جهة، وكنموذج مناقض تماماً للواقع الذي يشتكي منه كثير منهم في العالم العربي اليوم، حيث الرشوة والفساد والمحسوبية والفقر والبطالة والظلم، الخ.

تجادل البغا في كثير من منشوراتها في الدفاع عن تطبيق الشريعة وإقامة الحدود، وترد على الاتهامات والانتقادات الموجهة للتنظيم، وتعمل على نقد الثقافة الاجتماعية في العالم العربي ومقارنتها بالصورة المثالية للثقافة الجديدة في أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، بخاصة ما يتعلق بتطبيق الشريعة، وفق فهم التنظيم، فتقول في أحد

(٥١٩) صفحتها على موقع الفيس بوك، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٥.

منشوراتها " **مشكلة مجتمعاتنا أن الإعلام أفسد تفكير بعضها قبل أخلاقهم، فصارت العقول مقلوبة،تعرف الشرع ثم تطبقه بشكل مقلوب، فإن أتى من يطبقه بشكل صحيح وظهرت نتيجته الصحيحة ولولوا عليه واتهموه...وكأني بأصحاب القلوب الطيبة منهم يريدون شرف الوسيلة وسوء الغاية. كيف زبطت ؟ ما بعرف، شي بيجنن والله. مثال على ذلك الزواج: يريدونه بالمقاييس الإعلامية؛فتاة في العشرين ناضجة برأيهم، وشاب أكبر منها بعدة سنوات، صار عندهم منزل وأثاث له، ومورد مالي يكفي حتى لشراء الهمبرغر وأكله على الكورنيش، وسامحونا بالسيارة على الأغلب، والحب بينهما حصل وبمباركة الأهل جميعاً، أو بشيء من الحب والمباركة. ماشي الحال مع شوية قصص زعل ورضا من هذا وذاك.هكذا يكون الزواج عندهم، وإلا راحت على جميع الغلابة الذين لا يتمتعون بهذه المواصفات.ثم يولولون من العنوسة ومن الفساد، ويبكون على المطلقة، وعلى الأرملة ..وتتوتر النساء من التعدد وكأن كل واحدة منهن ضربها على الباب، يا أختي: قولي، اللهم حوالينا ولا علينا. ويسعد الرجال بفكرة التعدد وكأن كل واحد منهم هارون الرشيد وسيتزوج من ابنة عمر بن عبد العزيز.على كلٍّ، لا شيء من ذلك يعافينا من مصائب الزواج ..بأى بدكم تقولوا لي: أن يرضوا بالدولة الإسلامية؟ من وين؟ إذا كان عند بعضهم مصيبة أن الدولة تجبر الناس على الصلاة !!يوه، هلأ هيك الدولة الإسلامية؟؟ طيب من أين نجد دولة تجعل كل الناس يصلون من قلوبهم عن حب واقتناع؟ ابحثوا رجاء، وإلى أن نجد هذه الدولة لا مانع من أن نقبل بحكومات تقتل وتبغي وتحارب شرع الله وتعتقل وتفتح أراضيها للكفرة.إي كله قبلناه، عفواً لم نقبله، ولكن تعايشنا معه، أما أن نتعايش مع دولة تجبر الناس على الصلاة وعلى تقصير الثوب، وتمنع الدخان، وتلزمهم بأداء الزكاة، وتقطع يد السارق، وترمي باللوطي من أعلى السطح فهذا لم نجربه بعد .أصل الحكاية تعودنا على هدول الناس، ونحن نريد القضاء على السرقة والفساد و.. و.. ولكن بدون عقوبة هؤلاء.. بالحب والقناعة بس بشرط مو أنا كون المسروق، نريد أن نحيا حياة صالحة كما يريد الله تعالى، نحنا مسلمين برضو إيش بيكم ؟ولا يمكن تكملة النماذج الأخرى، لأني سأحتاج**

إلى مجلات وجرائد"[٥٢٠].

وتخصص فقيهة تنظيم الدولة الإسلامية مساحة مهمة ورئيسة من مشاركاتها ومساهماتها لمخاطبة المرأة المسلمة، وللحديث عن أوضاع المرأة في الأراضي التي يسيطر عليها التنظيم، وتدافع بشراسة عن تقييد المرأة بلبس الخمار، وإلزامها به. وتتحدث مطولاً عن أهمية الزواج المبكر، وتعتبره حلاً واضحاً لمشكلة العنوسة، وعن تعدد الزوجات، وتقدم ذلك بصورة وردية، وكأنّه نموذج مفارق تماماً للحالة الاجتماعية العربية، التي تعاني فيها المرأة من العنوسة وارتفاع نسب الطلاق، والشروط المعقدة والمتعبة للزواج اليوم؛ بينما الصورة مختلفة تماماً في الأراضي التي يسيطر عليها التنظيم.

وتحاول في هذا النقاش أن تؤطر لثقافة إسلامية (كما تفهمها هي) في مواجهة الثقافة الحديثة، عبر القول بأنّ الأولى تتجاوز مشكلات الثانية الواقعية من ناحية، وأنّ الثقافة الحالية في المجتمعات العربية هي نتاج الإعلام والثقافة الغربية، وليست منبثقة من الإسلام، إذ تقول " **المسلسلات علّمتكم أن الزواج يجب أن يكون على طبعة معينة أو لا يكون، فانتشر الزنا والفساد، وكذلك انتشرت العنوسة بين الرجال والنساء إلى درجة غير مسبوقة، ناهيك عن عدم زواج المطلقة والأرملة. في دولة الخلافة، انتفى الفساد، وانتفت العنوسة. أما أن تنتفي المشكلات الأسرية، وتكون الزيجات كأنها زيجات أميرات وأمراء فلم ننتقل إلى جنة الخلد بعد"**[٥٢١].

وبعد أن تتحدث عن قصص مشكلة العنوسة وتأخر سن الزواج في المجتمعات العربية والمسلمة، تقول " سمعتهم منذ أيام في أرض الخلافة يتحدثون عن تلك المرأة وعمرها ٣٨ سنة، رفضت الزواج من أحدهم وأصرت على أنّها لن تقبل بمن يزيد عمره عن الـ٢٥ عاماً"[٥٢٢]. وتقول في حديثها عن كلية الشريعة في جامعة دمشق " **الأمة تُذبح، والجهاد معلن على بعد كيلومترات، وما زالوا في كلية الشريعة جامعة دمشق يمضون أوقاتهم فيمن تزوج، ومن عدّد، ومن طلّق، وهذا ابن من، وهذه**

(٥٢٠) المرجع السابق، بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠١٦.

(٥٢١) المرجع السابق، بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠١٦.

(٥٢٢) المرجع السابق، بتاريخ ٦ مارس ٢٠١٦.

ابنة من؟ في أرض الخلافة لا يتحدث أحد في هذه القصص المستهلكة، ولا يُسمح لأحد أن يتدخل في حياة أحد، والبذل عنوان الأغلبية. الزواج يتم بساعات، انتهت مشكلات الزواج، وقلّت العنوسة. إحداهن تزوجت وهي في الـ٤٦ من عمرها. وأخرى عاد ولدها وقال لها: أمي عقدت اليوم قرانك على أحدهم فإن لم يعجبك فقولي لي لأفسخه. وافقت وحضرتُ مباركة عرسها، ولكن كانت المباركة مباركتين، لها ولابنها الذي تزوج قبلها بثلاثة أيام. كانتا رائعتين؛ العروستان، الحماة وكنتها.. مع ملاحظة أن العروس الحماة ليس لها من يعقد إلاّ ولدها"[٥٢٣].

تُفرد البُغا مساحة واسعة من نشاطها الإعلامي للدفاع عن تنظيم الدولة الإسلامية واستراتيجياته ومواقفه من الفصائل السنية المسلحة الأخرى، وتركيا والسعودية وإيران والغرب، وهدم الآثار في تدمر.

الملاحظة الأولى أنّها تبرر - فقهياً، وفكرياً، وسياسياً- موقف التنظيم في قتال الفصائل الأخرى، مثل الجيش الحرّ، وفي قتل من يعتبرهم صحوات، فهم وفقاً لها مرتدون وخونة، ولا جزاء لهم إلاّ القتل. كما بررت حرق الطيار الحربي الأردني، معاذ الكساسبة بالنار، وتتهم الفصائل الأخرى بأنها تخضع لأوامر تركيا وتتلقى الأموال من الخارج لقتال تنظيم الدولة الإسلامية[٥٢٤]، كما حصل في عملية درع الفرات. تقول " **زعلت تركيا من أمريكا، لأنّ الأخيرة طنشتها على الآخر، وساعدت الملاحدة الأكراد بالتمدد على حدودها. ولأنّ زعل تركيا الآن- فيه خسارة نسبية لأمريكا فأرضتنا بأن عززت مساعدتها للصحوات على الحدود التركيةالتي تسيطر عليها الدولة. وها هو المسمى بالجيش الحر الذي يعمل لصالح الائتلاف يدخل منطقة الراعي تحت غطاء الطائرات الأمريكية، ويسجد هؤلاء الجبناء الخونة شكراً لله على أن أخذوا هذه المنطقة بمساعدة الصليبيين من الدولة الإسلامية في الوقت الذي تخوض فيه الدولة الإسلامية حرباً رائعة ضد الكفرة النصيريين في دمشق وما حولها. أنزل هؤلاء الخونة راية لا إله إلاّ الله ووضعوا راية سايكس**

(٥٢٣) انظر: المرجع السابق، ١٧ يناير ٢٠١٦.

(٥٢٤) المرجع السابق، تحت عنوان تعليق على مشاركة، بتاريخ ١٣ أكتوبر ٢٠١٦.

بيكو المخزية. ولكن الأمر لدى الدولة سيان. لا فرق عندنا بين الملاحدة والصليبيين والنصيرية والمرتدين والخونة من هؤلاء الصحوات الجبناء"[٥٢٥].

كما تدافع البغا عن خطاب زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في بداية نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٦، الذي هاجم فيه تركيا، وتحدد موقف التنظيم من تركيا، من التحول في تعريفها من "عدو عاقل" في السابق، كانت الدولة تتجنب المواجهة المسلحة معه، إلى "عدو مجنون"، بدأ بالعمل ضد التنظيم ومهاجمته ومساعدة الفصائل الأخرى ضده. فهي تساعد الثوار لأخذ أراضي تنظيم الدولة ولا تفعل شيئاً ضد إيران وروسيا[٥٢٦].

من جهةٍ أخرى تفسر لماذا لم يهاجم البغدادي إيران ويحرّض عليها؟ بالقول بأنّ إيران هي العدو الرئيس، الذي تواجهه الدولة في سوريا والعراق، وليست بحاجة إلى الذهاب هناك إلى إيران لقتالهم، وتفسر عدم القيام بعمليات في روسيا، في الوقت الذي تنشط فيه خلايا التنظيم في أوربا والغرب بالقول " روسيا مثل المسخ بشار، ٣٠ عملية لا تهمها لأنها تقاتل عن عقيدة حربية صليبية بطريقة لينينية أو ستالينية، لا تبالي بقتل مليون من شعبها. أما العالم الغربي فهو رأسمالي قام على شركات صليبية ولكن بعقلية رأسمالية ويهمه الربح والخسارة"[٥٢٧].

وتعطي الشرعية الدينية والفقهية لقيام داعش بإصدار شريط مصور لعملية إحراق جنديين تركيين أسيرين[٥٢٨].

من خلال ما سبق من النصوص المكثّفة لمشاركاتها على مواقع التواصل الاجتماعي، سنجد أنّنا أمام مرافعات دائمة في الدفاع عن فكر التنظيم ومواقفه السياسية والإيديولوجية والفقهية من زاوية، ومن زاوية أخرى إبرازصورة وردية مثالية

(٥٢٥) انظر: المرجع السابق، بتاريخ ٨ أبريل ٢٠١٦.

(٥٢٦) المرجع السابق بتاريخ ٤ و٥ نوفمبر ٢٠١٦.

(٥٢٧) انظر: المرجع السابق، بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠١٦.

(٥٢٨) المرجع السابق، بتاريخ ٢٣ ديسمبر ٢٠١٦.

للحياة في أراضي التنظيم، وهو أشبه بالدعاية السياسية والإعلامية التي تخدم أجندة التنظيم وروايته في مقابل الروايات الأخرى، التي تتحدث عن تشدده وعن أعماله الوحشية ضد الخصوم، وفي مواجهة مواقف التيارات الإسلامية عموماً التي ترى في مواقف التنظيم وأفكاره انحرافاً عن الإسلام، فهي تقف على خطّ المواجهة الفكرية والإعلامية والفقهية ضد أغلب الاتجاهات الإسلامية في العالم العربي، وضد أغلب أطياف المعارضة السورية، وضد الصورة النمطية عن التنظيم، لتحاول أن ترسم صورة مختلفة مفارقة لما هو سائد في الإعلام عنه.

الخلاصة؛ التماهي الإيديولوجي والذاتي

قدّمنا – في الفقرات السابقة– نصوصاً مطوّلة من منشورات البغا، لأكثر من سبب؛ **الأول** لأنّها تشير إلى إيمانها العميق بمشروع "تنظيم الدولة الإسلامية"، وتماهيها معه إيديولوجيا وفقهياً، و**ثانياً** لتوضيح الدور الدعائي الذي تقوم به للدفاع عن التنظيم في وسائل التواصل الاجتماعي، وقدرتها الملحوظة على التسلل إلى المخيال الديني من جهة، وزعزعة الصورة النمطية التي يزرعها الإعلام عن تنظيم الدولة ونقدها من جهةٍ أخرى.

هذا التماهي مع التنظيم ومشروعه السياسي والإيديولوجي، والقطيعة التي أحدثتها عن أسرتها الكبيرة، ومقتل ابنها مع التنظيم، وزواج ابنتيها من أعضاء في التنظيم، لا يترك مجالاً سوى الاستنتاج بأنّها ربطت مصيرها بالتنظيم بصورة نهائية وحاسمة، ورأت فيه شخصيتها وتوجهها الديني وهويتها الفكرية والذاتية بصورة مطلقة وواضحة. وسنجد ذلك في أجوبتها على المتخوفين عليها وعلى مصيرها في حال سقطت دولة التنظيم، إذ تجيب " **تصدق ما خطر ببالي سؤالك، لأني هنا في الدولة الإسلامية، أخذت هويتها وصرت من رعاياها ولله الحمد، وانتهى الأمر، بل أكثر من ذلك، وانتهى الأمر. وهي باقية إن شاء الله، وإن لم تبق لا قدر الله– فلن أذهب إليكم ولا إلى أمثالكم لأني لا أحب المذلة والشرشحة، أحب الأكابرية**

بشكل مضاعف"[٥٢٩].

دعونا نستعيد المكونات المهمة والبنيوية في نموذج البغا؛ أولاً التنشئة الدينية والاجتماعية الصارمة. ثانياً المدرسة الفقهية الشامية (مدرسة حسن حبنكة)، التي تتسم بالتشدد الفقهي والديني والحرفية في قراءة النصوص، ثالثاً المرحلة السعودية والانخراط في الأجواء السلفية، رابعاً تأثير الأسرة الصغيرة وأبناؤها الذين تماهوا، هم أيضاً، مع مشروع تنظيم الدولة، وخامساً شخصيتها (الأنا) واعتدادها الواضح بنفسها، وشعورها بتفوقها وتميزها، مقارنةً بالآخرين.

يتوارى وراء العوامل السابقة عامل رئيس لا يظهر بوضوح، لكن يمكن أن نلمسه في كلامها، عندما تتحدث عن أجواء المشايخ في جامعة دمشق، وفي نقاشها مع أحد أبناء أولئك المشايخ، وعن اعتزازها بوالدها، ثم مطالبتها أبناء المشايخ في دمشق بقيادة الجهاد، ونقدها لسارية الرفاعي، ووصفها نفسها بالأكابرية.

---

(٥٢٩) المرجع السابق، ٥ نوفمبر ٢٠١٦.

الفصل الرابع

الأوربيات المهاجرات إلى أرض الجهاد

الفصل الرابع

الأوربيات المهاجرات إلى أرض الجهاد

"إنها راديكالية جداً، وخبيثة جداً وخطيرة جداً"

القاضي جان لوي بروغريير عن مليكة العرود

" أعترف بأنني أحسست بخوف كبير. وفي هذه اللحظة أدركت أن علي أن أثبت لله مقدار إذعاني له. وكنت أدعوه أن يخلصني و يخفي هويتي عن الأعداء. فترة ١٩ يوماً التي قضيتها معتقلة، كانت جد قاسية، لكن في الوقت نفسه رسخت معتقداتي، وأظهرت لي من هم أعدائي، ومن هم إخواني وأخواتي الحقيقيون. لكنها بالخصوص قربتني من الله سبحانه وتعالى" .

مليكة العرود

مقدمة

إذا كان تنظيم الدولة الإسلامية قد أحدث طفرات كبيرة في مسار الحركات "الجهادية الإسلامية"، فإنّ إحدى أبرز هذه الطفرات تتعلق بقدرته، غير المسبوقة، مقارنة بالتنظيمات الإسلامية الجهادية السابقة، على الاستقطاب والدعاية للنساء، إذ أصبح عدد الأوروبيات خصوصاً، والغربيات عموماً، المنخرطات في التنظيم من أكبر النسب سواء على صعيد المقارنة بحركات أخرى، أو بالنساء الأخريات (العربيات) في التنظيم.

أثارت هذه "الظاهرة"؛ أي "النسائية الجهادية الأوربية الجديدة"، اهتمام الباحثين والدارسين الغربيين، ومراكز الدراسات، إذ طرحت سؤالاً رئيساً محيّراً: ما الذي يدفع بالفتيات الأوروبيات الجامعيات أو المراهقات إلى ترك منازلهن وحياتهن التي يرغب بها

أناس كثيرون في العالم - بل ونسبة منهن جاءت عائلاتهن إلى أوروبا بوصفها الملاذ الآمن، والحياة الجيدة التي يسعون إليها، هرباً من الفقر والحروب الأهلية وغياب الديمقراطية- والهجرة إلى أراضي تنظيم الدولة، ليعشن حياة بدائية، لا تقارن مادياً بالغرب وأوروبا، ويجلسن في المنازل، ويتخلّين عن حقوق عديدة، وفق المنظور الدولي لحقوق الإنسان؟

هذه هي علامة الاستفهام التي خلقت جدالاً واختلافاً واسعاً بين نظريات عديدة، في الإعلام ولدى الباحثين والسياسيين، فهنالك من ذهب إلى إلقاء المسؤولية كاملةً على الإنترنت ودوره في تجنيد الفتيات المدمنات على مواقع التواصل الاجتماعي، في حين تحدّثت فرضيات أخرى عن دور الصديق/ العشيقBoy Friend، وفكرة الزواج المغرية للمراهقات، وثالثة عن حب المغامرة لدى الجيل الجديد، وأخرى عن غسيل الدماغ، أو سؤال الهوية الدينية في المجتمعات الغربية، وغير ذلك[٥٣٠].

توجد تقديرات عامة لأعداد الأوروبيات اللواتي غادرن إلى العراق وسوريا للانضمام إل التنظيم، وأغلب التقديرات تميل إلى أنّهن يشكلن نسبة ١٠٪ من العدد الكلي للمهاجرين الأوروبيين، ذكوراً وإناثاً. وترجّح تقارير متعددة أن يكون العدد قد وصل إلى قرابة ٥٥٠ إمرأة وفتاة أوربية انتقلن إلى هناك، من العديد من الدول

(530) See for example: Par Simon, Western women in jihad, triumph of conservatism or export of sexual revolution?, - Géopolitique de l’Europe, 2015, at: https://goo.gl/qllIuU Florian Flade, Carolin George and Per Hinrichs وWhy 2 ‘Normal’ Teens Joined ISIS, 22/2/2016, at:
http://www.ozy.com/true-story/why-2-normal-teens-joined-isis/61629

وانظر: سعيد الكحل، دراسة تحليلية مترجمة- عن دوافع مشاركة النساء مع داعش، موقع السكينة، ١٤ نوفمبر ٢٠١٤، على الرابط التالي:

http://www.assakina.com/center/parties/57276.html#ixzz4PbyiSG3U

الأوروبية والغربية؛ أبرزها فرنسا وبلجيكا، وبريطانيا وألمانيا[٥٣١].

من ألمانيا، ثمة تقديرات تقول بأنّ قرابة ٤٠ امرأة، يمثلن نسبة ١١٪ من ٣٧٨ شخص ذهبوا إلى سوريا. وقرابة ٤٠٪ من العدد الكليلا تتجاوز أعمارهمال ٢٥ عاماً. فيما يقدر العدد من فرنسا بما يتجاوز الـ٢٠٠ "مهاجرة"، وفي بلجيكا بما يتجاوز الـ١٠٠، وفي بريطانيا ما يقارب الـ١٠٠، كما سنذكر في الصفحات القادمة.

وبالرغم من أنّنا سنتناول نموذجاً ينتمي إلى الجيل القاعدي النسائي في أوروبا (مليكة العرود)، فإنّ أغلب الحالات الأخرى مخصصة للجيل الجديد من الجهاديات، الداعشيات على الأغلب. وسنأخذ مجموعة الأمثلة التي تمنحنا أكبر قدر من المعلومات الموثوقة، بخاصة عن حياتهن ومسارهن وخلفيتهن الاجتماعية والثقافية، قبل الهجرة إلى أراضي تنظيم الدولة أو القيام بعمليات أو أي فعالية أخرى تظهر تأثرهنّ بهذا التيار. وسنبحث بصورة خاصة، كما هي حال الفصول الأخرى، عما نسميه نقطة أو نقاط التحول التي مثّلت منعطفاً نفسياً أو فكرياً للحالة المطروحة، ونقلتها باتجاه مسار النسائية الجهادية. وهنا وبالرغم من أنّنا لا ننسى سؤال "كيف" حدث التحول، مثل طرق التجنيد وأدواته وخطواته، إلا أنّ اهتمامنا ينصبّ على سؤال: لماذا حدث ذلك التحول؟

بالضرورة، فإنّ ذلك لا ينفي أهميّة حالاتٍ أخرى عديدة اشتهرت إعلامياً، مثل تارا نيتلون وابنتها زينب شروف، الناشطتان في تنظيم الدولة، وقد غادرتا إلى أراضي " الدولة الإسلاميّة" مع زوج تارا خالد شروف، وابنتها الأخرى. وقريباً من هذا النموذج، تقع حالة زهراء دومان، وهي أسترالية من أصول تركية وقريبة من عائلة الشروف[٥٣٢].

---

(٥٣١) مئات الأوروبيات يلتحقن بتنظيم "الدولة الإسلامية"، BBC العربية، ٢٨ يناير ٢٠١٥، على الرابط: http://www.bbc.com/arabic/ممدوح الليثي، تقرير: ٥٥٠ سيدة أجنبية بداعش أغلبهن إنجليزيات مراهقات، موقع انسايدر برو، ١ يوليو ٢٠١٥.

(532) Erin Marie Saltman, Melanie Smith, 'Till Martyrdom Do Us Part': Gender and the ISIS Phenomenon, Institute for Strategic Dialogue, 2015, p27-37. At: http://www.strategicdialo

قسمنا النماذج المدروسة إلى قسمين؛ بحسب أبرز الدول في نمو ظاهرة النسائية الجهادية؛ النموذج الأول هو "الجهاديات البريطانيات"، ونتناول العديد من الحالات: أقصى محمود، خديجة سلطانة، أميرة عباسي وشاميما بيغوم وشارمينا بيغوم، والتوأمتان المراهقتان زهرة وسلمى هالين، والنموذج الثاني عن "الجهاديات الفرانكفونيات"، ويضم فرنسا وبلجيكا، وأخذنا في الحالة الفرنسية أبرز النماذج المعروفة: حياة بومدين، حسناء بولحسن، وإيناس مدني، بينما في الحالة البلجيكية أخذنا مليكة العرود، ويطلق عليها "الأرملة السوداء"، بينما كان يطلق على الجهادية البريطانية سمانث اليثيويت Samantha Lewthwaite،"الأرملة البيضاء" في الإعلام الغربي[٥٣٣].

البريطانيات المهاجرات إلى "مدينة الأحلام"

في مساء يوم ١٦ فبراير/شباط ٢٠١٥، كانت خديجة سلطانة (ابنة الـ١٦ عاماً) ترقص مع ابنة أخيها الأصغر منها، وتداعبها، وبقيتا تتحدثان وتتمازحان، ثمّ تركت لها غرفتها تلك الليلة، ونامت في جوار والدتها على سريرها، وكأنّها تريد أن تترك هذه الصورة المرحة في مخيّلة عائلتها[٥٣٤]، عندما تغادر صباح اليوم التالي مع رفيقتيها أميرة عباسي وشاميما بيغوم (١٥ عاماً حينها)، إلى أراضي تنظيم الدولة الإسلامية، عبوراً بتركيا.لتتزوج لاحقاً هناك، ثمّ تُقتل، بعد ما يزيد على عام في ٢٢ يونيو/حزيران ٢٠١٦، بقصف جويّ روسي على البناية التي كانت تعيش فيها[٥٣٥].

---

(533) Julian Robinson, British white widow terror fugitive Samantha Lewthwaite ‘mentored all-female team of jihadists’ who attacked Kenyan police station, Daily Mail, 15 september 2016. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-3791189/Brit

(534) Katrin Bennhold, ‘They were the girls you wanted to be like’: How teenage rebellion sends girls into the arms of ISIL, The New York Times, Tuesday,18 August, 2015.

(535) Jamie Grierson and Vikram Dodd, British girl believed

كانت خديجة، التي تسكن مع عائلتها في حيّ بيثنال غرين، شرق العاصمة لندن، من المتميزات في المدرسة، والمتفوقات الواعدات، كما تشهد بذلك خطابات المدرسة نفسها. ولم تكن إلى فترة قريبة من سفرها متدينة، على أنّها تنتمي إلى عائلة محافظة. لكنّها وقبل أشهر من سفرها مع صديقتها، بدأت تتغير في أفكارها وملابسها واهتماماتها، وأخذت تمضي وقتاً طويلاً قبل سفرها على الآيباد الخاص بها، وأخذت تتردد مع صديقاتها على مسجد في شرق لندن.

كان سفر المراهقات الثلاث المتميزات من مدرسةBethnal Green Academy صاعقاً لا لعائلاتهن، ولمدرستهن فقط، بل حتى على صعيد عالمي. فقد أصبحت المراهقات مشهورات، لأكثر من سبب، لعمرهن وجنسهن وخلفيتهن المريحة، وأصبحن مادة للإعلام الغربي والبريطاني خاصة لاحقاً.

على أنّ البنات الثلاثة لم يكنّ الحالة الأولى ولا الأخيرة من بين النساء والفتيات البريطانيات؛ فقبل ثلاثة أشهر فقط من مغادرتهن كانت صديقتهن وزميلتهنّ بالمدرسة، شارمينا بيغوم، تغادر هي الأخرى المنزل الذي تقيم فيه مع جدتها لوالدتها وخالها إلى أراضي التنظيم، بانتظار وصول بقيّة صديقاتها وزميلاتها.

جاء التحذير من نمو ظاهرة البريطانيات الملتحقات بالتنظيم عبر تقرير مسؤولي مكافحة الإرهاب البريطانيين في بداية العام ٢٠١٦ إذ قدّروا أعداد المغادرات في العام ٢٠١٥ (اللواتي بلّغت أسرهن عن فقدانهن ورجحت انضمامهن إلى التنظيم) بقرابة

---

killed in Syria 'was too scared to flee Isis', The Guardian, 12 August 2016. At:https://www.theguardian.com/world/2016/aug/12/british-girl-believed-killed-in-syria-was-too-scared-to-flee-isis

and, William Watkinson, Bethnal Green schoolgirl who joined Isis believed to have been killed in an air strike, International Business Times, 11 August 2016.At:
http://www.ibtimes.co.uk/bethnal-green-schoolgirl-kadiza-sultana-who-joined-isis-raqqa-believed-killed-airstrike-1575604

٥٦ واحدة، فيما كان تقدير المهاجرات في العام ٢٠١٤ قرابة ٤٣. وثمّة قصص عن إناث التحقن أو حاولن الالتحاق بالتنظيم في العام ٢٠١٦، أي أنّنا في جميع الأحوال نتحدث عن عشرات النساء البريطانيات ممن التحقن بتنظيم الدولة الإسلامية خلال الأعوام الثلاثة السابقة، من بين قرابة ٧٠٠ بريطاني قُدّر أنّهم اتجهوا للانضمام إلى التنظيم[٥٣٦].

هنالك العديد من الحالات الشهيرة والقصص المماثلة في بريطانيا، ولعل أكثرها تشابهاً بحالة الفتيات الثلاثة، من زاوية الخلفية الاجتماعية والعمر والدوافع، هي حالة أقصى محمود، التي كانت من أوائل المغادرات إلى أراضي التنظيم، وكان عمرها حينها ٢١عاماً، بالإضافة إلى حالة الشقيقتين التوأمتين، سلمى وزهرة حلاني، والطبيبة الماليزية شمس (٢٨ عاماً) التي يُعتقد بأنّها عاشت من خلال تحليل ما تنشره- في بريطانيا لمدة من الوقت. وسالي جونز، التي تبلغ من العمر ٤٧ عاماً، وكانت عازفة غيتار، قبل أن تعتنق الإسلام وتهاجر إلى أراضي التنظيم، وكذلك الحال لدى جراس دراي، كانت ٢٧ عاماً، عندما هربت في العام ٢٠١٢ إلى سوريا، وتزوجت هناك، وهي فتاة كاثوليكية بريطانية اعتنقت الإسلام، خلال سنوات المراهقة[٥٣٧].

ومن الأسماء المعروفة من أُطلق عليهن إعلامياً "شقيقات داوود"، خديجة (٣٠ عاماً)، زُهرة (٣٣ عاماً)، وصغرى (٣٤ عاماً) وهن ثلاثة شقيقات هربن في يونيو/ حزيران ٢٠١٥، وأخذن أبناءهن معهن، وتركن أزواجهن في بريطانيا، بعد أن تحايلوا عليهم بنيتهم أداء العمرة، في السعودية، لكنّهن بعد ذلك ذهبن إلى تركيا، ومنها إلى سوريا. وتتراوح أعمار فتياتهن الخمس وأولادهن الأربعة بين ٣ و١٥ عاماً، عند

(536) Charlie Peat, Number of women leaving UK for ISIS on the rise, chilling figures show, 12 january 2016. http://www.express.co.uk/news/uk/633746/Women-joining-ISIS-Syria-from-UK-rise-chilling-figures-show

(537) Lizzie Dearden, Isis' British brides: What we know about the girls and women still in Syria after the death of Kadiza Sultana, Independent, 12 August 2016.

مغادرتهن البلاد إلى الأراضي التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية[٥٣٨].

بالطبع توجد أسماء أخرى تداولتها وسائل الإعلام، ليس فقط لمهاجرات، بل أيضاً لعائدات[٥٣٩]، ولمتهمات بمحاولة القيام بتفجيرات في لندن[٥٤٠]. لكن بالرغم من هذه التغطية الإعلامية الواسعة، فإنّ ما هو متاح من معلومات أكثر دقة عن الأمثلة السابقة ليس كثيراً، ولا يعطينا المجال لإدراك "بؤر" التحولات النفسية، والتفاصيل الدقيقة عن المحيط الاجتماعي، لنتمكن من رسم صورة قريبة وعميقة للظاهرة النسائية الجهادية البريطانية.

مع ذلك، فقد تمّ إنجاز بعض الدراسات المتخصصة والأوراق الأكاديمية، بالإضافة إلى جهود بحثية بذلت من قبل بعض مراكز الدراسات تساعدنا في استنطاق معالم الظاهرة وسماتها الأساسية. ومن أبرز هذه الدراسات الدراسة الصادرة عن معهد الحوار الاستراتيجي في لندن، لكل من إرين ماري سالتمان Erin Marie Saltman، وميلاني سميث Melanie Smith، وتستند إلى قاعدة بيانات أعدها المعهد نفسه، ومعه المركز الدولي للدراسات الراديكالية، لمائة حالة نسائية من ١٥ دولة غربية، وجاءت الدراسة بعنوان "حتى تفرقنا الشهادة: الجندر وداعش" (Till Martyrdom Do Us Part': Gender and the ISIS' Phenomenon)، وكذلك الدراسة السابقة للمعهد بعنوان "أن تصبح مولان: النساء الغربيات المهاجرات إلى داعش" (Becoming Mulan: Female

(٥٣٨) Ibid

(٥٣٩) إدانة أول بريطانية بتهمة الانضمام لتنظيم "الدولة الإسلامية، BBCالعربية، ٣٠ يناير ٢٠١٦، على الرابط:
http://www.bbc.com/arabic/multimedia/2016/01/160130_yolanda_uk_isis

(٥٤٠) بريطانيا: إدانة زوجين بالتخطيط لـ"هجوم انتحاري" في ذكرى تفجيرات قطارات أنفاق لندن، سي ان ان العربية، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥، على الرابط:
http://arabic.cnn.com/world/2015/12/30/uk-couple-convicted-terror-charges

(Western Migrants to ISIS)[٥٤١].

تكمن أهمية هاتين الدراستين في أنّهما تتجاوزان الصورة النمطية والأفكار المقولبة المسبقة، وتنخرطان في دراسة الظاهرة عبر متغيراتها الرئيسة، وتبدأن بالعمل على تفسير الأسباب والدوافع التي تدفع بالنساء الغربيات إلى الهجرة للتنظيم، إذ تقسمها الدراسة إلى أسباب طرد (من الدول الغربية) وأسباب جذب (لدى تنظيم الدولة الإسلامية).

وبينما ترفض الدراستان، منذ البداية، الفرضيات المسبقة، التي انتشرت في الإعلام العربي والغربي على السواء، عن عرائس الجهاد، والباحثات عن المتعة، وتركزان على العوامل الموضوعية، وفي مقدمتها شعور الفتيات بالغربة، وأحياناً العزلة في المجتمعات الغربية، وبروز سؤال الهوية الإسلامية لدى الفرد. وفي المقابل تتمثّل عوامل الجذب من قبل تنظيم الدولة الإسلامية في وجود مشروع جهادي جديد، أكثر انسجاماً مع "الهوية المتخيّلة"، والدولة الموعودة في مخيال الفتيات البريطانيات، والشعور بوجود واجب يمكن القيام به من أجل الدولة الإسلامية المفترضة، أو حتى دور إنساني يمكن أن يؤديه الإنسان في هذا المجال، بالإضافة إلى تحقق مجتمع أكثر انسجاماً مع ميل بعض الأفراد إلى هويات دينية نقية أو حياة مرتبطة بتعاليم الدين وقوانينه.

وتحذّر دراسة "حتى تفرقنا الشهادة" من ربط الظاهرة بمتغيرات ثابتة، كعمر معين أو بمستوى اجتماعي محدد، أو تعليمي. فدراسة الحسابات الإلكترونية وقاعدة البيانات تدفع إلى القول بخلاف ذلك، فنحن أمام متغيرات مختلفة، متنوعة، في السن، والخلفية الاجتماعية، والأصول، والمستوى التعليمي، والأسباب التي يُفترض بأنّها تدفع هؤلاء

---

(541) Erin Marie Saltman, Melanie Smith, ‘Till Martyrdom Do Us Part’: Gender and the ISIS Phenomenon, op.cit.
and: Carolyn Hoyle, Alexandra Bradford, Ross Frenett, Becoming Mulan: Female Western Migrants to ISIS, 2015. At: http://www.strategicdialogue.org/wp-content/uploads/2016/02/ISDJ2969_Becoming_Mulan_01.15_WEB.pdf

النساء والفتيات إلى الانضمام إلى تنظيم الدولة.

إذا نظرنا من خلال العدسة السابقة إلى تجربة البنات المراهقات الأربعة؛ خديجة وأميرة وشارميان وشاميما، وأخذنا معهن أقصى محمود، بوصفهن متقاربات في العمر والخلفية الاجتماعية، مع عدم إغفال التجارب النفسية، التي قد تكون متباينة، وتعاملنا معهن كأحد الاتجاهات الجديدة في النسائية الجهادية، بخاصة الداعشية، فسنجد أنفسنا أمام حالات تتراوح أعمارها بين الـ١٥-٢١ عاماً، عندما التحقن بتنظيم الدولة، من عائلات مسلمة محافظة عموماً، باستثناء أقصى محمود نسبياً، التي تعتبر عائلتها نفسها علمانية.

في هذه التجارب، وبالرغم من أغلب العائلات محافظة، إلاّ أنّ أغلب الفتيات كنَّ يعشن حياة طبيعية، من غير تشدد، قبل أن تبدأ التحولات والتغييرات باختراق أفكارهن وحياتهن. ثم بعد شهور هاجرن إلى الرقّة، على الرغم من أنّظروفهن الاقتصادية ليست سيئة، فهن من الطبقة الوسطى عموماً، بدرجات متفاوتة.

أقصى محمود، على سبيل المثال، من عائلة ذات وضع اقتصادي جيد. ففي السبعينيات من القرن الماضي انتقل والدها من باكستان، إلى مدينة غلاسكو "اسكتلندا". امتلكت العائلة منزلاً في حي راقٍ في اسكتلندا، ونشأت أقصى في عائلة مكونة من ثلاثة إخوة ووالديها، حيث تميز والدها بحصوله على مركز أول لاعب كريكيت في الفريق الاسكتلندي.

كانت ترتاد المدرسة الخاصة المعروفة باسم "كريغهولم"، Craigholme، وهي من المدارس الخاصة البارزة في اسكتلندا؛ وهو أمر لا يتمكن سوى الميسورين من تأمينه لأطفالهم، ثم التحقت بثانويةShawlands Academy، وهي مدرسة دولية متنوعة الثقافات. ويتذكر أصدقاؤها أنها كانت تتصرف كرفيقاتها الغربيات فكانت تحب التسوق والثقافة الغربية وشراء الملابس، وتُكثر من قراءة روايات جي. كي. رولينج "هاري بوتر" وسلسلة روايات "لعبة الجوع" (The Hunger Games)، وكانت تميل إلى سماع الموسيقى "فرقة كولد بلاي" (Coldplay)، وكانت مولعة بعالم المغامرات، الذي يبدو أنّها استبدلته بعالم البغدادي وجماعته فيما

بعد[٥٤٢].

ثم سجلت في جامعة غلاسكو كالدونيان (Glasgow Caledonian University)، لدراسة الأشعة. والمفارقة أنّ الجامعة عينت محمد يونس، الحائز على جائزة نوبل، رئيساً لها، وهو أول شخص غير اسكتلندي يصبح رئيساً لجامعة اسكتلندية في العام ٢٠١٢، ووجه المفارقة أنّه من بنغلادش (أي من ذات الأصول التي تنتمي إليها محمود)، ومعروف بإنشائه بنكاً لمساعدة الفقراء وإدارة المشاريع الصغيرة[٥٤٣].

وكما صرح والدها فقد كانت أقصى محمود فتاة محبة لمدرستها، لطيفة، ولم يكن لها أية أفكار متطرفة. لكن عندما اندلعت الحرب في سوريا، أصبحت قلقة من العنف وبدأت بالصلاة وقراءة القرآن. وتذكر والدتها أنّها كانت متأثرة جداً بما يحدث في سوريا، وأنّها "أصبحت عاطفية، وكانت غارقة في الدموع بعد الهجوم الكيماوي على الغوطة في دمشق"[٥٤٤].

ثم عندما التحقت بالجامعة بكلية "دراسات الأشعة"، توقفت عن الاستماع إلى

---

(٥٤٢) انظر: لهذه الأسباب الفتيات الأوروبيات يقعن في شباك مقاتلي "داعش"، موقع صوت روسيا، ١٥ أكتوبر ٢٠١٤، على الرابط التالي: https://arabic.sputniknews.com/arabic.ruvr.ru/

(٥٤٣) https://en.wikipedia.org/wiki/Glasgow_Caledonian_University

(544) Gavin Madley, Heartbroken and hopeless: Parents of Scottish jihadi bride Aqsa Mahmood tell of their devastation at losing her to ISIS brainwashing, Mail online, 22 february 2016. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-3457741/Heartbroken-hopeless-Parents-Scottish-jihadi-bride-Aqsa-Mahmood-tell-devastation-losing-ISIS-brainwashing.html

الموسيقى وقراءة روايات المراهقين، ولم يكن في تصرفاتها ما يثير القلق، فقد كانت ترافق العائلة في الخروج وتناول الطعام ومشاهدة أفلام السينما. لم تكن أقصى تعيش ضمن عائلة متشددة، بل كانت عائلتها علمانية تنصب اهتماماتها على التعليم والحياة الجيدة، تقول والدتها خالدة " إن ابنتها كانت تخاف من السفر لذلك فقد أقلقتها فكرة سفر ابنتها" وأنّها "لا تعرف كيفية استخدام وسائل النقل العام للتنقل في وسط مدينة غلاسكو البريطانية".

في الشهور الأخيرة بدأت شكوك العائلة حول ابنتها، عندما وجدت والدتها رسالة مريبة (في شهر مايو/أيار ٢٠١٣) على هاتفها من شخص اسمه عديل الحق، فاتصل والدها به وطلب منه عدم الحديث مع ابنته. لكنه تفاجأ خلال الصيف، وعندما كان يحضر مع زوجته حفل زفاف في مدينة مانشستر، بأنّ جدتها تخبرهم بأنّ أقصى لم تعد إلى المنزل، واتصلوا بعائلة عديل الحق، وتم اللقاء بين العائلتين في المسجد، بناء على طلب العائلة الأخرى. وكانت أقصى بصحبة تلك العائلة، وأخبرت والديها بأنّها تريد الزواج من عديل، لكن والدها رفض ذلك، وقال لها بأنّهما ما يزالان صغيرين، ولا يملكان دخلاً مالياً، وانتهى الأمر بعودتها مع والديها، واعتذارها من أهلها، وقرارهم بمراقبة هاتفها بصورة جديّة. لكنّ ذلك كله لم يعدل فيما يبدو من قرارها بالالتحاق بالتنظيم!

ثم حدثت المفاجأة في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٣، إذ ودعت أقصى والدها واحتضنته، قائلة له: "خودا حافظ: الله يحميك".وبعد مضي أربعة أيام من اختفائها اتصلت أقصى مع والديها في ما بعد لتخبرهما أنها على الحدود التركية، متجهة إلى سوريا موجهة لهم رسالة قائلة:" أنها ستلقاهما في الجنة وتأخذ بيديهما". أصبح هدف الشابة الخجولة المتواضعة -كما يصفها والدها- هو الوصول إلى مدينة الرقة للالتحاق بالتنظيم، ثم أصبحت تطلق على نفسها في الرقّة "أم الليث"، وأخذت شهرتها تزداد لما تكتبه على وسائل التواصل الاجتماعي، ولما يروج وينشر عنها من أخبار وتسريبات من داخل الرقّة؛ لا يوجد ما يؤكّدها أو ينفيها من مصادر موثوقة، مثل الحديث عن دورها في استقطاب البريطانيات، والغربيات، وعن نفوذها الكبير في داخل التنظيم،

ودورها في كتيبة الخنساء، ومسؤوليتها عن تزويج الغربيات القادمات إلى التنظيم[٥٤٥].

بالعودة إلى "نقطة التحول" في حياتها، سنجد أنّ والديها يحمّلون المسؤولية إلى عديل الحق، الشاب، الذي اتّهم في المحكمة، لاحقاً، بمساعدة آخرين على الانضمام إلى سوريا، وبتقديم مساعدة مالية للإرهاب، والتخطيط للهجرة إلى سوريا[٥٤٦]، لكنّه أجاب المحكمة بأنّه كان يخطط للذهاب إلى هناك لإعادة "حبيبته السابقة"، أقصى محمود؛ والمفارقة أنّها تزوجت بعد وصولها إلى هناك بفترة قصيرة من غيره[٥٤٧].

يرى المسؤولون البريطانيون بأنّ وسائل التواصل الاجتماعي لعبت الدور الأكبر في عمليات التجنيد وإقناع الشباب بدعاية التنظيم، فيما يرى أهلها أنّها تعرضت لعملية "غسيل دماغ"، وأنّ الأحداث في سوريا هي ما قادها إلى الاهتمام بالسياسة، والتديّن، والتحول في سلوكها من النمط الغربي إلى ارتداء الحجاب.بل أصبحت أقصى راغبة بارتداء النقاب، لكن والدتها نصحتها بعدم القيام بذلك، وأخذت تحافظ على الصلوات وتلتزم بقراءة القرآن، وهو الأمر الذي كان يشير،بالنسبة لعائلتها،إلى اتجاهها نحو التديّن، دون الشعور بأنّ ذلك سيؤدي بها إلى أحضان تنظيم

(545) Robert Mendick, and Robert Verkaik, British female jihadis sign up to the Islamic State's all-women police force, The Telegraph, 7 september 2014. At: http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/terrorism-in-the-uk/11079386/British-female-jihadis-sign-up-to-the-Islamic-States-all-women-police-force.html

(546) about him: Old Bailey hearing for man accused of helping Cardiff teen Aseel Muthana join terrorists in Syria, Wales Online, 2 february 2015 http://www.walesonline.co.uk/news/wales-news/old-bailey-hearing-man-accused-8561118

(547) Gavin Madley, Heartbroken and hopeless: Parents of Scottish jihadi bride Aqsa Mahmood tell of their devastation at losing her to ISIS brainwashing, op.cit.

الدولة الإسلامية[٥٤٨].

لو قارنّا حالة أقصى بشارمينا بيغوم، ابنة الـ١٥ عاماً عندما غادرت منزلها في شرق لندن، في ضاحية بيثنال غرين، التي تسكن فيها نسبة كبيرة من المسلمين، إلى سوريا، في ٦ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦، فسنجد بأنّ السمات الشخصية متقاربة. فشارمينا، وُلدت في لندن، من أصول بنغلادشية، وهي الابنة الوحيدة لعائلتها. أصيبت بصدمة عاطفية، في بداية العام ٢٠١٤، عندما توفيت والدتها بالسرطان، وكانت قد أخفت عنها مرضها، وعاشت مع جدتها لأمها وخالها، بعد أن قرر والدها الزواج، في بيت يبعد مسافة قصيرة عن مدرستها.

لم تكن شارمينا متدينة، قبل وفاة والدتها، فقد كانت تحب موسيقى الروك، وتستمتع للمطربة الشهيرة رياناRihana، وكانت من هواة التسوق، والملابس الحديثة، كأي مراهقة أخرى.ولكنها،بعد وفاة والدتها، أخذت تصلي وتقرأ القرآن، وتعتكف في غرفتها وهي تصلي، وبدأت بارتياد مسجد في شرق لندن، وارتدت الحجاب، ويقول والدها بأنّه لم يكن يشعر بالقلق من تدينها، ويربط ذلك بصدمتها بوفاة والدتها. لكنّه تفاجأ بعد هروب ابنته، بأنّه قد تم تجنيدها عبر الإنترنت.وتقول الشرطة البريطانية أنّ ذلك تم عبر امرأتين، مؤيدتين لتنظيم الدولة الإسلامية[٥٤٩].

كانت شارمينا تمتلك صداقة وثيقة بثلاث فتيات أخريات من المدرسة نفسها أكاديمية بيتنال غرين Bethnal GreenAcademy ، ولأنّ والد شارميان

---

(548) Ibid.

(549) Emine Sinmaz and Sue Reid, She loved Rihanna, clothes and make-up... then fell under the spell of Islamists: Meet the FIRST British schoolgirl who fled to join ISIS, Mail online, 13 March 2015. At: http://www.dailymail.co.uk/news/article-2994085/She-loved-Rihanna-clothes-make-fell-spell-Islamists-British-schoolgirl-15-fled-join-ISIS.html)

يدرك تماماً عمق الصداقة بينهن، فقد حذّر الشرطة والمدرسة فور مغادرة ابنته إلى سوريا في شهر ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٤، من أنّ هنالك قلقاً حقيقياً بأن تلحق بها صديقاتها الثلاث. وبالفعل حضر محققون إلى المدرسة، وتحدثوا مع تلك الفتيات وصديقات أخريات لشارمينا، وأعطوهن رسائل عن خطورة تنظيم الدولة الإسلامية. لكن الفتيات أخفين الرسائل عن أهلهن، وأخفين في الوقت نفسه ترتيباتهن للسفر واللحاق بصديقتهن، شارمينا، وهو ما حدث فعلاً بعد قرابة شهرين!

وفعلاً في صباح يوم الثلاثاء (١٧ فبراير/ شباط ٢٠١٥)، خلال العطلة الصيفية، كانت الفتيات المراهقات الثلاثة، خديجة سلطانة، أميرة عباسي وشاميما بيغوم، يشترين تذاكر السفر إلى تركيا، ويعبرن منها إلى الرقة، ليلتحقن بتنظيم الدولة الإسلامية هناك.

كانت الفتيات الثلاث متميزات دراسياً، ولم يكنّ متدينات إلى وقت قريب؛ فخديجة (تعيش مع والدتها وأسرتها، وقد توفي والدها سابقاً). بريطانية لعائلة من أصول صومالية، كانت طالبة واعدة (كما يثبت خطاب المدرسة)، ترتدي السراويل، ثم حدثت لها تغيرات فكرية ونفسية، فأصبحت أكثر تديناً ومحافظة في لباسها، وتجلس على الآيباد لفترات طويلة.

أما أميرة، الفتاة المراهقة الثانية، فقد ولدت في إثيوبيا، وقضت طفولتها المبكرة في ألمانيا قبل أن تنتقل إلى لندن عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها. بطلة رياضية ومتحدثة رائعة، شغوفة بفكرة الوقوع في الحب، ناقشت حقوق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب. متواجدة دومًا في المكتبة المحلية للقراءة؛ ومن الرويات التي قرأتها أميرة ثلاثية ديستوبيا؛ رواية بعنوان "المتمردون" التي كشفت عنها الشرطة بعد اختفائها. والرواية تقوم على فكرة وجود مجتمع مُتخيّل غير مرغوب فيه، تنهار فيه الحضارات والأنظمة، ويعود العالم فيه إلى نقطة الصفر ليبدأ حضارته الإنسانية من جديد. وكان لقراءة هذا النوع من الروايات أثر واضح على نفسية الفتاة المراهقة أميرة، فكانت تلك الرواية وما كتب بها داعماً لأفكار التنظيم التي كانت تبث عبر مواقع التواصل الاجتماعي لإقناع عقول الفتيات المراهقات، وهذا ما يؤكده ما جاء على التويتر من تغريدات أميرة قبل تسعة أيام من هربها، حيث كتبت أميرة " أشعر كأنني

لا أنتمي إلى هذا العصر". وقد أطلقت على نفسها اسم " أم عثمان" بعد "هجرتها".

وبعد اختفاء أميرة تبين أن والد أميرة، حسين عباس، تم تصويره أثناء حضور تجمع للإسلاميين في عام ٢٠١٢، وهو ينظر إلى الإسلاميين الذين يهتفون" الله أكبر" أثناء حرقهم للعلم الأمريكي، وكانت أميرة ترافقهاأحياناً للمسيرات.وكما قال حرس رفيق العضو المنتدب لمؤسسة كويليام، وهي مركز مختصّ بالأبحاث المعنيّة بمكافحة التطرف فإنّ "بعض الآباء يساعدون على تهيئة الجو لأطفالهم". لكن الأب ينفي تماماً مثل هذه التهمة، ويؤكد أنّه تفاجأ تماماً بما قامت به ابنته وأنّ أحداًلا يعرف لماذا قامت مع صديقاتها بذلك[٥٥٠].

أمّا شاميما، صديقتهن الثالثة، فلا تختلف رواية أهلها عن شخصيتها، قبل سفرها، إذ تقول شقيقتها أنّها كانت فتاة عادية جداً، متميزة في مدرستها، مغرمة بمتابعة التلفزيون، ,تحب القراءة.

أمّا الشقيقتان التوأمتان البريطانيتان، من أصولٍ صومالية، زهرة وسلمى هالين (١٦ عاماً)، فقد غادرتا من مدينة مانشستر إلى الحدود السورية في يوليو/ تموز ٢٠١٤، وكان شقيقهما الأكبر أحمد (٢١ عاماً) قد غادر قبلهماإلى هناك.

انتقلت عائلتهما من الصومال، إلى الدنمارك، ومن الدنمارك إلى بريطانيا حين كان عمرهما ٤ أعوام. وعُرف والدهما في الجوار من خلال المدرسة التي أنشأها لتحفيظ القرآن، ووصفت العائلة من قبل من يعرفونها بأنّها عائلة متدينة جداً.

يُعتقد بأنّ الشقيقتين قد تعرّفتا على دعاية داعش، وجرى تجنيدهما من خلال شقيقهما، خلال الشهور الأخيرة. فقطعتا المسافة الفاصلة بين التشدد الديني والتطرف

(550) Ben Ferguson, Left in the Dark: The Story Behind the Families of Three Girls Groomed by the Islamic State, Vice News, 3 August 2015. At:
https://news.vice.com/article/left-in-the-dark-the-story-behind-the-families-of-three-girls-groomed-by-the-islamic-state

الديني والسياسي، بالرغم من أنّهما كانتا، وفق شهادات عديدة من مدرستهما Whalley Range High School (في مانشستر، وهي مدرسة للإناث[٥٥١]) حادّات الذكاء، متميزات، حاصلات على ٢٨ شهادة GCSE's، ويطمحن إلى دراسة العلوم الطبية[٥٥٢].

بعدما أن انتقلت الشقيقتان إلى سوريا، بفترة قصيرة، تزوجتا، وانفصلتا؛ زهرة في الرقة وسلمى في الموصل. وكانت زهرة (التي لقبت نفسها بأم جعفر) أكثر نشاطاً على التويتر، في الترحيب بالعمليات القتالية في شارلي أيبدو، وفي نشر بروباجندا داعش، وأعلنت في شهر ديسمبر/كانون الأول من العام ٢٠١٤ بأنّ زوجها (بعد أشهر قليلة من الزواج) قُتل، وأصبحت هي وشقيقتها أرملتين، ويُعتقد بأنّ لهما دوراً محورياً في القسم النسائي في تنظيم الدولة الإسلامية[٥٥٣].

بالرغم من وجود "فروقات عديدة" بين الحالات التي قرأناها في النماذج السابق، إلاّ أنّه يمكننا أن نستنتج، بأنّ جميع الحالات تنتمي للطبقة الوسطى، ومن عائلات متدينة بصورة تقليدية، تتراوح في ذلك بين عائلة تعتبر نفسها علمانية مثل عائلة أقصى محمود، إلى عائلة توصف بالمتشددة، مثل عائلة زهرة وسلمى.

الفتيات صغيرات في العمر، كما ذكرنا، غالباً متفوقات في المدرسة، ولديهن تحصيل أكاديمي مشهود له، ولهن مواهب متنوعة، فخديجة وأميرة محبتان لقراءة الروايات، بخاصة الخيالية، وأميرة متفوقة في النشاط الرياضي، وزهرة وسلمى حاصلتان على شهادات تفوق علمي عديدة.

غالبية هذه الفتيات (باستثناء زهرة وسلمى) كنّ قبل مرحلة التشدد القصيرة- مراهقات طبيعيات، يحببن سماع الأغاني، والموضات، ومتعلقات بوسائل الاتصال

---

(551) See, about the School: https://en.wikipedia.org/wiki/Whalley_Range_High_School

(552) Erin Marie Saltman, Melanie Smith, 'Till Martyrdom Do Us Part': Gender and the ISIS Phenomenon, op.cit.

(553) Ibid.

الحديثة، والتسوق.

أما نقاط التحوّل وديناميكيات التجنيد فغير واضحة تماماً؛ يختصرها الأهالي كما يرغبون في الغرب دوماً- بمصطلح "غسيل الدماغ"، وبالتجنيد عبر الإنترنت. لكن هنالك تفاصيل قد تبدو مهمة في ثنايا هذه القصص. فبالنسبة لأقصى محمود، كانت الأحداث في سوريا نقطة تحول كبرى، وربما ساهم كونها عاطفية وميالة إلى المتابعة السياسية، في دفعها إلى محاولة القيام بأمر ما، ثم إلى التأثر بدعاية تنظيم الدولة الإسلامية، فدخلت إلى التدين عبر السياسة، إن جاز التعبير. وتبدو قصة شارمينا معاكسة تماماً، إذ أنّ تأثرها بوفاة والدتها دفعها نحو التدين، ثم ساهم سكنها مع خالها وجدتها بعد زواج والدها، في تعزيز علاقتها أكثر مع صديقاتها، وإلى السير معاً نحو التعرف على رواية تنظيم الدولة الإسلامية والقناعة بها؛ أي أنّها دخلت إلى السياسة عبر بوابة العاطفة الدينية.

من الواضح في حالة الطالبات الأربعة في مدرسة بيثنال غرين أنّ علاقة الصداقة الوثيقة بينهن ساهمت بدرجة كبيرة كديناميكية فاعلة في تبادل التأثير، والقناعة بالهجرة والالتحاق بتنظيم الدولة الإسلامية. في حين لعبت العلاقة الوثيقة بين التوأمتين زهرة وسلمى وشقيقهما الأكبر دوراً فاعلاً في التوجه الراديكالي، وساعد على ذلك وجودهن في عائلة متشددة دينياً.

وكما يحدث عادةً فإنّ البنات الأربعة ترّملن خلال فترة قصيرة، بعد مقتل أزواجهن. لكن الوحيدة التي تم رصد محادثات لها مع أهلها تعلن فيها عن حالة الإحباط واليأس وخيبة الأمل من الأوضاع هناك، هي خديجة، التي قُتلت لاحقاً، كما ذكرنا سابقاً.

تنحدر الفتيات من أصول آسيوية (بنغلادشية، باكستانية- هندية)، وأفريقية (صومالية وإثيوبية)، وإذ أضفنا إلى هذه الحالة نموذج الطبيبات السودانيات الثريات (من يحملن الجنسية البريطانية) اللواتي تحدثنا عنهن في فصل سابق، فإنّ حضور هذه الخلفيات الإثنية في النموذج البريطاني النسائي الجهادي واضح، بالإضافة، بالطبع، إلى البريطانيات اللواتي اعتنقن الإسلام، مثل سالي جونز وجراس دراي وغيرهما، والطبيبة شمس كما ذكرنا في البداية- التي يعتقد أنّها ماليزية، لكنّها كانت تعيش في

بريطانيا[٥٥٤].

الجهاديات الفرانكفونيات: بلجيكا وفرنسا

اكتشفت الشرطة الفرنسية صباح يوم أحد (٤ سبتمبر/أيلول ٢٠١٦) سيارة محملة بأسطوانات غاز، مع وجود سيجارة بالقرب منها، فشلت في إشعالها، بجوار كارتدرائية نوتردام في العاصمة باريس. تبين لاحقاً أنّ الهدف كان القيام بتفجير كبير، تتلوه عمليات كبيرة، في محطة القطار الفرنسية ومرافق أخرى. لكن المفاجأة تمثّلت بأنّ من يقف وراء هذه المخطط هي خلية نسائية (تتكون من أربع نساء).

اعتُبرت إيناس مدني (١٩ عاماً)، المعروفة بآرائها المؤيدة لتنظيم الدولة الإسلامية، وابنة صاحب السيارة (المفخخة) "العقل المدبّر" لهذه المجموعة، وقد حاولت مقاومة الاعتقال وجرحت شرطياً فرنسياً بسكين، خلال عملية المداهمة، التي أدت إلى إلقاء القبض عليها مع شريكتين لها لاحقاً، في منطقة بوسي سانت-أنطوان على بعد ٢٥ كلم جنوب شرق باريس.وتبين أنّ مدني كانت تحمل رسالة ولاء ومبايعة لزعيم تنظيم الدولة الإسلامية، أبي بكر البغدادي، كما أوضح مدعي عام باريس فرنسوا مولانس[٥٥٥].

---

(٥٥٤) انظر: تعرّف على فتيات داعش البريطانيات في سوريا، موقع قناة العالم، ١٥ أغسطس ٢٠١٦، على الرابط : http://www.alalam.ir/news/1850496

(٥٥٥) "تفاصيل مخطط اعتداء جهادي خططت له نساء في فرنسا"، موقع اليوم ٢٤.كوم ٩ سبتمبر ٢٠١٦، على الرابط التالي:
http://www.alyaoum24.com/706961.html
كذلك الأمر:
Ben McPartland, What we know of failed Paris plot by women ‘jihadists,The Local, 20 september 2016. At:
http://www.thelocal.fr/20160909/three-three-women-terror-suspects-and-their-plot

ليست هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها امرأة في عملية إرهابية، مرتبطة بأجندة تنظيم الدولة، لكنّها في هذه المرّة لم تكن فرداً، بل "خلية نسائية"، وقد أصبح وجود اسم امرأة أمراً مألوفاً في الشهور الماضية في العمليات التي وقعت في فرنسا، وفي وسط التيار المؤيد لتنظيم الدولة الإسلامية، في كل من فرنسا وبلجيكا؛ حيث توجد جالية مسلمة كبيرة، تواجه ظروفاً متشابهة، اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، ما خلق نوع من التواصل بين مناصري التنظيم في الدولتين.

قبل إيناس مدني كان هنالك صدمة في الأوساط الإعلامية والشعبية الفرنسية عندما تمّ الحديث عن أول انتحارية، حسناء آية بولحسن، عند محاصرة الشقّة، التي تحصّن فيها عبد الحميد أبا عود (١٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥) في حيّ سان دوني في باريس، وهو كما يُعتقد- العقلُ المخطط لهجمات باريس (١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥). وقد تبيّن لاحقاً بأنّ حسناء لم تكن الانتحارية، وأنّها قُتلت خلال المواجهة المسلّحة، لكنّ الأغرب كان أنّ سيرتها الذاتية كانت أبعد ما تكون عن التديّن، إلى شهور قليلة فقط قبل مقتلها مع أبا عود وأعضاء في تنظيم الدولة!

خلال الأعوام الماضية تكاثرت الأخبار والتقارير التي تتحدث عن حضور المرأة، في كل من فرنسا وبلجيكا، في أنشطة مرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية، مع تنوع أدوارها، بين التجنيد والدعاية عبر شبكة الإنترنت، والقيام بعمليات التجنيد، ثم المشاركة في عمليات إرهابية داخلية، أو الانتقال إلى العراق وسوريا للانضمام إلى تنظيم الدولة هناك.

وفقاً لتقديرات رسمية، فرنسية وبلجيكية، فإنّ أعداد النساء المنخرطات في تنظيم الدولة من هاتين الدولتين، من أعلى النسب غربياً، وربما عالمياً، إذ تحدّث تقرير أمني فرنسي عن قفزة كبيرة في أعداد الفرنسيات المهاجرات إلى أراضي التنظيم، من ١٠٪ من أعداد الفرنسيين هناك (٢٠١٣) إلى ٣٥٪ في ديسمبر/ كانون الأوّل من العام ٢٠١٥، فبلغ العدد الكلي بذلك ٢٢٠ امرأة، فيما تبيّن أنّ ثُلث هؤلاء النساء هن من الفرنسيات اللواتي اعتنقن الإسلام. كما أنّ هنالك ٥٩ امرأة وُجّهت لهن التهمة بقضايا تتعلق بالإرهاب من أصل ٢٨٠ فرداً في فرنسا، بحسب مدّعي عام باريس

فرنسوا مولانس[٥٥٦]. أمّا في بلجيكيا فإنّ الأرقام تشير إلى وجود ١٠٤ امرأة من أصل ٦١٤ بلجيكي (حتأغسطس/آب ٢٠١٦) توجّهوا إلى أراضي التنظيم[٥٥٧].

سنتناول في هذا الفصل بعض النماذج القديمة والجديدة في كل من بلجيكا وفرنسا، لكّنها جميعاً تعود إلى نساء من أصول مغاربية عربية، وإن كان هنالك نماذج أخرى، فرنسية، مثلما هي الحال مع الفتاة الفرنسية الملقبة بـ"أم الزهراء" (مايفا ٢١ عاماً)، التي اعتقلتها الشرطة الفرنسية فور عودتها من العراق، واتّهمت بقيامها بدور في تجنيد الفرنسيات وإقناعهن بالذهاب إلى هناك[٥٥٨]. وكذلك الحال مع أورنيلا جيلمان (Ornella Gilligman)، ٢٩ عاماً، وأم لثلاثة أبناء، وقد اعتُقلت

---

(٥٥٦) انظر: تفاصيل مخطط اعتداء جهادي خططت له نساء في فرنسا، مرجع سابق.

(٥٥٧) انظر: تقرير: ارتفاع إنضمام الفرنسيات لـ "داعش" إلى ٣٥ ٪، موقع السكينة، ١٨ يونيو ٢٠١٦، على الرابط التالي:

http://www.assakina.com/news/news2/90162.html

انظر، كذلك:

Sam BALL, The number of French women joining the ranks of the Islamic State group in Iraq and Syria is on the rise, say figures reported in the French media on Thursday, a sign of the increasing importance placed on female recruits by the organization, France 24, 10 january 2016. At:
http://www.france24.com/en/20160108-france-women-islamic-state-group-female-recruits
and: Alissa J. rubin and Aurelien Breeden, Women's Emergence as
Terrorists in France Points to Shift in ISIS Gender Roles, New York Times, 1 october 2016 .

وانظر كذلك: ١٠٤ نساء بلجيكيات انضممن إلى جماعات متطرفة، موقع روسيا اليوم، ٣١ أغسطس ٢٠١٦، على الرابط التالي:

goo.gl/FsQsbP

(٥٥٨) "إلقاء القبض على "أم الزهراء".. الفرنسية التي تزوّج مقاتلي "داعش" من أوروبيات"، موقع CNN العربي، ٢٩ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي: /moc.http://arabic.cnn

ضمن خلية "إيناس مدني"، وكانت تحاول سابقاً الهجرة إلى سوريا. وهنالك أيضاً سارة هورفويت Sarah Hervouët، ٢٣ عاماً، من الخلية نفسها[٥٥٩].

اخترنا ثلاثة نماذج، ممن وجدنا تفاصيل أكثر عن حياتهن الشخصية واستطعنا التقاط لحظات التحول التي حدثت لهن، الأولى هي مليكة العرود، وتعتبر نسبياً من الجيل القديم، المرتبط بتنظيم القاعدة، وإن كانت قد أصبحت مؤيدة لتنظيم الدولة لاحقاً، والاثنتين الأخرتين هما حياة بومدين وحسناء آية بولحسن، اللتان تتشابهان كثيراً في معالم تجربتهما مع تنظيم الدولة، وإن كان مصيرهماقد اختلف لاحقاً!

١) مليكة العرود.. أميرة القاعدة في أوروبا!

تعتبر مليكة العرود، أحد أبرز الوجوه المعروفة في النسائية الجهادية العالمية، تقضي حالياً مدّة سجنها، منذ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٨، في بلجيكا، بعد أن حُكم عليها بثمانية أعوام.وقد قرر القضاء البلجيكي، في شهر سبتمبر/ أيلول ٢٠١٥، إسقاط الجنسية البلجيكية عنها، لقيامها بأعمال تخل بواجبات المواطنة، وصادقت المحكمة الدستورية على هذا الحكم[٥٦٠].

حازت على ألقاب عديدة في الإعلام الغربي؛ مثل "الملكة"، "أخطر امرأة في

(559) Alissa J. Rubin and Aurelien Breeden , Women's Emergence as Terrorists in France Points to Shift in ISIS Gender Roles, New York Times, 1 October 2016
And Emma Webb, This is why Isis prefers to use home-grown terrorists over foreign jihadis, Independent, 20 september 2016.

(٥٦٠) انظر: خالد ماهر، بلجيكا تجرّد أرملة قاتل الأفغاني شاه مسعود من جنسيتها، موقع منارة، ١٩ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/S5eK0D
انظر: قصة أم عبيدة المغربية أو " الأرملة السوداء " التي سحبت بلجيكا منها الجنسية، فبراير. كوم، ٢٠ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي: https://www.febrayer.

أوروبا"، "وجه القاعدة النسائي الأوروبي"، "ماما القاعدة في أوروبا"، "التطرف الناعم"، "الأسطورة الحيّة"، لتاريخها الطويل مع القاعدة منذ العام ٢٠٠١، ثم لدورها الكبير على شبكة الإنترنت في الدفاع عن القاعدة، والدعوة إلى "القتال" والتجنيد، بصورة علنية وصريحة، عبر المواقع الإلكترونية التي تديرها وتجتذب مئات من المتابعين[٥٦١].

أجرى القاضي جان لوي بروغريير، المتخصص في قضايا مكافحة الإرهاب في فرنسا، في ذلك الحين مقابلة مع العرود لأن المحققين اشتبهوا في أنها شحنت إلى زوجها معدات إلكترونية استخدمت في القتل. ووصفها قائلاً: "إنها راديكالية جداً، وخبيثة جداً وخطيرة جداً". فيما قال عنها غلين أودينارت، مدير قوة الشرطة الاتحادية البلجيكية،إن: "جهادها ليس قيادة عملية ولكنهإلهام للآخرين لشنّ الجهاد. وتتمتع بالحماية التي توفرها بلجيكا. وفي الوقت نفسه فهي خطر محتمل". أمّا كلود مونيكيه، رئيس مركز الاستخبارات والأمن الاستراتيجي الأوروبي (ومقره بروكسل) فوصفها بأنّها " نموذج ورمز، بلغت من الشجاعة إلى حد استخدام اسمها الحقيقي، وهي تلعب دوراً استراتيجياً بالغ الأهمية كمصدر للإلهام. إنها ذكية جداً، وخطرة للغاية".

وُلدت مليكة العرود في طنجة في العام ١٩٦٠، وعاشت في كنف جدتها، قبل أن تلتحق بأسرتها في بروكسل في العام ١٩٦٥. والدها عامل، ولديها أربعة من الأخوة والأخوات. ولأنّها من أسرة محافظة، فقد كان والداها يقيدان خروجها، وهي صغيرة. لم تكن متفوقة في المدرسة (على خلاف معظم النماذج التي استعرضناها)، فلم تكمل تعليمها، وبعدما وصلت إلى سنّ أكبر، بدأت تتمرّد على العائلة، وتخرج

(561) For Example:"The Mama of Al Qaeda", Gates of Vienna, December 15, 2008
http://gatesofvienna.blogspot.com/2008/12/mama-of-al-qaeda.html .
وانظر كذلك: هادي يحمد، مليكة البلجيكية .."الأميرة" الأوربية للقاعدة!، مدونة اليوم التالي، ٢ أكتوبر ٢٠١٢، على الرابط التالي:
http://lejour-dapres.blogspot.com/2012/10/blog-post.html
وكذلك: محمد الشافعي، مليكة وجه التطرف الناعم، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠ فبراير ٢٠٠٩.

مع شقيقها، فعرفت لاحقاً حياة الليالي والسهر، والمخدرات والمشروبات الكحوليّة، واندمجت بالمجتمع البلجيكي، في أوساط الليل والشباب، وحملت دون أن تتزوج وعمرها ١٨ عاماً، وأنجبت طفلة، ولم يفلح زواجها لمدة عامين بعد ذلك، فتطلّقت[٥٦٢].

حدثت نقطة التحول نحو التديّن في حياتها عندما كانت في غرفتها، تشعر بالضجر من حياتها، وتقلب الإذاعة، فاستمعت للقرآن الكريم، وشعرت بالارتياح، مع أنّ لغتها العربية كانت وما تزال- ضعيفة جداً. ثم بدأت منذ تلك اللحظة بالتعرف على الدين، وأصبحت ترتاد المركز الإسلامي، وبدأت مسار التدين والحفاظ على الصلاة، والتعرّف على الأوساط الإسلامية في بلجيكا، فيما كانت قبل ذلك مرتبطة بصداقاتها بالبلجيكيين عموماً[٥٦٣].

لكن جذور التحوّل نحو السلفية الجهادية جاءت مع العام ١٩٩١ (أي عندما كان عمرها قرابة ٣١ عاماً)، وتروي هي قصة ما حدث معها " **هداني الله بعد ذلك. كنت في هذه الفترة راشدة ولدي بنت. انطلاقاً من هذه المدة كنت أحاول البحث والتعرف أكثر، وهو الأمر الذي قربني من طائفتي. كان ذلك خلال سنة ١٩٩١، ما جعلني أتابع بشكل أكبر الأحداث الدولية. كنت أرى أن لا شيء تغير في القضية الفلسطينية، وبعد ذلك اكتشفت الحرب في الشيشان وكان نفاق المجتمع الدولي يتضح ويرتسم أكثر في داخلي. الأمر الذي جعلني أكتشف أنني أنتمي إلى أمة تتم محاربتها منذ مجيء الإسلام. كنت أجهل كل شيء عن تاريخ المسلمين، وهو الأمر الذي جعلني أحس بالذنب. ولهذا قمت بالبحث إلى أن لم يتبق لديّ أي شك في داخلي: الحرب ضد الإسلام والمسلمين لن تتوقف أبداً. ومع مرور السنوات كنت ألاحظ بأنها تتطور. اليهود في فلسطين، الروس في الشيشان وأفغانستان، بالإضافة إلى الحصار في العراق الذي توفى فيه**

(٥٦٢) انظر: جمال الخنوسي، من تكون فعلًا مليكة العرود، مدونة جمال الخنوسي، ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٨، على الرابط التالي:
http://jamalelkhanoussi.blogspot.com/2008/12/blog-post_26.html

(٥٦٣) انظر: محمد الشافعي، مليكة وجه التطرف الناعم، مرجع سابق.

حوالى مليون طفل، ولم يحرك هذا الأمر ساكنا في الرأي العام الدولي"[٥٦٤].

تعرّفت مليكة خلال تلك الفترة على عبد الستار دحمان، وهو شاب تونسي، ولد في العام ١٩٦٢، وأنهى دراسة الإعلام، تخصص تلفزيون في معهد الإعلام في تونس، ثم هاجر إلى بلجيكا ليدرس في إحدى الجامعات، قبل أن يبدأ بالتأثر بأفكار مجموعة من الجهاديين هناك. والتقى بعد ذلك بمليكة، فتزوجا في العام ١٩٩٩، لينتقل بعدها إلى أفغانستان، ويخوض دورة تدريب، في العام ٢٠٠٠. بعد سبعة أشهر من انتقاله إلى أفغانستان، دعا زوجته مليكة للحاق بها، ووصلت إلى أفغانستان قبل شهور قليلة من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وسكنت مدينة الطيبين في منازل على نهر كابول مع نساء مقاتلي القاعدة هناك[٥٦٥].

كان زواجها من دحمان، وانتقالها إلى أفغانستان، بمثابة نقطة تحول أخرى في حياتها، إذ وجدت نفسها في تلك البيئة، وشعرت بالراحة والانسجام معها، كما حصل سابقاً مع المغربية فتيحة المجاطي، التي تتشابه قصتها في فصول كثير منها مع قصة العرود. لكنّ تلك "المرحلة الذهبية" من حياتها لم تستمر طويلاً، إذ كُلّف زوجها بمهمة خطيرة وسرية، وهي اغتيال أحمد شاه مسعود، القائد الطاجيكي الأفغاني المعروف، فكان أن تقمص دور مراسل صحافي يريد أن يقوم بمقابلته، وما أن بدأ مع رفيقه بالمقابلة، حتى فجّرا الكاميرا المفخخة بمسعود، وقضى زوجها على يد حرس الأخير.

---

(٥٦٤) "أصولية مغربية ترعب أوربا عبر بلجيكا بالإنترنت"، إنترناشونال هيرالد تريبيون، ٢٩ مايو ٢٠٠٨. يمكن العودة إلى المادة عبر الرابط التالي "مدونة كتاب وسيف: أخبار تهم المسلمين" على الرابط التالي:
http://ayubalyamni.blogspot.com/2010/01/blog-post_2111.html

(٥٦٥) "The Mama of Al Qaeda", op, cit, and: ELAINE SCIOLINO and SOUAD MEKHENNET, Al Qaeda Warrior Uses Internet to Rally Women, The New York Times. 28 May 2008

أخبرها زوجها قبل أيام من عمليته، التي وقعت قبل يومين من أحداث ١١ سبتمبر، بأنّه قد لا يعود، ولا يراها مجدداً، ولم تعلم بمقتله إلاّ في اليوم التالي لأحداث سبتمبر، من خلال إحدى صديقاتها، وقُدّمت لها رسالته الصوتية الموجّهة لها، ووصيته بعد مقتله، وأعادتها عشرات المرات، فهي تعترف بأنّها كانت تحبه كثيراً وتصفه بالمهذب والخلوق.

بعدما وقع الهجوم الأمريكي على أفغانستان، هربت مليكة مع عدد من نساء القاعدة بأوامر قيادتها، إلاّ أنّها وقعت في يد قوات شاه مسعود، واعتُقلت هناك مدة ١٩ يوماً، شعرت خلالها، كما تتذكر بالقلق الشديد، واستعانت بجنسيتها البلجيكية وبالحكومة البلجيكية للإفراج عنها. لكنّ المسؤولين البلجيكيين يتهمونها بالخداع، لأنّها وعدتهم بالتعاون ولم تف بوعودها، وهو ما تنكره تماماً[٥٦٦].

لما عادت أجريت لها محاكمة مع آخرين بتهمة مشاركتها باغتيال مسعود، لكنّها استطاعت أن تقنع المحكمة بعدم مشاركتها أو تورطها بتلك العملية[٥٦٧].

ومنذ تلك اللحظة، أي عودتها من أفغانستان، بدأت "نقطة تحول" أخرى في حياة مليكة، فقد اكتسبت لقب "أرملة الشهيد"، وهو اللقب الذي تعتز به، ونقلت جهودها إلى الجانب الإلكتروني، إذ أصبحت تدير مواقع إلكترونية تدعو إلى الجهاد والقتال ومواجهة الأميركيين والغربيين في الحرب العراقية، وقبل ذلك الأفغانية. وبدأت تأخذ، بسبب صراحتها وجرأتها في طرح ما تراه من أفكار، شهرة واسعة في أوساط الجهاديين والإعلاميين.

انتقلت في العام ٢٠٠٣ من أفغانستان إلى قرية سويسرية، مع زوجها الجديد التونسي، معز غرسلاوي (مواليد العام ١٩٦٧)، هو شاب تونسي، كان يعمل بائعاً

---

(٥٦٦) انظر لمزيد من التفاصيل عن تحولاتها وحياتها: محمد الشافعي، مليكة وجه التطرف الناعم، مرجع سابق، وكذلك: "أصولية مغربية ترعب أوربا عبر بلجيكا بالإنترنت"، وانظر:
ELAINE SCIOLINO and SOUAD MEKHENNET, Al-Qaeda Warrior Uses Internet to Rally Women, op.cit.

(٥٦٧) ELAINE SCIOLINO and SOUAD MEKHENNET, Al-Qaeda Warrior Uses Internet to Rally Women, op.cit.

للبُسُط في سويسرا، ينتظر اللجوء السياسي، لكنّه تعرف عبر مواقع الدردشة على مليكة العرود، واتفقا على الزواج، فانتقلت إلى سويسرا هناك، وبدأت مع زوجها الجديد بإدارة مواقع إلكترونية تؤيد القاعدة بوضوح[٥٦٨].

اعتُقل الزوجان في العام ٢٠٠٥، بسبب نشاطهما الإلكتروني المؤيد للقاعدة، واعترفا بأنّهما يديران تلك المواقع، لكنّهما ليسا مسؤولين عن كل ما ينشر فيهما. وتم الحكم عليها بأربعة شهور، دون تنفيذ الحكم، فيما أفرج عن زوجها غرسلاوي بعد ٢١ يوماً.قررت مليكة العودة، بعد ذلك، إلى بلجيكا، فيما اختفى زوجها الجديد، ليظهر بعد أعوام عدة. في ذلك الوقت، زادت شهرة مليكة في أوساط الإعلام والجهاديين، وأصبحت تلقب بأميرة القاعدة في أوروبا و"الأرملة السوداء". وكان الإعلام الغربي يتسابق إلى اللقاء بها، من صحف عالمية مشهورة إلى محطات تلفزة مثل السي إن إن، وكان اللقاء بها يتم مقابل مبالغ مالية، فيما كانت تتقاضى ١١٠٠ يورو شهرياً من الحكومة البلجيكية، كبدل عدم عمل[٥٦٩].

أصبح نشاطها الإلكتروني مزعجاً أكثر للحكومة البلجيكية والدول الغربية، وباتت تمثل في نظر الأجهزة الأمنية خطراً على الأمن الأوروبي لدورها في الدعاية والتجنيد الإلكتروني لصالح تنظيم القاعدة، وإعلانها بصراحة تأييدها للتنظيم وللجهاد وعدائها للأوروبيين. واعتقلت مرات عديدة، لكن القضاء كان يبرؤها؛ ومن ذلك اتهامها بالمشاركة في مؤامرة محاولة تهريب لاعب كرة القدم التونسي، فواز الطرابلسي، المطلوب قضائياً، لدعمه الإرهاب.وأخيراً، تم اعتقالها مع خلية في ديسمبر/ كانون الأول في العام ٢٠٠٨، وحكم عليها في العام التالي بالسجن لثمانية أعوام، ثم، في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٥ تم إسقاط الجنسية البلجيكية عنها[٥٧٠].

---

(٥٦٨) Ibid. and "The Mama of Al Qaeda", op, cit,

وكذلك: مليكة، وجه التطرف الناعم، مرجع سابق.

(٥٦٩) انظر: إنعام كجه جي، "زوجة أحد قاتلي مسعود تروي تجربتها في معسكرات "القاعدة"، الشرق الأوسط اللندنية، ٢٦ مايو ٢٠٠٢.

(570) Nadya Ali, Terrorizing Women: Re- Thinking the Female Jihad, on: Christina Hellmich and Andereas Behnke,

قُتل زوجها الثاني، معز غرسلاوي، في العام ٢٠١٢ في منطقة وزير ستان بقصف جوي أميركي، بعد أن ثبت دوره في تجنيد أعضاء وتدريبهم للقيام بعمليات في فرنسا وأوروبا. وكانت مليكة قد نشرت كتابين، الأول مع محررة بلجيكية "زوجها قتل شاه مسعود" والثاني "محاربو الضياء"[٥٧١].

إنّ السؤال الذي يفرض نفسه في قصة العرود، هو إلى ماذا كانت تستند قانونيّاً وهي تخوض معركة الدعاية والولاء لتنظيم القاعدة، المنظمة الإرهابية، وهي تعيش في دولة أوروبيّة وتنال راتباً شهرياً منها؟

الجواب على ذلك تقدمه مليكة نفسها، إذ تصرّ على أنّها لا تخالف القوانين البلجيكية، وأنّها تتحدث عن المقاومة المشروعة، ولذلك فقد تتركها الحكومة البلجيكية، أما حين اعتقلتها (وهذا ما حدث لاحقاً، وتم تجريدها من جنسيتها البلجيكية) فإنّ مليكة كانت تعتبر ذلك دليلاً على عدم مصداقية الحكومات الغربية وتناقضها مع نفسها.

من زاوية أخرى، نلاحظ بروز اللغة الجهادية النسوية في خطاب العرود، فهي تتحدث عن دورها بافتخار، وتضع النساء الجهاديات في موقع موازٍ، بصورة غير مباشرة، في المهمات المطلوبة للرجال، فهي تصف نفسها بأنّها "امرأة مجاهدة تعمل لصالح تنظيم القاعدة"، وتقول "**الرجال في الإسلام عادة أقوى من النساء، لكنني أثبت أن خوف الله هو المهم ولا أحد سواه. والمهم أيضاً أنني امرأة وهناك رجال لا يريدون التحدث حتى لا يتورطوا في المتاعب. وحتى عندماأتورط شخصياً في المتاعب، فأنا أتحدث**"[٥٧٢].

Knowing Al-Qaeda: the Epistemology of Terrorism, Rout ledge, London and New York. 2016, p156-161.

(٥٧١) انظر: مدونة اليوم التالي: هادي يحمد، معز الغرسلاوي.. التونسي الذي أصبح أحد رموز القاعدة، ٩ نوفمبر ٢٠١٣، على الرابط التالي:

http://lejour-dapres.blogspot.com/2012/11/blog-post_9.html

(572) ELAINE SCIOLINO and SOUAD MEKHENNET, Al Qaeda Warrior Uses Internet to Rally Women, op.cit. AndBelgian police arrest

٢) حياة وحسناء.. النسائية الجهادية الجديدة

تمثّل مليكة العرود الجيل القديم في تنظيم القاعدة، فالمرأة التي تقبع في سجن في بلجيكا، وسحبت منها الجنسية البلجيكية على مشارف السابعة وخمسين من عمرها. بينما يبدو الجيل الجديد، من الجهاديات الأوروبيات، منسجماً في بعض سماته ومختلفاً في أخرى عن الجيل السابق.

لدينا نموذجان واضحان على النسائية الجهادية الجديدة، ذات الصيغة الداعشية، الأول هو نموذج حياة بومدين، وهي زوجة الفرنسي من أصل سنيغالي، أميدي كوليبالي، الذي قام بقتل شرطية فرنسية في يناير/كانون الثاني ٢٠١٥، ثم احتجز رهائن في متجر يهودي، وقتل منهم أربعة، قبل أن يتم قتله من قبل الشرطة الفرنسية، بالتزامن مع مطارة الشقيقين سعيد وشريف كواشي، اللذين قاما بتنفيذ عملية قتل صحافيين في صحيفة شارلي أيبدو، قبل أن تتم محاصرتهما وقتلهما من قبل الشرطة الفرنسية لاحقاً[٥٧٣].

اتهمت السلطات الفرنسية حياة بومدين بالمشاركة مع زوجها كوليبالي في الإعداد لعملية خطف الرهائن، وأصبحت، بعد مقتله، "المطلوبة رقم ١" في فرنسا.ثمّ ظهرت الأنباءبأنّها سافرت، بطلب من زوجها، قبل أيام من وقوع العملية، إلى الرقة السورية، عبر الحدود التركية، برفقة جهاديين فرنسيين. ثم ظهرتوهي مسلّحة،في صورة إلى جوار جنود من تنظيم الدولة الإسلامية، قبل أن تتحدث مع أهلها لاحقاً في شهر أبريل/نيسان من العام نفسه، لتخبرهم بأنّها في سوريا، وأنّها لم تشارك في عملية احتجاز الرهائن التي قام بها زوجها.

'al Qaeda legend', CNN, 11 December 2008. At:
http://edition.cnn.com/2008/WORLD/europe/12/11/belgium.terror.arrests/index.html?eref=ib_topstories
وكذلك: "أصولية مغربية ترعب أوربا عبر بلجيكا بالإنترنت"، مرجع سابق.

(٥٧٣) انظر: **رحلة الشقيقين كواشي إلى التطرف**، الحياة اللندنية، ٢٨ يناير ٢٠١٥.

ليس واضحاً بعد، لماذا طلب منها زوجها المغادرة إلى الرقة، إذا لم تكن مشاركة بالعملية. مع ذلك فإنّ المؤشرات تؤشر على أنّها بدأت تتأثر بالفكر السلفي الجهادي، عن طريق زوجها، الذي تأثر بدوره بهذا الفكر، خلال مدة المحكومية التي قضاها في سجن في فرنسا، على خلفية قضايا السرقة والمخدرات، والتقى فيه بالأخوين كواشي[٥٧٤].

وُلدت حياة بومدين في العام ١٩٨٨، وعاشت طفولة صعبة وتراجيدية، فقد توفيت والدتها وعمرها ٦ أعوام، ولأنّ والدها لم يكن مقتدراً مالياً على تأمين عائلته، فقد كان يعمل في نقل المفروشات، فقد انتقلت هي وأشقاؤها الستة إلى دار للرعاية الاجتماعية، وأمضت فيه طفولتها إلى مرحلة الشباب، حتى أصبحت تعمل بعمل قليل الأجر، كمحاسبة في أحد المتاجر في باريس[٥٧٥].

كانت على علاقة بأحمد كوليبالي قبل دخوله السجن في العام ٢٠٠٥، وكان غير متدين، لكنّه عندما خرج من السجن في العام ٢٠٠٩، بدا رجلاً مختلفاً بالكلية، عما سبق، وأثّر بصورة عميقة على حياة التي تركت المتجر الذي كانت تعمل به، ولبست النقاب، وبدأت مع رفيقها رحلة التحول الجذري في حياتها، إذ كانت غير متدينة، لا تتحرج أن تلبس الملابس الغربية، بما فيها ملابس السباحة (البكيني)، ثم أصبحت تتدين وتحاول التعرف على أحوال المسلمين وبدأت تنخرط في تلك الأجواء مع زوجها[٥٧٦].

---

(٥٧٤) حياة بومدين تروي تفاصيل يومياتها في ضيافة #داعش، موقع راديو سوا الالكتروني، ٢٨ أبريل ٢٠١٥.
http://www.radiosawa.com/a/hayat-boumeddiene-paris-isis-/269903.html

(٥٧٥) قصة حياة بومدين الكاملة.. من الميتم إلى براثن الحب والتشدد، موقع الحرّة نيوز، ١٠ يناير ٢٠١٥، على الرابط التالي: http://www.alhurra.com/a/who-is-hayat-boumeddiene/264731.html

(٥٧٦) كمال قبيسي، الجزائرية الهاربة حياة بومدين.. بكيني وتطرف وإرهاب، موقع العربية نت، ١٠ يناير ٢٠١٥، على الرابط التالي: http://ara.tv/g2grz

تزوجت حياة من كوليبالي عرفياً في عام خروجه من السجن ٢٠٠٩، وبدأت بعدها بلبس الحجاب والالتزام بالملابس الإسلامية، وزارت معه الجهادي المعروف جمال بيغال، الموضوع تحت الإقامة الجبرية في جنوب فرنسا. وعندما تم التحقيق معهما، أشارت إلى أنّها كانت زيارة عادية للترفيه، وكان الثلاثة (هي وزوجها وبيغال) قد التقطوا صورة تذكارية[٥٧٧].

لكن كوليبالي ما لبث أن دخل السجن على خلفية محاولته تهريب جهاديين متهمين بقضايا إرهاب في فرنسا، ثم خرج في العام ٢٠١٤، وعاشا معاً حياة هادئة، كما يقول الجيران، قبل أن يظهر زوجها في أحداث باريس، وتختفي هي من فرنسا، لتظهر بعد ذلك في أراضي تنظيم الدولة[٥٧٨].

هذه هي معالم التحوّل في حياة بومدين، فهنالك تأثير كبير وواضح لزوجها كوليبالي على شخصيتها وأفكارها. وقد أجرت مجلة "دار الإسلام"، التي يصدرها تنظيم الدولة، باللغة الفرنسية لقاءً مع حياة بومدين عند وصولها إلى سوريا، وكان العدد مخصصاً للحديث عن أحداث باريس، وقالت إنّ زوجها كان يتوق "للذهاب إلى أرض الخلافة". وأعربت عن فرحتها بوجودها في أراضي التنظيم، قائلة "جميل أن تعيش في أرض يطبق فيها شرع الله".وخاطبت المسلمين قائلة " أطلب منهم جميعاً الاعتزاز بأنفسهم، فهم قادرون على فهم القرآن والسنة، وليسوا بحاجة إلى رأي الإمام أو عالم الدين، فالأمر في غاية الوضوح والبساطة، ولا يستدعي جهداً خاصاً لفهم الدين، ومقتضياته".

ونصحت النساء بالقول "كنّ قويات ومعطاءات، لا تعقّدن الأمور عليهم، واعلمن أن المؤمنين لم يكونوا لينشروا الإسلام كما فعلوا منذ ظهوره لولا دعم النساء من زوجات وأخوات وبنات لهم"، وأضافت: "تعلمن الدين، طالعن القرآن وطبقن ما

---

(٥٧٧) انظر: قصة حياة بومدين الكاملة.. من الميتم إلى براثن الحب والتشدد، مرجع سابق.

(٥٧٨) من البكيني الى النقاب... حياة بومدين المطلوبة رقم ١ في فرنسا: طفولة يتم وبؤس، الأمناء نت، ١٣ يناير ٢٠١٥،
http://www.alomanaa.net/news20071.html

جاء به"[٥٧٩].

أمّا النموذج النسائي الجهادي الجديد الثاني فهي حسناء آية بولحسن، وهي فرنسية من أصول مغربية، عُرف اسمها في الأخبار صباح يوم الأربعاء (١٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥)، ونالت شهرة واسعة عالمياً خلال عملية مداهمة شقّة، في حيّ سان دومي في باريس، التي تحصّن فيها عبد الحميد أبا عود، الجهادي البليجيكي من أصول مغربية، وهو أحد أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية، الذي اعتُبر من المخططين والمسؤولين عن العمليات التي وقعت في باريس لهجمات باريس (في ١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥)، وكان يُعتقد بأنّها الانتحارية التي رمت بنفسها على قوات الأمن المحاصرة، ليتبين بعد ذلك أنّها كانت موجودة ومقتولة في الشقة، وأنّها ليست هي الانتحارية المفترضة[٥٨٠].

لم يسمع العالم قبل ذلك باسمها، ذلك أنّها لا تمتلك أي سجل في الانتماء إلى هذه الجماعات الجهادية، ولم تسّجل لها أنشطة في هذا الخصوص، بل كانت تعيش حياة مناقضة تماماً لتلك النهاية.فقد حازت في الأوساط التي تعرفها عن قرب على لقب "فتاة الكابوي"، لارتدائها قبعة شبيهة برعاة البقر، ولم تتعدّ فترة تديّنها وتحولها إلى الاتجاه الراديكالي سوى بضعة أشهر، وفق أغلب التقارير، وعامين وفق بعضها[٥٨١].

وُلدت حسناء محمد آية الحسن، في إحدى ضواحي باريس، في العام ١٩٨٩.

---

(٥٧٩) حياة بومدين في لقاء نشره "داعش": زوجي كان يتوق للذهاب إلى أرض الخلافة"، جريدة الوسط البحرينية، ١٤ فبراير ٢٠١٥.

(٥٨٠) هجمات باريس.. كيف تطرفت حسنة بولحسن بعدما عُرفت بحب الحياة والاحتفال؟.. ومسؤول: لم تفجر نفسها بمداهمة سانت دينيس، موقع CNN العربي، ٢١ نوفمبر، ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://arabic.cnn.com/world/2015/11/21/female-not-suicide-bomber-shubert

(٥٨١) انظر: تقرير محزن عن حياة حسناء أية بولحسن ، نموذج للشباب التائه في أوروبا، تطوان نيوز، ٢١ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط:
goo.gl/qPimgr

والدها مهاجر مغربي، من مدينة آيت أورير، القريبة من مراكش. انتقل إلى فرنسا في العام ١٩٧٣، بعد أن طلق زوجته الأولى، وله منها عدد من الأبناء، ثم تزوج أخرى، وأنجب منها حسناء وشقيقين لها، قبل أن ينفصلا لاحقاً[٥٨٢].

عاشت حسناء بولحسن حياة قاسية، لم تجد الحب وعانت من الأزمات العائلية، التي انتهت بطلاق والدتها ووالدها، كما يقول مقربون من العائلة. فتولت تربيتها أسرة أخرى بالتبني، واستمرت على علاقة مع والدتها، فيما فضّل والدها قبل أعوام، العودة إلى المغرب،مسقط رأسه، والاستقرار هناك، بعد سنّ التقاعد[٥٨٣].

تتفق جميع التقارير وجميع من يعرفونها على أنّها قضت أيامها، في مرحلة المراهقة والشباب،في شرب الكحول والمخدرات والدخان، والرقص والسهر. وكانت، كما يروي من يعرفها، متحررة تماماً من أية قيود دينية أو ثقافية، إلى أن بدأت التغيرات الأخيرة تظهر عليها. يفسّرها البعض بتعثر شركة المقاولات التي كانت تديرها، ويربطها آخرون بتأثير عبد الحميد أبا عود عليها، وإن كان ثمّة اختلاف في تحديد صلة القرابة بينهما[٥٨٤].

زارت عائلتها باريس، قبل أشهر من الأحداث، ولاحظوا التغيرات على شخصيتها وملابسها، إذ أصبحت محجّبة وتصلّي، لكنّهم لم يدركوا بأنّها أخذت

(٥٨٢) حسناء أيت لحسن : قضت عيد الأضحى بأيت أورير وترددت على أكادير حيث تتواجد أسرة والدتها، موقع أسراك نيوز، ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:
goo.gl/O9zowD

(583) Paris attacks: Suicide bomber Hasna Ait Boulahcen who died during police siege - 'had final meal at KFC', Mirror. 20 November 2015>
http://www.mirror.co.uk/news/world-news/paris-at

(٥٨٤) انظر، تقرير محزن عن حياة حسناء آية بولحسن، مرجع سابق، وكذلك: حسناء المغربية كانت مضطربة ولم تفتح القرآن يوما كانت تكثر من شرب الكحول وترافق تجار المخدرات كما كانت تلقب بال cowgirl، موقع العربية نت، ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط التالي:
http://ara.tv/we9us

مسارهاصوب نهج تنظيم الدولة الإسلامية.

من الصعب الحسم والجزم في تحديد "نقطة التحول" التي أدت إلى هذا التغير الكامل في اتجاه حسناء بلحسن، وربما تكون هناك "قطبة مخفية" لم تلتقطها وسائل الإعلام، ولا حتى المقربين منها، لكن ما هو معروف أنّ حياتها كانت معقدة، ومتناقضة، مما انعكس على شخصيتها وحياتها. وينقل عنها بعض أصدقائها أنّها انقطعت عن وسائل التواصل الاجتماعي بعد تديّنها، ثم عادت إليها، مبدية إعجابها بشخصية حياة بومدين، الفرنسية الجزائرية زوجة أميد كوليبالي[٥٨٥].

إذا اعتمدنا على ما هو متاح، فإنّ نقطة التحول لديها شبيهة بالقصص الفرنسية النسائية الداعشية السابقة، وهي وجود رجل (حبيب أو زوج)، قادها من المسار الأول في الحياة، الذي غالباً ما يكون بعيداً عن تقاليد الدين الإسلامي، باتجاه المسار الجديد؛ أي مسار تنظيم الدولة الإسلامية[٥٨٦].

الخلاصات

من خلال دراسة النماذج السابقة، ومقارنتها بدراسات ونماذج أخرى عن النسائية الجهادية الأوروبية، فإنّنا أمام نتائج واستخلاصات ترتبط بطرح ثلاث أسئلة رئيسة؛ الأول عن تحول الوجهة من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، والثاني عن مقارنة السمات الاجتماعية في الحالات المدروسة، وأخيراً مناقشة ما يسمى بالعامل الفرانكفوني.

(585) Lizzie Dearden, Hasna Ait Boulahcen: Family of woman wrongly accused of suicide bombing say she was ‘murdered’ during police raid, independent, 21 January 2016.

(٥٨٦) قصة "حسناء المغربية" أول امرأة تنفذ عملية انتحارية بأوروبا: تشرب الكحول وتحب الحفلات ولم تقرأ القرآن، الوسط البحرينية، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٥، على الرابط:
http://www.alwasatnews.com/news/1048406.html

أولاً– لماذا تنظيم الدولة وليس القاعدة؟

بالنسبة للدول الأوروبية الأربعة الرئيسة في نمو "النسائية الجهادية"، خلال الأعوام الماضية؛ وهي بريطانيا، فرنسا، بلجيكا وألمانيا. فإنّ من الملاحظ بأنّ التوجه لدى الأجيال الجديدة يميل إلى الالتحاق بتنظيم الدولة الإسلامية، وليس للقاعدة، وذلك يعود لأسباب متعددة في مقدمتها الاهتمام الأكبر لدى تنظيم الدولة الإسلامية باستقطاب النساء، مقارنة بالقاعدة، التي حرصت على إعطائهم دوراً ثانوياً، ومالت الفتاوى الدينية لديها، كما ذكرنا سابقاً، إلى عدم جواز هجرة المرأة من غير "محرم"، واكتفاءها بدور ثانوي للمرأة، مرتبط بوصفها زوجة مقاتل،على الرغم من وجود استثناءات، مثل مليكة العرود.

أمّا السبب الثاني في توجه الجيل الجديد النسائي لتنظيم الدولة، وليس للقاعدة فيكمن في أنّ تنظيم الدولة طوّر منظوره لدور المرأة وخصص جزءاًكبيراً من الدعاية الإعلامية لها، واستطاب ترويج فكرة الهجرة إلى أراضيه بوصفها "الدولة الإسلامية الموعودة"، وعزف على الرمزية والمخيال الإسلامي بمهارة، وعلى موضوع الشهادة، وعلى ثيمة الهوية الإسلامية، والمظلومية التي يتعرض لها المسلمون، والعداء مع الغرب، وحلم تطبيق الشريعة الإسلامية؛ كلّ ذلك باستخدام اللغات الأصلية للمواطنين المسلمين في الدول المعنية، الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأوردية والتركية وغيرها.

وبالرغم من أنّ غالبية الفتيات الصغيرات اللواتي ذهبن إلى هناك، تزوجن، وترملن، ومنهن من تزوجت مرّة أخرى، إلاّ أنّ وصفهن بـ"عرائس الجهاد" هو تسطيح للظاهرة، كما تؤكد ذلك مؤلفتا دراسة "حتى تفرقنا الشهادة"؛ فالدوافع الحقيقية للذهاب تنقسم إلى دوافع طاردة (من أوروبا) وجاذبة (لدى تنظيم الدولة)، وأغلبها ترتبط بسؤال الهوية الدينية في المجتمعات الغربية والحداثية. تتمثّل العوامل الطاردة، بعجز بعض المجتمعات الغربية عن دمج المسلمات في مجتمعاتهم، وشعور المسلمين بعدائيّةالسياسات الغربية تجاه العالم العربي والإسلامي، كما تتمثّلالعوامل الجاذبة بإعلان التنظيم أنّه يمثل الهوية الإسلامية، وبأنّه يقيم أحكام الشريعة الإسلامية. لكن من الضروري ألا نتجاهل أيضاً –عند الحديث عن دوافع الهجرة– السبب الإنساني،

الذي يتمثل بما حدث، ويحدث، في سوريا، إذ وجدنا كيف أنّ هذا المدخل العاطفي/ الأخلاقي، أخذ حيّزاً كبيراً لدى الفتيات، بل وكان مدخلاً لوصول دعاية التنظيم إليهن[٥٨٧].

هنا، يأتي دور العوامل الأخرى التي يتحدث عنها الإعلام، مثل علاقات الحب والزواج والصداقة كديناميكيات لاستثمار الشروط الرئيسية في دفع الفتيات إلى هذا المجال. لكن من الصعوبة تصوّر أن تقدم واحدة على تغيير مسار حياتها والتورّط في مغامرة كبيرة، من دون عقيدة وأسباب وشروط ذاتية أخرى، وهي التي يمكن أن ترتبط بأزمة الهوية أو المشاعر الإنسانية، والشعور بغياب العدالة على أكثر من صعيد، سواء على صعيد السياسات العالمية أو حتى في التعامل مع المسلمين في المجتمعات الغربية.

ثانياً- ما هي السمات الاجتماعية؟

لاحظنا من خلال الحالات السابقة وغيرها، أن أغلب الجيل الجهادي الجديد من النساء الأوروبيات، هن من البنات والفتيات، وأنّ ما قد تصل نسبته إلى ٩٠٪ منهنّ لا تتجاوز أعمارهنّ ٣٠ عاماً، وأغلبيتهنّ ما دون الـ٢٥ عاماً. فيما يبدو حضور الفتيات المراهقات، أو من هن أقل من ٢٠ عاماً، واضحاً في صلب هذه الظاهرة، مثل سلمى وزهرة وخديجة شارمينا وشاميما، وزينب وغيرهن.

توجد في أغلب الدول المدروسة نسبة من الفتيات من "المتحولات"، اللواتي اعتنقن الإسلام، في فرنسا وبريطانيا وألمانيا والسويد، وبلجيكا وغيرها من الدول. وفي المقابل فإنّ هناك نسبة كبيرة ممن يحملن الجنسيات الغربية، لكنّ أصولهن من دول أخرى، وأغلبهن ولدن أو أمضين فترة طويلة من طفولتهنّ إلى سن المراهقة والشباب في الدول الأوربية، وليس في دولهن.

في الحالة البريطانية نجد بأنّ النسبة الكبيرة (لذوات الأصول غير البريطانية)، هي

(587) Erin Marie Saltman, Melanie Smith, ‘Till Martyrdom Do Us Part’: Gender and the ISIS Phenomenon, op.cit, p4-18.

من آسيا (الهند، باكستان، بنغلادش وماليزيا)، ومن أفريقيا (أثيوبيا، الصومال والسودان- إذا أخذنا بعين الاعتبار الطبيبات البريطانيات- السودانيات اللواتي تحدثن عنهن في فصل العربيات سابقاً). أمّا في فرنسا وبلجيكا فإنّ أغلب الفتيات من المغرب العربي (الجزائر، المغرب وتونس)، فيما يغلب على الحالة الألمانية من الأصول الأخرى- العرق التركي والقوقازي.

لا توجد قاعدة صلبة للخلفيّة الاجتماعية تشترك فيها جميع الحالات، على صعيد الغنى والفقر والحالة الاجتماعيّة الأسرية؛ لكن يمكن الوصول إلى انطباع أولي بأنّ هنالك فرقاً ملحوظاً بين الحالتين البريطانية من جهة والفرنسية والبلجيكية من جهةٍ أخرى، فأغلب الحالات التي قرأناها للفتيات البريطانيات، هن من عائلات متوسطة الدخل، ومتميزات في المدرسة أو الجامعة بصورة ملحوظة، ومن أسرّ متماسكة، معتدلة، بدرجة أو بأخرى، وهنالك علامات ملحوظة على درجة التميز والذكاء.فنلاحظ أنّ سلمى وزهرة كانتا بشهادة المدرسة- على درجة عالية من الذكاء، وحصلتا على العديد من الشهادات، وكانتا تتجهان نحو العلوم الطبية، والحال لا تختلف لكل من خديجة وشاميما وأميرة؛ فهن متميزات في المدرسة، ولهن هوايات ومواهب، مثل الرياضة وقراءة الروايات. في حين كانت الحال مختلفة في الحالات التي استعرضناها في كلّ من بلجيكا وفرنسا؛ فالنموذج في الغالب أسرّ ممزقة، وخلافات عائلية، وبيوت رعاية، انتقال من النقيض إلى النقيض، كما هي حال حياة بومدين وحسناء بولحسن، وبدرجة قريبة منهن من الجيل السابق، مليكة العرود.

كما إنّنا نجد اختلافاً في الديناميكيات الفاعلة في عملية الانتقال والتحول إلى مسار النسائية الجهادية، ففي الحالة البريطانية لعبت الصداقات الاجتماعية والأشقاء والإنترنت أدواراً فاعلة في التأثير على الفتاة، بينما نلاحظ درجة أكبر لعامل الحبيب أو الزوج في الحالة الفرانكفونية، كما هي حياة بومدين، إيناس مدني، حسناء بولحسن، وحتى مليكة العرود.

ثالثاً- هل هنالك تأثير للعامل الفرانكفوني؟

المقارنة السابقة بين الحالتين البريطانية والفرانكفونية (فرنسا وبلجيكا) تقودنا مباشرةً إلى ما سمي بالعامل الفرانكفوني أو الرابط الفرنسي الذي طرحه، بوضوح كبير، كل من ويليام ماكنتس William McCants وكريستوفر ميسيرول Christopher Meserole، الباحثان المتخصصان في الحركات الإسلامية، في مؤسسة بروكينغز للأبحاث الأميركية، ويقصدان فيه تأثير "الثقافة السياسية الفرنسية" على انتشار وصعود الحركات الراديكالية الجهادية في أوربا. فحتى وإن بدا بأنّ الرقم البلجيكي- على سبيل المثال- متواضع، مقارنةُ بحالات أخرى، إلاّ أنّ نسبة المتأثرين بهذا الفكر لعدد المسلمين في ذلك البلد، تعدّ مرتفعة، والحال أكثر وضوحاً في فرنسا[٥٨٨].

يفسر الباحثان المقصود بالثقافة السياسية الفرنسية "النهجَ الفرنسي للعلمانية الأكثر عدائية تجاه الدين من النهج البريطاني. ففرنسا وبلجيكا، على سبيل المثال، هما الدولتان الوحيدتان في أوروبا اللتان تحظران النقاب في المدارس العامة. كما إنهما البلدان الوحيدان بين دول أوروبا الغربية اللذان لا يحصلان على أعلى تصنيف للديمقراطية في بيانات مؤسسة "Polity"؛ والذي لا تُقدّم تفسيرات لانخفاض المعدلات"[٥٨٩].

ومما يتضافر مع ما ذكرناه سابقاً عن الخلفية الاجتماعية، فإنّ التأثير الفرانكفوني بالنسبة للباحثَين- لا يقف عند حدود "العلمانية" الفرنسية، بل يرتبط أيضاً بدرجة الاندماج الاجتماعي والاقتصادي، إذ إنّ كلاّ من بلجيكا وفرنسا تشهدان معدلات

---

(588) William McCants and Christopher Meserole, The French Connection
Explaining Sunni Militancy around the World, Foreign Affairs, 24/3/2016.
https://www.foreignaffairs.com/articles/2016-03-24/french--connection

(٥٨٩) Ibid.

مرتفعة من البطالة (١٠-٣٠٪) لدى الشباب المسلم، الأمر الذي يزيد من احتمالات وفرص التطرف الفكري. ويوضح الباحثان " وجدنا بأنَّ التفاعلات بين الفرانكفونية وبطالة الشباب وبين الفرانكفونية والتحضر على حد سواء، صُنفت من بين أكثر ١٥ تفاعلًا تنبؤية. هناك دعم قوي واسع لهذه الفكرة: انظر التطرف المنتشر في ضاحية مولينبيك في بلجيكا، ومدينة بونليو في فرنسا، ومنطقة بنقردان في تونس. لقد أنتجت كل من هذه السياقات حصة غير متناسبة بشكل كبير من المقاتلين الأجانب، وكل منها هي أيضاً منطقة حضرية مع معدل مرتفع للبطالة بين الشباب.

"وكما هو الحال مع النتائج في الدول الفرانكفونية عموماً، قمنا بتخمين سبب العلاقة بين السياسة الفرنسية والتحضر والبطالة بين الشباب والتشدد السُني. ونعتقد أنه عندما تكون هناك أعداد كبيرة من الشباب العاطلين عن العمل، لا بُدّ أن يميل بعضهم إلى التطرف. عندما يعيشون في مدن كبيرة، يكون لديهم المزيد من الفرص للتواصل مع الناس وتبني القضايا الراديكالية. وعندما تكون هذه المدن في البلدان الناطقة بالفرنسية التي تتبنى النهج الفرنسي الحاد للعلمانية، فإنَّ الراديكالية السُنية تكون أكثر جاذبية"[٥٩٠].

أثارت مثل هذه الفرضية، التي يقرّ الباحثان أنّها بحاجة إلى مزيد من الفحص والاختبار، جدلاً كبيراً بين الباحثين والمتخصصين، وردّ عليهما آخرون من زوايا متعددة، منها التشكيك في النسب والأرقام،ومنها القول بأنّ الثقافة الفرانكفونية تشكّل فقط ٤٥٪ من الثقافة البلجيكية، مما يعتبر خطأ في التعميم[٥٩١].

بعيداً عن مناقشة الاعتراضات والخوض في الجدالات عن العامل الفرانكفوني،

---

(٥٩٠) Ibid.

وكذلك: هل من علاقة بين الثقافة الفرنكفونية والتطرف؟، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٦ مارس ٢٠١٦.

(591) Olivier Decottignies, The French Disconnection Francophone Countries and Radicalization, Foreign Affairs, 12 April 2016. At:
https://www.foreignaffairs.com/

فإنّ ما نلاحظه في دراستنا ونربطه في الحالات التي تحدّثنا عنها سابقاً هو ما يمكن أن نطلق عليه في دراستنا بـ"العنف الهويّاتي"؛ الأكثر بروزاً في الحالتين الفرنسية والبلجيكية. وهو مرتبط بأمور عدة، منها طبيعة المجتمعات الفرنسية والبلجيكية وعلاقتها بالدين، أو نمط العلمانية الحادّ في هذه الدول، ما ينعكس على المجتمعات وحالة الشباب فيها، فماذا إذاً عن والعلمانية البريطانية، الأكثر تصالحاً مع الدين؟

في الحالة البريطانية وجدنا أنّ التغيرات التي حدثت لدى الفتيات لم تكن على صورة انقلابات عنيفة في الهوية، بل كانت أكثر نعومة وهدوءاً، وإن كانت النتيجة هي الاتجاه نحو "الداعشية"، إلاّ أنّ نمط حياة الأسر والفتيات كان متديناً ومحافظاً، ولم يكن هنالك موقف عدائي من الدين، حتى في الحالات المتحررة منه، كعائلة أقصى محمود (العلمانية) مثلاً. أمّا في الحالة الفرنسية فسنجد أنّ حياة بومدين وبدرجة أكثر وضوحاً حسناء بولحسن ومليكة العرود انتقلن من تطرف هوياتي (تماهٍ كامل مع الحياة الغربية والأوربية، بل والبعد عن الدين بصورة كبيرة، مثل شرب الكحول والتدخين، وعلاقات الصداقة والأغاني، إلخ.) إلى التشدد الديني المفاجئ عموماً. ففي البداية هوية متطرفة، ثم هوية مضادة تماماً، وردّ فعل عنيف تجاه الهوية الأولى، التي مثّلت بالنسبة للنساء الجهاديات الفرنسيات رمزية الحداثة والغرب. وحين انتقلن إلى "الهوية الدينية" المناقضة، مثلت تلك الهويات السابقة حالةَ الضياع والبعد عن الدين، والماضي الذي ترغب هؤلاء النساء بنسيانه[٥٩٢].

---

(٥٩٢) قارن ذلك بـ: محمد تركي الربيعو، **أنثروبولوجيون في شارع فولتير: البحث عن ديناميات المحلي في "الجهاد الفرنكفوني"**، القدس العربي، ٢٨ نوفمبر ٢٠١٥.

الفصل الخامس

"الداعشيات الأميركيات".. إرهاب (السوشيال ميديا)

الفصل الخامس

"الداعشيات الأميركيات".. إرهاب (السوشيال ميديا)

"إذا كنت غيورة؛ فمن ابتسامة الشهداء"

"عندما تكون مجاهداً.. سيكون موتك عرساً"

"لو أننا عرفنا الحقيقة فعلاً، لركضنا إلى الانضمام إلى إخواننا في الخطوط الأمامية من القتال"

من تغريدات الأميركية كيونا ثوماس Keonna Thomas

مقدمة

تبدو أعداد الأميركيين والأميركيات المنخرطين في تأييد تنظيم الدولة الإسلامية متواضعة ومحدودة، سواء من ذهبوا إلى سوريا والعراق، أو حاولوا، أو من اعتقلوا بتهمة تأييده في الولايات المتحدة. إذ تشير السلطات إلى أنّ نحو ٢٥٠ شخصاً التحقوا أو حاولوا الالتحاق بالتنظيم، نجح منهم بالسفر ما يزيد على المائة، وقتل نحو ٢٠ منهم[٥٩٣].

بمقارنة هذه الأرقام بالأرقام الأوربية نجد بأنّ الظاهرة الجهادية- الداعشية في أوروبا أكبر حجماً، من حيث النسبة والتناسب، والانتشار والتأثير، فوفقاً لتقديرات الأمم المتحدة، فإنّ هنالك نحو ٥٠٠٠ أوروبي، أو مقيم في أوروبا، ذهبوا إلى أماكن القتال في سوريا والعراق.

لكن، بالرغم من الحجم المتواضع، رقمياً، للظاهرة في الولايات المتحدة، مقارنة بدول أخرى، فإنّ هنالك مؤشرات مقلقة ترتبط بارتفاع حجم النشاط والتأثير لأنصار

(٥٩٣) Ilana Freedman. Jihad: Understanding the Threat of the Islamic State to America, The Center for Security Policy, Pennsylvania, 2016, p93-95.

التنظيم، وازدياد دور النساء الأميركيات، أو المقيمات في أميركا، في هذا التيار الجهادي. وتتعدد أدوارهنّ من التجنيد الإلكتروني إلى الدعاية والدعم اللوجستي، والهجرة والمغادرة إلى المناطق التي يُسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلاميّة".

أخذ تزايدُ دور النساء أبعاداً مهمة لدى مراكز الأبحاث والإعلام الأميركية، وبيّنت دراسة صادرة عن برنامج التطرف في جامعة جورج واشنطن (في نهاية ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٥) أنّ من بين ٧١ شخصاً تمّ اعتقالهم في الولايات المتحدة بين العامين ٢٠١٤-٢٠١٥ على خلفيّة ارتباطهم بالتنظيم، فإنّ هنالك ١٠ نساء؛ بالإضافة إلى وجود ٩٠٠ حساب نشط على مواقع التواصل الاجتماعي، تعود لأميركيين أو مقيمين في أميركا. وكشفت الدراسة بأنّ معدل أعمار المتأثرين بالتنظيم هو ٢٦ عاماً، وأنّ المتأثّرين بالتنظيم ينحدرون من خلفيات اجتماعية وثقافية متنوعة ومختلفة، و يتوزّعون في العديد من الولايات الأميركية[٥٩٤].

ومع أنّ ظاهرة التطرف والإرهاب ليست جديدة تماماً في الولايات المتحدة، إلاّ أنّ الدراسة المذكورة ترصد مؤشرات جديدة مقلقة مرتبطة بخصائص وسمات المتأثرين بتنظيم الدولة الإسلامية، وتتمثل في أنّهم غالباً تأثروا بالدور الحيوي للإنترنت، نتيجة للنشاط الدعائي للتنظيم، ومن ثم فإنّهم قد اتجهوا إلى التطرّف بشكل شخصي Self-Radicalized، وأنّهم نشؤوا وعاشوا غالباً- في الولايات المتحدة الأميركية Home Grown. ويمكن أن نضيف إلى تلك الدراسة ظاهرة المتحولين والمتحولات من الأميركيين المسيحيين إلى الإسلام بنسخته الداعشية[٥٩٥].

في هذا الفصل سنقترب من ظاهرة الجهاديات- الداعشيات الأميركيات، تحديداً، لأنّ أغلب الجيل الجديد هو من المؤيدين والمناصرين لتنظيم الدولة الإسلامية؛ وليس للقاعدة. وسنحاول الإجابة على سؤال أساسي، وهو ما إذا كان الإنترنت هو

---

(594) Lorenzo Vidino and Seamus Hughes, Isis in America: From Retweet to Raqqa, Program on Extremism, the George Washington University, December 2015, p ix (the executive summary). And p7.

(595) Ibid, p 2-5.

العامل الرئيسي والوحيد، بالفعل،في تجنيد الأميركيات، أم أنّ ثمّة شروطاً وظروفاً هي التي تمنحه هذه السلطة الرمزيّة في التجنيد والدعاية والإقناع؟

اخترنا خمسة نماذج، في هذا الفصل، للأميركيات الداعشيات، بأدوار متعددة ومتنوعة، منهنّ من نجحت في الوصول إلى أراضي التنظيم، ومنهنّ من حاولت لكنّها فشلت، ومنهن من اعتقلت لنيتها الذهاب، ومنهنّ من تنحدر من أصول عربية وإسلامية، ومنهنّ متحوّلات أميركيات من المسيحية إلى الإسلام.

هنالك نماذج أخرى تشير إليها مراكز مكافحة التطرف ووسائل الإعلام الأميركية، مثل كيونا ثوماس Keonna Thomas، التي اعتقلت لدورها في التجنيد، ونيتها الذهاب إلى أراضي داعش[٥٩٦]. بالإضافة إلى رضوى عبد السلام، أم وقّاص، التي كانت تدرس الإعلام في سياتل، في الولايات المتحدة الأميركية، وشكّلت "عضواً فاعلاً" عبر حسابها على التويتر في الدعاية للتنظيم وإقناع الأميركيين والأميركيات بالهجرة إليه[٥٩٧]. وكذلك الأمر في حالة أليكس التي كانت تحت عملية التجنيد من قبل أنصار التنظيم، وحالة الصوماليات المراهقات اللواتي تم اعتقالهن في

(596) http://www.counterextremism.com/extremists/keonna-thomas

(597) Rawdah Abdisalaam identified as Seattle college student recruiting for ISIS, the global dispatch, 15 May 2015. At:
http://www.theglobaldispatch.com/rawdah-abdisalaam-identified-as-seattle-college-student-recruiting-for-isis-11447/
and: Erica Wenig, Fun-Loving, American Girl Is Probably A Prolific Undercover Agent For ISIS, Daly Caller, 29 April 2015. At:
http://dailycaller.com/2015/04/29/fun-loving-american-girl-is-probably-a-prolific-undercover-agent-for-isis-investigation/
and: Senior female ISIS agent unmasked and traced to Seattle, counter jihad report, 30 April 2015. At:
https://counterjihadreport.com/tag/rawdah-abdisalaam/

ألمانيا، بعد أن غادروا الولايات المتحدة الأميركية في محاولة للوصول إلى الأراضي التي يُسيطر عليها تنظيم الدولة في الرقة والموصل.

تاشفين مالك.. المرأة الغامضة

صُدم سكان مدينة سان برناردينو San Bernardino، في ولاية كاليفورنيا، بأخبار المذبحة التي وقعت في مدينتهم، يوم الأربعاء، ٢ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٥، والتي أدت إلى مقتل ١٤ شخصاً وجرح ٢١ آخرين، خلال احتفال لإحدى المؤسسات الحكومية المعنيّة بالبيئة. لكن الصدمة الكبرى كانت بعد إعلان الشرطة قتل منفّذي الهجوم؛ وهما رجل وزوجته، خلال تبادل إطلاق نار، بعد ساعات قليلة من "المجزرة" التي نفّذاها.وتبين أنّ لديهما طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها الـ٦ أشهر؛ تركاها في المنزل، مع والدة منفذ الهجوم، قبل تنفيذ العملية[٥٩٨].

حظي الهجوم، الذي وصف بأنّه الأعنف في العقود الأخيرة، بعد أحداث ١١ سبتمبر (قبل وقوع مجزرة أخرى خلال الأشهر الستة التالية لهذا الحادث في ملهى ليلي للمثليين في أورلاندو)[٥٩٩]، باهتمام كبير من قبل الإدارة الأميركية ومكتب التحقيقات الفيدراليةFBI،والإعلام والمراقبين، نظراً لحجم الخسائر البشرية. وبالرغم من قدرة الأجهزة الأمنية على تحليل خيوط العملية الرئيسة، ومعرفة الزوجين، سيد فاروق (أميركي الجنسية)، وزوجته تاشفين مالك (باكستانية الجنسية- تحمل الإقامة الأميركية المشروطة)، إلاّ أنّ هنالك أسئلة بقيت محيّرة للجميع، حتى تاريخ إنجاز هذا الكتاب، حول الدوافع التي أدت إلى قيامهما بهذه العملية، والطريقة التي تمّ تجنيدهما بها، ومن جنّد الآخر؛ الزوج أم الزوجة؟ ومتى تمّ ذلك؟ وكيف؟

ما يُثير الاستغراب هو الطريقة التي تمّ بها تنفيذ العمليّة. إذ قام الزوجان المنفّذان، بإطلاق النار على جمع من المحتفلين بنهاية العام، ثم لاذا بالفرار قبل أن يتبادلا إطلاق

---

(٥٩٨) انظر: عام على هجوم سان برناردينو.. واشنطن تكافح لمنع هجمات "الذئاب المنفردة"، الشرق الأوسط اللندنية، ٢ ديسمبر ٢٠١٦.

(٥٩٩) مقتل ٥٠ شخصا في مجزرة فلوريدا والمنفذ أفغاني، رويترز، ١٢يونيو٢٠١٦.

النار مع الشرطة؛ وكانا يرتديان السترات الواقية من الرصاص. وتشير التحقيقات إلى أنّهما كانا يُخططان للقيام بعمليات أكبر حجماً من تلك العملية.

وجه الغرابة التي يشرحها خبير في ملفات الجرائم والإرهاب في الولايات المتحدة الأميركية- يتمثل في وجود زوجين في العملية معاً، يتفقان ويعدّان معاً لارتكاب المذبحة، أولاً، ووجود امرأة في مثل هذا النوع من العمليات ثانياً، وهي حالة نادرة في الولايات المتحدة الأميركية، ثم محاولة إظهار حياتهما بصورة طبيعية، بإنجاب طفلة صغيرة، تبعد الشبهات عنهما، بالرغم من وجود مؤشرات لدى الأمن بأنّ نواياهما بتنفيذ العملية كانت مبكّرة، منذ زواجهما، وربما منذ ارتباطهما بالخطبة[٦٠٠].

وبالرغم من أنّ تاشفين مالك ليست أميركية، ولم تعش طويلاً هناك (وصلت الولايات المتحدة قبل قرابة عام وبضعة أشهر)، إلاّ أنّنا نصنّف هذه العملية ضمن الحالة الأميركية، لأنّ مسرح العملية هو الولايات المتحدة الأميركية، أولاً، ولأنّها كانت تقيم هناك، ثانياً، ولأنّه لا توجد دلائل مغايرة على "تجنيدها" في أماكن أخرى، ثالثاً، ما يجعل اختيار الولايات المتحدة لاعتبارات المكان، وكذلك لأنّ زوجها وشريكها في العملية هو أميركي الولادة، والتنشئة والحياة.

لغز تاشفين

بالعودة إلى تاشفين مالك، فلا توجد تفاصيل دقيقة عن شخصيتها، ولا عن حياتها الاجتماعية، ولا عن أسرتها الصغيرة، التي رفضت التحدث عموماً إلى الإعلام. وكل ما هو متاح من معلومات هو أنّها باكستانية، وابنة لأسرة ثرية، من ملاّكي الأراضي، وُلدت في مدينة كارور لال ايسان، والتي تقع على بعد ٤٨٠ كم، في الجنوب الغربي للعاصمة إسلام آباد[٦٠١].

---

(600) Tashfeen Malik: who was the 'shy housewife' turned San Bernardino killer?, The Gurdian, 6 December 2015. At: https://www.theguardian.com/us-news/2015/dec/06/tashfeen-malik-who-was-the-shy-housewife-turned-san-bernardino-killer

(601) Pat St. Claire, Greg Botelho and Ralph Ellis,San Bernar-

وُلدت تاشفين في باكستان في ١٤يوليو/ تموز ١٩٨٦، لكن والدها غادر مع أسرته للعمل في السعودية، في الأعوام الأخيرة من مدرستها. ثم انقطعت علاقتهم بعائلة والدته الكبيرة (نتيجة خلاف في الميراث)، وعادت تاشفين إلى مدينة مولتان Multan، في وسط باكستان في العام ٢٠٠٧، لتدرس الصيدلة في جامعة بهاء الدين زكريا هناك، وبقيت إلى أن تخرّجت في العام ٢٠١٢[٦٠٢].

لم تُعرف تاشفين، خلال تلك الفترة بآراء متطرفة، بل تذكر إحدى زميلاتها، بأنّها كانت تمضي وقتاً طويلاً على مواقع التواصل الاجتماعي، والدردشة، ولا تصلي الصلوات الخمس. فيما يذكر أحد أساتذتها بأنّها كانت ترتدي الحجاب، ولا تبدو عليها آثار التطرف، وهي خجولة، ومشغولة في الدراسة في أغلب الأوقات. بينما يصفها آخرون بأنّها كانت انطوائية خلال تلك الفترة.

في العام ٢٠١٣ سجّلت تاشفين في معهد الهدى الدولي، وهو معهد معروف في مولتان، يدرس العلوم الدينية للطالبات، ويتّسم بالفكر المحافظ، وإن كان مسؤولوه يؤكدون بأنّه لا يحث على العنف ولا يشجّع عليه. واستمرت تاشفين بارتياد المعهد في الفترة ما بين أبريل/نيسان ٢٠١٣ إلى مايو/ أيار ٢٠١٤، لكنها لم تتابع حضورها، لأنّها سافرت إلى السعودية للزواج بالسيد فاروق خلال تلك الفترة[٦٠٣].

بدأ بعض أصدقائها يلاحظون علامات التشدد الديني عليها في السنة الأخيرة لها في باكستان، إذ ارتدت الخمار، غطاء الوجه، بعد أن كانت تكتفي بالحجاب،

dino shooter Tashfeen Malik: Who was she?, CNN, 8 December 2016. At:
http://edition.cnn.com/2015/12/06/us/san-bernardino-shooter-tashfeen-malik/

(602) Turkewitz, Julie; Mueller, Benjamin"Couple Kept Tight Lid on Plans for San Bernardino Shooting".The New York Times.Retrieved December 3, 2015.

(603) Pat St. Claire, Greg Botelho and Ralph Ellis,San Bernardino shooter Tashfeen Malik: Who was she?, op. cit

وأصبحت أكثر حدّة في آرائها الدينية، وكانت تمضي أوقاتاً طويلة على مواقع التواصل الاجتماعي. ووفق هذا التقدير الزمني فإنّ هذه العلامات ظهرت بعد تعرّفها على سيد فاروق على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما يعزز فرضية أنّ الاثنين تبادلاً تعزّيزهذه الأفكار الجهادية بشكل مشترك، بنوع من التأثير المتبادل[٦٠٤].

فوفقاً للتحقيقات الأميركية فإنّ تاشفين تعرّفت على رضوان السيد فاروق (مواليد ١٩٨٧/٧/١٣) في أوائل العام ٢٠١٣، من خلال موقع تواصل اجتماعي للراغبين في الزواج (iMilap.com)، وأنّهما التقيا شخصياً في السعودية، خلال رحلة الحجّ، التي قام فاروق بها أواخر ذلك العام. ثم إنّه عاد إلى السعودية في بداية العام ٢٠١٤، وقام بالزواج من تاشفين، في حفل إسلامي في السعودية. ثم عندما أتم إجراءات تأشيرة الزيارة (الفيزا) لها، انتقلت معه إلى الولايات المتحدة الأميركية، وأقاما حفلاً صغيراً (في شهر آب/ أغسطس ٢٠١٤) لإشهار الزواج، في المركز الإسلامي River Side Islamic Center، المجاور للأحياء التي عاش فيها فاروق، منذ طفولته إلى عمله؛ وحتى لحظة تنفيذ العملية، التي تمّت أيضاً في الجوار[٦٠٥].

لم تختلط تاشفين بالمجتمع المحلي كثيراً. ولاحظ مدير المركز الإسلامي، الذي شهد زواجهما، أنّ زوجها فاروق، كان يداوم على الصلاة يومياً في مسجد River Side، في حين وُصفت تاشفين بأنّها كانت ربّة منزل خجولة، محافظة، وعاشت في منزل مع والدة فاروق، التي كانت تسكن في جزء مستقل من المنزل. وأنجب الزوجان

(604) Shashank Bengali and Aoun Sahi, Where San Bernardino shooter Tashfeen Malik went to school to learn about Islam, Los Angeles Times, 7 December 2015. And From ‘housewife’ to mass shooter: Friends say Tashfeen Malik’s life took a devout turn, The Associated Press, 6 December 2015.

(605) Masood, Salman; Walsh, Declan, "Tashfeen Malik Attended Conservative Religious School in Pakistan". The New York Times, 7 December 2015.

طفلتهما في منتصف العام ٢٠١٥، أي قبل قرابة ٥ أشهر من تنفيذ العملية[٦٠٦].

من جنّد من؟!

ما يزال السؤال المتداول في محاولة استكشاف الفجوات المفقودة في قصة تاشفين وفاروق وعمليتهما الإرهابية هو: من جنّد الآخر منهما؟

هنالك من يتحدث عنها بوصفها هي من قام بتجنيد زوجها، والتأثير عليه، والمشاركة في التخطيط للعملية، نظراً لاشتراكها في العملية، والتزامها الديني، والمدة القصيرة التي أمضتها في أميركا مع زوجها.

وفي المقابل، فإنّ من يعيد قراءة الظروف المحيطة بحياة فاروق، سيجد بأنّه من مواليد الولايات المتحدة الأميركية، ولد في شيكاغو، وأنهى البكالوريوس في البيئة من جامعة كاليفورنيا، في العام ٢٠٠٧، ثم عمل مباشرة بقسم الصحة العامة، مفتشاً للغذاء، وتمّ تثبيته بوظيفته في مرحلة لاحقة، فحياته بأكملها كانت في الولايات المتحدة.

حاول فاروق إكمال دراسة الهندسة البيئة بعد ذلك، لكنه سجل لمدة محدودة ولم يكملها، وكان محافظاً على الصلاة، ومن هواياته الرماية. لكنه عاش طفولة مضطربة، بسبب العنف المنزلي الذي كان والده يمارسه تجاه والدته، وتشير بعض التقارير الصحافية (استناداً إلى أوراق قضائية) إلى أنّ والده كان مدمناً على الكحول، مما أدى إلى مشكلات عائلية عديدة، وإلى علاقة غير مستقرة بين فاروق ووالده. وقد

(606) Thomas, Dexter, "San Bernardino shooting suspect stopped attending mosque two years ago". Los Angeles Times.13 December 2015. And:
From ‘housewife’ to mass shooter: Friends say Tashfeen Malik’s life .took a devout turn, op.ci. at:
http://mashable.com/2015/12/06/tashfeen-malik-san-bernardino-shooter-religious/#HN.JflOGH8qw

هربت أمّه مع أبنائهاالثلاثة من المنزل، ما يفسّر لنا لماذا والدته كانت تعيش معه ومع زوجته في منزل مستأجر من طابقين، فهي لم تحصل على الطلاق، لكنّها كانت منفصلة قانونياً عن أبيه، منذ العام ٢٠٠٩[٦٠٧].

وكان فاروق، بالرغم من التزامه في المسجد، بعيداً عن أي علاقة وثيقة بالجالية المسلمة هناك، وفق بعض الشهود، وكان والده قد تنصّل من تصريحات لصحيفة إيطالية (بعد الحادثة) ذكر فيها أنّ ابنه يشارك تنظيم الدولة الإسلامية أيديولوجيته[٦٠٨].

ومع أنّ تنظيم الدولة الإسلامية أعلن مسؤوليته عن العملية، وذكر في بيان له بأنّ منفذيها فاروق وتاشفين هما من أنصار الدولة الإسلامية[٦٠٩]، إلا أنّ وصفه لهما بـ"الأنصار" يتضمّن بأنّهم لم يعتبرهما أعضاء رسميين، وفيه إشارة إلى "استلهامهما" أفكار التنظيم، خاصّة وأنّ المحققين لم يجدوا روابط أو أدلة قوية تؤكد بأنّهما تلقيا تعليمات خارجية، أو نسّقا العملية مع تنظيم الدولة أو طرف آخر.

الملاحظ أنّه بعد مرور أكثر من عام (حتى تاريخ كتابة هذا الفصل) على تلك العملية، فإنّ التنظيم لم ينتج أفلاماً خاصة عن منفّذيها، كما حدث في عمليات أخرى، وقعت في أوروبا مثلاً. ولا يوجد ما يثبت علاقتهما الرسمية بتنظيم الدولة، سوى إعلان تاشفين قبل مقتلها، عبر حساب آخر على موقع الفيس بوك، مبايعتها لزعيم التنظيم أبي بكر البغدادي، ما يؤكّد فرضية أنّهما قاما بالعمليّة بصورة اختيارية،

(607) Glum, Julia "San Bernardino Suspect Syed Farook's Troubled Childhood: Father Was Alcoholic, Mother Alleged Domestic Abuse In Court Papers". International Business Times, 3 December 2015.

(608) Hamilton, Mattm, "San Bernardino shooting suspect endured turbulent home life, according to court documents". Los Angeles Times.Retrieved, 2 December 2015.

(٦٠٩) ثم عادت إذاعة البيان الناطقة باسم التنظيم لوصفهما بأنّهما من جنود الدولة، مما تسبب بغموض لدى المحققين الأميركيين حول العلاقة الدقيقة بينهما وبين التنظيم.

أو على طريقة "الذئاب المنفردة"[٦١٠].

إلاّ أنّ مدير مكتب التحقيقات الفدرالية الأميركية الـFBI، جيمس كومي، ذكر لاحقاً في تصريحات مهمة، وهي الأكثر قرباً من التحليل المنطقي لحالة تاشفين مالك، أنّ النتائج التي توصل إليها المحققون، تميل إلى أنّ تاشفين مالك والسيد فاروق،قد تبنّيا، كلّ على حدة، الأفكار الراديكالية عبر شبكة الإنترنت، بصورة ذاتية Self-Radicalized، وأنّهما تعارفا على بعضهما في بدايات العام ٢٠١٣، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي للراغبين في الزواج، واكتشفا أنّهما يحملان الأفكار الجهادية نفسها، وذلك قبل ظهور تنظيم الدولة الإسلامية، وإعلانه الخلافة لاحقاً[٦١١].

تبدو هذه الفرضية متسّقة مع ما هو متاح من المعلومات عن شخصيتهما، فكلاهما متديّن، محافظ، ومن الواضح أنّ التفاهم على الأفكار الجهادية بينهما، بدأ منذ تواصلهما عبر الإنترنت في العام ٢٠١٣.

مع ذلك، فإنّ هذه الفرضية لا تجيب على أسئلة رئيسة عن تاشفين مالك وحالتها، ما الذي نقلها إلى الفكر المتشدد، هل هي المواقع الجهادية؟ أم هي ظروف موجودة في الباكستان أو السعودية، وكلاهما دولتان معروفتان بانتشار الجهاديين ونشاطهم الملحوظ؟!

(610) Doug Stanglin and Kevin Johnson, FBI: No evidence San Bernardino killers were part of a cell, USA TODAY,5 December 2015.

(611) Baker, Al; Santora, Marc, "San Bernardino Attackers Discussed Jihad in Private Messages, F.B.I. Says". The New York) Times,15 December 2015.

الاقتراب من النموذج

بالعودة مرّة أخرى إلى تاشفين ونشأتها وحياتها وتعليمها؛ فلا يزال الغموض يُحيط بمفاصل كثيرة من حياتها يحول بيننا وبين رسم صورة قريبة عن هذا النموذج وفهمه، فنحن نتحدث عن فتاة باكستانية، من عائلة ثرية، درست الصيدلة، انتقلت أسرتها من باكستان إلى السعودية، ثم عادت وهي في الـ٢١ من عمرها إلى باكستان للدراسة في الجامعة. وهناك، لم تظهر أي أنشطة متطرفة، لكنّها كانت انطوائية، وفق بعض الأوصاف.

لا توجد سجلات أو وثائق تدينها بالتشدد أو الإرهاب في السعودية، أو باكستان. وحتى عندما قدمت لتأشيرة الدخول للولايات المتحدة، وللحصول على الإقامة الدائمة لاحقاً (وكانت قد حصلت عليها قبل شهور من تنفيذ العملية) لم يظهر في سجلاتها الأمنية أي إشارات أو علامات تطرّف تجعلالموظفين يترددون في منحها الإقامة؛ فكل شيء كان يبدو طبيعياً أو كما لخص والدها محاولاً تفسير ما حدث لها بـ"العلم عند الله"![612]

من الواضح، إذاً، أنّ التغيّر بدأ عملياً في العام ٢٠١٣، وتعزّز مع تعرّفها على فاروق على شبكة التواصل الاجتماعي، وكان الاثنان قد بدءا الطريق نحو الراديكالية؛ ولو كان هنالك اختلاف بينهما، لما جرى التوافق السريع، حتى وصلا كما توصلت تحقيقات المباحث الفدرالية- إلى الحديث عن الجهاد، قبل أن يخطبا رسمياً، ويتزوجا![613]

---

(612) Richard A. Serrano, Brian Bennett and Corina Knoll, Father of San Bernardino shooter Tashfeen Malik condemns daughter's actions, Los Angeles Times, 10 December 2015. At:
http://www.latimes.com/local/lanow/la-me-father-san-bernardino-shooter-tashfeen-malik-condemns-daughters-actions-20151210-story.html

(613) Adam Goldman, Mark Berman and Missy Ryan, San Bernardino shooter's former neighbor who bought rifles is cooperating with authorities, The Washington Post, 10 December

لا تزال ثمّة "حلقة مفقودة" مرتبطة بشخصية تاشفين؛ فيما إذا كانت هي الطرف الأقوى، الذي أثّر على فاروق، وأقنعه بالقيام بالعملية، وفرضت شخصيتها عليه، أم أنّه كان الطرف الأقوى في المعادلة، وأقنعها بتنفيذ العملية، ورتّب لها، وأقحم زوجته فيها؟!

أريل برادلي.. البحث عن الهوية

أريل برادلي Ariel Bradley من مدينة تشاتانوغا، في ولاية تينيسي، من مواليد ١ سبتمبر/ أيلول ١٩٨٥، الثالثة بين خمسة أشقاء وشقيقات. والدها يعمل في مصنع كوكا كولا، ووالدتها ربّة منزل، متدينة جداً، ملتزمة بتعاليم أصولية مسيحية، وربّت أبناءها على ذلك، وحرمتهم من التعليم المدرسي، وكانت تعلّمهم في المنزل homeschooled Christian، خشية من تأثرهم بالأفكار الأخرى، كما حلّلت أريل نفسها لاحقاً![٦١٤]

عانت أريل مع أشقائها من الفقر، وعاشت مع عائلتها في بيت متواضع في بلدةٍ تبعد قرابة ٢٠ دقيقة عن تشاتانوغا، و كانت تصف حالة الفقر بالقول أنّها لم تكن تتذكر كيف هو طعم الحليب، وهي صغيرة. بالإضافة إلى التوتر الدائم بينها وبين والدتها، فإنّ طفولتها لم تكن بالضرورة- سعيدة، بسببالفقر، والحرمان، والتشدد الديني، وعدم السماح لها بالذهاب إلى المدرسة.

يُمكن القول بأنّ والدتها، هي "العقدة الرئيسة" في قصة أريل، التي عانت كثيراً مع التربية الصارمة لها، ما أدّى إلى تأخرها في الكتابة والتعلّم، حتى أصبحت في

(614) Ellie Hall, How One Young Woman Went From Fundamentalist Christian To ISIS Bride, BuzzFeed News Reporter,21 July, 2015. At:
https://www.buzzfeed.com/ellievhall/woman-journey-from-chattanooga-to-isis?utm_term=.erD7gMMwM#.gqrdAZZ0Z

العاشرة من عمرها. فكانت لديها مشكلات في تهجئة الكلمات، وفي التعلّم، بسبب والدتها، فيما كان والدها غائباً عن المنزل أغلب الوقت، لكنه كان أكثر هدوءاً في تدينه وتعامله مع أطفاله.

تمرّدت أريل على والدتها منذ سنّ مبكّرة، فهربت من المنزل في الـ١٥ أو الـ١٦ من عمرها، وانتقلت عبر علاقات متعددة من "الأصدقاء- العشّاق ، وشركاء السكن المختلفين، وعملت في أعمال مختلفة قليلة الأجر، فعملت في مشاتل، ومقاهٍ، وكان نقص تعليمها سبباً رئيساً في انخفاض أجرتها، وعدم استقرارها في عمل معين[٦١٥].

الملاحظة الرئيسة لدى أغلب أصدقائها عن شخصيتها، هي أنّها على الرغم من أنّها غادرت المنزل مبكّراً، وبالرغم كذلك من اعتمادها على نفسها في تأمين تكاليف حياتها، فأنّها كانت دوماً تتأثر بصديقها- العشيق، وتربط نفسها به بصورة وثيقة، وكأنّها تتكوّن به، وتدخل تحت جلده، وتتماهى معه، حتى تصبح جزءاً منه، وقد وصفتها إحدى صديقاتها بأنّها "كالإسفنجة"، في علاقتها بأصدقائها المقربين، تعيش عادة مع شركاء في المنزل، سواء كان صديقاً- عشيقاً أو صديقات؛ إذا كانت في مرحلة لا يوجد فيها علاقات ارتباط وعشق[٦١٦].

تقلّبت أريل في حياتها وأفكارها خلال عشرة أعوام (منذ أن تركت منزلها). فتارةً تصبح أريل ناشطة تدافع عن العدالة الاجتماعية، وحقوق المعلمين، وتارةً أخرى تدافع عن المرأة، ثم أصبحت اشتراكية تدعولهذه الثقافة مع أصدقائها، وتصف نفسها في وقتٍ آخر بالملحدة، وتتحوّل إلى نباتية، فقد كانت دائماً في حركة ونشاط بحثاً عن ذاتها وهويتها. لم تعرف شخصيتها ولا حياتها ولا عواطفها طعم الاستقرار والراحة،

(615) ibid, and LAUREN Mcmah.The transformation of former devout Christian Ariel Bradley,30 July, 2015. At: http://www.news.com.au/technology/online/social/the-transformation-of-former-devout-christian-ari

(616) LAUREN Mcmah,The transformation of former devout Christian Ariel Bradley, op.cit.

بصورة دائمة أو طويلة الأمد، خلال تلك السنوات.

عاشت حياة متحرّرة من أي قيود، فكانت تشرب الكحول بكثرة، وتعاطت المخدرات، والماريغوانا، ولها رسم تاتو على كتفيها، لم تكن حياتها، كما وصفتها لاحقاً، بالرغم من هذا النشاط وتلك الحيوية، حياة سعيدة، وبقيت الحال كذلك[٦١٧].

ولم تثبت على علاقة دائمة مع شباب خلال تلك المرحلة، حتى أنّها حملت في العام ٢٠٠٩، وأجهضت من دون أن تخبر صديقها (والد الجنين) بقيامها بالإجهاض، ثم انتقلت بعد ذلك- إلى الحياة مع شقيقها وصديقه في شقتهما، وعملت معهما في مطعم للبيتزا في الجامعة، يملكه ويديره شاب مسلم، سرعان ما وقعت أريل في حبه والتعلّق به، لكنّه أخبرها لاحقاً بأنّه لا يستطيع أن يطوّر تلك الصداقة أكثر من ذلك الحدّ، لأنه مسلم، ما جعلها تعتقد أنّ قصده بأنّ الدين هو العائق بينهما، وهو الأمر الذي نفاه مالك المطعم (لاحقاً)، أو شعر بأنّها أسأت فهم كلامه.

رفْضُ صاحب المطعم الاقتران بها، بالرغم من حبها له، كان بمثابة "نقطة تحول" أو صدمة لها دفعها إلى أن تقرأ عن الإسلام، من خلال الإنترنت، فبدأت تغير في ملابسها وسلوكها، خلال فترة قصيرة، إلى أن وصلت في بحثها إلى بداية قناعات دينية جديدة. فقد وجدت إحدى الصحافياتEllie Hall، التي أجرت تحقيقاً استقصائياً متميزاً مطولاً عن أريل (لموقع BuzzFeed News) بأنّها طرح سؤالأعلى أحد المواقع الإلكترونية الإسلامية: فيما إذا كان يجوز للفتاة أن تتحجب قبل أن تدخل الإسلام، إذا كانت بحاجة إلى مزيد بحث لتتأكد من قناعاتها به؟ [٦١٨]

لم يطل الأمر، إذ بدأت بالاقتراب من المسجد والمسلمات هناك، والتعرف على حياتهن، وعلى الدين الإسلامي، ثم تمّ إشهار إسلامها في المسجد في ربيع العام ٢٠١١، بعدما دعت شقيقها ومالك المطعم الذي تعمل به ليكونوا شهوداً على اعتناقها الإسلام، وعانقتها المسلمات الحاضرات، فكان دخولها في الإسلام مرحلة

(617) Ellie Hall, How One Young Woman Went From Fundamentalist Christian To ISIS Bride, op,cit.

(618) ibid

جديدة في حياتها المتقلّبة!

المفاجأة كانت، حتى للنساء المسلمات، أنّ أريل اختارت النسخة المتشددة من الإسلام، وأرادت أن تعيش كما عاشت نساء الرسول في أزمنة قديمة. فغيّرت حياتها وعلاقاتها وفقاً للإيمان الجديد، وبدأت تطبق تلك الآراء على حياتها الخاصة، كما أنّها بدأت تقضي وقتاً أطول على مواقع التواصل الاجتماعي، بخاصة مواقع الزواج، لتقترن برجل مسلم، وقد حدث أن جاء أحدهم إلى منزلها، بحضور شقيقها، وكان أكبر منها عمراً، وعرض عليها الزواج، لكنها رفضت[٦١٩].

ارتدت الحجاب، وغيّرت عاداتها وأفكارها، ما أثّر على علاقتها بشقيقها وصديقه في الشقة. ثمّدفعها هذا التحوّل إلى الانتقال إلى منزل شقيقتها المتزوجة، وقد لاحظت الأخيرة أنّ وقت أريل كلّه ينحصر بين المطعم والفيس بوك، حتى وجدت شخصاً (في نهاية أغسطس/أب ٢٠١١)، بدأت تتعرف عليه في موقع "نصف ديننا" Half our Deen (للراغبين من المسلمين والمسلمات الملتزمين بالزواج)، وهو ياسين محمد، أصغر منها بأربعة أعوام (٢٢ عاماً)، عراقي، والده من أصول فلسطينية وأمه لبنانية، يعيش كلاجيء في السويد، ولا يحمل الجنسية السويدية. واستمرت في الحوار معه والتعرف عليه، حتى قرّر الاثنان الخطبة. لكن لم تكن توجد له أي صفحة على الفيس بوك أو مواقع التواصل الاجتماعي، ولم يجد أصدقاؤها أي صورة له، ما جعلهم يرتابون في شخصيته وأهدافه من الارتباط بأريل، فطلبت منه إرسال صورة وحيدة، لأنّ أصدقاءها يودون رؤيتها!

بعد ثلاثة شهور من الحوار عبر الواتس آب، قرّر ياسين محمد الارتباط بها، فوافقت، وتم إعلان الخبر على موقع نصف ديننا، بوصفه قصة نجاح. فور قرارها الخطبة منه، قطعت أريل علاقتها بأصدقائها الذين عارضوها في ذلك، وقررت العودة إلى منزل والديها في محاولة إصلاح العلاقة بينها وبينهم، بعد أن قاطعوها بالكلية بمجرد أن أعلنت إسلامها.

وفور موافقتها على قرار الارتباط به، طلب منها ياسين محمد الالتزام بأمور

---

(619) Ibid

متعددة، كزوجة مسلمة، مثل تغيير نوعية ملابسها لتصبح أكثر ملاءمة لما يعتقد بأنّها التعاليم الدينية، وعدم الحديث مع أصدقاء- ذكور إلاّ من أفراد العائلة القريبين منها تماماً، عدم الاستماع إلى الموسيقى؛ وهو ما كان محزناً لأصدقائها لأنّها كانت عازفة جيتاز، وموهوبة في الغناء. كل تلك المطالب كانت قبل الزواج، ما كان بالنسبة لأصدقائها مؤشراً سيئاً على المرحلة الجديدة لها[٦٢٠].

غادرت أريل إلى السويد، في ٢١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١١، للزواج بياسين، وهناك اقترنا، ثم عادت بعد أسابيع إلى مدينتها ومنزل عائلتها، لكنها كانت ترتدي العباءة، ما فاجأ المحيطين بها، وقالت لهم إنّ هذا اللباس الذي يفضله زوجي، وعادت إلى العمل في المطعم، لكنّ زوجها طلب منها حذف كل أصدقائها الذكور، حتى المسلمين من صفحتها على الفيس بوك، وإزالة كل صورها، لأنّ ذلك غير جائز بالشرع، وفعلت ما طلبه منها.

عادت مرة أخرى للسويد، لمدة ثلاثة أشهر تقريباً، ثم عادت في منتصف العام ٢٠١٢ لمدينتها، وكانت حاملاً بابنتها أمينة، لتنجبها في الولايات المتحدة، وتستفيد من الخدمات الطبية هناك. وكان غريباً للعائلة والأصدقاء عدم حضور ياسين لولادة ابنته، الأمر الذي فسّرته أريل لأصدقائها بعدم منحه تأشيرة دخول من قبل الحكومة الأميركية.

أمضت أمينة أغلب تلك الفترة في منزل عائلتها، وكانت بعيدة عن أصدقائها، وتحضر غالباً خطبة الجمعة، إلى أن أنجبت أمينة، في ٨ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٢، ومكثت أشهر قليلة في مدينتها، ثم غادرت ثانيةً إلى السويد. وبعدما وصلت هناك تفاجأ الجميع من أصدقائها الأميركيين بأنّها ألغت حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي،وغابت أخبارها عنهم، وكأنّها لم تعد موجودة![٦٢١]

يعتقد أصدقاؤها بأنّ زوجها بدأ التخطيط لرحلة سوريا منذ ديسمبر/كانون

---

(620) Ibid

(621) Ibid, and LAUREN Mcmah. The transformation of former devout Christian Ariel Bradley, op.cit.

الأول ٢٠١٣، وبالفعل انتقل الزوجان مع ابنتهما (١٨ شهراً)، وهي حامل بابنها الثاني، قرابة منتصف العام ٢٠١٤، إلى سوريا. وهناك عادت أريل إلى الظهور عبر موقع التواصل الاجتماعي تويتر، لكن بأسماء أخرى، مثل أمّ أمينة، تتحدث عن حياتها في مدينة الباب السورية، وتضع صور أطفالها، ثم تفاجأ المواطنون الأميركيون بأنّها هي نفسها من أيّدت العملية التي قام بها محمد عبد العزيز في مدينتها تشاتانوغا، في يوليو/ تموز ٢٠١٥، وقتل وأصاب عدداً من رجال المارينز قبل أن يُقتل، فأيدت العملية واعتبرته شهيداً![٦٢٢]

بالطبع، لا توجد معلومات دقيقة وكثيرة عن كيفية انتقالها مع زوجها إلى سوريا، ولا عن حياتها هناك، وعما وصلت إليه في أفكارها، أو عن شخصية زوجها وموقعه في تنظيم الدولة الإسلامية، باستثناء بعض الصور والتعليقات التي تنشرها على حسابها الجديد على التويتر "أم أمينة"، وصور أطفالها الصغار. ويبدو من ذلك أنّها انخرطت تماماً في المجتمع الجديد، بخاصة مع وجود عائلات لمقاتلين في التنظيم هناك، وأنّها قطعت شوطاً كبيراً في القناعة بفكر التنظيم؛ ودلالة ذلك تأييدها للعملية التي قام بها محمد عبد العزيز في مدينتها[٦٢٣].

تحليل النموذج: كائن إسفنجي!

في تفسير أصدقائها لشخصيتها وتحولاتها، فإنّهم يُحيلونالأمر، بدرجة كبيرة، إلى تنشئتها في عائلة فقيرة، وعلاقتها المضطربة مع والدتها، وعدم وجود دور حقيقي للأب، فقد عانت من الفقر والشعور بالحرمان، ومواجهة والدة متشددة دينياً تريد فرض آرائها على أبنائها، ما أدّى إلى تمرّدهم لاحقاً عليها، وخروجها في سنّ مبكرة من المنزل، من دون أن تكون معدّة نفسياً وفكرياً بصورة جيدة. إذ بدأت بالاستقلال المالي والمعيشي عن عائلتها، لكن مع وجود "فجوات" في شخصيتها، في لغتها،

(622) Ellie Hall, How One Young Woman Went From Fundamentalist Christian To ISIS Bride, op,cit.

(623) Ibid.

ونقص في تعليمها (الذي أصبح عقدة لها لاحقاً، فحاولت التعويض عبر الامتحانات غير الرسمية لكنها لم تكمل). وأخذت الصيغة المتمردة على السلطة بصورة عامة، فأصبحت ناشطة نسوية، ومدافعة عن المعلمين، تتبنى قضايا العدالة الاجتماعية، نباتية، ثمّ بدأت بتعاطي المخدرات وكسر القواعد الاجتماعية التي حاولت والدتها تجذيرها فيها، ثمّ تحوّلت إلى ملحدة.إذاً فقد كانت، في جزء كبير من سلوكها، أقرب إلى حالة الاحتجاج على تلك التنشئة الأولى؛ ضد السلطات الدينية والاجتماعية والأخلاقية المهيمنة[٦٢٤].

لكن الجانب الآخر لشخصية أريل مناقض تماماً للجانب الاحتجاجي الأول، فنتيجة القصور العاطفي لديها، بسبب العلاقة المضطربة مع والدتها، والتشدد الديني في المنزل، ومغادرتها في سنّ مبكرة لحياتها العائلية، بقيت تبحث دائماً عن الحنان العاطفي والعلاقة العميقة التي تمنحها الأمان والاستقرار، أي الجدار الروحي الصلب الذي تركن إليه، فإذا ما تطورت علاقتها بأحد الأشخاص، واعتقدت أنّه الشريك، كيّفت وقولبت نفسها لتتماهى معه وتصبح جزءاً من عالمه، فإذا كان صديقها ملحداً أصبحت ملحدة، أو يسارياً تحولت لذلك. وهكذا كانت في تحول فكري ونفسي مستمرين تبعاً لشريكها، كما يقول أصدقاؤها.

توافق الأخصائية النفسية زيو كروبكا Zoe Krupkaعلى أنّ تفسير حالة أريل يعود إلى تنشئتها الدينية، إذ تقول "هذا السلوك مألوف بين الناس الذين كانت لديهم تربية أصولية صارمة، ما يحدث هو أنّك تنتهي إلى أن تكون خارج الإحساس بنفسك، لأنّك منقاد ومتحكّم بك، لأنّك تعلمت كيف يجب أن تكون في علاقات، وتعلّمت كيف تتبع الأوامر، بدلاً من أن تمتلك إحساسك بما تؤمن به، أو ما تحب أو تكره، عندما نصبح في هذا الوضع، فإنّه يدمّر الطفل، بواسطة نظام صارم.. . فالحب بالنسبة لك هو أن تفعل ما يُطلب منك".

ثم تسقط كروبكا التحليل السابق على شخصية أريل فتقول " ما رأيناه في حالة برادلي أنّها دخلت في عدد من العلاقات مع الأشخاص، كثير منهم يحملون مواقف متطرفة في اتجاه أو آخر، لذلك كان موقفها مرتبطاً مع شخص يشعر، بصورة غير

(624) Ibid.

معقولة، بالثقة تجاه أمور معينة، لأنّها في داخلها لا تملك الإحساس بالصلابة النفسية". وتصف المحللة النفسية شخصيتها بالإسفنجة، التي فقط تمتص ما حولها"[٦٢٥].

ضمن هذا النسق من التفسير، فإنّ بداية تحوّل أريل كانت بتعرّفها على الشاب المسلم، مالك المطعم، وإعجابها بشخصيته وسلوكه، مع ذلك فإنّ صدمتها بعدم رغبته بتطوير العلاقة معها، لم يكن دافعاً لها للابتعاد عنه، بل لمحاولة معرفة "مصادر" شخصيته؛ فهي تبحث دائماً عن ذاتها وشخصيتها، بين أكوام من الأيديولوجيات والثقافات والأفكار والأشخاص. وهو ما أوصلها إلى قراءةالإسلام، ثمّ الاتجاه إلى المركز الإسلامي القريب منها، ثم إلى اعتناق الإسلام، لكن بنسخة متشددة، ربما تعكس ظل النسخة المتشددة من المسيحية التي كانت والدتها قد أنشأتها عليها!

انتقلت أريل برادلي، إذاً، من الأصولية المسيحية إلى الأصولية الإسلامية، وبين هاتين المرحلتين عبرت مساراً مضطرباً ومتعرّجاً، لم تعرف فيه الاستقرار الروحي والفكري الطويل، وانتقلت من النقيض إلى النقيض، من الإيمان إلى الإلحاد إلى الإيمان مرّة أخرى[٦٢٦].

وجدت ذاتها أخيراً في علاقتها بمحمد ياسين، وقرارها العيش في كنف تنظيم الدولة الإسلامية، واستقرارها مع أسرتها، زوجها وولديها هناك، ولبّت رغبتها بوجود شخص ما مهيمن في حياتها، لا تمانع أن يفرض عليها مواقفه وآراءه، فالحب بالنسبة لها هو أن تتماهى مع من تحب، وهو علاقة تبعية وليس ندية، وفقاً لتنشئتها الأولى.

مع ذلك، يبقى السؤال مفتوحاً فيما إذا كانت أريل برادلي قد وصلت أخيراً إلى التصالح مع ذاتها، وبلورة وتشكيل شخصيتها، وإلى المرفأ الأخير في قناعاتها الدينية

---

(625) LAUREN Mcmah. The transformation of former devout Christian Ariel Bradley, op.cit

(626) Amanda Marcotte, What the "ISIS Bride" and Rachel Dolezal Have in Common, 22 July 2015,at: https://www.follownews.com/what-the-isis-bride-and-rachel-

والفكرية والثقافية؟ لا نملك جواباً مؤكداً، فرحلتها السابقة تشي بأنّ إيمانها بالأفكار والقناعاتهشّ وسطحيدائماً، فهي تبحث عن "علاقة مستقرة" تربط نفسها بها، تحصل من خلالها على استقرار اجتماعي عميق، لم تكن تحظ به، وهو ما وجدته في المرحلة الراهنة.

هدى محمد مثنى.. "نصف الطريق" المعبّد

هدى هي فتاة أميركية، في بداية عقد العشرينيات من عمرها، من أصول يمنية، لديها أربعة أشقاء ذكوراً وإناثاً. هاجر والدها ووالدتها من اليمن إلى أميركا، قبل أن ينجبوا أبناءهم، في العام ١٩٩٢، بحثاً عن فرصة أفضل للحياة وعن مجتمع منفتح وآفاق جديدة. وهاجرت ابنتهم بعد قرابة ٢٥ عاماً، في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٤ إلى أرض أحلامها، في الرقة السورية، مع أمنيتها بأن تلقاهما في "الجنة"!

تعيش أسرة هدى في مدينة هوفر بولاية ألاباما، بالقرب من مدينة بيرمنجهام، ويذهب والدها بصورة متكررة إلى العاصمة واشنطن، بسبب طبيعة عمله. ومن المعروف في الأوساط القريبة من العائلة، حتى في حديث هدى نفسها، أنّ والداها متشددان من الناحية الدينية، وقد ربيا أبنائهم على هذا المسار[٦٢٧].

عندما نجحت هدى في المدرسة الثانوية، أهداها والدها هاتفاً ذكياً جديداً، تقديراً على جهودها، في منتصف العام ٢٠١٣. لكن الوالدين كانا حريصين على مراقبتها، كما هي حال الإناث في المنزل، لضمان سلامة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي. وكان والدها يحذرها من عدم استخدام صورها الخاصة على هاتفها، ويحرص على التأكد منه باستمرار، مما كان يخلق نزاعاً بينه وبينها، فكانت تعتبر ذلك

(627) Ellie Hall.Gone Girl: An Interview With An American In ISIS, BuzzFeed, 18 April 2015. At: https://www.buzzfeed.com/ellievhall/gone-girl-an-interview-with-an-american-in-isis?utm_term=.kaAPO66a6#.

من خصوصيتها، وكان يقول لها إنّ عليه حمايتها بوصفه والدها[٦٢٨].

لكن قلق العائلة على هويتها وتديّنها كان معاكساً تماماً لقلقها هي من أن يكتشف والدها بأنّها تتواصل مع أشخاص آخرين، ليسوا شباباً أو عشاقاً، وإنّما أنصاراً لتنظيم الدولة الإسلامية. وأخذت تقتنع مع مرور الوقت بتفسيرهم للإسلام ورؤيتهم الإيديولوجية والدينية. وأصبح لديها أتباع كثيرون على صفحتها على التويتر، ما دفعها نحو التشدد في التدين أكثر.

كان والدها يراقب سلوكها الديني، ويطمئن إليه، مما ألغي هواجسه الأخرى. وراقبت العائلة حفظها للقرآن واهتمامها بالدين، دون قلق من تلك الجرعة الجديدة في التدين، لكنهم لم يكونوا يدركون أنّ عملية تجنيدها مع تنظيم الدولة الإسلامية قد بدأت بالفعل، منذ تلك الفترة[٦٢٩].

يحيل مراقبون وباحثون عملية تجنيدها إلى الإنترنت، والمنتديات الجهادية، ويرون بأنّ الهاتف الذي أهداه والدها إليها كان هو بداية الطريق إلى تنظيم الدولة الإسلامية، فيما يرى والدها أنّها تعرّضت لعملية غسيل دماغ. لو عدنا إلى التحقيق الاستقصائي المهم، الذي أجرته الصحافية إلي هول Ellie Hall لموقع BuzzFeed، فإنّ هول نجحت في إجراء حوار معها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وأشارت هدى إلى أنّ تحولاتها النفسية والفكرية بدأت في العام ٢٠١٢، عندما أخذت تشعر بأنّها أكثر اهتماماً بدينها، وحريصة على تعلمه وفهمه[٦٣٠].

كان الهاتف أداة فعّالة لتتعرف هدى على تفسيرات دينية وخطابات إسلامية مغايرة تماماً لتلك السائدة في بيرمنجهام، إذ يحرص المركز الإسلامي هناك على إعلان

---

(628) Alabama woman joins ISIS CAIR responds, 21 April 2015. At:
https://counterjihadreport.com/tag/hoda-muthana/

(629) Ellie Hall.Gone Girl: An Interview With An American In ISIS. Op.cit

(630) Ibid

إدانته ورفضه لما يقوم به تنظيم الدولة الإسلامية. بينما تعرّفت هي على التفسيرات الأخرى، وعلى أتباع التنظيم، وبدأت تتأثر بصورة مكثفة بوجهات نظرهم الدينية[٦٣١].

من بين أولئك الذين تعرّفت عليهم أقصى محمود، الفتاة البريطانية المسلمة، التي غادرت هي الأخرى إلى أراضي تنظيم الدولة، وتركت عائلتها. مع هذه الأفكار الجديدة أخذت هدى تعزل نفسها بصورة نسبية عن الجالية المسلمة المحيطة بها، إذ لم تكن ترضى بتفسيراتهم للإسلام، كما تقول هي. وبدأت منذ نهاية العام ٢٠١٣ بالتخطيط لرحلتها إلى مدينة الرقة، بمساعدة من أنصار التنظيم الذين يتواصلون معها[٦٣٢].

في جامعة ألاباما درست هدى الإدارة والأعمال، وكانت قد سجلت للفصل الجديد، لكنها سحبت النقود، لتتدبّر أموال الرحلة إلى تركيا، ثم أقنعت والدها بمشاركتها في رحلة جامعية إلى مدينة قريبة، وكان ذلك يوم مغادرته إلى واشنطن. ثم اتصلت مساءً وأبلغت شقيقتها بأنّها أخذت الباص الخطأ وستضطر إلى النوم هناك، ما جعل والدها يقلق. ومرّة أخرى، لم يكن يخطر في بالهم أنّها في الطريق إلى داعش، بل كان الهاجس الديني هو الذي سيطر عليهم، وطلب والدها من أشقائها البحث عنها في تلك المدينة وإعادتها. ولأنها لم تترك أي تفاصيل عن مكان وجودها، فلم يتمكنوا من ذلك، وفي صباح اليوم التالي تلقت شقيقتها اتصالاً منها تخبرها بأنّها في تركيا، وفي طريقها إلى سوريا.

عندما تم إبلاغ والدها، قام على الفور بإخبار المباحث الفدرالية، لكنهم لم يتمكنوا من اللحاق بها قبل الوصول إلى الرقة. ومن هناك، بعد أيام قليلة، قامت

(631) Ibid

(632) Ibid, and Kieran Corcoran, The Alabama student who tricked her parents and fled to Syria to become an ISIS bride, Dailymail.com, 21 April 2015. At: http://www.dailymail.co.uk/news/article-3048217/Why-abandoned-America-ISIS-College-student-20-tells-spent-tuition-money-flights-abandoned-fami

بنشر صورة لها مع مسلمات مهاجرات أخريات وهنّ بصدد إحراق جوازات سفرهن الغربية.

حاول والدها، من خلال التواصل معها، إقناعها، وأوحت إليه في إحدى المرات برغبتها بالعودة، لأنّ التنظيم يريد إجبارها على الزواج من أحد مقاتليه، وأبلغته بحاجتها إلى مبلغ من المال، لكنه أخبرها بأنّ المبلغ سيمر عبر قنوات رسمية، لكنّه تفاجأ لاحقاً بأنّها لم تكن تريد المال للعودة، وأنّها كانت تخدعه. واعترفت هي بحوارها مع الصحافية الأميركية بتلك الواقعة، وأخبرتها أنّها كانت تريد اختبار مدى جدية أهلها في مساعدتها في حال احتاجتهم في أوقات عصيبة، لكنها لم تفكر إطلاقاً منذ وصولها إلى أراضي تنظيم الدولة بالعودة إلى الولايات المتحدة الأميركية[٦٣٣].

تزوجت هدى بعد شهر من وصولها إلى الرقة بمهاجر قادم من أستراليا اسمه سوهان عبد الرحمن Suhan Abdul Rahman، في ٢٠ كانون الأوّل/ ديسمبر ٢٠١٤. وأخبرت والدها، لكنّها لم تأخذ موافقته، وهي لا تحتاج لذلك، وفق ما صرحت به للصحافية الأميركية لأنّ والدها لا يؤمن بأفكار تنظيم الدولة. إلاّ أنّ زوجها قُتل في غارة لسلاح الجو الأردني على الرقة، بعد قرابة ٣ أشهر من زواجهما في شهر مارس/آذار ٢٠١٥، بعد ٨٧ يوماً من زواجهما، فغرّدت بذلك، وتمنت أن يكون زوجها شهيداً[٦٣٤].

عرض والدها عليها العودة مرّة أخرى، لكنّها رفضت ذلك. وتغرد هدى بين الحين والآخر عن مواقفها وآرائها، وكان من أبرز تغريداتها دعوتها المسلمين الأميركيين إلى الاستيقاظ والهجرة إلى أراضي تنظيم الدولة أو القيام بعمليات ضد الأميركيين،

---

(633) Ellie Hall.Gone Girl: An Interview With An American In ISIS, op.cit

(634) Ibid, and Hoda Muthana: 5 Fast Facts You Need to Know, Heavy.com, 21 April 2015. At: http://heavy.com/news/2015/04/hoda-muthana-isis-hoover-alabama-buzzfeed-umm-jihad-zumarul-jannah-father-mother-parents/

بدهسهم في الشوارع أو قتلهم بالسلاح الأبيض![٦٣٥]

"نقطة تحوّل" بأي اتجاه؟

يبدو نموذج هدى واضحاً؛ فبعكس أريل برادلي، لم يكن تمرّدها على والدها وعائلتها وتربيتها الدينية الصارمة في الاتجاه المعاكس؛ أي الإلحاد والمخدرات والهروب من المنزل في سنّ مبكّرة وتبديل العلاقات والأفكار، بل كان تمرد هدى في الاتجاه نفسه، أيّ الإسلامي، لكن من خلال فهم آخر للدين أكثر تشدداً من فهم عائلتها والجالية المسلمة المتدينة في بيرمنجهام.

ترى صديقاتها أنّ لهدى شخصيتين، الأولى في العالم الافتراضي؛ تتبع فيها الأفكار المتشددة، وتحوز على معجبين كثيرين على التويتر بسبب هذه الأفكار، والثانية هي الشخصية الواقعية الخجولة المؤدبة، التي لا تظهر عليها علامات التشدد، بل كانت تكتفي بلبس الحجاب وممارسة العبادات الدينية.

لا شكّ بأنّ سؤال الهوية حاضر هنا أيضاً.فمن خلال كلام والدها نفسه، نجد أنّها كانت ككل المراهقين فرحة بالهاتف، عندما أهداه والدها لها بعد الثانوية. لكنّ والدها حدّد تعاملها معه، وفق تفسيره الديني، فطلب منها إزالة صورها من صفحتها على موقع الفيس بوك، وكان يراقب استخدامها له[٦٣٦].

في الواقع كان أمامها خياران؛ الأول أن تتمرّد على هويتها العائلية وعلى والدها، في الاتجاه المعاكس، كما فعلت أريل، أو أنّها تقبل بالهوية في مواجهة الحياة الجامعية الأميركية والحضارة الغربية. وعند هذه النقطة، لم تكن التربية الدينية التقليدية المتشددة، لترضي الفتاة الصاعدة إلى الحياة الجامعية، فبدأت بالتعرّف أكثر على التفسيرات الأخرى للدين، ما أوصلها إلى التعرف على أفكار تنظيم الدولة الإسلامية وعلى

---

(635) Hoda Muthana: 5 Fast Facts You Need to Know, Op.cit

(636) Ibid, and Ellie Hall,Gone Girl: An Interview with an American in ISIS, op.cit.

أتباعه، ولم تكن صيداً صعباً. فتكوينها الديني التقليدي عبّد نصف الطريق إلى تنظيم الدولة الإسلامية، إذ لم يكن هنالك حصانة أو مناعة ثقافية وفكرية حقيقية ضد التنظيم. كل ما كان يحرص والداها عليه هو تلك التربية الدينية التقليدية، والخوف على هويتها وثقافتها، وكلّ ما فعلته هو أنّها أخذت هذا المسار - لاحقاً- حتى آخر الطريق.

ليس المقصود، هنا، أنّ التديّن تعبيد للطريق إلى تنظيم الدولة الإسلامية، بل التشدّد في الدين والتركيز على الهوية، من دون بناء الوعي الثقافي المطلوب، ومن دون الحرص على إدماج الأبناء بالثقافة الغربية، أو منحهم مفاتيح يستطيعون من خلالها المواءمة بين ثقافتهم الإسلامية من جهة، وحياتهم في ظل الحضارة الغربية وقيمها ومجتمعها من جهةٍ أخرى.

تبرز ثيمة التمرّد في شخصية هدى، أيضاً، من خلال قرارها باعتزال الجالية المسلمة في بيرمنجهام، والمركز الإسلامي المعادي لتنظيم الدولة الإسلامية. فلم تفكّر مثلاً في اختبار تلك الأفكار مع الوسط المحيط بها، أو حتى مع أسرتها، وإنّما انزوت إلى العالم الافتراضي وأصدقائها هناك، وأخذت موقفاً سلبياً من المحيط الإسلامي بها، الأمر الذي يُفسّر لماذا كانت تبدو لصديقاتها بشخصيتين؛ الأولى واقعية خجولة مسالمة ضعيفة، والثانية صلبة هجومية متشددة في العالم الافتراضي، ما يفسّر أيضاً حديث والدها بأنّها لم تكن لديها صداقات واعترافُها هي لاحقاً بذلك.

حليمة (شانون) كونلي: الإنترنت بوصفه مجنِّداً

حليمة كونلي، كما أطلقت على نفسها، أو شانون كونلي Shannon Maureen Conley، فتاة عمرها ٢١ عاماً، من مواليد ١٩٩٥، في دنفر في ولاية كولورادو، في حيّ أرفادا Arvada. وُلدت في دنفر، وعاشت هناك، ودرست في إحدى المدارس الثانوية هناك، قبل أن تنتقل لتدرس في كلية التمريض، وتحصل على شهادة مزاولة مهنة، ثم تعود إلى مدينتها وتعيش مع أهلها[٦٣٧].

(637) How Typical Arvada Teen Turned Into Terror Suspect,3

والداها يعملان، ووالدها بروفسور في كنسية كاثوليكية، وهي الابنة الصغرى، ولديها ثلاث شقيقات أكبر منها. يقول الجيران في الحيّ بأنّها كانت تقليدية في نمط حياتها مثل سائر الفتيات الأميركيات، قبل أن يلاحظوا انقلاباً كاملاً عليها في العام ٢٠١٣، عندما بدأت ترتدي الحجاب، بعد أن كانت تلبس الملابس القصيرة كغيرها من الفتيات[٦٣٨].

أسلمت شانون في العام ٢٠١٣، من خلال بحثها على شبكة الإنترنت عن الإنترنت، كما يرى الخبراء والمحققون، وتعرّفت خلال تلك الفترة على أحد التونسيين المقاتلين (عمره ٣٢ عاماً) إلى جانب تنظيم الدولة في تونس، وأخذ يقنعها بمواقف تنظيم الدولة، الذي لم يكن حينها قد أعلن إقامة الخلافة، وكان يُعتقد بأنّه جزء من القاعدة عموماً، وأصبحت تقترب أكثر وأكثر مع مرور الوقت من أفكار التنظيم[٦٣٩].

في منتصف العام ٢٠١٣ دخلت في شجار مع حراس في كنسية محلية في تلك المنطقة، عندما شكّوا فيها، إذ كانت منقّبة، ومعها دفتر ملاحظات، فأرادوا أن يروا الملاحظات ورفضت، ما أدى إلى قرار بمنعها من الاقتراب من الكنسية. ثم بدأت التحقيقات معها، وفتح لها محققو مكتب التحقيقات الفيدراليّة سجلاً في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من العام نفسه، بعدما لاحظوا أنّها تصرّح بنيّتها للذهاب إلى سوريا والزواج بالشخص التونسي، ومساعدة مقاتلي التنظيم في أعمال التمريض أو

July 2014. At: http://denver.cbslocal.com/2014/07/03/how--typical-arvada-teen-turned-into-terror-suspect/

(638) Ibid , and Snejana Farberov and Daniel Bates, American nurse who was arrested for trying to join ISIS set her Facebook profile to ‘slave of Allah’, Daily Mail, 3 July 2014. At: http://www.dailymail.co.uk/news/article-2678662/Denver-woman-19-charged-plotting-join-ISIS-militants-wage-jihad-U-S.html

(٦٣٩) انظر: المجلة" تنشر اعترافات شانون كونلي لـ "إف بي آي"، موقع مجلة المجلة، ١٠ نوفمبر ٢٠١٤، على الرابط التالي:
goo.gl/ymuVoL

حتى المكوث في المنزل مع الشخص الذي كانت سترتبط به[٦٤٠].

تقدّم لنا شهادات المحققين، خلال قرابة سبعة لقاءات أجروها مع شانون، ومقابلاتهم مع والديها صورة قريبة عن مدى تأثرها العميق بأفكار تنظيم الدولة، خلال فترة قصيرة، عبر الإجابات التي كانت تقدمها لهم بوضوح، إذ كانوا يحاولون ثنيها عن نية الذهاب إلى سوريا. لكنها كانت تصارحهم برفضها وإصرارها على الذهاب إلى هناك، وتقول لهم "إني أفضّل السجن على ألا أفعل شيئاً"، وحاولوا اختبارها فيما لو كان انضمامها إلى الصليب الأحمر سيلبي رغبتها بمساعدة السوريين، فأجابت بالنفي، لأنّه لا يحل مشكلات المسلمين، فهي ترى أنّ الجهاد الدفاعي هو الوحيد القادر على تحقيق ذلك.

وتكشف التحقيقات بأنّها قطعت شوطاً كبيراً مع صديقها التونسي عبر عملية التجنيد، أو ما يطلق عليه والداها "غسيل الدماغ"، خلال فترة قصيرة لا تتعدى شهوراً، فقد بدأت تتأثر بأنور العولقي، أحد أبرز القيادات الدينية السابقة في قاعدة جزيرة العرب (اغتالته طائرة درونز أميركية في العام ٢٠١١)، والذي وُلد وعاش ودرس في أميركا، ثم انتقل إلى اليمن وأصبح أحد أبرز المؤثرين على المسلمين في الغرب، عبر إتقانه اللغة الإنجليزية ومعايشته للحضارة الغربية والثقافة الأميركية.

كما كانت مطلعة على كتب لقيادات في القاعدة، مثل عبدالعزيز المقرن، السعودي، ورأيه في تكتيك حرب العصابات لمواجهة الأعداء، وأبدت للمحققين إعجابها بفكرة حرب العصابات. ولم تُخف اعتبارها أنّ القواعد العسكرية الأميركية أهدافٌ مشروعة، نظراً لحرب الإدارة الأميركية على الحركات الإسلامية، بل ولم ترَ مشكلة في قتل أبرياء، من أطفال ونساء، في حال تواجدوا في موقع مستهدف، خلال العملية، ما يشي بأنّها وصلت في قناعاتها إلى مرحلة متطورة[٦٤١].

كان واضحاً من خلال سلوكها على مواقع التواصل الاجتماعي، الفيس بوك، وقناة اليوتيوب، معالم التغير السريع الذي أصاب شخصيتها، إذ بدّلت اسمها من

(٦٤٠) http://www.counterextremism.com/extremists/

(٦٤١) https://cchs.gwu.edu/sites/cchs.gwu.edu/files/downloads/

شانون إلى حليمة، وغيرت صور حسابها الشخصي على الفيس بوك لتأخذ طابعاً إسلامياً، ووضعت عند خانة المهنة مصطلح "عبدة لله"، وبدأت تنسج علاقاتها مع المجتمع المسلم المتديّن، وتشارك في بعض الأنشطة الخيرية، كما يظهر على صفحتها، ثم تبنت قضية السوريين وهاجمت الإعلام الغربي مراراً. ووضعت على غلاف قناتها على اليوتيوب عبارة مستوحاة من أسامة بن لادن حول "مهرجان الشهادة"، وكتبت عبارة تقول " بأنّه عندما يكون هنالك قليل من المجاهدين فمن الواجب القتال، بغض النظر عن دولتنا، أو مكان ولادتنا أو حتى إقامتنا"[٦٤٢].

ما دفع بالمحققين إلى مزيد من القلق، هو أنّها شاركت في معسكرات تطوعية تدريبية يقيمها الجيش الأميركي ليعلّم الشباب على مهارات الرماية والقتال، تمهيداً لضمّ من يرغب لاحقاً إلى الجيش الأميركي. وعندما سألها المحققون عن سبب انخراطها في هذه المعسكرات أجابت بصراحة أنّها تريد أن تفيد تنظيم الدولة بهذه المهارات العسكرية الأميركية!

حاول المحققون شرح حجم التحولات لوالديها، الذين حاولا بدورهما تغيير أفكارها، لكنّ والدها أخبر المحققين بأنّها مصرّة على أفكارها، وبأنّه أمسك بها تتحدث مع صديقها التونسي (المقاتل مع التنظيم)، وأنّه أي والدها- شارك في النقاش معهما، وحاول التونسي إقناعه بضرورة السماح لابنته بالذهاب إلى سوريا والالتحاق به هناك، لكن والدها رفض ذلك، ما دفع بالفتاة إلى التفكير بالسفر من دون إذن والديها والزواج بصديقها هناك.وكان التفكير الأوليلهما بأنّ يكون ذلك عبر المغرب، ثم قررت لاحقاً السفر إلى تركيا واشترت بطاقة باتجاه واحد، والتي عثر والدها عليها، فأخبر المحققين الفدراليين، وتم القبض عليها وهي في مطار دنفر في طريقها إلى تركيا[٦٤٣].

---

(٦٤٢) https://www.facebook.com/halima.conley?fref=tsand Snejana Farberov and Daniel Bates, American nurse who was arrested for trying to join ISIS set her Facebook profile to 'slave of Allah', op.cit.

(٦٤٣) https://cchs.gwu.edu/sites/cchs.gwu.edu/files/downloads/Conley%20Criminal%20Complaint.pdf

اعتُقلت حليمة، في ٨ أبريل/ نيسان ٢٠١٤، وتمّ الحكم عليها في بداية العام ٢٠١٥ بالسجن لمدة أربعة أعوام، لنيّتها تقديم دعم مادي لمنظمة إرهابية. وانهارت خلال المحكمة بالبكاء، وأعلنت تراجعها عن أفكارها، وادّعت بأنّها تعرّضت لغسيل دماغ، واعتبر والدها بأنّ الحكم بمثابة انتصار جزئي لتنظيم الدولة الإسلامية، الذي يهدف إلى تخويف المجتمع الأميركي. لكن المحققين والمراقبين يشككون بصدق ادعائها بتراجعها عن أفكار تنظيم الدولة الإسلامية[٦٤٤].

هذه هي أغلب التفصيلات المهمة عن قضية حليمة كونلي، التي تقضي حالياً عقوبة السجن.انتشرت في وسائل الإعلام الأميركية قصّة حليمة، والقصّة وإن كانت تتبنى بصورة كبيرة فرضية التجنيد عبر الإنترنت، إلاّ أنّها لا تمنحنا إجابات مهمة أخرى، عن الجانبين السيكولوجي والسوسيولوجي لها، أي في العالم الواقعي، عن تربيتها وشخصيتها، وعن الأسباب النفسية التي قد تكون دفعت بفتاة تبلغ من العمر حينها ١٨ عاماً (في العام ٢٠١٣) إلى أن تعتنق الإسلام، بالرغم من أنّ والدها يدرس في جامعة كاثوليكية، ولا تُقدّم لنا القصّة الإعلاميّة تفاصيل علاقاتها بزملائها وأصدقائها قبل مرحلة التحوّل واعتناق الإسلام!

على العموم، ما يتوافر من معلومات وشهادات المحققين ووالديها والمعطيات هو أنّ هنالك بالفعل دوراًكبيراً قام به صديقها التونسي، في مرحلة معينة، في إقناعها بأفكار تنظيم الدولة الإسلامية، واستثمر حالة معاناة السوريين والشعور بالاضطهاد من قبل نسبة كبيرة من المسلمين في العالم ليقوم بتعبئة عواطفها، ثم إقناعها بإيديولوجية التنظيم وأفكاره، وبالزواج منه والذهاب معه إلى سوريا للقيام بدور داعم للمقاتلين هناك.

(٦٤٤) السجن ٤ سنوات لأمريكية "حاولت الالتحاق بداعش"، موقع البي بي سي العربي، ٢٤ يناير ٢٠١٥، على الرابط التالي: http://www.bbc.com/arabic/world-news/2015/01/150124_us_woman_jailed_is

جايلين يونغ.. "كل الفتيات الأميركيات"

تُمثّل جايلين يونغ نموذجاً مختلفاً عن النماذج الأخرى، عموماً، فهي فتاة في الـ٢١ من عمرها (حالياً). كانت في العام الثاني من دراسة الكيمياء في جامعة مسيسيبي (٢٠) عاماً، عندما اعتنقت الإسلام في شهر مارس/آذار ٢٠١٥، وكانت تفكر باعتناق الإسلام منذنوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٤[٦٤٥].

تزوجت جايلين من شاب أميركي، من أصول فلسطينية، اسمه أحمد عودة دخل الله (عمره ٢٣ عاماً حالياً)، وقد تخرّج من الجامعة بتخصص علم نفس، في شهر يوليو/تموز ٢٠١٥، قبل أسابيع قليلة من الإمساك به وبجايلين في المطار، في شهر أغسطس/ آب ٢٠١٥، وهما في طريقهما إلى تركيا، ليلتقيا بالمجنّد المزعوم لهما من تنظيم الدولة الإسلامية، ليقودهما إلى سوريا، وفق تحقيقات مكتب التحقيقات الفيدراليّة، فكانت تريد أن يكون شهر العسل بمثابة "غطاء" لها للسفر إلى تنظيم الدولة.

تبيّن لاحقاً أنّ مكتب التحقيقات الفدرالية قد لاحظ مبكّراً إعراب جايلين عن دعمها لتنظيم الدولة الإسلامية، عبر صفحتها على الفيس بوك، فقاموا بوضع عميل يتواصل معها، بوصفه أحد أعضاء التنظيم، ولا نعرف فيما إذا كان العميل هو الشخص الوحيد، الذي تواصل معها بوصفه عضواً من التنظيم، وأوهمها بخطة الهروب ليتم القبض عليها لاحقاً، أم أنّ هنالك بالفعل تواصلاً بينها وبين أعضاء في التنظيم![٦٤٦]

حُكم عليها في شهر مارس/آذار ٢٠١٦ بعقوبة ١٢ عاماً من السجن، بتهمة التآمر لتقديم دعم مادي لتنظيم الدولة الإسلامية[٦٤٧].

(٦٤٥) https://en.wikipedia.org/wiki/Jaelyn_Young

(646) http://www.counterextremism.com/extremists/jaelyn-young

(647) JEFF AMY ,Mississippi woman gets 12-year sentence on terrorism charge,11 August 2016. At:

بالعودة إلى تفاصيل القصة المنشورة، فإنّ المباحث الفدرالية تحيل الأسباب إلى ما ينشر على الإنترنت، من قبل تنظيم الدولة الإسلامية. فقد تأثرت جايلين بها، وبحثت عن شخص يمكن أن يساعدها في فهم الإسلام، فكان أحمد دخل الله، هو ذلك الشخص، الذي تعتبره المحكمة متأثراً بجايلين يونغ أيضاً، فقد أقرت جايلين في المحكمة بأنّها هي من خطط وتواصلت مع العضو المزعوم في التنظيم، وحثّت زوجها على قبول الفكرة، وصححت له الأكاذيب التي يبثها الإعلام الغربي عن تنظيم الدولة، وكان هو متردداً وقلقاً من أن يتم إلقاء القبض عليهما قبل أن يصلا إلى أراضي التنظيم[٦٤٨].

إذا حاولنا البحث أكثر في المحيط الاجتماعي والحالة النفسية ليونغ، فلا يوجد، على الأقل فيما هو منشور، ما يشير إلى ظروف اجتماعية مناسبة أو محفّزة لها، فوالدها هو ضابط شرطة في الولاية، منذ ١٧ عاماً، وأمضى ٢١ عاماً في البحرية العسكرية الأميركية، ووالدتها مسؤولة المدرسة في المدينة التي تعيش فيها. أمّا يونغ نفسها فقد كانت متفوقة تماماً في مدرستها Warren Central High School، تخرجت كطالبة شرف، متفوقة، من الأوائل على المدرسة، متميزة في رياضة الجمباز، تشارك في المسابقات والمشروعات العلمية، مندمجة في الثقافة الأميركية، كأي فتاة أخرى، بل وُصفت عبر بعض من يعرفونها بأنّها تمثل "كل الفتيات الأميركيات"[٦٤٩].

يمكن التعرّف على شخصيتها أكثر، خلال مرحلة المدرسة، من خلال صفحتها على التويتر، إذ تتحدث عن الأغاني المحببة لديها، وتمتلك علاقات جيدة بصديقاتها،

---

http://bigstory.ap.org/article/383e88cda66c44b6a66c9536a9eb0bbf/mississippi-woman-be-sentenced-terrorism-charges

(648) http://www.counterextremism.com/extremists/jaelyn-young

(649) Catherine E. Shoichet, Mississippi: Daughter of cop, son of imam accused of plan to join ISIS, CNN 13 August 2015. At: http://edition.cnn.com/2015/08/12/us/mississippi-couple-isis/

وتتعاطف مع المثليين جنسياً. لكن، في الوقت نفسه، من الواضح أنّ لديها نزوعاً نقدياً من "التدين السائد" المسيحي، بالرغم من أنّها من عائلة توصف بالمتدينة، كما نلاحظ في نشرها لرسم فيه تجسيد لشخصية المسيح وحوار بينه وبين أشخاص يدّعون التزامهم بتعاليمه وهم غير صادقين![٦٥٠]

لا نجد أنّ ظروف خطيبها محمد دخل الله تختلف جوهرياً عن ذلك، فوالده هو إمام مسجد معروف بالمدينة، حاصل على شهادة الهندسة المدنية، لكنّه يعمل في مجال الوعظ الديني، وقد هاجر إلى الولايات المتحدة، منذ عقود. يدعو وفق الشهادات- إلى أفكار معتدلة، معادٍ لأفكار تنظيم الدولة الإسلامية، أصوله من الضفة الغربية في فلسطين، ووالدة خطيبها هي أميركية اعتنقت الإسلام، ومن سكان الولاية،تعمل في مجال تقديم "خدمات الطعام" Catering، وتسمّى بسيدة الحمص، لأنّها تقدم الطعام الشرق أوسطي للمتاجر في المدينة.

يوصف خطيبها، أيضاً، بأنّه كان حاد الذكاء، متميز في المدرسة، لا توجد عليه علامات التطرف. تدرب على الجودو والتايكواندو، ودرس علم النفس، وهو هادئ، لا يتذكر معلمون له أنّهم رأوه غاضباً أو عصبياً[٦٥١].

قد يكون العامل الرئيس أو المحفّز لتحول جايلين إلى الإسلام، ثم اعتناقها أفكار تنظيم الدولة الإسلامية هو نشاطها على مواقع التواصل الاجتماعي. لكن والديها، يتحدثون عن "نقطة تحول" أخرى هي التي أثّرت عليها ودفعت بها إلى الخطّ الراديكالي، وهي "أزمة عاطفية" مرّت بها بعد دخولها إلى الجامعة، وتحديداً في العام

---

(650) https://twitter.com/jaelynxyoung?lang=ar
Also: RICHARD FAUSSET, Young Mississippi Couple Linked to ISIS, Perplexing All, New York Times, AUG. 14, 2015. At:
http://www.nytimes.com/2015/08/15/us/disbelief-in-mississippi-at-how-far-isis-message-can-travel.html?_r=0

(651) Catherine E. Shoichet, Mississippi: Daughter of cop, son of imam accused of plan to join ISIS

٢٠١٤، أدّت إلى عزلتها، وهو ما يفسر تحولاتها اللاحقة، وهو ما قد يراه البعض بأنّه محاولة لاستعطاف القضاة، لكن والدتها تؤكد على أنّ تلك الأزمة كانت قاسية عليها. ويلوم والداها نفسيهما بأنّهما لم يفعلا الكثير لإخراجها من تلك الحالة، فوالدها يقضي أغلب وقته خارج المنزل في العمل والانتقال لدول أخرى في العالم، مع البحرية الأميركية، ووالدتها تقول بأنّها كان يفترض أن تبذل مجهوداً كبيراً لمساعدة ابنتها.

حتى جايلين نفسها، ترى بأنّ تلك الأزمة أخرجتها عن طبيعتها، وكأنّها أفقدتها عقلها " لم أكن أنا، قلت أشياء وعملت أشياء مناقضة تماماً لي، كثير منها يبقى سريالياً بالنسبة لي، عندما بدأت الأمور تعود إلى نصابها، بدأت أشعر بالخجل"[٦٥٢]. لكن، لا يمكن الجزم تماماً فيما إذا كانت تلك "الأزمة العاطفية" وحدها هي ما قادها إلى الإسلام، عبر أصدقاء لها بالكلية، أم أنّها لم تكن تشعر بالقناعة في الديانة المسيحية، بالرغم من أنّ عائلتها كما ذكرنا سابقاً- متدينة، وأنّها كانت هي بنفسها تمارس العبادة في الكنيسة، سابقاً[٦٥٣].

بالرغم من "حماسها" للانتقال إلى الرقة، عبر ما رصده عميل المباحث الفدرالية، وتأكيدها على أنّها يمكن أن توظف مهاراتها بالرياضيات والكيمياء لخدمة التنظيم، ومهارة خطيبها في الكمبيوتر، ومن تأكيدها على رغبتها في الانضمام إلى إخوانها وأخواتها في الدولة الإسلامية، فإنّ مراجعة صورها على صفحاتها الخاصة لا تظهر أي نقطة تحول عميقة في ثقافتها وحياتها، ولا ارتدائها الحجاب، كما حدث مع شانون كونلي، على سبيل المثال. وحتى الصور المنشورة عن خطبتها في شهر يوليو/تموز، أي

(652) JEFF AMY ,Mississippi woman gets 12-year sentence on terrorism charge, op.cit.

(653) Sarah Fowler and Therese Apel, ISIS in Mississippi: Who are Muhammad Dakhlalla and Jaelyn Delshaun Young?,, Claion Ledger, 12 August 2015. At: http://www.clarionledger.com/story/news/2015/08/11/isis-mississippi-muhammed-dakhlalla/31460109/

قبل أسابيع قليلة من القبض عليها، لا تظهر عليها أي علامات تغيّر، في ملابسها![٦٥٤]

في ضوء ذلك، تبدو فرضية "الأزمة العاطفية" الأقرب إلى تفسير قرارها بالهجرة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، كمحاولة "هروب إلى أمام" أو ردّ فعل على الصدمة التي تعرضت لها في الجامعة، وقادتها إلى العزلة، كما تذكر والدتها.

خلاصات

ناقشنا في هذا الفصل أربع حالات عن أميركيات تأثرن بتنظيم الدولة الإسلامية، وحالة أخرى للباكستانيّة (تاشفين مالك)، التي تحوز على إقامة في أميركا. وثمّة، بالطبع، حالات أخرى، ممن تأثرن بأيديولوجية التنظيم، سواء التحقن به أو حاولن الالتحاق أو قمن بعمليات لصالحه في الولايات المتحدة الأميركية.

من خلال الحالات السابقة، وغيرها من حالات أخرى التي تحدّثت عنها وسائل الإعلام بصورة مختصرة، يمكن الخروج بعدة ملاحظات:

من الملاحظ، **أولاً**، أنّ الإنترنت في الحالة الأميركية لعب دوراً حيوياً وفاعلاً، ومؤثّراً بصورة كبيرة، أكثر من علاقات القرابة الأولية والصداقة، فجميع الحالات التي قرأنا عنها، بما فيها حالة تاشفين، كان "التجنيد الإلكتروني" فيها عاملاً رئيسياً، وهو ما حصل مع الجميع (أريل برادلي، هدى محمد، شانون كونلي وجايلين يونغ)، وقرأنا غالباً مصطلح "التطرّف الذاتيSelf- Radicalized"، في أغلب تلك الحالات، عبر الإنترنت، فيما كان الأهل يفضلون مصطلح Brain Washing "غسيل الدماغ"، عبر شبكة الإنترنت، وهو ما يشي بأهمية وخطورة هذا العامل في النماذج النسائية الجهادية الأميركية.

الملاحظ، **ثانياً**، وجود دور رئيس لأحد الرجال في أغلب عمليات التجنيد التي تمّت، وعلى الأغلب عبر شبكة الإنترنت، أوعبر أحد المواقع الإلكترونية المتخصصة

(٦٥٤) http://www.counterextremism.com/extremists/jae-lyn-young

بالتعارف بين الرجال والنساء، من أجل الزواج. فتاشفين مالك تعرفت على سيد فاروق، بهذه الطريقة، وكذلك الحال لدى شانون كونلي، التي تعرّفت على شاب تونسي. وأقنعت جايلين يونغ خطيبها أحمد دخل الله، بالذهاب إلى الرقة، فيما تعرّفت أريل برادلي على محمد ياسين عن طريق مواقع التعارف الإلكترونية، أمّا هدى محمد فهي الوحيدة التي لم يُسجل مثل هذا التعارف الإلكتروني في حالتها، وإن كانت تزوجت بعد شهر واحد من وصولها إلى الرقة بشاب أسترالي. لكنّها في المقابل تعرّفت على أقصى محمود، الفتاة البريطانية، التي انتقلت إلى "الدولة الإسلاميّة" وساعدت هدى على رسم خطواتها في الطريق نفسها.

مع ذلك، وبالرغم من الاعتراف بدور الإنترنت في عملية التجنيد، إلاّ أنّ هنالك سياقاً نفسياً واجتماعياً يساهم بدرجة كبيرة بتأهيل الشخص لتقبّل فكرة التجنيد، واستلهام فكرة الرسالة السياسية والإعلامية للتنظيم. وإذا حلّلنا الحالات المختلفة، فسنجد أنّنا أمام عوامل متنوعة، متشابكة؛ ففي حالة أريل برادلي وشانون كونلي نجد أنفسنا أمام أسرة مسيحية متدينة، يرتبط سؤال الفتيات فيها بمسألة الهوية وبالعلاقة مع الدين، والحالة نفسها على الطرف الآخر- بالنسبة لهدى محمد، من أسرة مسلمة متدينة، لكن مع ردود فعل مختلفة على البيئة الاجتماعية الأسرية المحيطة انتهت إلى تنظيم الدولة.أما شانون كونلي،فقد ذهبت باتجاه القراءة في الأديان ومحاولة الغوص بعمق فيها، وتعرفت خلال ذلك على الشاب التونسي، عبر الإنترنت، فانتقلت إلى الطرف الآخر من التديّن، ودخلت في سجال طويل مع والدها و محققي مكتب التحقيقات الفيدراليّة FBI، دون أن تتراجع عن أفكارها، وكان من الواضح أنّها قطعت شوطاً كبيراً في التعرف على إيديولوجية التنظيم. والحال كذلك بالنسبة لأريل برادلي، التي تمرّدت على والدتها وعلى تربيتها الدينية الصارمة، عبر مراحل متعددة من البحث عن الهوية، وانتهى بها المطاف إلى الجانب الآخر من الأصولية، أي الأصولية الدينية الإسلامية. أمّا هدى محمد، فيبدو أن تمرّدها أخذ شكلاً آخر، من خلال قطع مسافة أكبر من التدين المتشدد إلى التطرف الديني، وفاجأت والدها،القلق على هويتها،بتطرف هويّاتي ديني أكبر!

في حالة جايلين يونغ وأريل برادلي نجد عنصراً آخر، وهو "الصدمة العاطفية"، فجايلين وفق شهادة والدتها- تعرّضت خلال فترة الجامعة إلى صدمة عاطفية، غير

معروفة لدينا، لكنّها شكّلت نقطة تحول في حياتها، ودفعت بها إلى القراءة على شبكة الإنترنت، والتعرف على الدين الإسلامي، ثم اقترنت بزوجها الجديد أحمد، الذي أقنعته بالسفر معها إلى سوريا. أمّا أريل برادلي فقد عاشت أكثر من صدمة عاطفية، لكن الصدمة التي نقلتها إلى التفكير في الدين، ثم التشدد والتطرف، تمثلت برفض صاحب المطعم المسلم، الذي عملت فيه، المضي خطوات أكثر في العلاقة بينهما، نظراً لأنه مسلم، ويبدو أنّها كانت قد وقعت في حبه والإعجاب بشخصيته.فبدأت تقرأ عن الإسلام، لمعرفة خلفيته أكثر، وربما لتقصير المسافة بينهما، لكن ما حدث هو العكس تماماً، إذ قادتها خطواتها في البحث عن الهوية والدين إلى التعرف على النسخة المتشددة من الإسلام، وإلى مناصري التنظيم، ومن ثم اتجهت إلى الرقة!

من الضروري ألا ننسى أنّ طبيعة المجتمع الأميركي نفسها ساهمت في توفير شروط التحوّل في جزء من القصص التي تحدثنا عنها، فالجيل الشاب على علاقة متواصلة دائمة مع شبكة الإنترنت، وهو جيل الآي فون، ما يجعله يقضي أغلب الوقت على الفضاء الإلكتروني (On Line)، ويجعله متحرراً من القيود الاجتماعية الأسرية المحيطة؛ يجد في العالم الافتراضي مساحة واسعة من العلاقات والأفكار المتنوعة، من دون وجود اهتمام كبير في الأوساط الاجتماعية والثقافية هناك ببناء حواجز ضد التطرف الديني، لعدم أولوية القضية لشريحة اجتماعية واسعة. ومن ثمّ فإنّ التقاط بعض الأشخاص من قبل التنظيم أمر يسهل توقّعه، خاصة وأنّ التنظيم تمكّن عبر دعايته الإعلامية من كسر حاجز اللغة (فكثير من أشرطته وأفلامه وخطاباته تُقدّم باللغة الإنجليزية، بما في ذلك مجلة دابق)، الأمر الذي منح التنظيم نقاطااتصال وتأثير واسعة في مهمة البحث عن مجنّدين جدد، بالإضافة لاستثماره لمعاناة الشعب السوري، ولما يقع في حقه من تجاهل دولي وعالمي، وما يتعرض له من مآسٍ إنسانية؛ كل ذلك كان بمثابة عوامل مساعدة ومحفّزة على قبول رواية التنظيم الإلكترونية الإعلامية.

الملاحظ، **ثالثاً**، وجود خبرة متميزة لأنصار التنظيم في التجنيد عبر الإنترنت، والقدرة على إقناع المجنّدات (المرشحّات) بأفكارهم. ويتميز هؤلاء أيضاً، سواء أكانوا رجالاً أو نساءً، بسياسة النَفَس الطويل، ومن الممكن أن يبقوا شهوراً على تواصل مع الشخص المقصود، والرد على أسئلته ونقاشاته، وهو ما حصل بصورة ملحوظة، مع

أليكس (لم نتحدث عنها، لأنّه لم يثبت من خلال تفاصل القصة أنّ المجنّد هو عضو في تنظيم الدولة رسمياً، لكن الحالة تبقى نموذجاً على عملية التجنيد)، إذ بقي المجنِّد على تواصل معها لأكثر من عام ، لإقناعها بأفكاره، وكان يرسل لها الهدايا، ويدخلها في عالم من الأصدقاء الافتراضيين، الذين يجعلونها تشعر بتكوّن مجتمع جديد حولها[٦٥٥].

رابعاً، من الملاحظ أنّ هنالك سمة مشتركة، نسبياً، بين أغلب الحالات، وهي "العزلة"، إذ يقوم المجنِّد بدعوة الفتاة – أو هي تقوم بذلك بإرادتها- بعزل نفسها عن المحيط الاجتماعي، وتبدأ علامات التغيّر تحدث لديها في الاتجاه نحو التشدد الديني، في اللباس، والمواقف من الأصدقاء، وحتى من المجتمع الإسلامي المحيط؛ فكثير من النساء يرفضن الأفكار المعتدلة في المراكز الإسلامية القريبة.

الملاحظ، **خامساً**، أنّنا أمام مستويات متنوعة من العمر والدراسة والاهتمامات الشخصية، فتاشفين وآريل في نهاية العشرينيات وعلى بداية الثلاثينيات من أعمارهما، بينما هدى وجايلين وشانون في بدايات العشرينات من أعمارهما، وهنالك حالات لمحاولات هروب من قبل مراهقات، فسنّ الشباب هو السنّ الغالب، ومعظم الحالات تقع أعمارهنّ ما بين الـ١٨ والـ٣٠ عاماً[٦٥٦].

---

(655) RUKMINI CALLIMACHIJUNE, ISIS and the Lonely Young American,The New York Times, June 27, 2015. At:
- /dlrow/82/60/5102/moc.semityn.www//:ptth lmth.naciremа-gnitiurcer-enilno-sisi/sacirema

(656) Matthew Blake, Three Denver girls were lured by ISIS who used 'Disney-like' versions of extremism on social media, mail on line, 24 October 2014.at:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-2804934/Girls-journey-renews-fears-terror-recruiting.html#ixzz4Ub9dMyig

سادساً، أنّ أغلب الحالات كنّ جامعيات، ومن أوضاع اقتصادية مريحة، باستثناء حالة أريل برادلي، التي كانت تعاني الفقر الشديد في صغرها، ولم تكمل تعليمها، لأنّ والدتها كانت تريد الاكتفاء بالتعليم المنزلي، وإن كانت هي قد حاولت "تعويض" ذلك، من خلال المشاركة في الأنشطة المختلفة، وفي محاولة إكمال التعليم. أمّا البقية فنحن نتحدث عن عائلات من الطبقة الوسطى عموماً، ومن الجامعيات، فهدى كانت تدرس الاقتصاد في الجامعة ، وشانون كونلي أنهت دراسة التمريض، وجايلين يونغ كانت تدرس الكيمياء، وتاشفين مالك أنهت الصيدلة.

خاتمة الكتاب: نتائج ومؤشرات عامة

مررنا خلال القسم الثاني على قرابة ٤٧ حالة دراسية، بدرجة من التفصيل المتباين، بين نماذج وأخرى، وبالرغم من أنّ العينة ليست ممثلة، تمام التمثيل، للنسائية الجهادية؛ الداعشيات أو القاعديات، إذ إنّ اختيار الحالات قد ارتبط بما يتوافر من معلومات إعلامية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، ما لا ينطبق بالضرورة على المعايير العلمية المطلوبة في تحديد وتصنيف العينات، إلاّ أنّ ثمّة مؤشرات ونتائج مهمّة يمكن استخلاصها من الحالات المدروسة، من دون أن نعمّمها على مجمل الحالة النسائية الجهادية العالمية أو حتى المحلية في أي دولة، أو الإقليمية.

أولاً- بين القاعدة وتنظيم الدولة:

من الواضح أنّ الجيل الجديد هو أقرب إلى تنظيم الدولة الإسلامية، من القاعدة، فقد امتاز تنظيم الدولة بكفاءته في عمليات التجنيد، مقارنةً بتنظيم القاعدة، وذلك عائد لامتلاكه قدرات أفضل في التجنيد والدعاية السياسية، واستخدام اللغات المحلية والإنترنت والتكنولوجيا، و تغلغله في وسائل التواصل الاجتماعي، بما يفوق القاعدة، التي امتلكت هي الأخرى قدرات في هذا المجال، لكن التنظيم تفوّق عليها في محتوى وكم المواد الدعائية والإعلامية والحسابات المرتبطة به، على مواقع التواصل الاجتماعي، ما شكّل بالفعل طفرة حقيقية.

مما ساعد تنظيم الدولة على استقطاب النساء هو امتلاكه لمشروع "دولة"، بينما كانت القاعدة ترفض هذا المبدأ، بالرغم من وجود حالة "هجرة" لدى نساء القاعدة سابقاً، إلى الأراضي التي كان يسيطر عليها تنظيم طالبان، لكن ذلك غالباً جاء في سياق كونهن "نساء المقاتلين"، وليس في سياق حالات نسائيّة مستقلة؛ أما تنظيم الدولة فقد خلق دعاية افتراضية كبيرة وفعّالة للدعوة إلى الهجرة إلى الأراضي "التي تحكم بالشريعة الإسلامية"، ما استهوى النساء المتدينات. ووظّف التنظيم الرموز

الدينية مثل الخلافة الإسلامية والحجاب والمواجهة مع الغرب والحكم الإسلامي في خدمة الدعاية، وهو الأمر الذي نجح به بصورة ملحوظة.

ثانياً- التحولات في النسائية الجهادية:

ترتب على النقطة الأولى نقطة أخرى على درجة أكبر من الأهمية، تتمثل في تحوّل مسار النساء الجهاديات من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، وهو تحول تمّ على أكثر من صعيد، الأول الكمّ، فهنالك نسبة مرتفعة من النساء الجهاديات الداعشيات مقارنة بالقاعدة، والثاني على صعيد الدور، فدور المرأة في تنظيم الدولة هو دور رئيس وأساسي مقارنة بالدور الثانوي والمحدود للمرأة في تنظيم القاعدة. إذ يتوافر تنظيم الدولة على شخصيات نسائية قيادية مثل إيمان البغا وريم الجريش وندى القحطاني، ووفاء الشهري، وأقصى محمود، وهنالك مهمات متعددة للنساء؛ مثل الطبابة والتعليم والفتوى، والحسبة وصولاً إلى القيام بالعمليات القتالية، ومنها الانتحارية، وهو ما لم يكن متوافراً في الحالة القاعدية.

لو استعرضنا نماذج متعددة في هذا المجال، سنجد أنّ بنان هلا، المؤيدة لداعش، في السعودية دخلت في مواجهة مسلحة مع الأمن، وكذلك الحال مع حسناء بولحسن، وقتلتا. واتُّهمت حياة بومدين بالمشاركة بالإعداد للعمليات، واتهمت كلّ من إيناس مدني وشريكاتها بتشكيل خلية نسائية داعشية للقيام بعمليات في فرنسا، وقبلهنّ اتهمت ساجدة الريشاوي بالمشاركة في عملية انتحارية (فاشلة) في فنادق عمان. وكذلك الحال لدى تاشفين مالك، التي شاركت زوجها في عملية الهجوم على الاحتفال، ثم الاشتباك مع الشرطة، حتى قتلا معاً.

في حين أنّ النساء البارزات المرتبطات إعلامياً بالقاعدة، لم يبرزن إلاّ عندما عملن بصورة مستقلة، بعيداً عن التنظيم، مثل فتيحة المجاطي، التي كانت تكتفي بدورها كزوجة مقاتل عندما كانت في أفغانستان والسعودية؛ لكنّها عندما أصبحت وحيدة في المغرب، عملت بصورة مستقلة، وبرزت إعلامياً، ثم انتقلت إلى تنظيم داعش، والحال لا تختلف كثيراً عند مليكة العرود.

ومن الفروق المهمة في الحالتين الداعشية والقاعدية، بالإضافة إلى الدور والعدد والأهمية، الفتاوى. فقد كانت القاعدة أكثر تحفظاً وتقليديةً في رؤيتها للمرأة، بينما وظّف تنظيم الدولة الفتاوى الدينية بمرونة ملحوظة، بما يخدم أجندته الدعائية والسياسية، والمثال الصارخ على ذلك هو الفتوى المعروفة، في الفقه الإسلامي، بعدم جواز سفر المرأة من دون محرم، ذلك ما التزمت به القاعدة، قدر المستطاع، بينما اختلف الأمر في الحالة الداعشية، إذ أصبحت هناك تسهيلات كبيرة لقرار السفر من دون محرم، ولعملية الزواج من دون موافقة ولي الأمر.

مما يضاف من فروق، هو تطوير مهارات التحايل لدى المجنّدين والمجنِّدين، مقارنة بين تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية، فقد لاحظنا كيف أنّ الفتيات السودانيات والسعوديات، وحتى الأميركيات والأوربيات تحايلن على عائلاتهن بصورة محترفة للإفلات من الرقابة وحالة القلق، وتمكّنّ من الهرب. وفي أغلب الحالات، وجدنا أنّ هنالك نَفَساً طويلاً على مواقع التواصل الاجتماعي، من قبل المجنِّد، عبر عملية معقدة وطويلة تأخذ وقتاً، قد يمتدّ شهوراً طويلة، في التجنيد والتثقيف على أفكار التنظيم، وهي العمليات التي لم تأخذ نفس القدر من الاهتمام والأهمية لتنظيم القاعدة سابقاً.

ثالثاً- التمييز بين الأسباب والديناميكيات:

من الفرضيات الخاطئة التي سادت في الإعلام الغربي والعربي، وحتى لدى المسؤولين والعديد من الباحثين، إلصاقُ تهمة التجنيد والتأثير على الفتيات بعالم الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وبما يسمى بعملية غسيل الدماغ Brain Washing. وكل ذلك صحيح بوصفه ديناميكيات مستخدمة في عملية التجنيد والتثقيف لدى تنظيم الدولة الإسلامية، لكن هنالك فرقاً بينها وبين الشروط والأسباب التي تدفع المرأة إلى الانخراط في الحركات الجهادية، فالديناميكية جزء من العملية، أما الأسباب الموضوعية فأمر مختلف تماماً، لأنّها أي الشروط والأسباب- تفسّر لنا لماذا تتأثر (س) وليس (ص) في محتوى دعاية داعش، في حال تعرضت كلتاهما للمادة نفسها.

نجد – من خلال النماذج السابقة– عوامل وشروط متعددة تساهم في فهم جاذبية التنظيم للنساء، تتمثّل أوّلاً بوجود "مشروع سياسي" بديل، عن الحياة الغربية الحداثية التي تعيش فيها الفتيات الغربيات، وعن الأنظمة العربية العلمانية. وهذا مشروع أي دولة داعش–هو المفتاح الرئيسي، من وجهة نظرنا، في تفسير صعود النسائية الجهادية، لأنّه يرتبط بقضية الهوية. فالفتيات الأوروبيات والغربيات، من أصول إسلامية وغربية، يبحثن عن مشروع ينسجم مع أفكارهن وعقائدهن ورؤيتهن لهويتهن الدينية، بدلاً من الحداثة الغربية، وهو ما وفّرته الدعاية الإلكترونية في التنظيم عن يوتوبيا الخلافة والدولة الإسلامية والمدينة الإسلامية الموعودة، التي لا تحتوي على "أمراض الحداثة"، في فكر هؤلاء الفتيات. فأزمة الهوية الإسلامية سهّلت الطريق أمام دعاية التنظيم الإعلامية، وعزز ذلك كله قدراته وكفاءته على مواقع التواصل الاجتماعي.

نزعم أنّ أغلب الفتيات لم يذهبن إلى هناك من "أجل الشهادة" فقط؛ ومن أجل أن يقتلن، بل من أجل الحياة قبل ذلك. ذلك لا ينفي الجانب الآخر، أي رغبة نساء وفتيات في القتال والقتل، طمعاً في الوصول إلى "مرتبة الشهادة"، وهي مرتبة دينية رمزية في الثقافة الإسلامية. لكن من الواضح أنّ غالبيتهنّ كنّ يبحثن عن مجتمع بديل أكثر انسجاماً مع رؤيتهن للدين والمجتمع والدولة.

يعزّز هذا الجانب الأزمة السياسية العربية الراهنة، والشعور بالضعف والإحباط وخيبة الأمل لدى نساء كثيرات مما يحدث في سوريا والعراق، ومن الذل الذي تعيش فيه المجتمعات والشعوب العربية، ومن غياب قوة عربية إسلامية"سنيّة"(أصبح مصطلح"السنّية"أساسياً اليوم مع التمدد الإيراني الذي يوظّف المذهب الشيعي) تقوم بالدفاع عن المجتمعات والشعوب، فقدّم تنظيم الدولة نفسه بديلاً لملء الفراغ السياسي العربي.

ولاحظنا كيف تبادلت العوامل العاطفية والدينية والسياسية التأثير في تشكيل نقطة التحوّل لدى النماذج السابقة، فهنالك من النساء من كان مدخلهنّ للسلفية الجهادية هو الجانب السياسي، أي الشعور بالقهر من الذل من الهزائم، والذي بدأ لدى بعضهن مع حرب الخليج الثانية ١٩٩١ (مثل فتيحة المجاطي)؛ وكثيرات تأثّرن

بالأزمة السورية الحالية. وهنالك في المقابل من النساء من كان مدخلهن دينياً أو روحياً، مثل حسناء بولحسن ومليكة العرود، أي الشعور بالحاجة إلى الانتقال من حياة لادينية إلى حياة دينية، وهنالك حالات كان المدخل فيها إنسانياً، مثل الطبيبات السودانيات، وأخريات كان مدخلهنّ هو البحث عن المشروع البديل للحداثة الغربية، وهنالك أسباب مرتبطة بأزمات عاطفية.

في كل الحالات يمكن أن نتلمس موضوع الهوية، فالأزمات السياسية والذل والهوان والمداخل الإنسانية والعاطفية والروحية كلها وجوه متعددة لسؤال الهوية والمعنى بأبعاد متنوعة ومتعددة، وقد برع التنظيم في استثمار وتوظيف النقاط والخطوط الحسّاسة لهذا السؤال عبر استنطاقه "الهوية المتخيلة" عن المجتمع المسلم الذي يحكم بالشريعة، والحياة الروحية المريحة، ورضوان الله، والشهادة، وإقامة الخلافة، والدفاع عن المسلمين، ومواجهة الصليبيين والشيعة وإيران والأنظمة العربية الفاسدة، فكل هذه العناوين يمكن أن نجدها في كتاب الهوية وفصوله وأبوابه المختلفة والمتعددة.

أمّا عن الديناميكيات، فقد لعب الإنترنت دوراً مهماً وحيوياً، بخاصة أنّنا نتحدث عن جيل الآيفون والآيباد، وهو جيل يمضي وقتاً طويلاً على هذه الأدوات، ما يسهّل التواصل معه والوصول إليه عبر المنظّمين والمجنّدين، الذين أخذوا ينوّعون بالخطاب ويستخدمون الصور والرموز ويداعبون العواطف والمخيلة بصورة كبيرة، فأصبح الإنترنت ديناميكية رئيسة للتجنيد.

لكن، في المقابل، فإنّ هنالك أدوار أكثر أهمية من الإنترنت برزت في كثير من الحالات، وتتمثّل في علاقات الصداقة والمصاهرة والقرابة الأولية. ففي الحالة السعودية كانت علاقات المصاهرة والصداقة والقرابة والزواج هي العامل الرئيس الأوّل في الديناميكيات والمؤثرات الداعشيّة، المباشرة وغير المباشرة، ورأينا كيف أنّ مجتمعاً جهادياً قد تشكّل بصورة فاعلة ونشطة في وسط المجتمع السعودي نفسه، دون الحاجة إلى "الهجرة" إلى أراضي تنظيم الدولة أو القاعدة. لكن الصدام بين هذا التيار والسلطة السياسيّة أدى إلى احتجاز آلاف المعتقلين، والبدء باعتقال النساء، كل ذلك كان دافعاً لبروز وتزايد ظاهرة السعوديات الجهاديات المهاجرات.

في كثير من الحالات لا بد أن نجد شخصاً مفتاحياً يكون عاملاً مهماً في

التجنيد، سواء كان شقيقاً، أو زوجاً أو أباً، أو حتى حبيباً أو خالاً، أو أماً، الخ.

رابعاً- الخلفية الاجتماعية وكسر الصورة النمطية:

ناهضت هذه الدراسة الصورة النمطية عن الجهاديين عموماً، والنساء الجهاديات خصوصاً. وبالرغم من أنّ العيّنة المدروسة لا تستجيب للشروط العلميّة الصارمة، فهي تعتمد على منهجية "كرة الثلج" Snow Ball، إلاّ أنّ العينة تشير إلى وجود نسبة مهمة من الحالات التي كانت فيها النساء والفتيات مثقفات ومتعلمات ومن الطبقة الوسطى؛ ما ينفي بدرجة رئيسة أهمية ومركزية عوامل أخرى مثل الفقر والبطالة، ونقص التعليم، والبحث عن الزواج، الخ.

أما فيما يتعلّق بالمستوى العمري، فقد وجدنا، من خلال ٤٧ حالة تقريباً، ومما توافر من معلومات وبيانات،بأنّ هنالك ١٣ حالة أقل من عشرين عاماً، و١٢ بين الـ٢١-٢٥، و٩ بين الـ٢٦-٣٠، و٥ بين الـ٣١-٤٠، و٤ في الأربعينيات و٣ في الثلاثينيات. (بالطبع بحسب العمر وقت تسجيل القضية أو القيام بالهجرة أو التحول نحو السلفية الجهادية، لغاية ٢٠١٦).

أي إنّ غالبية النساء الجهاديات في العشرينيات من العمر، ثم ما قبل العشرينيات، بفارق أكثر وضوحاً عن الأعمار الأكبر، مما يجعل فتيات المدارس والجامعات المرشّحات بدرجة رئيسة لهذا التأثر.

أمّا فيما يخص التعليم، فهناك حالتان حاصلتان على الدكتوراه، و٤ على الدراسات العليا، و ٢٢ جامعيات، و٧ طالبات مدارس، و٧ غير متعلمات، فالجامعيات والطالبات الجامعيات هن الأكثر تأثراً بالأفكار، فيما وجدنا أنّ هنالك قرابة ١١ حالة درسن الطب والصيدلة، في البكالوريوس، وحالة واحدة درست الصيدلة في الماجستير، أم باقي الحالات التي وصلت إلى مستوى الدراسات العليا فقد درست، في الأغلب، علوم الشريعة الإسلامية.

عن المستوى الاقتصادي، فإنّ الأغلبية هي من الطبقة الوسطى، بمستوياتها

المختلفة، فهنالك الطبيبات السودانيات من عائلات ثرية، والمراهقات البريطانيات عموماً من عائلات الطبقة الوسطى العليا، وفي السعودية نجد بأنّ الغالبية من الطبقة الوسطى العليا، وهنالك عدد محدود من الطبقة الوسطى الدنيا. بينما يبدو عامل الفقر والحرمان أكثر وضوحاً في الحالة الفرانكفونية، أما الحالات التي تنتمي للنموذج الأميركي في تنتمي، بالمجمل، إلى الطبقة الوسطى.

خامساً– المسؤولية بين العاملين الإيديولوجي والمجتمعي

في أغلب الحالات لم يكن "التعليم" بحدّ ذاته– هو المسؤول عن صعود النسائية الجهادية في العالم العربي أو الغرب، بل على النقيض من ذلك لاحظنا كيف أنّ هنالك شريحة واسعة من النماذج النسائية درسن في مدارس وجامعات غربية وعلمانية، في بريطانيا وفي دول عربية أخرى، مثلما هي حال فتيحة المجاطي، والفتيات السودانيات والبريطانيات، وحتى الفرنسيات اللواتي درسن في المراحل الأولى مناهج تعليم تستبطن العلمانية الصارمة.

قد ينظر البعض إلى النساء السعوديات بوصفهن "الاستثناء" عمّا سبق، أو الحالة الأخرى التي تثبت دور المناهج التعليمية في تدريس السلفية والوهابية في الدفع نحو الطريق الجهادية، وقد يكون هذا صحيحاً للوهلة الأولى، و قد يستنتج المرء بأنّ ثمّة علاقةً بين المناهج التعليمية السعوديّة والظاهرة الجهادية، لكننا إذا ما ولجنا إلى العمق سنجد بأنّ هذا التفسير ركيك ومحدود، فكثير من النساء الجهاديات السعوديات تأثرن بعوامل أخرى، في مقدمتها أقاربهن، أزواجاً أو أباء أو حتى أبناءً؛ وفي حالات كثيرة أشقاء، وربما أخوال كذلك. أما العامل الثاني المؤثر في صعود الجهاديات السعوديات فقد ارتبط بالصدام بينهن وبين السلطة على خلفية حملات "فكوا العاني"، التي أطلقتها نساء المعتقلين وطالبن فيها بالإفراج عن أقاربهن في السجون والمعتقلات أو محاكمتهم، ما أدلى إلى محاكمتهن واعتقالهن، وتنامي شعورهنّ بالظلم والاضطهاد والصراع مع السلطة؛ أي أنّ هذا العامل كان أكثر وضوحاً من سيناريو تأثّر تلك حالات بالمناهج الدراسية التي تلقوها في المدارس.

لا ينفي ذلك بالطبع، أهمية التعليم النقدي في عملية التربية والتنشئة ومواجهة التطرف والإرهاب، لكنّه ليس كلمة السرّ أو حجر الأساس في استراتيجية مكافحة وممانعة التطرف، فثمّة حالات كثيرة من النساء اللواتي درسن هذا النوع من التعليم النقدي الغربي المتحضر، لكنهن انجرفن في نهاية المطاف إلى مسار "النسائية الجهادية"، والعكس صحيح؛ أي أنّ ثمّة عدداً كبيراً من النساء اللواتي درسن تعليماً سلفياً، وتربين في عائلات متشددة، لكنهن لم ينجرفن إلى ذلك المسار. أي إنّ هنالك عوامل سيكولوجية وسوسيولوجية مختلفة ومركّبة تتجاوز فقط مسألة التعليم والمناهج في تفسير صعود النسائية الجهادية؛ ومن ثمّ فلا بدّ أن يتمّ التركيز عليها في سبيل مواجهتها.

سادساً- العامل الجيو سياسي في عمليات التجنيد والتعبئة

صحيح أنّنا لم نتناول الحالات العراقية والسورية في النسائية الجهادية، بالرغم من وجود مؤشرات عديدة على انتشارها، والسبب في ذلك هو قلّة المعلومات ومحدوديتها، إلاّ أنّه من الضروري هنا الإشارة إلى عامل آخر مهم في تفسير الظاهرة؛ ويتمثل في التمييز بين المناطق التي تقع فيها نزاعات وصراعات داخلية من جهة، والدول المستقرة من جهةٍ أخرى. ففي الحالة الأولى تكون قدرة التنظيمات الجهادية على التجنيد والحشد وتسويق دعاياتها الطائفية أكبر بكثير من قدرتها على ذلك في المناطق الأخرى، بما في ذلك تجنيد النساء في هذه التنظيمات.

لماذا؟ لأنّ العامل الهوياتي الطائفي والديني يكون أكثر قوة وتأثيراً، ويقسم المجتمع نفسه على هذا الأساس، ويصبح التجنيد بالجملة، وليس بالحالات الفردية، كما هي الحال في أوربا والغرب والدول العربية المستقلة. ففي العراق وسورية هنالك نسبة كبيرة من النساء المنخرطات في تنظيم الدولة الإسلامية لأسباب عديدة، أولها لأنّ أزواجهن أو أقاربهن أصبحوا أعضاء في هذه التنظيمات، أو لأنّهن أصبحن في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم، وأصبحن أكثر تأثراً بخطابه الديني ودعايته السياسية والإعلامية، ولأنّه أصبح سلطة "الأمر الواقع". وإذا كنّا قد رأينا في الإعلام- نساءً عديدات مسرورات بالتخلص من التنظيم، في المناطق التي خرجت عن سيطرته، إلاّ أنّنا سنجد في المقابل- نساء أخريات تمّ تجنيدهن، وكثير منهن فقدن أزواجهن أو

أقاربهن في الحرب، وأصبحن أكثر تماهياً والتفافاً حول التنظيم، مع نمو الخطاب الهوياتي الاحترابي المتبادل بين فرقاء الصراع.

فلا شكّ بأنّ دوافع الانتقام والشعور بالمظلومية والضغوط الإنسانية الشديدة تقع على النساء في مناطق الصراع والنزاع بدرجة أكبر بكثير منها لدى النساء في المناطق الأخرى، ما يدفعهن ليس فقط إلى الانخراط في هذه التنظيمات، بل وإلى أن يصبحن مستعدات، في كثير من الأحيان، لتنفيذ عمليات انتحارية أكثر من غيرهن، وربما تمثّل نماذج ساجدة الريشاوي والأرامل الشيشانيات، وحالات من الانتحاريات الفلسطينيات، نماذج جليّة على هذه القاعدة.

سابعاً- الظاهرة الجهادية بين "التأنيث" و"التذكير"

من المقولات الهشّة التي تهاوت في أتون النماذج السابقة، القول بأنّ الأفكار الداعشية لا تلائم المرأة، أو أنّ النساء أقلّ حماسةً لها، لأسباب متعددة، مثل أنّ الخطاب معادٍ لحقوق المرأة (في المنظور الحقوقي المعاصر)، أو أنّ النساء أقل ميلاً لمشاهدة القتل والدماء، فضلاً عن المشاركة في العمليات القتالية وفي التطرف الديني.

لكنّنا وجدنا ما ينقض ذلك بدرجة كبيرة، وربما لو فكّرنا قليلاً في تلك الفرضية لوصلنا إلى عكسها، أي القول بأنّ النساء قد (وهنا "قد" للاحتمال والافتراض وليس التأكيد) يكنّ أكثر استعداداً في حالات كثيرة من الرجال، لأنّ العاطفة سلاح ذو حدّين، فالتنظيم الذي تمكّن من توظيف العواطف الإنسانية والدينية والرمزية والطائفية نجح في إحداث "طفرة" على صعيد تجنيد المرأة وتوظيفها لتكون عاملاً فاعلاً في النسائية الجهادية، بينما كانت تكتفي بدورٍ ثانوي مع تنظيم القاعدة سابقاً.

وربما سنجد مفارقة مدهشة في النماذج المدروسة- تتمثّل في أنّ المرأة كلما كانت تنحدر من خلفية اجتماعية أقرب إلى الثقافة الغربية سابقاً، ومن الطبقة الوسطى، ومتعلمة، فإنّها تكون أكثر جرأة وشراسة وقدرة على كسر القواعد الفقهية التقليدية وتجاوزها والدخول إلى مسار الجهادية النسائية كفاعل رئيسي، وليس ثانوياً، مقارنةً بالنساء اللواتي تربين تربية دينية تقليدية، وينتمين إلى الثقافات المحلية المحافظة.

فالفتيات المسلمات اللواتي عشن وتربين في الغرب كما ذكرنا سابقاً- لم يواجهن مشكلة في الظهور الإعلامي والسفر من دون رفقة ذكر، بل والقيام بعمليات انتحارية، مقارنة بالحالات السعودية مثلاً والعراقية والسورية. ففي السعودية واجهت النساء مشكلة كبيرة في الهجرة من دون ذكور مرافقين، وكنّ يصطحبن في كثير من الأوقات أقارب لهن في سنّ المراهقة، ليكونوا بمثابة "محرم" لهنّ، ليتجنّبن مخالفة القواعد الفقهية التقليدية.

ثامناً- ماذا بعد "الطفرة الداعشية"؟

إذا كنّا نتحدث عن "طفرة" في الحالة النسائية الجهادية، فإنّ فرضية "العودة إلى الوراء" هي فرضيّة ضعيفة، خاصّة مع توافر الشروط السياسية والمجتمعية المغذية للراديكالية، ما يعني أنّ المرحلة القادمة، حتى لو تراجع تنظيم الدولة الإسلامية، وفقد سيطرته على كثير من المناطق التي تحت سيطرته، ستشهد حضوراً متزايداً للنسائية الجهادية،التي قطعت مسافة كبيرة في الصعود، والانتشار.

مما يعزز فرضية الانتشار والصعود أنّنا أصبحنا أمام ظاهرة جديدة تتمثل في "العائلات الجهادية"، أو "المجتمعي الجنيني" الجهادي الذي أخذ يتشكل في بعض المجتمعات العربية والمسلمة، وبصورة خاصة في كل من العراق وسوريا؛ فكثير من النساء قمن بالزواج هناك، وأنجبن أبناء وبنات، وأصبحنا ملتحمات بهذه الحالة إلى درجة كبيرة.

وإذا أخذنا مثال فتيحة المجاطي، مثلاً، فقد كانت علاقتها بالظاهرة الجهادية محدودة وثانوية في البدايات، ثم أخذت تتدرج فيها، مع توغل زوجها أكثر في القاعدة، والسفر إلى أفغانستان، ثمّ انتقلت من الدور الثانوي إلى دور رئيسي مع اعتقالها وابنها في السعودية، ثم المغرب، وما عاشته خلال مرحلة السجن من معاناة كبيرة.

والحال نفسها بالنسبة للسعوديات الجهاديات، إذ لاحظنا كيف أنّ علاقات الصداقة بين الجهاديين هناك قد آلت إلى علاقات نسب ومصاهرة بينهم.وجميع

الحالات التي هاجرت إلى أراضي تنظيم الدولة، ممن درسناهنّ، قد تزوج، ثمّ ترمّل أغلبهن، وبعضهن تزوجت مرة أخرى، وقمن بالإنجاب. ومن ثمّ فإنّ هنالك شبكة من الروابط التي تشكلت مع هذا المجتمع، وضمن هذا المسار، يصعب الفكاك عنها، أو تفكيكها، لاحقاً.

الثبت التعريفي للمصطلحات

التعزير: تنقسم العقوبات الشرعيّة لدى الفقهاء المسلمين، إلى ثلاثة أقسام، **القصاص**: وهو الردّ بالمثل في حالة القتل أو التعدّي على الأطراف والجنايات، أو الاستعاضة بالدية؛ **الحدود**: وهي العقوبات المقدّرة شرعاً (كعقوبة السرقة أو الزنا)؛ و**التعزير**، وهو العقوبة المشروعة بغرض التأديب على معصية أو جناية لا كفارة فيها ولا حدّ؛ ومن ثم فالتعزير عقوبة تشمل كلّ أنواع المخالفات الشرعيّة والسياسيّة التي لم تخصص لها النصوص الشرعيّة عقوبة محددة. وهي عقوبة مفتوحة يُقدّرها القاضي أو ولي الأمر بحسب ما يراه مناسباً لردع الجاني أو العاصي. وقد اختلف الفقهاء في حدّ التعزير إن كان يجوز للقاضي الحكم بالقتل تعزيراً أو لا يجوز له. في السياق الحديث تستعمل المملكة العربيّة السعوديّة هذا الحكم في التهم المرتبط بالإرهاب، ويحقّ للقاضي، أو المحكمة المتخصصة تحديداً، اختيار العقوبة التي تراها مناسبة بالسجن أو غير ذلك.

الحاكمية : برز مصطلح الحاكميّة مع أبو الأعلى المودودي، وترسّخ مع كتابات سيّد قطب. وهو مصطلح ينتمي إلى فضاء اللاهوت السياسي، ويعني به سيّد قطب المرجعيّة التي تقوم عليها شرعيّة الدولة والحكم. يقوم المصطلح على رفض المرجعيّة الوضعيّة/ البشريّة للنظام السياسي، باعتبارها نوعاً من الشرك والاعتداء على حقّ الله؛ الذي هو المشرّع الحقّ بحسب قطب والمودودي. ويرى قطب بأنّ المجتمعات والدول التي لا تقبل بـ"الحاكميّة" الإلهيّة هي مجتمعات جاهليّة. وقد أصبح المصطلح مركزيّاً في مفاهيم السلفيّة الجهاديّة، كمعيار للتمييز بين الجاهليّة؛ التي باتت تقابل الكفر، وبين الإسلام.

الجندر (**النوع الاجتماعي**) : اكتسب مفهوم الجندر (والذي يُترجم أحياناً إلى الجنوسة) في ستينات القرن الماضي دلالته السيسيولوجيّة، فأصبح مرتبطاً بالأدوار

الاجتماعيّة المنوطة بالرجل والمرأة. ويقوم هذا المفهوم على التمييز بين الجنس (ذكر/ أنثى) وبين الجندر (رجل/ امرأة). وقد مثّل هذا المفهوم أساساً للجدالات النسويّة التي رأت بأنّ المرأة تُصنع كامرأة؛ أي إنّ الصفات والأدوار التي تقوم بها المرأة ليست نابعة من حتميّة بيولوجيّة بحكم جنسها، وإنّما هي نابعة من إكراهات اجتماعيّة وطرق تنشئة تقولب المرأة ضمن مجموعة من الصفات والأدوار وتفرضها عليها؛ وتقوم هي (أي المرأة) بتذوّتها وتقمّصها أحياناً.

الجهاد التضامني: ظهر "الجهاد التضامني" في أثناء حقبة الجهاد الأفغاني ١٩٧٩، باعتبار أنّ الدفاع عن أراضي المسلمين، إذا اعتدى عليها معتدٍ، هو فرض عين على كلّ مسلم. وقد تكررت أمثلته في البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان وغيرها من البلدان المسلمة التي تعرّضت لاعتداءات خارجيّة. ويقوم الجهاد التضامني على مبدأ ردّ الصائل؛ أي إنّه نوع من "جهاد الدفع" بحسب التعبيرات الفقهيّة التقليديّة، ويهدف إلى ردّ العدوان عن بلاد المسلمين، دون أن يهدف إلى تأسيس دولة إسلاميّة أو يتضمّن نظريّة في إقامة الحكم، فكلّ ما يهدف إليه هو معاونة المجاهدين في تلك المناطق لردّ العدوان.

الجهاد النكائي: برز مع تأسيس تنظيم القاعدة وإقدامه على تفجير السفارة الأمريكيّة في نيروبي ودار السلام في ١٩٩٨، ثمّ الهجوم على المدمّرة الأمريكيّة "كول" في عدن (٢٠٠٠)، وتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، وما تلاها من تفجيرات في عدد من العواصم الأوروبيّة. ويقوم مفهوم الجهاد النكائي على أولويّة قتال "العدو البعيد" المتمثّل بالولايات المتحدة الأمريكيّة وحلفائها، باعتبار أنّها هي من تقوم بدعم الأنظمة المحليّة المستبدة، والتي لا تحكم بالشريعة، وهي من تدعم إسرائيل. ولم يكن الجهاد النكائي يهدف إلى إقامة دولة إسلاميّة، بقدر ما كان يهدف إلى إجبار الولايات المتحدة على كفّ يدها عن التدخّل في شؤون المنطقة الإسلاميّة.

الجهاد التمكيني: نمط جهادي يتجاوز الجهاد التضامني والنكائي؛ أسس له تنظيم الدولة الإسلاميّة يهدف إلى السيطرة المكانيّة على الأراضي وإقامة دولة إسلاميّة عليها لتكون نواة خلافة إسلامية عالمية تطبق فيها الأحكام الإسلامية وتكون مركزاً للتمدد والانتشار.

الخوارج: أحد الفرق الإسلامية التاريخية، وتمثل حركة ثورية عنيفة شغلت الدولة الإسلامية التاريخيّة لفترة طويلة من الزمن. وقد بسط الخوارج نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي في عُمان وحضرموت وزنجبار وما جاورها من المناطق الإفريقية. ولا تزال بقايا ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي منتشرة في تلك المناطق. وقد انقسم الخوارج إلى فرق عديد من أشهرها النجدات والأزارقة.وقد عرّفهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل بقوله: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان". ومن مؤرّخي المذاهب من حصرهم بالطائفة التي خرجت على الإمام علي رضي الله عنه كأبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" حيث قال: "والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب".وقد استعملت العديد الاتجاهات الشرعيّة وصف الخوارج بإطلاقه على الحركات السلفيّة الجهاديّة، في سياق نزع شرعيّة انتمائهم الديني إلى أهل السنّة والجماعة؛ وإظهارهم كأحد الفرق الضالّة.

العمليات الانتحاريّة/ الاستشهادية : العمليات الانتحارية ظاهرة حديثة، استحدثتها جماعات علمانية ودينية كاستراتيجية عسكرية في الحرب. فقد برزت كتكتيك لمواجهة خصم يمتلك أسلحة عسكرية جبارة ويتوافر على طرائق فعالة لفرض السيطرة والتحكم بالسكان، بحيث تصبح المواجهة المباشرة معه مستحيلة في ظل حالة التفوق واختلال موازين القوى. وقد نمت ظاهرة العمليات الانتحاريّة نمواً كبيراً مع نمور التاميل، الحركة القوميّة الانفصاليّة في سيريلانكا، ثمّ استدخلتها التنظيمات الاشتراكيّة والقوميّة في لبنان في أثناء المواجهات مع إسرائيل، واستدخلتها الحركات الشيعيّة؛ إيران في الحرب العراقيّة وحزب الله في المواجهة مع إسرائيل لاحقاً. وقد استدخلتها الحركات الفلسطينيّة الإسلاميّة كحماس والجهاد الإسلامي في أثناء الانتفاضة الأولى والثانية. استدخلت الحركات الجهاديّة مبدأ العمليات الانتحاريّة كتكتيك معتمد في مواجهة العدوّ المتفوّق.وتصرّ الحركات الإسلاميّة، بالطبع، على وصفها بـ"العمليات الاستشهاديّة" باعتبارها نوعاً من التضحيّة التي يقدّمها المجاهد في سبيل قضيّته وأمّته، ومن ثمّ يغدو منفّذ العملية شهيداً؛ وهي واحدة من أعلى المراتب

الدينيّة التي يُمكن أن يحظى بها المسلم بحسب التصوّر الديني.

العمليات الانغماسيّة: يُستعمل مصطلح "العمليات الانغماسيّة" لوصف العمليّة التي يقوم فيها المقاتل بالانخراط داخل صفوف العدوّ، محاولاً إلحاق أكبر قدر ممكن من الأذى والنكاية فيه، وفي الغالب تنتهي العمليّة الانغماسيّة بموت المقاتل. وقد ظهرت أشكال أوّليّة للعمليات الانغماسيّة في التاريخ الإسلامي، واستعملها الخوارج بكثرة. ويحتاج هذا النوع من العمليات إلى درجة عالية من الخبرة والقدرة القتالية وضبط النفس والشجاعة ليتمكّن المنغمس من إلحاق أكبر درجة ممكنة من الأذى في صفوف العدو.

غسيل الدماغ : يُقصد بعمليّة "غسيل الدماغ" تغيير قناعات المرء وأفكاره وسلوكاته وشخصيّته من خلال أدوات إقناع نفسيّة ملتوية. وقد استعمل المصطلح لأوّل مرّة لوصف تغيّر أفكار بعض الجنود الأمريكيين الذين تمّ اعتقالهم لدى الصينيين في الحرب الكوريّة، وتأثّرهم بالأفكار الشيوعيّة. وقد بات المصطلح يُستعمل على نطاق واسع لإدانة أنواع مخصوصة من التغيّر الفكري والنفسي، غير المبرر أو المفهوم، لدى الأفراد.

النادي الاجتماعي: النادي الاجتماعي، مفهوم استعمله الباحث الأنثروبولوجي سكوت أتران، لوصف شبكة العلاقات الاجتماعيّة الرئيسيّة من أشقاء وأزواج وأبناء وأبناء عمومة وما شابه، ثمّ العلاقات البينيّة التي تتركّب على تلك العلاقات الأوّلية، مثل المصاهرة والصداقة والجوار والأنشطة الاجتماعيّة المشتركة. ويرى أتران أنّ الجهاد المعولم يقوم اليوم على شبكة العلاقات الاجتماعيّة هذه، وأنّ أحد المحرّكات الرئيسيّة للجهاديين تنبع من صلات القرابة والمصاهرة والجوار هذه.

النسويّة : ظهرت النسويّة، أوّل ما ظهرت في نهايات القرن التاسع عشر، مع الحركات الداعية إلى مساواة الرجل بالمرأة في مجالات التعليم والعمل والقانون، وهي الحركات المعروفة بالدفاع عن "حقوق المرأة"، وقد اعتبرت هذه الحركات امتداداً للإرث التنويري الذي يقوم على مبدأ المساواة والجدارة الفرديّة للإنسان بغضّ النظر عن جنسه أو دينه أو لونه. إلا أنّ النسويّة قد مرّت بأطوار مختلفة، بخاصة مع ما عُرف بـ"نسويّة الموجة الأولى" ثمّ الثانية في نهايات ستينات القرن الماضي، حيث

أخذت النسويّة طابع هويّة احتجاجيّة ضدّ السلطة الذكوريّة التي تتمظهر في مجالات التعليم والعمل والاقتصاد والسياسة والحياة المنزليّة وأدوار الأفراد في الأسرة وفي العلاقات الجنسيّة أيضاً. وقد باتت النسويّة تكتسب صلابة نظريّة أكبر، مع تطوّر مفهوم الجندر وتطوّر الأدوات النقديّة للنسويّة، التي بات رموزها يركزن على عمق الانحيازات الذكوريّة في العلوم الانسانيّة والنصوص وتراكم هذه الانحيازات في بنية اللغة الاجتماعيّة والعلميّة أيضاً. وقد حققت النسويّة خلال القرن الماضي مكتسبات كثيرة في مجال الحقوق المدنيّة بالإضافة إلى تأثيراتها الثقافيّة والاجتماعيّة الواسعة؛ وقد وُجّهت انتقادات عديدة للنسويّة، أبرزها انتقادات الاتجاهات العالم ثالثيّة وما بعد الكولينياليّة التي ركّزت على كيفيّة استدخال النسويّة في بنية الإمبرياليّة كأداة للهيمنة ولإخضاع الثقافات غير الغربيّة غير إعادة هندسة مجتمعات العالم الثالث وفرض ثقافة دخيلة عليها، وهو ما ولّد ردود فعل احتجاجيّة ذات طابع هويّاتي، في العالم الإسلامي، تتمثّل بتمسّك المرأة بهويّتها الدينيّة في الزيّ والسلوك المحافظ، باعتبار ذلك وسيلة لمقاومة الغزو الثقافي.

النسوية الإسلاميّة : يُطلق مصطلح "النسويّة الإسلاميّة" على كافّة التأويلات الإسلاميّة التي استدخلت مبادئ النسويّة وحقوق المرأة في تفسيرها للإسلام، ومن ثمّ فإنّ النسويّة الإسلاميّة ليست طيفاً واحداً، بل هي تشمل مجموعة مختلفة من المواقف والآراء التي تتراوح بين نسويّة جذريّة ترفض كل أشكال التمايز بين الرجل والمرأة، وتحتجّ على الأحكام الشرعيّة التقليديّة كتعدد الرجل في الزواج، ومنع المرأة من التعدد، ورفض الفقهاء لمبدأ المثليّة الجنسيّة والتحوّل الجنسي، وبين نسويّة إسلاميّة أكثر اعتدالاً تحاول تأويل هذه الأحكام الشرعيّة وربطها بسياقاتها التاريخيّة وتحرير المرأة، شيئاً فشيئاً، من الانحيازات الذكوريّة في فهم الدين وتطبيق أحكامه. وقد ظهرت النسوية الإسلاميّة في تسعينات القرن الماضي، في الفضاء الغربي أوّلاً، والعربي الإسلامي ثانياً. وقد تصاعد الجدال حول النسويّة الإسلاميّة حين قامت أمينة ودود في ٢٠٠٥، بإقامة صلاة جمعة للرجال والنساء وقامت هي بإلقاء خطبة الجمعة والصلاة بالمسلمين.

النفير: هو الخروج بقصد الجهاد استناداً إلى الآية القرآنيّة " انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله". وقد بات المصطلح يُستعمل في الأدبيات الجهاديّة لوصف ظاهرة السفر إلى المناطق التي تسيطر عليها الحركات الجهاديّة

والانضمام إليها.

نقطة التحوّل Tipping point: يُستعمل هذا المفهوم السوسيولوجي لوصف اللحظة التي يتحوّل فيها التراكم الكمّي إلى تغيّر نوعي. وقد ظهر المفهوم في بدايته في الفيزياء لوصف ظاهرة سقوط جسم متزن بعد إضافة أوزان طفيفة، واحدة بعد الأخرى، إليه؛ إلى أن تصل الأوزان إلى نقطة التحوّل فيسقط الجسم ويخرج من وضع الاتزان. ويُستعمل المفهوم في علم الاجتماع على نطاق واسع، لملاحظة النقطة التي تساهم فيها العوامل المختلفة في إحداث تحوّل نوعي في الظاهرة، كما يُستعمل في علم النفس لوصف تحوّل الشخصيّة، التي تمرّ بظروف وتأثيرات مختلفة؛ تصل في لحظة معيّنة إلى نقطة التحوّل، فتظهر شخصيّة جديدة وقناعات جديدة لدى الفرد.

الهجرة: الهجرة بحسب الفقهاء المسلمين هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، وتقوم أدلتها على نموذج الهجرة النبويّة من مكّة إلى المدينة.. وقد بات المصطلح راسخاً في الأدبيات الجهاديّة، وهو مصطلح يتضمّن القول بكفر الأنظمة الحاكمة، حتى التي تدّعي الإسلام منها، ووجوب هجرة المسلم إلى دار الإسلام، التي تتمثّل في المناطق التي يُحكّم فيها شرع الله.

الهويّة والنزعة الهوياتيّة: تحمل لفظة الهويّة identity في دلالتها الأصليّة معنى التطابق مع الذات عند الشخص (الهويّة الفرديّة)، أو التطابق مع الجماعة (الهويّة الجماعيّة). وقد مرّ المفهوم بعدّة تطوّرات وتداخلت حقول معرفيّة شتى في تكوينه، فظهر تصوّر الذات التنويريّة الحديث التي يرى في الهويّة مبدأً لوحدة وانتظام الشخصيّة، أي إنّ الهويّة هي سرديّة توحّد بين مركبات الذات الفردية أو الجماعيّة المختلفة والمتشتتة والمتنافرة أحياناً وتردّ هذه المركبات إلى مبدأ واحد فكري أو ديني أو إثني أو قومي. في حقبة العولمة، بدأت مسألة الهويّة الاجتماعيّة تحظى باهتمام متزايد؛ فبعد أن بدا للوهلة الأولى بأنّ العولمة قد تجاوزت الهويات الصغرى وحوّلت العالم إلى قرية صغيرة، ظهر ما بات يُعرف بـ"عودة الهويّة"، عبر تمسّك المجموعات الاجتماعيّة والدينيّة والعرقيّة والثقافيّة بهويّاتها الخصوصيّة والتقوقع حولها في محاولة لحمايتها من الاندثار والذوبان في وجه الضغوط الكونيّة والكوزموبوليتانيّة. ويُمكن أن نعرّف النزعة الهويّاتيّة بأنّه تمحور الهويّة الجماعيّة حول مكوّن واحد (ديني أو ثقافي أو إثني أو غير

ذلك)، وشعور الجماعة بأنّ هويتها مهددة، ومن ثمّ فإنّ عليها الدفاع عنها والتمسّك الحرفي بها. وتميل هذه النزعات الهويّاتيّة إلى النظرة الجوهرانيّة إلى الهويّة، أي اعتبار الهويّة مبدأ ساكناً لا يتأثّر بالتغيّر. وقد ظهرت العديد من الدراسات التي تقرن بين النزعات الهويّاتيّة وبين العنف كالدراسة الشهيرة لأمارتيا صن " الهويّة والعنف: وهم المصير الحتمي"، باعتبار أنّ النزعة الهويّاتيّة تقوم على مبدأ تقسيم البشر إلى **نحن** و **هم**، ومن ثمّ فإنّها تميل إلى النظر إلى **الآخر** كمهدد للذات، وإذا وصلت النزعة الهويّاتيّة إلى أقصاها فإنّها قد تميل إلى إبادة هذا الآخر؛ كما حصل في الإيديولوجيات النازيّة والفاشيّة وبعض أشكال الإيديولوجيات الدينيّة. وقد ظهرت اتجاهات عديدة (أبرزها:المدرسة التفاعليّة الرمزيّة في حقل علم الاجتماع) تُقاوم هذه التصوّرات الهويّاتيّة، وترى بأنّ الهويّة مشروع مفتوح على المستقبل، وأنّها متحرّكة ومتشكّلة على الدوام، ولا تمتلك جوهراً عابراً للتاريخ والثقافة، كما ظهرت اتجاهات نظريّة عديدة تقرن تفجّر الهويات العنيف بعنف العولمة ونزعتها نحو تعميم هويّة واحدة على البشر.

الولاء والبراء: يُعتبر مفهوم الولاء والبراء مفهوماً مركزيّاً من مفاهيم السلفيّة، وقد اعتبره ابن تيميّة أحد شروط الإيمان، كما ضمّنه محمد بن عبد الوهاب كأحد علامات الإيمان التي لا يقوم الدين إلا بها. يتمثّل الولاء في المحبّة والمعاونة للمسلمين والبراء في البغض والنفور من الكفار، ويتمظهر الولاء والبراء في ميادين السياسة والثقافة والزيّ واللغة المستعملة وغير ذلك.

المصادر والمراجع

أولاً:المراجع العربية والمترجمة

– أبو الأعلى المودودي، تدوين الدستور الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة،١٩٨١.

– أبو أيمن الهلالي، العمليات الاستشهادية؛ طريقنا إلى تحرير القدس. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– أبو الوليد المقدسي، حكم من سقط من الأبرياء في العمليات الاستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– أبو أيمن الهلالي، العمليات الاستشهادية ونهاية الدجل السياسي. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– أبو بصير الطرطوسي، محاذير العمليات الاستشهادية أو الانتحارية. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– أبو بكر ناجي، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية،على الرابط: http://www.tawhed.ws/c?i=62.

– أبو جندل الأزدي، أسامة بن لادن: مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، منتدى الأنصار، ومنبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_1632.html.

– أبو جويرية الشامي، العمليات الاستشهادية وأحكامها،موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أبو الحسن الفلسطيني، البشرى المهدية لمنفذي العمليات الاستشهادية. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أبو سعد العاملي، العمليات الاستشهادية؛ ذروة سنام الاستشهاد. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أبو عبدالله المهاجر، مسائل من فقه الجهاد، على الرابط: http://ia601203.us.archive.org/19/items/kotobjehad/masael.pdf.

- أبو قتادة الفلسطيني، جواز العمليات الإستشهادية وأنها ليست بقتل للنفس. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أبو قتادة الفلسطيني، التربية الجهادية والفداء، مؤسسة الشامخة الإعلامية.

- أبو ماريا الأسيف، الهجرة والمقام في دار الإسلام، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

- أبو محمد المقدسي، حول فتوى مفتي السعودية بشأن العمليات الاستشهادية. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: sptth://justpaste.it/qvc٣.

- أبو محمد المقدسي، مشروع الشرق الأوسط الكبير، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_700.html

- أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م. على الرابط: http://www.tawhed.ws/a?a=hqkfgsb2

- أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، ما حكم العمليات الاستشهادية؟. موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq

- أحلام النصر، أوار الحق، فرسان البلاغ للإعلام، ٢٠١٤.

- أحلام النصر، سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجيّ، مؤسسة البتار الإعلامية.

- أحمد أبو زيد، الشهادة في سبيل الله، من إصدارات حركة حماس.

- أحمد الجدع، فدائيون من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم،موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أحمد مصطفى المراغي، كتاب الحسبة فى الإسلام، الجزيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

- أخت لمن بايع دولة الإسلام، الحشود الخاضعة بقوة الله القاهرة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أخت لمن بايع دولة الإسلام، النظام التركي الخائب بين براثن الأجدل الغاضب، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- إرهاب القحطانية، أحيوا سنة الرباط، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أريج الجهاد، سلسلة حفيدات صفية: أروع ستة قصص للمجاهدات في هذا الزمان، على الرابط: https://forums.graaam.com/241143.html.

- أسد المعارك الأثري، الهجرة وأحكامها، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ٢٠١٥.

- الأمين الحاج محمد أحمد، العمليات الجهادية الاستشهادية؛ حكمها شروطها فضلها ثوابها، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq

- الأمين الحاج محمد أحمد، العمليات الجهادية الاستشهادية؛ بين المجيزين والمانعين، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أم السمح القرشية، يريدون الرقة ونريد روما، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم أسيد الغريبة، أيفك الأسير أسيراً، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

- أم أسيد الغريبة، رسالة إلى أهلي بتونس: ثباتاً يا أسود القيروان ثباتاً، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

- أم أسيد الغريبة، رسائل إلى أسود بيت المقدس، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

- أم عمارة الوزيرة، خواطر على طريق النفير والشهادة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم عمارة الوزيرة، لا سبيل للتمسح بالعقيدة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم عمارة الوزيرة، هل أتاك نبأ آل سعود؟، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم مارية العراقية، اقتل الكفار والمرتدين واشف صدور المؤمنين مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم مارية العراقية، الحق الماحق لجنود الصليبيين في دابق، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم مارية العراقية، انذار المتجسسين على دولة الحق والدين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم مارية العراقية، تفجيرات الرقة والموصل تكرر في بروكسل، المؤمنين مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم مارية العراقية، تنبيه الغافلين لما يحاك بنشرالفساد في بلاد الحرمين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم مارية العراقية، حال سيناء بعد بيعة موحديها، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- أم نسيبة ندى الخلافة، أسيرات الكنانة: صرخات مصريات في سجون

الطواغيت، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة ، القول المبين في أسباب بيع الجسر والجزيرتين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

– أم نسيبة ندى الخلافة، المرأة الإسلامية بين جحيم العلمانية ونعيم الدولة الإسلامية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، الوعد والوعيد لقتلة أهل التوحيد،، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، أجناد مصر خير أجناد الأرض، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، باليقين يأتي التمكين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، عشرة أسباب بيّنة لغزوة بروكسل العاصمة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، كشفت عورة الإخوان فما القادم، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، يا أحفاد عقبة امتطوا الجواد، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أم نسيبة ندى الخلافة، يا أهل حلب إنما هما فسطاطان فاختاروا، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

– أميلي لورونار، النساء والفضاءات العامة في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١ ، ٢٠١٢.

– أنتوني كوردسمان ونواف عبيد، القاعدة في المملكة العربية السعودية: التهديدات المختلفة والمتطرفين الإسلاميين، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، واشنطن، www.csis.org، مايو ٢٠٠٤.

- د. إيمان مصطفى البغا، أنا داعشية قبل أن توجد داعش، مكتبة الهمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

- أيمن الظواهري، شفاء صدور المؤمني، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، مؤسسة السحاب، الطبعة الأولى.

- ثاوسند أوكس، إسهام الإخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة د. عبدالله بن مصلح النفيعي، ١٩٩٦.

- باسل محمد، صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان، شركة دار العلم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٩١.

- بشر بن فهد البشر، حكم العمليات الإستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- برايان فيشمان، اختلال الوظيفة والانحدار: الدروس المستفادة من داخل شبكة القاعدة في العرق، مركز درسات الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت، مارس ٢٠٠٩.

- تركي بن مبارك البنعلي، الأقوال المهدية إلى العمليات الإستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- توماس هيغهامر وستيفان لاكروا، حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة، ترجمة د. حمد عيسى، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

- توماس هيغهامر، الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

- جان شارل بريزار، أبو مصعب الزرقاوي: الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

- جوزيف مسعد، اشتهاء العرب، ترجمة إيهاب عبد الحميد، دار الشروق، ط١، ٢٠١٣.

- جيل كيبل، النبي والفرعون، نرجمة أحمد خضر، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨.

- جيل كيبيل ريان ريشار، المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

- جين ساسون، إنه بن لادن: كل شيء عنه بلسان زوجته وابنه، ترجمة أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١١.

- رودلف بيترز، الجهاد في الإسلام: قديماً وحديثاً، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

- حامد بن عبد الله العلي، حكم العمليات الإستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- حسن البنا مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مطابع الوفاء، المنصورة، مصر، بدون تاريخ.

- حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩٠.

- حسن البنا، المرأة المسلمة، دار الجيل، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٨.

- حسن بن جمال بن أحمد الريكي، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥.

- حمادي الرديسي وأسماء نويرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر، نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

- حمد الجاسر، المرأة في حياة إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وزارة المعارف السعوديّة، ١٩٧١.

– حمد بن صادق الجمال، أبو الأعلى المودودي، حياته وفكره العقدي، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة ، ١٩٨٦.

– حمود بن عقلاء الشعيبي، حكم العمليات الإستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– ديفيد كمنز، الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله إبراهيم العسكر، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

– راي تاكيه ونيكولاس غفوسديف، نشوء الإسلام السياسي الراديكالي وانهياره، ترجمة حسان بستاني،دارالساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

– رفعت سيد أحمد، تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٨٩.

– رفعت سيد أحمد، النبي المسلح: الثائرون، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩١.

– ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، ترجمة محمود أبو السعود، تعليق صالح أبو رقيق، القاهرة، ١٩٧٩.

– زينب الغزالي، أيام من حياتي، دار التوزيع والنشر الإسلاميَّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

– سامي بن خالد الحمود، الأعمال الفدائية صورها وأحكامها الفقهية، بحث ماجستير في الفقه وأصوله من قسم الثقافة الإسلامية،كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض.

– ستيف كول، آل بن لادن: وعالم النفط والمال والإرهاب، ترجمة إيمان عبد الغني نجم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

– سكوت أتران، الحديث إلى العدو: الدين والأخوة وصناعة الإرهابيين وتفكيكهم، ترجمة طاهر لباسي، جداول للنشر، بيروت، ومؤمنون بلا حدود، الرباط،

الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

– سلاف النجدية، صنم الوطنية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

– سلاف النجدية، فقيدنا الشيخ العدناني وكلمته الأخيرة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

– سلاف النجدية، هجرة روح: رحلة إلى النور من جزيرة العرب، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

– سلاف النجدية، أراجيز تحريضية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

– سلاف النجدية، رحيل المنجنيق: في رثاء الشيخ المجاهد أبي محمد العدناني، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

– سلاف النجدية، ثلم القلوب: في رثاء الشيخ القائد عمر الشيشاني، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

- سليمان بن ناصر العلوان، حكم قتل أطفال ونساء الكفار في العمليات الإستشهادية،موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– سليمان بن ناصر العلوان، حكم العمليات الإستشهادية "١"،موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– سليمان بن ناصر العلوان، حكم العمليات الإستشهادية "٢"،موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– د. سمير عبد الحميد إبراهيم، أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩.

– سهيل الحجازي، لجوء المسلمين إلى أراضي الصليبيين والإقامة فيها، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

- سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة- بيروت، ط٨، ١٩٨٢.

- صالح سرية، رسالة الإيمان، اتحاد طلاب كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٧.

- صالح اللحيدان، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، دار الصميعي، الرياض، ط٥، ١٩٩٧.

- صوفي فيوليه، الإسلاموية المتطرفة والغرب: أسباب الالتحاق بالتشكيلات الإسلاموية المسماة متطرفة في المجتمعات الغربية، ترجمة محمد أحمد صبح، دار نينوى، ط١، ٢٠١٤.

- طلال أسد، عن التفجيرات الانتحارية، ترجمة فاضل جكتر، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة ط١، ٢٠٠٨.

- د. عادل سمارة، جهاد النكاح، دار أبعاد، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

- عالية أحمد صالح ضيف الله، أحكام جهاد المراة في الشريعة الإسلامية وصوره المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامغة الأردنية، ٢٠٠٤.

- عبدالحكيم حسان، حكم العمليات الإستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: qvc٣/ti.etsaptsuj//:sptth

- عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حكم السفور والحجاب، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

- عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عرض ونقد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩.

- عبد القادر عبد العزيز، العمدة في إعداد العدة، دار البيارق، عمان، ط١، ١٩٩٩.

- عبد الله أنس، ولادة الأفغان العرب، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

– عبد الله الشامي، فقه الشهادة، منشورات جماعة الجهاد في فلسطين.

– عبد الله عزام، إلحق بالقافلة، مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي، بيشاور.

– عبد الله عزام، الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان، مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي، بيشاور.

– عبد الملك البراك، ردود على أباطيل وشبهات حول الجهاد، النور للإعلام الإسلامي، الدنمارك، ط١، ١٩٩٧.

– عثمان بن عبد الرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، مؤسسة الفرقان للانتاج الاعلامي.

– علي بن حاج، دور النساء في الجهاد في سبيل الله، موقع منبر التوحيد والجهاد.

– علي بن خضير الخضير، حكم العمليات الإستشهادية،موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

– الدكتور علي بن نفيع العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٥.

– فاطمة عبد الهادي، رحلتي مع الاخوات المسلمات: من الإمام الشهيد حسن البنا إلى سجون عبد ناصر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.

– فرهاد خسرو خافار، الأصوليون والعمليات الاستشهادية، ترجمة جهيدة لاوند، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد، بدون تاريخ.

– فرهاد خسرو خافار، شهداء الله الجدد في سوسيولوجيا العمليات الانتحارية، ترجمة جهيدة لاوند، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٧.

– فهمي جدعان، خارج السرب: بحث في النسوية الإسلامية الرافضة

وإغراءات الحريّة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط٢، ٢٠١٢.

- فؤاد حسين، الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

- كامل الشريف، الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧.

- كميل الطويل، القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

- د. لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

- لمع الأسنة العدنانية، موالاة الكافرين تنقض أصل الدين، مؤسسة أشهاد الإعلامية، ٢٠١٦.

- لياس بوكراع، الجزائر: الرعب المقدس، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

- ماري كالدور، الحروب الجديدة والحروب القديمة: تنظيم العنف في حقبة الكونية، ترجمة حسني زينة، دراسات عراقية، بغداد ـ أربيل ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

- ماوية العدنانية، السياحة الحقيقية في تركيا، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٧.

- مجموعة من العلماء، العمليات الاستشهادية ؛ جهاد في سبيل الله .. حلال شرعاً، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- محمد أبو رمان، وحسن أبو هنيّة، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، مقاربة الهوية ـ أزمة القيادة ـ ضبابية الرؤية، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، ط١، ٢٠٠٩.

- محمد بن صالح بن عثيمين، رسالة الحجاب، وزارة الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

- الدكتور محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

- محمد عبد السلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، منبر التوحيد والجهاد.

- د. محمد العطاونة، الإسلام الوهابي في مواجهة تحديات الحداثة: دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية، ترجمة د. أبو بكر باقادر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

- د.محمد عمارة ، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٧.

- محمد نبيل ملين، علماء الإسلام: تاريخ وبنية المؤسسة الدينية السعودية بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرين، ترجمة د. محمد الحاج سالم وعادل بن عبدالله، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١.

- محمد محمود ولد محمدو، الهجمة المضادة للحملة الصليبية: جذور وتداعيات الحادي عشر من سبتمبر، ترجمه عن الفرنسية: أحمد صالح أحميِّد، عالم الكتب الحديث، إربدْ، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

- مراد بطل الشيشاني، تنظيم القاعدة: الرؤية الجيوسياسية، والاستراتيجية والبنية الاجتماعية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٢.

- مضاوي الرشيد، الدولة الأكثر ذكوريّة: المرأة بين السّياسة والدّين في السّعوديَّة، ترجمة صبا قاسم، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٦.

- مضاوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، ترجمة عبدالإله النعيمي، دار الساقي، بيروت،ط٢، ٢٠٠٥.

- ميسرة الغريب، مقاتلة الشيعة في العراق: الحُكْمُ والحكمة، مؤسسة الفرقان

للإنتاج الإعلامي.

- ميريام كوك، النساء يطالبن بإرث الإسلام، ترجمة رندة أبو بكر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.

- ناتانا دي لونج باس، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، دارة الملك فهد، الرياض، ٢٠١٢.

- نواف هايل التكروري، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٧.

- د. وليد الراوي، دولة العراق الإسلامية، دار آمنة، عمان، ط١، ٢٠١٢.

- د. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق.

- يحيى هاشم حسن فرغل، كشف الطوية في العمليات الإستشهادية، موقع منبر الجهاد والتوحيد، على الرابط: https://justpaste.it/3cvq.

- يوسف بن صالح العييري، دور النساء في جهاد الأعداء، مركز البحوث والدراسات الإسلامية،منبر التوحيد والجهاد، على الربط: http://www.ilm-way.com/site/maqdis/MS_9160.html.

- يوسف العييري مجموع مؤلفات اليتار، على الرابط: http://www.angelfire.com/ar3/qa3edoon/3eyeery.htm

- يوسف العييري، هل انتحرت حواء أم استشهدت؟، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis

ثانياً: المراجع الإنجليزية

- Adam Goldman, Mark Berman and Missy Ryan, San Bernardino shooter's former neighbor who bought rifles is cooperating with authorities, The Washington Post, 10 December 2015. At: https://www.washingtonpost.com/news/post-nation/wp/2015/12/09/san-bernardino-attackers-talked-about-jihad-and-martyrdom-in-2013/
- Al Baker and Marc Santora, San Bernardino Attackers Discussed Jihad in Private Messages, F.B.I. Says, The New York Times, 16 December 2015. At: https://www.nytimes.com/2015/12/17/us/san-bernardino-attackers-discussed-jihad-in-private-messages-fbi-says.html
- Alabama woman joins ISIS CAIR responds, 21 April 2015. At: https://counterjihadreport.com/tag/hoda-muthana/
- Alissa J. Rubin and Aurelien Breeden , Women's Emergence as Terrorists in France Points to Shift in ISIS Gender Roles, New York Times, 1 October 2016. At: https://www.nytimes.com/2016/10/02/world/europe/womens-emergence-as-terrorists-in-france-points-to-shift-in-isis-gender-roles.html
- Amanda Marcotte, What the "ISIS Bride"

and Rachel Dolezal Have in Common, 22 July 2015. At:
https://www.follownews.com/what-the-isis-bride-and-rachel-dolezal-have-in-common-2iy

- Belgian police arrest 'al Qaeda legend', CNN, 11 December 2008. At:
http://edition.cnn.com/2008/WORLD/europe/12/11/belgium.terror.arrests/index.html?eref=ib_topstories

- Ben Ferguson, Left in the Dark: The Story Behind the Families of Three Girls Groomed by the Islamic State, Vice News, 3 August 2015. At:
https://news.vice.com/article/left-in-the-dark-the-story-behind-the-families-of-three-girls-groomed-by-the-islamic-state

- Ben McPartland, What we know of failed Paris plot by women "jihadists", The Local, 20 September 2016. At:
http://www.thelocal.fr/20160909/three-three-women-terror-suspects-and-their-plot

- Carolyn Hoyle, Alexandra Bradford and Ross Frenett, Becoming Mulan? Female Western Migrants to ISIS,Institute for Strategic Dialogue, 2015. At:
http://www.strategicdialogue.org/wp-content/uploads/2016/02/ISDJ2969_Becoming_Mulan_01.15_WEB.pdf

- Catherine E. Shoichet, Mississippi: Daughter of cop, son of imam accused of plan to join ISIS, CNN, 12 August 2015.At: http://edition.cnn.com/2015/08/12/us/mississippi-couple-isis/
- Charlie Peat, Number of women leaving UK for ISIS on the rise, chilling figures show, 12 January 2016. At: http://www.express.co.uk/news/uk/633746/Women-joining-ISIS-Syria-from-UK-rise-chilling-figures-show
- Daniel Sandford, Steve Swann and Mohanad Hashim, UK medical student 'recruited for IS' at university in Sudan, BBC News, 17 July 2015. At: http://www.bbc.com/news/uk-33502534
- Dexter Thomas, San Bernardino shooting suspect stopped attending mosque two years ago, Los Angeles Times,03 December 2015. At: http://www.latimes.com/local/lanow/la-me-ln-san-bernardino-shooting-suspect-serious-about-studying-the-koran-20151203-story.html
- Doug Stanglin and Kevin Johnson, FBI: No evidence San Bernardino killers were part of a cell, USA TODAY, 04 December 2015. At: http://www.usatoday.com/story/news/nation/2015/12/04/suspects-family-shocked-killings/76773382/

- Edward W. Said, "Orientalism Reconsidered," Cultural Critique (Fall 1985).
- Elaine Sciolino and Souad Mekhennet, Al Qaeda Warrior Uses Internet to Rally Women, The New York Times. 28 May 2008. At: http://www.nytimes.com/2008/05/28/world/europe/28terror.html
- Elias Groll, There's a Good Reason Why So Many Terrorists Are Engineers,Foreign Policy, 11 July 2013. At: http://foreignpolicy.com/2013/07/11/theres-a-good-reason-why-so-many-terrorists-are-engineers/
- Ellie Hall, How One Young Woman Went From Fundamentalist Christian To ISIS Bride, BuzzFeed News Reporter, 21 July 2015. At: https://www.buzzfeed.com/ellievhall/woman-journey-from-chattanooga-to-isis?utm_term=.erD7gMMwM#.gqrdAZZ0Z .
- Ellie Hall. Gone Girl: An Interview with an American in ISIS, BuzzFeed, 18 April 2015. At: https://www.buzzfeed.com/ellievhall/gone-girl-an-interview-with-an-american-in-isis?utm_term=.kaAPO66a6#.jdkNqWW1W
- Emine Sinmaz and Sue Reid, She loved Rihanna, clothes and make-up... then fell under

the spell of Islamists: Meet the FIRST British schoolgirl who fled to join ISIS, Mail online, 13 March 2015. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-2994085/She-loved-Rihanna-clothes-make-fell-spell-Islamists-British-schoolgirl-15-fled-join-ISIS.html

- Emma Webb, This is why Isis prefers to use home-grown terrorists over foreign jihadis, Independent, 20 september2016. At:
http://www.independent.co.uk/voices/isis-terrorism-family-affair-france-attacks-why-you-should-be-worried-a7317991.html

- Erica Wenig, Fun-Loving, American Girl Is Probably A Prolific Undercover Agent For ISIS, Daily Caller, 29 April 2015. At:
http://dailycaller.com/2015/04/29/fun-loving-american-girl-is-probably-a-prolific-undercover-agent-for-isis-investigation/

- Erin Marie Saltman and Melanie Smith, 'Till Martyrdom Do Us Part': Gender and the ISIS Phenomenon, Institute for Strategic Dialogue, 2015. At:
http://www.strategicdialogue.org/wp content/uploads/2016/02/Till_Martyrdom_Do_Us_Part_Gender_and_the_ISIS_Phenomenon.pdf

- Florian Flade, Carolin George and Per Hinrichs, Why 2 'Normal' Teens Joined ISIS,

OZY, 22 February 2016. At:
http://www.ozy.com/true-story/why-2-normal-teens-joined-isis/61629

- From ‘housewife’ to mass shooter: Friends say Tashfeen Malik’s life took a devout turn, The Associated Press, 6 December 2015. At:
http://mashable.com/2015/12/06/tashfeen-malik-san-bernardino-shooter-religious/#YMzo90CaJ8qS

- Gavin Madley, Heartbroken and hopeless: Parents of Scottish jihadi bride Aqsa Mahmood tell of their devastation at losing her to ISIS brainwashing, Mail online, 22 February 2016. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-3457741/Heartbroken-hopeless-Parents-Scottish-jihadi-bride-Aqsa-Mahmood-tell-devastation-losing-ISIS-brainwashing.html

- Hoda Muthana: 5 Fast Facts You Need to Know, Heavy.com, 21 April 2015. At:
http://heavy.com/news/2015/04/hoda-muthana-isis-hoover-alabama-buzzfeed-umm-jihad-zumarul-jannah-father-mother-parents/

- How Typical Arvada Teen Turned Into Terror Suspect,03 July 2014. At:
http://denver.cbslocal.com/2014/07/03/how-typical-arvada-teen-turned-into-terror-suspect/

- Ilana Freedman, Jihad: Understanding the

Threat of the Islamic State in America.The Center for Security Policy, Pennsylvania, 2016.

- Jamie Grierson and Vikram Dodd, British girl believed killed in Syria 'was too scared to flee Isis', The Guardian, 12 August 2016. At: https://www.theguardian.com/world/2016/aug/12/british-girl-believed-killed-in-syria-was-too-scared-to-flee-isis
- Jeff Amy, Mississippi woman gets 12-year sentence on terrorism charge, 11 August, 2016. At: http://bigstory.ap.org/article/383e88cda66c44b6a-66c9536a9eb0bbf/mississippi-woman-be-sentenced-terrorism-charges.
- Joas Wagemakers, A Quietist Jihadi- Salafi: The Ideology and Influence of Abu Muhammad al- Maqdisi, Cambridge Press, 2005.
- Julia Glum, San Bernardino Suspect Syed Farook's Troubled Childhood: Father Was Alcoholic, Mother Alleged Domestic Abuse In Court Papers, International Business Times, 3 December 2015. At: http://www.ibtimes.com/san-bernardino-suspect-syed-farooks-troubled-childhood-father-was-alcoholic-mother-2210359
- Julian Robinson, British white widow terror fugitive Samantha Lewthwaite 'mentored all-female team of jihadists' who attacked Kenyan

police station, Daily Mail, 15 September 2016. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-3791189/British-white-widow-terror-fugitive-Samantha-Lewthwaite-mentored-female-team-jihadists-attacked-Kenyan-police-station.html#ixzz4VjCG9Bz3

- Julie Turkewitz and Benjamin Mueller,Couple Kept Tight Lid on Plans for San Bernardino Shooting, The New York Times, 3 December 2015. At:
https://www.nytimes.com/2015/12/04/us/san-bernardino-shooting-syed-rizwan-farook.html?_r=0

- Katrin Bennhold, ‘They were the girls you wanted to be like’: How teenage rebellion sends girls into the arms of ISIL, The New York Times, 18 August 2015. At:
https://www.nytimes.com/2015/08/18/world/europe/jihad-and-girl-power-how-isis-lured-3-london-teenagers.html

- Kieran Corcoran, The Alabama student who tricked her parents and fled to Syria to become an ISIS bride, Dailymail, 21 April 2015. At:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-3048217/Why-abandoned-America-ISIS-College-student-20-tells-spent-tuition-money-flights-abandoned-family-wage-jihad-radical-

ized-online.html#ixzz4UUzZnHKm

- Lauren Mcmah. The transformation of former devout Christian Ariel Bradley, 30 July 2015. At: http://www.news.com.au/technology/online/social/the-transformation-of-former-devout-christian-ariel-bradley/news-story/b3ea65ba6b1bbfa48525d1879d9b7472
- Lizzie Dearden, Hasna Ait Boulahcen: Family of woman wrongly accused of suicide bombing say she was 'murdered' during police raid, independent, 21 January 2016. At: http://www.independent.co.uk/news/world/europe/hasna-ait-boulahcen-family-of-woman-wrongly-accused-of-suicide-bombing-say-she-was-murdered-during-a6824516.html
- Lizzie Dearden, Isis' British brides: What we know about the girls and women still in Syria after the death of Kadiza Sultana, Independent, 12 August 2016. At: http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/isis-british-brides-kadiza-sultana-girls-women-syria-married-death-killed-aqsa-mahmood-islamic-state-a7187751.html
- Lorenzo Vidino and Seamus Hughes, Isis in America: From Retweet to Raqqa, Program on Extremism- the George Washington University, December 2015.

- Marga Zambrana, Hazar Aydemir and Emma Graham-Harrison, Nine British medics enter Isis stronghold to work in hospitals, The guardian. 21 March 2015. At: https://www.theguardian.com/world/2015/mar/21/british-medical-students-syria-isis?C-MP=share_btn_fb

- Matthew Blake, Three Denver girls were lured by ISIS who used 'Disney-like' versions of extremism on social media, mail on line, 24 October 2014. At: http://www.dailymail.co.uk/news/article-2804934/Girls-journey-renews-fears-terror - recruiting.html#ixzz4Ub9dMyig

- Mattm Hamilton, San Bernardino shooting suspect endured turbulent home life, according to court documents. Los Angeles Times. Retrieved, 03 December 2015. At: http://www.latimes.com/local/lanow/la-me-san-bernardino-shooter-endured-turbulent-home-life-according-to-court-documents-20151203-story.html

- Nadya Ali, Terrorizing Women: Re-Thinking the Female Jihad, on: Christina Hellmich and Andereas Behnke, Knowing Al-Qaeda: the Epistemology of Terrorism, Rout ledge, London and New York. 2016.

- Old Bailey hearing for man accused of

helping Cardiff teen Aseel Muthana join terrorists in Syria, Wales Online, 2 February 2015. At: http://www.walesonline.co.uk/news/wales-news/old-bailey-hearing-man-accused-8561118

- Olivier Decottignies, The French Disconnection Francophone Countries and Radicalization, Foreign Affairs, 12 April 2016. At: https://www.foreignaffairs.com

- Par Simon, Western women in jihad, triumph of conservatism or export of sexual revolution?, Géopolitique de l'Europe, 2015, At: http://www.diploweb.com/Western-women-in-jihad-triumph-of.html

- Paris attacks: Suicide bomber Hasna Ait Boulahcen who died during police siege - 'had final meal at KFC', Mirror. 20 November 2015. At: http://www.mirror.co.uk/news/world-news/paris-attacks-suicide-bomber-hasna-6863389

- Pat St. Claire, Greg Botelho and Ralph Ellis,San Bernardino shooter Tashfeen Malik: Who was she?, CNN, 8 December 2015. At: http://edition.cnn.com/2015/12/06/us/san-bernardino-shooter-tashfeen-malik/

- Rawdah Abdisalaam identified as Seattle college student recruiting for ISIS, the global dispatch, 15 May 2015. At: http://www.theglobaldispatch.com/rawdah-abdis-

alaam-identified-as-seattle-college-student-re-cruiting-for-isis-11447/

- Richard A. Serrano, Brian Bennett and Corina Knoll, Father of San Bernardino shooter Tashfeen Malik condemns daughter's actions, Los Angeles Times, 10 December 2015. At: http://www.latimes.com/local/lanow/la-me-father-san-bernardino-shooter-tashfeen-malik-condemns-daughters-actions-20151210-story.html

- Richard Fausset, Young Mississippi Couple Linked to ISIS, Perplexing All, New York Times, 14 August 2015.At: http://www.nytimes.com/2015/08/15/us/disbelief-in-mississippi-at-how-far-isis-message-can-travel.html?_r=0

- Robert Mendickand Robert Verkaik, British female jihadis sign up to the Islamic State's all-women police force, The Telegraph, 7 September 2014. At: http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/terrorism-in-the-uk/11079386/British-female-jihadis-sign-up-to-the-Islamic-States-all-women-police-force.html

- Rukmini Callimachijune, ISIS and the Lonely Young American, The New York Times, 27 June 2015. At: http://www.nytimes.com/2015/06/28/world/

americas/isis-online-recruiting-american.html

- Salman Masood and Declan Walsh, Tashfeen Malik, San Bernardino Suspect, Attended Conservative Religious School in Pakistan, The New York Times, 7 December 2015. At: https://www.nytimes.com/2015/12/08/world/asia/tashfeen-malik-attended-conservative-religious-school-in-pakistan.html
- Sam Ball, The number of French women joining the ranks of the Islamic State group in Iraq and Syria is on the rise, say figures reported in the French media on Thursday, a sign of the increasing importance placed on female recruits by the organization, France 24, 10 January 2016. At: http://www.france24.com/en/20160108-france-women-islamic-state-group-female-recruits
- Sarah Fowler and Therese Apel, ISIS in Mississippi: Who are Muhammad Dakhlalla and Jaelyn Delshaun Young?,Claion Ledger, 12 August 2015. At: http://www.clarionledger.com/story/news/2015/08/11/isis-mississippi-muhammed-dakhlalla/31460109/.
- Senior female ISIS agent unmasked and traced to Seattle, counter jihad report, 30 April 2015. At: https://counterjihadreport.com/tag/rawdah-abdisalaam/

- Shashank Bengali and Aoun Sahi, Where San Bernardino shooter Tashfeen Malik went to school to learn about Islam, Los Angeles Times, 7 December 2015. At: http://www.latimes.com/world/asia/la-fg-school-san-bernardino-fundamentalist-20151207-story.html

- Snejana Farberov and Daniel Bates, American nurse who was arrested for trying to join ISIS set her Facebook profile to 'slave of Allah', Daily Mail, 3 July 2014. At: http://www.dailymail.co.uk/news/article-2678662/Denver-woman-19-charged-plotting-join-ISIS-militants-wage-jihad-U-S.html

- Tashfeen Malik: who was the 'shy housewife' turned San Bernardino killer?, The Guardian, 5 december 2015. At: https://www.theguardian.com/us-news/2015/dec/06/tashfeen-malik-who-was-the-shy-housewife-turned-san-bernardino-killer

- The Mama of Al Qaeda, Gates of Vienna, December 15, 2008. At: http://gatesofvienna.blogspot.com/2008/12/mama-of-al-qaeda.html

- William McCants and Christopher Meserole, The French Connection: Explaining Sunni Militancy around the World, Foreign Affairs, 24 March 2016. At:

https://www.foreignaffairs.com/articles/2016-03-24/french-connection

- William Watkinson, Bethnal Green schoolgirl who joined Isis believed to have been killed in an air strike, International Business Times, 11 August 2016. At: http://www.ibtimes.co.uk/bethnal-green-schoolgirl-kadiza-sultana-who-joined-isis-raqqa-believed-killed-airstrike-1575604

ثالثاً: الرسائل والكلمات

- أبو خالد العسيري، سيرة الشهيد أبو همام القحطاني، سلسلة شهداء الجزيرة (4)، مؤسسة الملاحم، على الرابط: evihcra.su.906209ai//:sptth. fdp.4/811_hkimahs/smeti/71/gro

- أبو عمر البغدادي، العز بصيانة الدين والعرض، يوليو 2009، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، مؤسسة الفرقان، ط1، 2010.

- أبو قتادة، فتوى هامة عظيمة الشأن، نشرة الأنصار، العدد 88 ، مارس 1995.

- أبو قتادة الفلسطيني، لقاء غرفة الفجر الإسلامية في برنامج البالتوك، مؤسسة التحايا، 3 يونيو 2015، على الرابط:
lmth.3/60/5102/moc.topsgolb.arat3abuomrarod//:ptth

- أبو عبد القدير، نماذج من نور.. شيء من سير زوجات حكيم الأمة أيمن الظواهري، على الرابط:
.daerhtwohs/bv/gro.mlsum.www//:ptth

- أبو محمد المقدسي، الزرقاوي مناصرة ومناصحة، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: ptth//:www.ilmway.com/site/maqdis/MS_7930. lmth

- أبو مصعب الزرقاوي، أينقص الدين وأنا حي؟" بتاريخ 7 يوليو 2005، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

- أبو مصعب الزرقاوي، وعاد أحفاد ابن العلقمي، بتاريخ 18 مايو 2005، سلسلة محاضرات، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

- أبو مصعب الزرقاوي، سلسلة محاضرات، هل أتاك حديث الرافضة، 1 يونيو

2006، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

– أبو مصعب الزرقاوي، يأ أهل الإسلام الشدة الشدة، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية.

– أبو مصعب الزرقاوي، بيان وتوضيح لما أثاره الشيخ المقدسي في لقائه مع قناة الجزيرة، 12 يوليو/تموز 2005، على الرابط: https://justpaste.it/e7rz

– أسامة بن لادن، وصية بن لادن، صحيفة الأنباء، مايو 2011، على الرابط: http://www.alanba.com.kw/ar/arabic-international-news/192850/03-05-2011-%

– أسامة بن لادن، السبيل لإحباط المؤامرات، مؤسسة السحاب، على الرابط: https://archive.org/details/Osma_E7bat_Mo2amrat

– أم الحسن المهاجرة، رسالة لمن تحب الله ورسوله، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد العاشر، 1430 هـ.

– أم سمية المهاجرة، شقائق المهاجرين، مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة 1436.

– أم سمية المهاجرة، لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ، مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436.

– أم سمية المهاجرة، جهاد لا قتال فيه، مجلة دابق، العدد الحادي عشر، ذو القعدة، 1436.

– أم سمية المهاجرة، أسبايا أم بغايا، مجلة دابق العدد التاسع، شعبان 1436.

– أم عبد الرحمن، دور المرأة في الجهاد، صدى الملاحم، مجلة دورية يصدرها تنظيم قاعدة الجهاد في جنوب جزيرة العرب، العدد4، 1429هـ.

- أم هاجر الأزدية، خديجة .. قدوة حسنة، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد التاسع، 1430 هـ.

- أم هاجر الأزدية، أحقا أسرت يا أم الرباب، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد الثالث عشر 1431 هـ.

- أميمة حسن أحمد محمد حسن، رسالة إلى الأخوات المسلمات، مؤسسة السحاب، على الرابط:
https://justpaste.it/iqse

- أيمن الظواهري، كلمة إلى رجال الإعلام الجهادي نخبة الإعلام الجهادي من لقاء مؤسسة السحاب، ذو الحجة 1428 هـ.

- أيمن الظواهري، اللقاء المفتوح مع الشيخ أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب، منبر التوجيد والجهاد، على الرابط: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_19720.html

- زينب الغزالي، إلى ابنتي: حب الجهاد، على الرابط:
http://www.asharqalarabi.org.uk/ruiah/qutuf-276.htm

- سيف العدل، تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:
http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9618.html

- عاشقة الشهادة، يا زوجة المجاهد، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد السادس عشر، 1432 هـ.

- عاشقة الشهادة، يا زوجة المجاهد، صدى الملاحم، مجلة دورية تصدر عن تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، العدد السادس عشر، 1432 هـ.

- عبدالله عزام، وصية الشهيد عبالله عزام، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:.http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9082.html

- علي بن خضير الخضير، هل على المرأة جهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:.http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9175.html

- مصطفى حامد (أبو الوليد المصري)، تنظيم القاعدة إلى أين؟، على الرابط: http://www.mustafahamed.com/?p=309

رابعاً: الأبحاث والدراسات

- آمال قرامي، الجهاد النسائيّ: الإرهاب بتاء التأنيث، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 21 يونيو 2015، على الرابط: http://rawabetcenter.com/archives/8592

- أنتوني كوردسمان، النتائج الحقيقية من الحرب على العراق :المنافسة الإستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، تقرير صادر عن مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية الأميركي CSIS، ترجمة دار بابل للدراسات والاعلام، 13 مارس 2013، على الرابط: http://www.darbabl.net/show_tarjama.php?id=251

- أوليفيه روا، "القاعدة" وعدمية الشباب، ترجمة: نائلة منصور، موقع الجمهورية، 5 أبريل 2014، على الرابط:http://aljumhuriya.net/26882

- أيمن جواد التميمي، أرشيف قصص المجاهدين: المرأة في الدولة الإسلامية، على الرابط:-http://www.aymennjawad.org/19291/the-archivist-stories-of-the-mujahideen-women

- بيار كونيسا، في جذور العمليات الانتحارية، الحوار المتمدن، العدد: 859، 9 يونيو 2004، على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=19175

- تشارلز ليستر، المقاتلون الأجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟، معهد بروكنجز، الدوحة، 2015، على الرابط: http://www.brookings.edu/~/media/Research/Files/Papers/2015/08/13-foreign-fighters-lister/Ar-Fighters-Web.pdf?la=ar

- توبي دودج، الدولة والمجتمع في العراق بعد عشر سنوات من تغيير النظام: صعود السلطوية من جديد، ترجمة: شادي عبد الوهاب، على الرابط: http://www.baghdadcenter.net/print-149.html

- تيموثي ميتشل، تجربة الاعتقال في الخطاب الإسلامي: قراءة في "أيام من حياتي" لزينب الغزالي" ضمن: المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر، إعداد جيل كيبيل ريان ريشار، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

- حارث حسن، الأزمة الطائفية في العراق: إرث من الإقصاء، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، 23 أبريل 2014، على الرابط:
50455-bup-ra/32/40/4102/gro.cem-eigenrac//:ptth

- حسن أبو هنيّة، القاعدة والجهاد الالكتروني، مركز الجزيرة للدراسات، 10 فبراير 2012، على الرابط: http://www.assakina.com/center/files/12842.html

- حمّود حمّود، في نقد ظاهرة النسويّة الإسلاميّة، موقع جدلية، 14 أكتوبر 2015، على الرابط:

http://www.jadaliyya.com/pages/index/22927/%D9%81%D9%8A-%D9%86%D9%82%D8%AF-

- دلال البزري، النسوية الاسلامية أو الجهاد النوعي gender jihad . المرأة المسلمة تنشط في الغرب ... لا يغرقها نموذجه وتدين القراءة الأبوية، جريدة الحياة اللندنيّة،22 يناير 2007، على الرابط:

http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/2007/1/22/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%A9-

- سيمور هيرش، المنطقة الرمادية: كيف انتقل برنامج سري للبنتاغون إلى أبو غريب، المستقبل العربي، بيروت، العدد 27، يوليو 2004، نقلا" عن أسبوعية نيويوركر الأمريكية في 24 مايو 2004.

- شارلي وينتر، الخلافة الافتراضية: فهم إستراتيجية بروباغندا الدولة الإسلامية،ترجمة ياسر البشير، المركز الوطني للأبحاث واستطلاع الرأي، 30 أيار 2016، على الرابط: http://ncro.sy/?p=3804

- عبد الله المالكي، الوهابية وإخوان من طاع الله وداعش.. هل أعاد التاريخ نفسه؟، التقرير، 14 أغسطس 2014، على الرابط: http://altagreer.com/%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%87%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A9

- فادي شامية، الإخوان المسلمون والطليعة المقاتلة والعلاقة مع السلطة، ضمن الإخوان المسلمون في سوريا، مؤلف جماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الثاني والثلاثون، أغسطس 2009.

- فاضل الربيعي، نساء أبو غريب: بزوغ مجتمع اغتصاب نموذجي في العراق الجديد (إعادة بناء الرواية الناقصة عن فضيحة سجن أبو غريب)، المستقبل العربي، السنة 28، العدد 316، يونيو 2005.

- كارول أندره ديسّورن، الاستشهاد في الشرق الأوسط... ظاهرة في صيغة المؤنّث أيضًا، ترجمة جينيفر بري، موقع ناو، على الرابط:

- https://now.mmedia.me/lb/ar/%D8%A3%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D9%81/532597-

- كريستوفر بوتشيك، اليمن: كيف يمكن تجنب الانهيار المطرد، أوراق كارنيغي، مؤسسة كانيغي للسلام الدولي، برنامج الشرق الأوسط، العدد 102، سبتمبر 2009، على الرابط: http://carnegieendowment.org/files/yemen3.pdf

- ليلى أبو لغد، هل تحتاج المرأة المسلمة إلى إنقاذ: تأملات إناسية في النسبية الثقافية وحواشيها، ترجمة جهاد الحاج سالم، مارس 2015، على الرابط: http://www.academia.edu/12796280/%D8%AA%D8%B1%D8

- محمد العيسى، ثورة شبيب بن يزيد الخارجي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 28 (11)، 2014، على الرابط: https://journals.najah.edu/media/journals/full_texts/6_VJ6UNHp.pdf

- محمد سعيد أبو عامود، البناء التنظيمي لجماعات الإسلام السياسي في الوطن العربي(مصر كحالة دراسة)، الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، عدد 82و 83، يوليو، أغسطس، 1991.

- ميا بلوم، النساء كضحايا أو موقعات ضحايا، في التصدي للعقلية الإرهابية، أجندة السياسة الخارجية، مكتب برامج الإعلام الخارجي وزارة الخارجية الأمريكية، آي جورنال يو اس أيه، مايو 2007.

- ميادة داود،أجيال الانتحاريات في العراق: بين رباعية الموت والإخلاص لأمراء غرباء، تحقيق، شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج)، على الرابط:http://www.nirij.org/?p=625

- ميلاد الجبوري، أجيال الموت: انتحاريات تحت ظلال قتلة غرباء، شبكة

أريج، 6 يوليو 2011، على الرابط:

http://arij.net/report/%D8%A3%D8%AC%D9%8A%D8%A7%D9%84-%

– هارون ي. زيلين، المقاتلون السنة الأجانب في سوريا: الخلفية والعوامل المسهّلة والاستجابات المختارة، 21 مايو 2014، على الرابط:

http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/sunni-foreign-fighters-in-syria-background-facilitating-factors-and-select

– ولي نصر، المودودي وصناعة التجديد الإسلامية، ترجمة: غادة بن عميرة، موقع حكمة، على الرابط:http://hekmah.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%AF%D9%8A-%

– يعقوب أوليدورت، داخل صف الخلافة: الكتب الدراسية والأدب التوجيهي وطرق التلقين الخاصة بتنظيم "الدولة الإسلامية"، معهد واشنطن، أغسطس 2016، على الرابط:http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Docu

خامساً: المقالات الصحفية

– أحمد إبراهيم، هاجر، وكتيبة الخنساء، موقع الجمهورية، 7 يوليو 2015، على الرابط: http://aljumhuriya.net/33606

– د. أحمد محمد الساعاتي، حركة المقاومة الإسلامية "حماس" 1987 1994، فلسطين أون لاين، 8 يناير 2013، على الرابط:http://felesteen.ps/details/news/84399/%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9%

– أحمد ممدوح الليثي550 سيدة أجنبية بداعش أغلبهن إنجليزيات مراهقات، موقع انسايدر برو، 1 يوليو 2015.

– إبراهيم الجبين، إيمان البغا أم داعش الفقهية في الموصل ووالدها يدعو لبشار الأسد، صحيفة العرب اللندنية، 29 نوفمبر 2015، على الرابط التالي: //:http www.alarab.co.uk/?id=67407

– أميمة الخميس، غزالة وأم الرباب، جريدة الرياض، 11 نوفمبر 2015، على الرابط: http://www.alriyadh.com/1099379

– إنعام كجه جي، "زوجة أحد قاتلي مسعود تروي تجربتها في معسكرات "القاعدة"، الشرق الأوسط اللندنية، 26/5/2002.

– إيفون ريدلي، من هي الدكتورة عافية صديقي؟ ولماذا طالب الخاطفون في الجزائر بإطلاق سراحها؟، موقع العصر، 23 يناير 2013، على الرابط: http://alasr.ws/articles/view/13994

– توفيق بوعشرين، عائلة المجاطي قصة تستحق أن تروى، موقع اليوم 24. كوم، 5 مارس 2014، على الرابط التالي: http://www.alyaoum24.com/172646.html

– جمال الخنوسي، من تكون فعلاً مليكة العرود، مدونة جمال الخنوسي، 26 ديسمبر 2008، على الرابط التالي: http://jamalelkhanoussi.blogspot.com/2008/12/blog-post_26.html

– جمال لعريني، فاطمة تروي أيام داعش الأخيرة في سرت، موقع أخبار الآن (قناة الآن)، 17 ديسمبر 2016، على الرابط التالي: http://www.akhbaralaan.net/news/exclusive/2016/12/17/%D9%81%D8%A7%D8%B7%D9%85%D8%A9-

– جمال لعيريني، قصة نسيبة من اللجوء إلى داعش، موقع أخبار الآن (قناة الآن)، 11 ديسمبر 2016، على الرابط التالي:

http://www.akhbaralaan.net/news/arab-world/2016/12/11/%D9%82%D8%B5%D8%A9-

– حازم الأمين، باكورة "الجهاد العالمي"، كلمن فصلية ثقافية، ربيع 2010، على الرابط: 21-sliated-selcitra/gro.nomalak.www//:ptth

– حازم الأمين، جهاد النكاح بين زيارتين: ليس خرافة مشرقية، صحيفة الحياة اللندنية، 2 نوفبمر 2014.

– حسين الصرايرة، تفاصيل إفشال تجنيد أول أردنية بداعش، موقع خبرني الالكتروني، 9 نوفمبر 2015، على الرابط التالي:.http://www.khaberni.com/more-158824-

– خالد ماهر، بلجيكا تجرّد أرملة قاتل الأفغاني شاه مسعود من جنسيتها، موقع منارة، 19 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:

/http://www.menara.ma

– د. خالد محمد صافي، ود. أيمن طلال يوسف، موقف حركة المقاومة الإسلامية "حماس" من دور المرأة العسكري والسياسي (دراسة مفاهيمية)،مجلة جامعى الأقصى، المجلد الحادي عشر، العددالأول، يناير 2007، على الرابط: //:https www.alaqsa.edu.ps/site_resources/aqsa_magazine/files/137.pdf

– خولة الحازمي اطالب محمد بن نايف بإطلاق سراح والدي ووالدتي، موقع آفاق، 2 سبتمبر 2011، على الرابط التالي:

- http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=8777

– ديانا مقلّد، سقوط كذبة جهاد النكاح، صحيفة الشرق الأوسط، 7 أكتوبر 2013،

– رحمة ذياب، "أكاديمية جامعة الدمام تؤكد داعشيتها وأسرتها تتبرأ من

موقفها"، صحيفة الحياة اللندنية، 22 أكتوبر 2014.

- رحمة ذياب، طالبات جامعة الدمام يطلقن مبادرة التبليغ عن أعضاء هيئة التدريس المتطرفين، صحيفة الحياة اللندنية، 23 أكتوبر 2014.

- روزيت فاضل، رشيد قاسم... "جهادي" الانترنت الذي يشغل فرنسا، جريدة النهار، على الرابط:
http://www.annahar.com/article/469401-%D8%B1%-D8%B4%D9%8A%D8%AF

- ريما شري، عروض زواج مغرية تدفع "أم حسين" و"أم ليث" و"أم جعفر" للإنضمام "للجهاد"، القدس العربي، على الرابط:.http://www.alquds.co.uk/?p=220608

- ريما شري، أول انتحارية سعودية تنضم إلى داعش في سورية وتثير الجدل، صحيفة القدس العربي، 4 ديسمبر 3102، على الرابط: http://www.alquds.co.uk/?p=110069

- الزين عثمان، من صالة الوصول إلى صالة المغادرة للمجهول، صحيفة اليوم التالي، 11 أبريل 2014، الرابط التالي:ptth://www.alyoumaltali.moc/

- سامان نوح، ظاهرة الانتحاريات في العراق نتاج تخلف وفقر أم مقاومة احتلال، مركز أمان، على الرابط: http://ror21.d1g.com/qna/show/2406378

- الدكتور سعادة خليل، منطق جديد للتفجيرات الانتحارية مغاير للسائد في الغرب، الحوار المتمدن، 15 أكتوبر 2005، على الرابط: http://www.miftah.org/Arabic/Display.cfm?DocId=3958&CategoryId=2

- سعيد الكحل، دراسة تحليلية مترجمة- عن دوافع مشاركة النساء مع داعش،

موقع السكينة، 14 نوفمبر 2014، على الرابط التالي:

- http://www.assakina.com/center/parties/57276.html#ixzz4PbyiSG3U

- سكينة أصنيب، أرملة قتيل السعودية تنشر صورة لها في مناطق داعش، موقع العربية نت، 15 يوليو 2014، على الرابط التالي:

- http://ara.tv/j38fg

- سليمان الضحيان، أي التخصصات الجامعية أكثر قابلية للتطرف، صحيفة مكة، 9 مارس 2016.

- شاهر النهاري، تخصص الأطباء والتشدد والإرهاب، صحيفة مكة، 17 مارس 2016.

- صبغة الله صابر، عافية صديقي: طبيبة "جهادية" أم ضحية؟، العربي الجديد، 27 سبتمبر 2014، على الرابط: https://www.alaraby.co.uk/politics

- طارق بنهدا، "دولة البغدادي" تحتفي بفتيحة المجاطي بعد "هجرتها" إلى العراق، هسبرس، 14 يوليو 2014، على الرابط التالي:

- http://www.hespress.com/orbites/235746.html

- طارق بنهدا، هكذا توارت المجاطي خلف البغدادي بعد ضجيج مُستمر في المغرب، موقع هسبرس، 10 يوليو 2015، على الرابط التالي:

- http://www.hespress.com/marocains-du-monde/269823.html

- طارق بنهدا، فتيحة.. حكاية مغربية عاشت في مُعسكرات و"بايعت القاعدة"، موقع هسبرس، 10 يوليو 2015، على الرابط التالي:

http://www.hespress.com/maro- -
cains-du-monde/269823.html

- عبد الإله حيدر شائع، تنظيم القاعدة في اليمن من المحلي إلى الإقليمي والدولي، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط: http://studies.aljazeera.net/reports/2010/20117211915842 1200.htm

- عبدالله البارقي، حنان سمكري .. العضو الحركي النشيط التي لعبت دورا مفصلياً في دعم القاعدة، صحيفة الشرق اليومية السعودية، 18 أبريل 2012، على الرابط التالي: http://www.alsharq.net.sa/2012/04/18/227090

- عبدالله سليمان علي، المقاتلون السعوديون في سورية من الخلايا الأولى إلى النفير، جريدة السفير، 3 ديسمبر 2013.

- عبدالرحمن صالح، التفاصيل الكاملة لانضمام آية لداعش، صحيفة الراكوبة، 9 يونيو 2015، على الرابط التالي: http://www.alrakoba.net/news-actio-id-207875.htm

- عبيدة الدليمي، تنظيم الدولة يوظف النساء في المؤسسات العامة بالعراق، موقع عربي 21، 27 أغسطس 2015، على الرابط:.https://arabi21.com/story/854737/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-

- علي محمد الغريب، سيد قطب: الممنوع من الزواج بأمر الموت!، 28 نوفمبر 2002، على الرابط:http://www.lahaonline.com/articles/

- عمر الضبيبان، "زوجان" وخيانة جندي... خلف إرهاب مسجد "طوارئ عسير"، صحيفة الحياة اللندنية، 1 فبراير 2016.

- عيسى الشاماني، تقرير "معلمة سعودية مطلقة تهرب بأطفالها من مكة إلى داعش"، جريدة الحياة اللندنية، 2 يوليو 2015.

- عيسى الشاماني، سعودية تترك الفن التجميلي لتنضم إلى التنظيم، صحيفة الحياة اللندنية، 13 ديسمبر 2015.

- عيسى الشاماني، مي الطلق وأمينة الراشد من نزهة القصيم إلى الحدود اليمنية، الحياة اللندنية، 7 مايو 2014.

- عيسى الشاماني، قناص حكومي يقتل السعودي العطوي زوج أمينة الراشد، الحياة اللندنية، 4 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015.

- كاي إدلر، نساء في حركة حماس"الإسلام يمنحنا الحماية"، ترجمة عارف حجاج، قنظرة، 21 سبتمبر 2006، على الرابط:https://ar.qantara.de/content/ns-fy-hrk-hms-lslm-ymnhn-lhmy

- كمال قبيسي، الجزائرية الهاربة حياة بومدين.. بكيني وتطرف وإرهاب، موقع العربية نت، 10 يناير 2015، على الرابط التالي: http://ara.tv/g2grz

- ليلا جاسينتو، هل عادت "الأرامل السود" ... للانتقام؟، موقع فرانس 24، 30 مارس 2010، على الرابط:

http://www.france24.com/ar/20100330-russia-suicide-attack-metro-black-widows-north-caucasus

- لينا يعقوب، حينما تؤمن بفكرة، صحيفة السوداني، 11 يوليو 2015، موقع سودارس، على الرابط: http://www.sudaress.com/alsudani/29704

- ماجد هزاع، الخالدي منذ اختطافه حتى عودته، موقع العربية نت، 2 مارس 2015، على الرابط التالي:http://ara.tv/72fpm

- محمد أبو رمان، هكذا تشكّلت أيديولوجيا التوحش، صحيفة العربي الجديد، 6 أكتوبر 2014.

- محمد إزدوتن، تعرف على حسناء المغربية.. أول امرأة لداعش تنفذ عملية

تفجير في أوروبا، هافينغتون بوست عربي ، على الرابط:-http://www.huff
.postarabi

– محمد تركي الربيعو، أنثروبولوجيون في شارع فولتير: البحث عن ديناميات المحلي في "الجهاد الفرنكفوني"، القدس العربي، 28 نوفمبر 2015.

– محمد تركي الربيعو، الجهاد والحرب والنسوية والأصولية الإسلامية: الأمريكية مريام كوك في قراءة جديدة لمذكرات المصرية زينب الغزالي، القدس العربي، 21 مايو 2016، على الربط:http://www.alquds.co.uk/?p=537307

– د. محمد حافظ دياب، الحجاب والاختلاف، موقع الكلمة، على الرابط: //:http
alkalema.net/articl/alhegab.htm

– محمد حامد، مليكة العروض: مجاهدة الإنترنت التي أرقت الإستخبارات الأوروبية، موقع إيلاف، 3 مايو 2008، على الرابط: -http://elaph.com/Web/Poli
tics/2008/5/335025.htm

– د. محمد حبش، مصارحات في وجوب إصلاح المناهج الدينية، إيمان البغا نموذجاً، موقع شاهدون 24 نوفمبر 2015، على الرابط التالي: .http://www
shahedon.com/2015/11/%D9%85%D8%

– محمد خلف، خوفاً من انضمامهم إلى داعش: تفاصيل بحث عائلات سودانية بريطانية عن أبنائها في تركيا، موقع وزارة الدفاع السودانية، 29 مارس 2015. على الرابط التالي:

– https://mod.gov.sd/index.php/section-blog/83-م

– حمد الشافعي، مليكة وجه التطرف الناعم، صحيفة الشرق الأوسط، 20 فبراير 2009.

– محمد الطاهر، تاريخ الهجمات الانتحارية من الألف إلى الياء، موقع روسيا اليوم، 22 مايو 2016، على الرابط:-https://arabic.rt.com/news/824238

– محمد عبدالله، "بنات العراق" في مواجهة نساء القاعدة، موقع نقاش، 24

يوليو 2007، على الرابط،http://www.niqash.org/ar/articles/ /politics/2494

– محمود خليل قائدة مجاهدات "القاعدة": نبني تنظيما نسائيا سيقوم بعمليات تفجيرية تنسي أميركا اسمها، حوار، الشرق الأوسط، 12مارس2003، على الرابط:http://archive.aawsat.com/details.asp?arti

– مختار نوح، الشهادة العكسية لطلال الأنصاري، المصريون، على الرابط: http://www.masress.com/almesryoon/20137

– مريم الصغير وسعاد الشمراني، نجلاء الرومي صلتها وثيقة بأروى البغدادي، جريدة عكاظ، 18 أبريل 2012، على الرابط التالي:

– http://www.okaz.com.sa/article/471125/%D8% /A7%D9%84%D8%B1%D8%A3%D9%8A

– مريم السيد هنداوي، سميرة عواطلة: أم المجاهدات في بيشاور، حوار، مجلة المجتمع، على الرابط: /http://www.fin3go.com/newFin/main topicpreview.php?ditopicid=1607&action=3

– مشاري الذايدي، وتحدثت فتيحة، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، 21 يونيو 2015.

– منصور النقيدان، عبدالكريم الحميد من مترجم في أرامكو إلى زاهد يسكن الطين ولا يركب السيارة، صحيفة الوطن، 22 ديسمبر 2002.

– منى الصنهاجي، مسعف بريطاني يجند الطلاب البريطانيين للانضمام إلى داعش في سورية، الخبر برس، 17 يونيو 2015، على الرابط: .http://www khabar

– منى سعود، "معلومات جديدة عن وفاء اليحي وأبنائها .... توفيت في العراق ولازال البحث جاري عن أبنائها"، الأحساء الآن، 3 فبراير 2017، على

الرابط التالي: http://now.ahsaweb.net/6906

- منيرة الهديب، ربما الجريش تختصر رحلة فرارها من المملكة في 27 تغريدة، صحيفة الحياة اللندنية، 19 تشرين الثاني 2014.

- مؤيد باجس، شاعرة "داعش" السعودية تصل سوريا وتتزوج "الغريب"، عربي 21، 14 أكتوبر 2014، على الرابط: https://arabi21.com/story/78174

- ناصر الحقباني، مقتل أصغر مطلوب أمني في قائمة الـ85، عبد الإله الشهري، صحيفة الحياة اللندنية، السبت، 19 أيار 2012، على الرابط التالي:

- http://www.alhayat.com/Details/403703

- ناصر الحقباني، مقتل المطلوب عبدالمجيد الشهري، صحيفة الحياة اللندنية، 17 يناير 2014، يمكن قراءة الخبر على الرابط التالي:

- http://www.alhayat.com/Details/593750

- نبيل شرف الدين، حكايات نساء الإرهاب من القاهرة إلى كابول:قصة المرأة التي شاركت في اغتيال السادات، موقع إيلاف، 14 يونيو 2005، على الرابط:

- http://elaph.com/Web/Reports/2005/6/69163.htm?sectionarchive=Reports

- نبيل دريوش، زوجة عبد الكريم المجاطي: دخلنا السعودية بجوازات قطرية مزورة.. ولا علاقة له بتأسيس "الجماعة المغربية المقاتلة"، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، 18 يونيو 2005، على الرابط التالي:

- http://archive.aawsat.com/details.asp?arti

هادي يحمد، مليكة البلجيكية .."الأميرة" الأوربية للقاعدة!، مدونة اليوم التالي، 2 أكتوبر 2012، على الرابط التالي:

- http://lejour-dapres.blogspot.com/2012/10/blog-post.html

- هادي يحمد، معز الغرسلاوي.. التونسي الذي أصبح أحد رموز القاعدة، 9 نوفمبر 2013، على الرابط التالي:

http://lejour-dapres.blogspot.com/2012/11/blog-post_9.html

- هاني الصفيان، بالصور مي الطلق وأمينة الراشد في ضيافة الداخلية، العربية نت، 23 أبريل 2014، عبر الرابط التالي:

- http://www.alarabiya.net/ar/saudi-to-day/2014/04/23/

- هدى الصالح، "أخت جليبيب تهدد قناة العربية عبر تغريداتها"، موقع العربية نت، 5 يونيو 2015، الرابط التالي:

- https://www.alarabiya.net/ar/saudi-today/2015/06/05/-%D8%A3%D8%AE%D8%AA-

- هدى الصالح، من هي الداعشية السعودية التي التقاها خليفة داعش؟، موقع العربية نت، على الرابط:
https://www.alarabiya.net/ar/saudi-today/2016/02/28/%D

- هدى الصالح، "نساء القاعدة": مقاتلات بأسلحة الرجال، صحيفة الشرق الأوسط، 31 ديسمبر 2010، على الرابط:.http://archive.aawsat.com/

- هدى الصالح، مسؤول سعودي يكشف عن تورط 13 سيدة خلال تفكيك خلايا إرهابية، الشرق الأوسط ، 29 نوفمبر 2010.

– هدى الصالح، العربية نت تكشف تفاصيل مقتل الداعشية ريما الجريش، 13 نوفمبر 2015. على الرابط التالي:
.http://ara.tv/4krk8

– هدى الصالح، نساء الإرهاب عشر سنوات بين دهاليز الإنترنت وسراديب اليمن، صحيفة الشرق الأوسط، 16 مايو 2013.

– هدى الصالح، شبح أمهات داعش خلف تفجيرات الكويت والسعودية، موقع العربية نت، 29 يونيو 2015، الرابط التالي:

– http://ara.tv/4agwz

– وائل عواد، إيمان كنجو بين الخليفة البغدادي والخليفة أردوغان، موقع نون بوست، 28 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:

– http://www.noonpost.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D9%87%D8%AF-

– يقين حسام الدين، الجزائر: مسلح و3 نساء بجماعات إرهابية يسلمون أنفسهم للسلطات، العربي الجديد، 27 أغسطس 2015، على الرابط: https://www.alaraby.co.uk/politics/2015/8/27/

سادساً: التقارير البحثية

– المملكة العربية السعودية، من هم الإسلامويون؟، مجموعة الأزمات الدولية، أيلول 2004، التقرير رقم 31 للمجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (الشرق الأوسط)، على الرابط: http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/Mid

- النساء والتطرف العنيف في الأردن، تقرير فني، هيئة الأمم المتحدة للمرأة واللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة، 2016، على الرابط: http://www.hayatcenter.org/uploads/2016/12/20161215114712ar.pdf

- النساء والراديكالية الإرهابية: التقرير النهائي، الطاولات المستديرة لخبراء مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان التابع لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، فيينا، 2013، على الرابط: http://www.osce.org/ar/secretariat/99920?download=true

- الفرار من الجحيم:التعذيب والعبودية الجنسية في الأسر لدى الدولة الإسلامية في العراق، منظمة العفو الدولية، ط1، 2014.

- "لا أحد آمن": انتهاك حقوق المرأة في نظام العدالة الجنائية العراقي، منظمة هيومن رايتس ووتش، فبراير 2014، على الرابط: https://www.hrw.org/ar/report/2014/02/05/256515

- مؤشر مدركات الفساد 2011، منظمة الشفافية الدولية، على الرابط: http://cpi.transparency.org/cpi2011/results.

سابعاً: الأخبار والتقارير الصحفية

– ابنة الناطق الرسمي لوزارة الخاجية تغادر الخرطوم وتنضم لداعش، موقع راديو Dabanga، 30 يونيو، 2015، الرابط التالي:https://www.dabang

– "أبو تراب" يروي قصة انضمامه لـ "داعش": تجندت إلكترونياً بفتاوى ثلاثة دعاة كويتيين، صحيفة السياسة الكويتية، 20 يوليو 2016.

– اتهام ثلاث نساء بمحاولة تفجير سيارة مفخخة في باريس، موقع سكاي نيوز عربية، 13 أيلول 2016، على الرابط:-http://www.sky newsarD9%85

– "أخت جليبيب فتاة جامعية سعودية تنجح بالانضمام مع أخيها للقتال في سورية"، موقع إخبارية رفحاء، 7 ديسمبر 2016، على الرابط التالي:/:p www.rafha-news.com/news-action-show-id-17731.htm

– أخبار عن تعرض المعتقل مولاي عمر العمراني هادي للتعذيب على يد حراس سجن تولال2، موقع فاس نيوز، 28 مارس 2013، على الرابط التالي: http://fesnews.net/%D9%81%D8%A7%D8

– أخطر 9 نساء في "داعش"، من هن ؟ و ما هي جنسياتهن؟، صحيفة الشروق التونسية، 3 سبتمبر 2014، على الرابط التالي: .http://www /alchourouk.com/67935/566/1

– إدانة أول بريطانية بتهمة الانضمام لتنظيم "الدولة الإسلامية، BBC العربية30 يناير 2016، على الرابط:http://www.bbc.com/arabic

– أرشيف اعتصامات أهالي المعتقلين في السعودية، 7 مايو 2013، على الرابط التالي: /https://w3iteam.wordpress.com/2013/05/07

/setinhistor

- إرهابي شارك باحتجاز الرهائن في مسرح "دوبروفكا" يعترف بجرمه، موقع سبوتنك عربي، 22 نوفمبر 2016، على الرابط:-https://arabic.sputni knews.com/russia/201611221020912062-%D9%85%

- روى بغدادي من هي وما قصتها؟ على الرابط التالي:-http://twit mail.com/email/56334464/13/%D8%A3%D8%B1%D 9%88%D9%89- -"استشهاد عبد المجيد العتيبي "قرين الكلاش" من أوائل المهاجرين المجاهدين في الشام، وأصابع الاتهام تتوجه لجبهة "علوش"، وكالة أنباء حق، 24 يونيو 2014، على الرابط:/https://dawaalhaq.com post/14276

- "الأسيرة أم صهيب الأحمدي في سجون آل سعود"، 8 أكتوبر 2011، على الرابط التالي:http://www.tawawya.ar.nf/?p=650

- اعترافات المسؤولة عن تجنيد الانتحاريات في العراق، موقع بي بي سي، 3 فبراير 2009، على الرابط:/http://news.bbc.co.uk/hi/arabic

- "إلقاء القبض على "أم الزهراء".. الفرنسية التي تزوّج مقاتلي "داعش" من أوروبيات"، موقع CNN العربي، 29 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:

http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/09/29/ oum-azzahra-isis

- الاعترافات التفصيلية للخلايا الإرهابية، صحيفة الأنباء الكويتية، 5 يوليو 2016.

- أم "أبو تراب" باكية أمام "الجنايات": أعوذ بالله من "داعش".. ذهبت إلى سورية لأعيد ابني فقط، كويت نيوز، 20 يوليو 2016، على الرابط التالي:
http://www.q8news.com/152916.html

- الأمن المصري يواصل الملاحقات ويؤكد ارتباط الهجمات الثلاث، الجزيرة نت، 1 مايو 2005، على الرابط:/http://www.aljazeera.net/news

- الأمريكية "جهاد جين" تدفع ببراءتها من اتهامات بـ"الإرهاب"، سي إن إن عربية، 18 مارس 2010، على الرابط:.http://archive.arabic.cnn
الاستشهادية المجاهدة "هبة عازم دراغمة": قالت لوالدها قبل استشهادها: سأقدم لك شهادة تفتخر بها، سرايا القدس - الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، على الرابط: %/https://saraya.ps/post/10527

- "الأردنية التائبة" تكشف اسرار تنظيمها وتجنيدها في داعش من الكرك، موقع جراءة نيوز، 22 نوفمبر 2015، على الرابط التالي:

http://garaanews.com/-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%AF%D9%86%D9%8

- انتحاريات داعش في سرت..الرمق الأخير، موقع بوابة إفريقيا، على الرابط:http://www.afrigatenews.net/content/%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D9-%8A%D8%A7%D8%AA

- "الانتحاري استخدم جوالاً بشريحتين لمحاولة اغتيال الأمير محمد بن نايف"، موقع العربية نت، 5 سبتمبر 2009، على الرابط التالي:

https://www.alarabiya.net/articles/2009/09/05/84022.html

- انتهت مواجهات الرس بمقتل 14 من قادة القاعدة الخطيرين واعتقال 5، موقع العربية نت، 5 أبريل 2005، على الرابط التالي:-https://www.alarabiya.net/articles/2005/04/05/11892.html

- امراة كويتية تشجّع ابنها على تفجير نفسه في العراق؟!!، موقع قناة العالم، 11 يوليو 2016، الرابط التالي: http://www.alalam.ir/news/1837306

- "أهم خمس برقيات مسربة من ويكيليكس عن السياسة الخارجية السعودية، موقع البديل، 20 يونيو 2015، على الرابط التالي: http://elbadil.com/2015/06/20/%D8%A3%D9%87%D9%85-5-

- إيمان كنجو في محكمة إسرائيلية تردد "باقية وتتمدد"، موقع عربي 21، 20 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:-http://arabi21.com/story/860141/%D8%A5%D9

- إيمان كنجو والدة لخمسة أطفال من الداخل الفلسطينيّ متهمّة بالانضمام لـ"الدولة الإسلامية" تُردّد بالمحكمة الإسرائيليّة "دولة الإسلام باقية وتتمدّد"، موقع الرأي اليوم، 22 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:-http://www.raialyoum.com/?p=319557

- بريطانيا: إدانة زوجين بالتخطيط لـ"هجوم انتحاري" في ذكرى تفجيرات قطارات أنفاق لندن، سي إن إن العربية، 30 ديسمبر 2015

http://arabic.cnn.com/world/2015/12/30/uk-couple-convicted-terror-charges

- "بنان عيسى هلال"، موقع السكينة، 30 نيسان 2016، الرابط التالي: http://www.assakina.com/news/news1/88117.html\،

- بنات داعش السودانيات: قصة التوأم أبرار ومنار.. حكايات غريبة، صحيفة التيار، 4 نوفمبر 2015، على الرابط التالي: http://www.alnilin.com/12729350.htm

- بالأسماء ستة نساء قياديات في داعش و"أم المقداد" أميرتهن، موقع المسلة الالكتروني، 10 مارس 2016، على الرابط التالي:http://almasalah.com/ar/NewsDetails.aspx?NewsID=37522

- بينهم أم أسامة التلفزيون السعودي يبث اعترافات المتراجعين عن التوجهات التكفيرية، موقع عاجل، 28 يونيو 2008، على الرابط التالي:

http://www.ajel.sa/local/1057096

- تفاصيل اختفاء مُهندسة أردنية تحاول الانضمام لِ'داعش، صحيفة الديار اليومية الأردنية، 20 يناير 2016.

- "تفاصيل مخطط اعتداء جهادي خططت له نساء في فرنسا"، موقع اليوم 24.كوم، 9 سبتمبر 2016، على الرابط التالي:

http://www.alyaoum24.com/706961.html،

- تعرّف على فتيات داعش البريطانيات في سورية، موقع قناة العالم، http://www.alalam.ir/news/1850496

- تعرّف على أطباء داعش السودانيين، موقع السودان اليوم، 29 أغسطس 2016، الرابط التالي:

http://alsudanalyoum.com/2016/08/29/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-/

- تونسيات مارسن "جهاد النكاح" في سوريا يعدن إلى بلادهن حوامل، فرانس 24، 20 سبتمبر 2013، على الرابط التالي:

http://www.france24.com/ar/20130919-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B39

- تنظيم القاعدة في السعودية نشأته ونهايته، موقع السكينة الالكتروني، 9 أغسطس 2015، على الرابط التالي: http://www.assakina.com/center/parties/50607.html

- "جمعية الحقوق المدنية والسياسية (حسم)"، 10 مارس 2013، على الرابط التالي:

http://www.assakina.com/center/parties/22693.html

- حسناء آيت بولحسن قريبة مدبر اعتداءات باريس لم تفجر نفسها، هافينغتون بوست عربي، 20 نوفمبر 2015، على الرابط: http://www.huffpostarabi.com/2015/11/20/story_n_8612094.htm

- حسناء المغربية كانت مضطربة ولم تفتح القرآن يوما كانت تكثر من شرب الكحول وترافق تجار المخدرات كما كانت تلقب بالـ cowgirl، موقع العربية نت، 20 نوفمبر 2015، على الرابط التالي: http://ara.tv/we9us

- حسناء أية بولحسن ، نموذج للشباب التائه في أوروبا، تطوان نيوز، 21 نوفمبر 2015، على الرابط:-http://tetouanews.ma/ar chive/%D8%AA%D9%

- حسناء أيت لحسن : قضت عيد الأضحى بأيت أورير وترددت على أكادير حيث تتواجد أسرة والدتها، موقع أسراك نيوز، 20 نوفمبر 2015، على الرابط التالي: http://assarag24.

- "حصّة" التي جندت أولادها مع داعش، موقع البوابة، 5 يوليو 2016، على الرابط التالي:http://www.albawaba.com/ar/%D8

- الحكم على ايمان كنجو من شفاعمرو بالسجن الفعلي لمدة 22 شهراً، موقع إشراقة، 7 يوليو 2016، على الرابط التالي:http://ishraqa.co.il/26608

- الحكم بالسجن مدى الحياة على أتباع بن لادن المدانين بتفجير السفارتين الأميركيتين في إفريقيا، جريدة الشرق الأوسط، على الرابط: http://archive.aawsat.com/details

- حياة العوفي، الرابط التالي:

https://justpaste.it/iiffx

- حياة بومدين في لقاء نشره "داعش": زوجي كان يتوق للذهاب إلى أرض الخلافة"، جريدة الوسط البحرينية، 14 فبراير 2015.

- حياة بومدين تروي تفاصيل يومياتها في ضيافة داعش، موقع راديو سوا الالكتروني، 28 أبريل 2015.

http://www.radiosawa.com/a/hayat-boumeddiene-paris-isis-/269903.html

- "الداخلية القبض على شبكة إرهابية تضم 17 فرداً بينهم امرأة، المسار أون لاين، 19 سبتمبر 2016، على الرابط التالي:

http://www.almasaronline.com/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A7%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%A9-

- "الداخلية": تفجير مسجد "طوارئ أبها" بمساعدة جندي خائن باع وطنه، جريدة المدينة، 1 فبراير 2016.

- الداخلية: 12 عملية فاشلة وسوري خطط لتفجير مدينة الأمن العام، موقع السكينة، 21 سبتمبر 2016، الرابط التالي: : http://www.assakina.com/news/news2/92724.html#ixzz4QjB1iZ00

- الداخلية الكويتية: إحباط مخططات إرهابية لمجموعات تنتمي لـ "داعش"، موقع روسيا اليوم، 3 يوليو 2016، على الرابط التالي:

https://arabic.rt.com/news/830680-%D8%AF%D8%A7%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%A9-%

- الداخلية للعربية نت: القحطاني شقيق أخت جليبيب، العربية نت، 4 يونيو 2015، على الرابط التالي:

http://ara.tv/657ua

- داعش.. أي دور للنساء؟ "أم سياف" تفضح التنظيم، موقع راديو سوا، 6 يوليو 2015، على الرابط:

http://www.radiosawa.com/a/isis-women-rule-/274663.html

- داعش يهيء إيمان البغا لمنصب مهم في "الدولة الإسلامية"، صحيفة الحياة اللندنية، 15 نوفمبر 2014.

- د.إيمان البغا: شوارع (داعش) أنظف من شوارع الدمام بسبب تولية الكفاءات وتطبيق القوانين، صحيفة شؤون خليجية، 31 يناير 2015، على الرابط التالي: http://alkhaleejaffairs.me/c-13211

- الذكرى العاشرة لتفجيرات حمراء الرياض: قصة المرأة السعودية التي سافرت بأطفالها للعراق من أجل "الجهاد" وتزوجت الزرقاوي، صحيفة الشرق الأوسط، على الرابط: http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=728067&issueno=12583#.WHfOl1N97IU

- رحلة الشقيقين كواشي إلى التطرف، الحياة اللندنية، 28 يناير 2015.

- الرحلة لأرض داعش.. البداية والنهاية، موقع النيلين، 3 سبتمبر 2015، على الرابط التالي:

http://www.alnilin.com/12717103.htm

- رسالة خطيرة للغاية من نساء العراق إلى "أبو مصعب الزرقاوي"، على الرابط: https://forums.graaam.com/13153.html

- "الراشد والجطيلي والدلبحي والهديان.... القاعدة تعترف بمقتل 4 سعوديين بينهم "مهندس" قنابلها"، موقع عاجل، 25 يوليو 2010، على الرابط التالي: http://www.ajel.sa/local/1101326

- ساجدة الريشاوي، الجزيرة نت، على الرابط: http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/1/25/%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D8%AF%D8%A9-

- السجن سبع سنوات لأول "انتحارية عراقية" تفتح "ملف النساء الانتحاريات"، موقع شينخوا عربي، 4 أغسطس 2009، على الرابط: http://arabic.news.cn/speak/2009-08/04/c_1320254.htm

- السجن 4 سنوات لامريكية "حاولت الالتحاق بداعش"، موقع البي بي سي العربي، بتاريخ 24 يناير 2015، على الرابط التالي: http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/01/150124_us_woman_jailed_is

- السجن 10 سنوات بحق الأمريكية "جهاد جين" لاتهامها بمساعدة تنظيم "القاعدة"، روسيا اليوم، على الرابط:

https://arabic.rt.com/news/639735-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AC%D9%86_10_%D8%B3%

- السعودية: القبض على الرويلي المتورط بإحداث الدالوة، موقع العربية نت، 13 مارس 2016، على الرابط التالي:

http://ara.tv/y57vu

- السعودية تسجن مواطنة استبشرت بخروج شقيقها لصراع اليمن، موقع إرم، 26 يناير 2016، على الرابط التالي:

http://www.eremnews.com/news/422456

- "السعودية: الكشف عن هويات قتلى مواجهة حي اليرموك بالرياض"، جريدة الشرق الأوسط، 1 مارس، 2006، على الرابط التالي:

http://archive.aawsat.com/details.asp?article=350717&issueno=9955#.WDLzK8lquVs

- السعودية تعلن عن مقتل 3 من قائمة الـ85 والقائمة تتقلص إلى 75 مطلوباً، الشرق الأوسط اللندنية، 19 يناير 2010.

- السعودية تعتقل 149 عنصرًا من القاعدة وتحبط 10 مخططات إرهابية، جريدة الأيام، 27 نوفمبر 2010، على الرابط التالي:

http://www.alayam.com/alayam/first/432809/News.html

- السعودية الأرملة اليتمية أم الرباب هيلة القصير، موقع الصفوة، 2 مايو 2015، على الرابط التالي:

http://www.alsafwanews.com/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-

- السلطات السعودية تعتقل مرأة للضغط على أخيها المطلوب، صحيفة القدس العربي، 26 مايو 2003.

- السلطات السعودية تحاكم قاصراً بتهمة الإرهاب، نون بوست، 1 نوفمبر 2013، على الرابط التالي:

http://www.noonpost.net/content/839

- "السويد.. حكاية انتحاري سعودي اختارته القرعة لتفجير نفسه، صحيفة الحياة، 2 أغسطس 2014، على الرابط التالي:

https://justpaste.it/jkkah

- سي إن إن تلاحق خطى الجهادية أقصى محمود من غلاسكو إلى الرقة، موقع عربي 21، على الرابط:

https://arabi21.com/story/812723/CNN-%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%AD%D9%82-

- "سيدات قادهن فكرهن الضال إلى الإرهاب"، صحيفة الأربعاء الالكترونية، 19 أبريل 2012، على الرابط التالي:

http://www.assakina.com/center/parties/24637.html

- سيرة السجينة نجلاء الرومي، أم الزبير، على الرابط التالي:

http://archive.omaniaa.co/showthread.php?t=468674

- سيرة مختصرة للشيخ المجاهد يوسف العيري رحمه الله، على موقع شبكة الأمة اليوم، 15 يوليو 2011، على الرابط التالي:

http://www.umahtoday.net/arabic/?Action=Details&ID=6785

- شاعرة داعش السعودية أحلام تتزوج من أبو أسامة الغريب في الرقة السورية، صحيفة القدس العربي، 14 أكتوبر 2014.

- "شاعرة داعش السعودية تصل سورية وتتزوج بالغريب، عربي 21، 14 أكتوبر 2014، الرابط التالي:

https://arabi21.com/story/781746/%D8%B4%D

- "الشهد المذاب في سيرة أم الرباب"، على الرابط التالي: http://twit-mail.com/email/298136886/6/%D8%A7%D9%84%D-8%B4%D9%87%D8%AF

- "الشهري أصغر المعتقلين في غوانتنامو.. عاد ضمن الدفعة العاشرة وخضع للمناصحة في برنامج الأمير محمد بن نايف"، موقع السكينة، 20 أكتوبر 2009، على الرابط التالي:

http://www.assakina.com/news/4518.html

- "الشهري من عضو في فرقة اغتيالات إلى جثة هادمة بجازان"، موقع العربية نت، 20 أكتوبر 2010، على الرابط التالي:

https://www.alarabiya.net/articles/2009/10/20/88697.html

- "صالح العوفي مقتله يوجّه ضربة موجعة لتنظيم القاعدة في السعودية"، العربية نت، 18 أغسطس 2005، على الرابط التالي:

https://www.alarabiya.net/articles/2005/08/18/15997.html

- طلاب جدد من جامعة واحدة يتوجهون إلى داعش، صحيفة الراكوبة السودانية، 7يونيو2015، على الرابط التالي:

http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-200828.htm

- "عافية" العالمة الباكستانية وسر تمسك "داعش" باطلاق سراحها، موقع السكينة، 30 أغسطس 2014، على الرابط:.http://www.assakina.com/news/news2/51985.html

- عام على هجوم سان برناردينو.. واشنطن تكافح لمنع هجمات "الذئاب المنفردة"، الشرق الأوسط اللندنية، 2 ديسمبر 2016.

- عطاف عليان رائدة العمليات الاستشهادية الفلسطينية، دنيا الوطن، 14 سبتمبر 2003، على الرابط: https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2003/09/14/65.html

- في حوار مع والدتها لصالح صحيفة الرياض السعودية، أجرته معها أسمهان الغامدي، والدة ريما الجريش ل «الرياض»: ابنتي حية ترزق.. وأنا بريئة منها ومن فكرها الضال، صحيفة الرياض، 24 فبراير 2016، يمكن الوصول إلى الحوار عن طريق الرابط التالي: http://www.alriyadh.com/1131545

- القبض على 93 شخصاً بينهم امرأة ضمن خلايا تابعة لداعش، جريدة الرياض، 28 أبريل 2015.

- المرأة القوية في داعش للداعشيات، حرضن أزواجكن، تقرير العربية نت، 28 فبراير 2016.

- "المملكة العربية السعودية: استمرار الاستهداف الممنهج لأعضاء جمعية الحقوق المدنية والسياسية في السعودية"، موقع المنظمة السعودية للحقوق والحريات، 30 يناير 2016، على الرابط التالي:

http://www.saorf.org/?p=453

- القاعدة في جزيرة العرب تتبنى قضية المعتقلة السعودية أم رباب، موقع العربية نت، 20 مايو 2010، على الرابط التالي:

https://www.alarabiya.net/art

- قمع السعودية يصل إلى مستوى غير مسبوق باعتقال النساء، موقع نون بوست، 13 أكتوبر 2014، على الرابط التالي:

https://www.noonpost.net/content/4132

- قصة حياة بومدين الكاملة.. من الميتم إلى براثن الحب والتشدد، موقع الحرّة نيوز، 10 يناير 2015، على الرابط التالي:

http://www.alhurra.com/a/who-is-hayat-boumeddiene/264731.html

- قصة «حسناء المغربية» أول امرأة تنفذ عملية انتحارية بأوروبا: تشرب الكحول وتحب الحفلات ولم تقرأ القرآن، الوسط البحرينية، 22 نوفمبر 2015، على الرابط:

- http://www.alwasatnews.com/news/1048406.html

- قصة أم عبيدة المغربية أو « الأرملة السوداء » التي سحبت بلجيكا منها الجنسية، فبراير. كوم، 20 سبتمبر 2015، على الرابط التالي: https://www.febrayer.com/250979.html

- قصة أم عمر التونسية كما روتها، موقع ليبيا المستقبل 2011، على الرابط التالي:

http://www.libya-al-mostakbal.org/10/11082/%D8%B3%D8%B1%D8%AA-%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%A3%D9%85-

- "قوائم المطلوبين.. سلاح سعودي لضرب الإرهاب"، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، 10 يونيو2015.

- لقاء صحافي مع زوجة الشهيد عبد الكريم المخاطي، على الرابط التالي:

http://documents.tips/documents/-557203e3497959f-c0b8b5035.html

- اللواء التركي للعربية نت: بنان هلال سعودية الجنسية، موقع العربية نت، 13 مارس 2016، على الرابط التالي: http://ara.tv/p5t5f

- مئات الأوروبيات يلتحقن بتنظيم "الدولة الإسلامية"، BBC العربية، 28 يناير 2015، على الرابط: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/01/150128_female_jihadists_report

- المتحدث باسم الخارجية السودانية يؤكد انضمام ابنته لداعش، موقع إرم نيوز، 29 يونيو 2015، على الرابط التالي:

http://www.eremnews.com/news/arab-world/305257

- محمود محمد أصبح زعيم داعشي وتزوج من شاعرة داعش، موقع أنباء يورو عرب برس، 15 أكتوبر 2014، على الرابط:

- http://www.eapress.eu/eap/?p=307

- "المجلة" تنشر اعترفات شانون كونلي لـ «إف بي آي»، موقع مجلة المجلة، نوفمبر 2014، على الرابط التالي: http://arb.majalla.com/2014/11/article5525243

- المجلات النسائية الصادرة عن التنظيم الإرهابي، موقع السكينة، على الرابط: http://www.assakina.com/center/parties/60180.html

- مدونة أم الشهيد آدم المجاطي، على الرابط التالي:

http://oumadamelmejjati.blogspot.com/2013/02/blog-post_18.html#more

- المسجد الأحمر .. فصول المواجهة الدامية، الجزيرة نت، 10 يوليو 2007، على الرابط: http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/7/10/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AC%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%B1-

- "المطلوب البغدادي التحق بقسم الشريعة بجامعة أم القرى والعائلة تبرأت منه"، جريدة المدينة، 29 ديسمبر 2010، على الرابط التالي:

http://www.al-madina.com/node/280743

https://www.youtube.com/watch?v=LbKUW0-Ky-iQ

- "معلومات جديدة عن بنان هلال.. سعودية وابنة مطلوب للأمن الأردني"، صحيفة الوئام الالكترونية، 16 مارس 2016، على الرابط التالي: http://www.alweeam.com.sa/390355/%D9%85%D8%B9%

- المغربية "أم آدم المجاطي" تصل مناطق داعش وتهاجم "نهش عرضها" بشائعات تزوجيها لمساعد "الخليفة"، سي إن إن، 30 يوليو 2014، على الرابط التالي:

http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/07/30/morocco-islamic-state-new

- مقتل 50 شخصا في مجزرة فلوريدا والمنفذ أفغاني، رويترز، 12 يونيو 2016.

- منفذة هجوم "سان برناردينو" تاشفين مالك.. من هي؟.. هذا كل ما نعرفه، موقع سي إن إن عربي، 7 ديسمبر 2015، على الرابط:.http://arabic.cnn.com/world/2015/12/07/us-san-bernardino-shooter-tashfeen-malik

- منفذة الهجوم في اسطنبول هي أرملة نرويجي داعشي، أخبار i24، على الرابط، http://www.i24news.tv/ar/

- من البكيني الى النقاب... حياة بومدين المطلوبة رقم 1 في فرنسا: طفولة يتم وبؤس، الأمناء نت، 13 يناير 2015، على الرابط: http://www.alomanaa.net/news20071.html

- من هي الداعشية خلود الركيبي، موقع السكينة، 22 سبتمبر 2016، على الرابط التالي: http://www.assakina.com/news/news1/92772.html#ixzz4Pbru5DE9 ،

- من هي طبيبة داعش السودانية التي قُتلت في العراق، موقع الرأي اليوم، 11 يوليو 2016، على الرابط التالي:.http://www.raialyoum.com/?p=474607

- من هي الداعشية السعودية أم أويس وريثة أم الرباب؟، 10 أكتوبر، 2015، دار الأخبار، على الرابط التالي:

http://www.daralakhbar.com/news/2015/10/10/2632109/articles/9016664/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%8A-F

- من هي عائشة عثمان أمير حرب تنظيم داعش ؟، موقع صدى الحقيقة، 13 نوفمبر 2014، على الرابط: http://sdhnews.com/archives/47445

- مهام أخطر نساء داعش.. "أم المقداد" و "أم مهاجر" و"القحطاني"، سودان موشن، 18 أغسطس 2014، على الرابط التالي:

http://sudanmotion.com/home/1325.html

- هل من علاقة بين الثقافة الفرنكفونية والتطرف؟، صحيفة الشرق الأوسط، 26 مارس 2016.

- هجمات باريس.. كيف تطرفت حسنة بولحسن بعدما عُرفت بحب الحياة والاحتفال؟ ومسؤول: لم تفجر نفسها بمداهمة سانت دينيس، موقع CNN العربي، 21 نوفمبر 2015، على الرابط التالي:

http://arabic.cnn.com/world/2015/11/21/female-not-suicide-bomber-shubert

- ندى القحطاني مجاهدة سعودية تنضم إلى داعش بلا محرم، صحيفة حدث الالكترونية، على الرابط: http://www.hadth.org/39240.html

- "نساء القاعدة ومهمتاتهن التنظيمية"، موقع السكينة ، 11 مايو 2013، على الرابط التالي: http://www.assakina.com/center/parties/2463.html

- النساء يمثلن نحو 30% من المقاتلين الإرهابيين الأجانب، تقرير دولي، مركز أنباء الأمم المتحدة، 26 فبراير 2016، على الرابط: http://www.un.org/arabic/news/story.asp?

- نيجيريا:الانتحاريات سلاح بوكو حرام الجديد، موقع السكينة، 13 ديسمبر 2014، على الرابط:/http://www.assakina.com/news news1/59445.html

- "هيلة القصير أخطر إرهابية بيد الأمن"، تقرير صحيفة الرياض السعودية 4 يونيو 2010، على الرابط التالي: .http://www.alriyadh com/531976

- "والدة وفاء الشهري: ابنتي استغلت غيابي ولن أسامحها، موقع عاجل الالكتروني، 8 سبتمبر 2009، على الرابط التالي:.http://www.ajel sa/local/1083981

- "الوسط" تجري تحقيقاً حول ظاهرة جديدة ومهمة وتحاور مجموعة من المعتقلات في السجون المصرية: المتطرفات، الحياة 1993، على الرابط://:http daharchives.alhayat.com/issue_archive/Wasat%20

- هيلة القصير مزقت وثيقة تخرجها وحاولت الإيقاع بطالبات بريدة تزوجت ممن يرفض الحياة ثم من مطلوب أمني، موقع الوطن أون لاين، 5 يونيو 2010، على الرابط التالي:/http://www.alwatan.com.sa/Local News_Detail.aspx?ArticleID=5367

- "هيلة وحميد الزواج بريال والهدف ضخ الملايين"، تقرير صحيفة الوطن السعودية 9 يونيو 2010، على الرابط التالي: -http://www.al watan.com.sa/Local/News_Detail.aspx?Arti

- "هيلة القصير تتراجع عن تأييد التنظيم وترفض الفكر الداعشي؟"، 8 نوفمبر 2015، على الرابط التالي: .http://www.alriyadh com/1098304

- واشنطن تسلم السلطات الكردية العراقية أرملة قيادي في تنظيم "الدولة الإسلامية"، موقع فرانس 24 عربي، 7 أغسطس 2015، على الرابط:/http://www.france24.com

- والدة "ريما الجريش" تنفي مقتل ابنتها في سوريا، مفكرة الإسلام، 24 فبراير 2016، على الرابط: http://islammemo.cc/akhbar/locals-ksa/2016/02/24/284188.html

- 104 نساء بلجيكيات انضممن إلى جماعات متطرفة، موقع روسيا اليوم، 31 أغسطس 2016، على الرابط التالي:https://arabic.rt.com/news/838882-%D8%A8%

ثامناً: الوثائق والبيانات

- إذاعة البيان، برنامج جولة في دواوين الدولة الإسلامية (السبت 12-8-1436 حتى الجمعة 18-8-1436) على الرابط: HTTPS://ISDARAT.TV/16001

- إعلان التشكيلة الوزارية الثانية لدولة العراق الإسلامية، في سبتمبر 2009 على الرابط:https://nokbah.com/~w3/?p=552

- الإعلان عن تأسيس قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، من هنا نبدأ وفي الأقصى نلتقي: كلمات قادة، مؤسسة الملاحم، على الرابط : https://archive.org/details/menhona1.

- أقوال العلماء في مسألة جهاد الدفع بدون إذن الوالدين، شبكة الألوكة، 29 مايو 2012، على الرابط: http://majles.alukah.net/t101402

– بيان إلغاء سرية الخنساء الإعلامية، ودمجها مع سرية حفيدات عائشة، مؤسسة البتار الإعلامية، على الرابط:https://justpaste.it/njss

– بيان تأسيس مجلس شورى المجاهدين، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=5cqkqf0o

– بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://www.tawhed.ws/r?i=dwww5009

– بيان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود و الصليبيين، على الرابط: http://www.islamww.com/a/index.php/topic/

– بيعة جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد لخليفة المسلمين أبو بكر البغدادي حفظه الله، كلمة صوتية للشيخ أبي بكر الشكوي، مؤسسة العروة الوثقى، على الرابط: https://isdarat.tv/20119

– وثيقة المدينة،الدولة الإسلامية في العراق والشام، ولاية نينوى، 14 شعبان 1435هـ، العدد 34 على الرابط: http://justpaste.it/Nenwa

– بيان مجلس شورى دولة العراق الإسلامية، على الرابط: http://www.muslm.org/vb/archive/index.php/t-388724.html

– التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، 19 إبريل 2007، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى،2010.

– الجاسوسة "إلفيرا كاراييفا" والمصير المحتوم ، عيون الأمَّة، على الرابط: https://justpaste.it/uycx

– خطة إستراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية، على الرابط: http://www.hanein.info/vb/showthread.

- رابط شامل لكل ما نشرته سرية حفيدات عائشة في حملة لاجئون إلى أين، على الرابط:https://justpaste.it/nsji

- سؤال وجواب في السبي والرقاب، الدولة الإسلامية، مكتبة الهمة، محرم 1436 هـ

- قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، شريط مرئي، 23 يناير 2009، مؤسسة الملاحم، على الرابط: https://archive.org/details/here_we_start

- مجموعة من التقارير الصادرة عن إعلام ولايات العراق والشام، على الرابط:.https://isdarat.tv/b/%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-

- المرأة في الدولة الإسلامية: رسالة وتقرير، سرية الخنساء الإعلامية، على الرابط:https://justpaste.it/almarah_resalh

- النصرة الحيّية للدولة الإسلامية، ورشة جنود الإعلام لنصرة الإسلام، على الرابط: justpaste.it/fm65

تاسعاً: المرئيات والأشرطة

- أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان "هذا وعد الله"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=b1qkBXKvs_A

- شهادة إحدى المعتقلات عن تعذيب الجريش في الاعتقال

https://www.youtube.com/watch?v=dc3Y-WO7NxG8،

- لقاء الجزيرة مع الشيخ أبو محمد المقدسي، 2005، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=8EYVO98K4Vo

- مقطع ترديد ايمان كنجو لشعار باقية وتتمدد، واحتفال أنصار تنظيم الدولة الإسلامية فيها:

https://www.youtube.com/watch?v=aLPfSpwYCzs

هذا الكتاب

إنّ أحد الأهداف الرئيسية لهذا الكتاب هو مناهضة المنظور الاختزالي التسطيحي للظاهرة الجهادية عموماً والنسائية الجهادية خصوصاً؛ فعلى مدى عقود شكلت دراسة الجماعات الجهادية والجهاديين حقلاً من البلبلة والاضطراب والتشوش حجبت أي محاولة جدية لفهم دوافع "الجهاديين"، كما أعاقت السعي للاقتراب من الأسباب والشروط والظروف الموضوعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة التطرف العنيف، مستكينة إلى مقاربات إيديولوجية استشراقية وثقافوية مختزلة. وإذا كانت دراسة الجهاديين تعاني من سوء القصد وصعوبة الفهم، ومن الشواش والالتباس، وتتلبس بالأثر الاستشراقي والثقافوي، فإن دراسة الجهاديات تعاني من إساءة مضاعفة، فقد شكّلت المرأة المسلمة موضوعاً وموضعاً خصباً لأخيلة المستشرقين؛ إذ طالما كانت المسألة الجنسية إحدى الخصائص المهمة والموضوعات المميزة لخيالات وبحوث المستشرقين.

في سياق فهم أفضل للجهادية النسوية يقوم الكتاب بمحاولة الإجابة على سؤالين رئيسيين:
الأول: كيف يمكن في إطار الرؤية المحافظة للجهاديين، أن نفهم التحولات والتطورات الأخيرة التي طرأت على دور "المرأة الجهادية"، وانتقالها من صفوف ثانوية وأدوار تقليدية لدى الجماعات الجهادية؛ بما فيها القاعدة–بوصفها ربة منزل ومربية للأبناء– إلى المرأة المهاجرة، وإلى ظاهرة "نفير النساء"، وصولا إلى "المرأة الانتحارية"؟ وكيف تخطّى الجهاديون "معضلات" دينية فقهية عديدة وصولا إلى الهجرة أراضي "تنظيم الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا، فضلاً عن هجرة مئات النساء من العالم العربي والإسلامي إلى "أرض الخلافة".
والثاني: يرتبط بالنساء الجهاديات والمهاجرات والانتحاريات أنفسهن، أي البحث بهدف معرفة وتفهّم الأسباب التي تدفع فئات من النساء من كافة بلدان العالم إلى الانتماء لتنظيم "الدولة الإسلامية"، والقبول بالتضحية بكلّ شيء في سبيل الالتحاق بالأراضي التي تقع تحت سيطرة التنظيم، على الرغم من انتهاج التنظيم سياسة دينية تؤسس لمجتمع بطريكي أبويّ لا مكان فيه للمساواة والحريات والمواطنة الكاملة، وغيرها من القيم التي أرستها الحداثة، وكرّستها المواثيق والمعاهدات الدولية، وتضمنتها شعارات الثورات العربية.

ISBN 978-9957-484-3-74

